

کتاب
الفرع فی

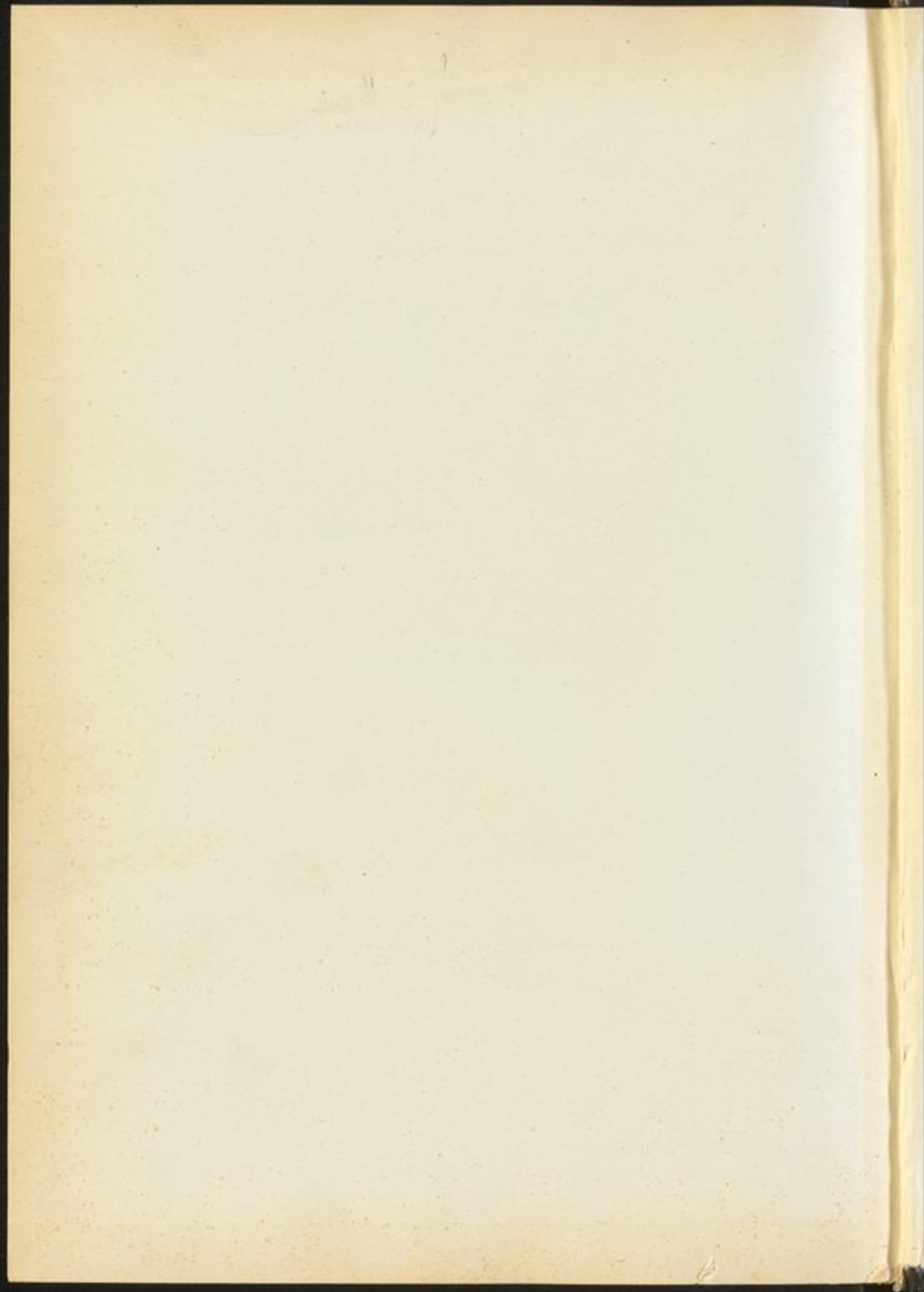
تَالَيْفٍ

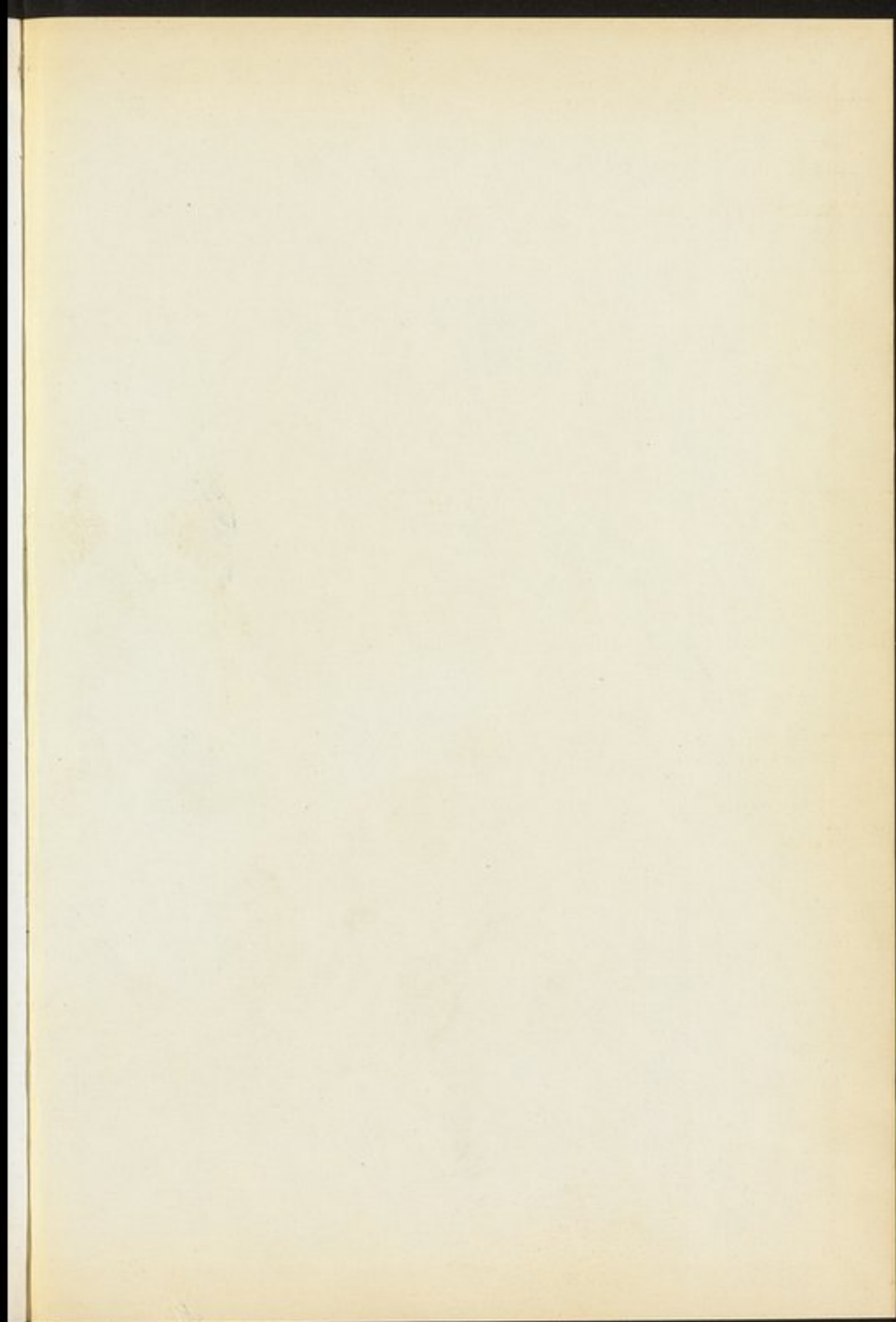
أبي الفرج الأصفهاني

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







الكتاب
الأخضر

تأليف
أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الرابع

الناشر
دار الثقافة
بيروت

١٩٥٥

893.7Is1
035

v. 4

القرآن الكريم

المجلد الرابع

من كتاب الاغاني

ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره

سوى ما كان منها مع عتبة، فانه أفرد لكثرة الصنعة في تشبيه بها، وانها اتسعت جداً فلم يصلح ذكرها هنا، لئلا تنقطع المائة الصوت المختارة، وهي تذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى .

أبو العتاهية لقبٌ غلب عليه، واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، مولى عترة؛ وكنيته أبو إسحاق . وأمه أم زيد بنت زياد المحاربي مولى بني زهرة؛ وفي ذلك يقول أبو قابوس النصريّ وقد بلغه أن أبا العتاهية فضّل عليه العتّابي :

قل للمكثي نفسه متخيّراً بعتاهية
والموسل الكلم القبيح وعنه أذن واعيه
إن كنت سرّاً سؤتي أو كان ذاك علانيه
فعليك لعنة ذي الجلال وأم زيد زانيه

ومنشؤه بالكوفة، وكان في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المختمين، ثم كان يبيع الفخار بالكوفة، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم . ويقال : أطبع الناس بشار^١ والسيد^٢ وأبو العتاهية . وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرة .

مناحيه الشعرية :

وكان غزير البحر، لطيف المعاني، سهل الألفاظ، كثير الافتنان، قليل التكلف، إلا أنه كثير الساقط المردول مع ذلك . وأكثر شعره في الزهد والأمثال . وكان قوم من أهل عصره ينسبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد . وله أوزان طريفة قالها بما لم يتقدمه الأوائل فيها . وكان أنجل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الأموال .

سبب كنيته :

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال أخبرني محمد بن موسى بن حماد قال :

قال المهدي يوماً لأبي العتاهية : أنت إنسان متحذلق^٣ معت^٤، فأستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته، وسارت له في الناس . قال : ويقال للرجل المتحذلق : عتاهية^٥، كما يقال للرجل الطويل : شناحية^٦ . ويقال : أبو عتاهية، بإسقاط الألف واللام .

(١) يعني السيد الحميري وستأتي ترجمته .

(٢) المتحذلق : المتكيس المتظرف .

(٣) يقال : رجل معته إذا كان مجنوناً مضطرباً في خلقه، وقد ذكر صاحب اللسان (في مادة عنه) هذا الخبر فقال : « وأبو العتاهية الشاعر المعروف ذكر أنه كان له ولد يقال له عتاهية، وقيل : لو كان الأمر كذلك لقليل له أبو عتاهية بغير تعريف، إنما هو لقب لا كنية . وكنيته أبو إسحاق، ولقب بذلك لأن المهدي قال له : أراك متخلفاً متعتها، وكان قد تعته بجارية للمهدي ... وقيل : لقب بذلك لأنه كان طويلاً مضطرباً، وقيل : لأنه يرمى بالزندقة » .

قال محمد بن يحيى وأخبرني محمد بن موسى قال أخبرني ميسون بن هارون عن بعض مشايخه قال : كُتِبَ بأبي العتاهية أن كان يحب الشهرة والمجون والتعته . وبلده الكوفة وبلد آبائه ، وبها مولده ومنشؤه وباديته .

قال محمد بن سلام : وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أن أصلهم من عترة ، وأن جدّهم كيسان كان من أهل عين التمر ، فلما غزاها خالد بن الوليد كان كيسان جدّهم هذا يتيماً صغيراً يكفله قرابة له من عترة ، فسباه خالد مع جماعة صبيان من أهلها ، فوجه بهم إلى أبي بكر ، فوصلوا إليه وبحضرته عبّاد بن رفاعه العنزي بن أسد بن ربيعة بن زرار ، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصبيان عن أنسابهم فيخبره كل واحد بمبلغ معرفته ، حتى سأل كيسان ، فذكر له أنه من عترة ، فلما سمعه عبّاد يقول ذلك أستوهبه من أبي بكر رضي الله عنه ، وقد كان خالصاً له ، فوهبه له ، فأعتقه ، فتولّى عترة .

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أحمد بن الحجاج الجلافي الكوفي قال حدثني أبو دؤيل مصعب بن دؤيل الجلافي .

قال : لم أر قط مندلاً بن علي العنزي وأخاه حيان بن علي غضباً من شيء قط إلا يوماً واحداً ، دخل عليهما أبو العتاهية وهو مضجج بالدماء ، فقالا له : ويحك ! ما بالكَ ؟ فقال لهما : من أنا ؟ فقالا له : أنت أخونا وأبن عمنا ومولانا ؛ فقال : إن فلانا الجزار قتلني وضربني وزعم أنني نبطي^٢ ، فإن كنت نبطياً هربت على وجهي وإلا فقوموا فخذوا لي بجثتي ؛ فقام معه مندلاً بن علي وما تعلق نعله

(١) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة غزاها خالد بن الوليد في أيام أبي بكر رضي الله عنه .

(٢) اغتذم أولياءه له .

(٣) النبطي : منسوب إلى النبط وهم جيل يزلون البطائح بين العرافين .

(٤) ما تعلق نعله : ما لبسها .

غضباً؛ وقال له : والله لو كان حُكَّك على عيسى بن موسى لأخذته لك منه ؛ ومرو معه حافياً حتى أخذ له بحقه .

أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى عن الحسن بن علي عن عمرو بن معاوية عن جُبارة بن المغلس الحناني قال : أبو العتاهية مولى عطاء بن محجن العنزي .

مولد ابي العتاهية وصنفته :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال أبو عون أحمد بن المنجهم أخبرني خيار الكاتب قال :

كان أبو العتاهية وإبراهيم الموصلي من أهل المذار^(١) جميعاً، وكان أبو العتاهية وأهله يعملون الجرار^(٢) الخضري، فقدموا إلى بغداد ثم أفترقا، فنزل إبراهيم الموصلي ببغداد، ونزل أبو العتاهية الحيرة . وذكر عن الرياشي أنه قال مثل ذلك، وأن أبا أبي العتاهية نقله إلى الكوفة .

قال محمد بن موسى : فولد أبي العتاهية من قبل أبيه لعزة، ومن قبل أمه لبني زهرة، ثم لمحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وكانت أمه مولاة لهم، يقال لها أم زيد .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن مهرويه قال : قال الخليل بن أسد :

كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن ويقول : أبو إسحاق الخراف . وكان أبوه حجاباً من أهل ورجة^(٣)؛ ولذلك يقول أبو العتاهية :

ألا إنما التقوى هو العز والكرم وحبك للدنيا هو الفقر والعدم

(١) المذار في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام .

(٢) لعله «ودج» اسم موضع كما في اللسان (مادة ودج) ومعجم ما استعجم (ج ٢ ص ٦٢٢) .

وليس على عبدٍ تقىً نقيصةً إذا صحَّ التقوى وإن حاك أو حجم

مفاخرة :

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا محمد بن أبي العتاهية قال :

جاذب رجل من كنانة أبا العتاهية في شيء، ففخر عليه الكِنَانِي وأستطال بقوم من أهله؛ فقال أبو العتاهية :

دَعْنِي من ذِكْرِ أبٍ وجدٍ ونَسَبِ يُعْلِيكَ سُورَ المجدِ
ما الفخرُ إلا في الثَّقِي والرُّهْدِ وطاعةٌ تُعْطِي جَنانَ الخُلْدِ
لا بُدَّ من وِرْدٍ لأهلِ الوِرْدِ إِمَّا إلى ضَحْلٍ وإِمَّا عِدٍ

مذهبه :

حدثني الصولي قال حدثنا موسى عن أحمد بن حرب قال :

كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد وأن الله خلق جوهرين متضادين لا من شيء، ثم إنه بنى العالم هذه البنية منهما، وأن العالم حديث العين والصنعة لا يحدث له إلا الله، وكان يزعم أن الله سيرد كل شيء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن تَفْنَى الأعيانُ جميعاً، وكان يذهب إلى أن المعارف واقعةٌ بقدر الفكر والاستدلال والبحث طباعاً، وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب، ويتشيع

(١) الضحل : الماء القليل على الأرض لا عمق له .

(٢) العِد : الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع كماء العين .

بمذهب الزيدية البترية المبتدعة، لا يتنصّ أحداً ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطان؛ وكان مجبراً. قال الصولي: حدثني يموت بن المزرع قال حدثني الجاحظ قال: قال أبو العتاهية ثأمة بين يدي المأمون - وكان كثيراً ما يعارضه بقوله في الإجمار - : أسألك عن مسألة؛ فقال له المأمون: عليك بشعرك؛ فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمره بإجابتي! فقال له: أجبه إذا سألك؛ فقال: أنا أقول: إن كل ما فعله العباد من خير وشر فهو من الله، وأنت تأبى ذلك، فمن حرك يدي هذه؟ وجعل أبو العتاهية يحركها؛ فقال له ثأمة: حرّكها من أمه زانية؛ فقال: شتمني والله يا أمير المؤمنين؛ فقال ثأمة: ناقض الماص بظر أمه والله يا أمير المؤمنين! فضحك المأمون وقال له: ألم أقل لك أن تشتغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك! قال ثأمة: فلقيني بعد ذلك فقال لي: يا أبا معن، أما أغناك الجواب عن السفة! فقلت: إن من أتم الكلام ما قطع الحجة وعاقب على الإساءة وشفى من الغيظ وانتصر من الجاهل.

قال محمد بن يحيى وحدثني عون بن محمد الكندي قال:

سمعت العباس بن رستم يقول: كان أبو العتاهية مذنباً في مذهبه: يعتقد شيئاً، فإذا سمع طاعناً عليه ترك اعتقاده إياه وأخذ غيره.

مع المختين:

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني ابن أبي الدنيا قال حدثني الحسين بن عبد ربه قال حدثني علي بن عبيدة الرضائي قال حدثني أبو الشتمق:

(١) الزيدية: فرقة نسبت إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تقصر الإمامة على أولاد فاطمة ولا تميز الإمامة في غيرهم. والبترية: طائفة منهم أصحاب كثير النوى الأبر، توقفوا في أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر، وفضلوا علياً على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر الكلام على هذه الفرقة ببيان واف في كتاب الملل والنحل للشهرستاني.

(٢) أي منسوباً إلى الجبر وهو القول بأن الله يجبر العباد على الذنوب أي يكرهم عليها، يقال: أجبرته إذا نسبته إلى الجبر، كما يقال: أكفرته إذا نسبته إلى الكفر.

أنه رأى أبا العتاهية يحمل زاملة الخنثين ، فقلت له : أمثلك يضع نفسه هذا الموضع مع سنك وشعرك وقدرك ؟ ! فقال له : أريد أن أتعلم كيادهم ، وأنحفظ كلامهم .

معاورة :

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال :

ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أن بشر بن المعتير قال يوماً لأبي العتاهية : بلغني أنك لما نسكت جلست تحجم اليتامى والفقراء للسبيل ، أكذاك كان ؟ قال : نعم ؛ قال له : فما أردت بذلك ؟ قال : أردت أن أضع من نفسي حساباً رفعتني الدنيا ، وأضع منها لیسقط عنها الكبير ، وأكتب بما فعلته الثواب ، وكنت أحجم اليتامى والفقراء خاصة ؛ فقال له بشر : دعني من تذليلك نفسك بالحجامة ، فإنه ليس بحجة لك أن تؤذيها وتصلحها بما لعلك تُفسد به أمر غيرك ؛ أحب أن تُخبرني هل كنت تعرف الوقت الذي كان يحتاج فيه من تحججه إلى إخراج الدم ؟ قال : لا ؛ قال : هل كنت تعرف مقداراً ما يحتاج كل واحد منهم إلى أن يُخرج على قدر طبعه ، بما إذا زدت فيه أو نقصت منه ضرر المحجوم ؟ قال : لا ؛ قال : فما أراك إلا أردت أن تتعلم الحجامة على أقفاء اليتامى والمساكين ! .

تستره بالحجامة :

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أبو ذكوان قال حدثنا العباس بن رؤس قال : كان حمادويه صاحب الزنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية ، ففرع من ذلك وقعد حجماً .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال أبو درعامه علي بن يزيد : أخبر يحيى بن خالد أن أبا العتاهية قد نسك ، وأنه جلس

يُحْجَمُ النَّاسَ لِلْأَجْرِ تَوَاضَعًا بِذَلِكَ ؛ فَقَالَ : أَلَمْ يَكُنْ يَبِيعُ الْجَرَارَ قَبْلَ ذَلِكَ ! .
فَقِيلَ لَهُ : بَلَى ؛ فَقَالَ : أَمَّا فِي بَيْعِ الْجَرَارِ مِنَ الذَّلِّ مَا يَكْفِيهِ وَيَسْتَفْنِي بِهِ عَنِ
الْحِجَامَةِ ! .

قوله في القرآن :

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ مَشَائِخِنَا قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو شُعَيْبٍ
صَاحِبُ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ قَالَ :

قُلْتُ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ : الْقُرْآنُ عِنْدَكَ مَخْلُوقٌ أَمْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ؟ فَقَالَ : أَسَأَلْتَنِي عَنْ
اللَّهِ أَمْ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ ؟ قُلْتُ : عَنْ غَيْرِ اللَّهِ ، فَأَمْسَكَ ، وَأَعَدْتُ عَلَيْهِ فَأَجَابَنِي هَذَا
الْجَوَابَ ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا ؛ فَقُلْتُ لَهُ : مَا لَكَ لَا تُجِيبُنِي ؟ قَالَ : قَدْ أَجَبْتُكَ
وَلَكِنَّكَ حَمَارٌ .

اوصافه :

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا شَيْخٌ مِنْ مَشَائِخِنَا قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
مُوسَى قَالَ :

كَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ قَضِيْفًا ، أَبْيَضَ اللَّوْنُ ، أَسْوَدَ الشَّعْرُ ، لَهُ وَفْرَةٌ أَجْعَدَةٌ ، وَهَيْئَةٌ
حَسَنَةٌ وَلِبَاقَةٌ وَحَصَافَةٌ ، وَكَانَ لَهُ عَعِيدٌ مِنَ السُّودَانِ ، وَلِأَخِيهِ زَيْدٌ أَيْضًا عَبِيدٌ
مِنْهُمْ يَعْصُونَ الْخَرْفَ فِي أَتُونٍ لَهُمْ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ مِنْهُ شَيْءٌ الْقَوَّةُ عَلَى أَجِيرٍ لَهُمْ
يُقَالُ لَهُ أَبُو عَبَادِ الْيَزِيدِيِّ مِنْ أَهْلِ طَاقِي الْجَرَارِ بِالسُّكُوفَةِ ، فَيَبِيعُهُ عَلَى يَدَيْهِ وَيُرَدُّ

(١) القضيْف : الدقيق العظم القليل اللحم .

(٢) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين أو ما جاوز شحمة الأذن .
والجعدة : التي فيها التواء وتقبض .

(٣) الأتون (بتشديد التاء) : الموقد ، والعامية تخففه .

فضله إليهم . وقيل : بل كان يفعل ذلك أخوه زيد لا هو ؛ وسئل عن ذلك فقال : أنا جرّار القوافي ، وأخي جرّار التجارة .

قال محمد بن موسى : وحدثني عبد الله بن محمد قال حدثني عبد الحميد بن سريع مولى بني عجل قال :

أنا رأيت أبا العتاهية وهو جرّار يأتيه الأحداث والمتأذّبون فينشدّهم أشعاره ، فيأخذون ما تكسر من الحرف فيكتبونها فيها .

مهاجاة :

حدثني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثني عون بن محمد الكنديّ قال حدثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال :

لما هاجى أبو قابوس النّصرانيّ كلثوم بن عمرو العتّابيّ جعل أبو العتاهية يشتم أبا قابوس ويضع منه ، ويُفضّل العتّابيّ عليه ؛ فبلغه ذلك فقال فيه :

قل للمكّنيّ نفسه متخيّراً بعتاهيه
والمرسل الكلم القبيح وعنه أذن واعيّه
إن كنت سرّاً سوّيتني أو كان ذاك علانيّه
فعليك لعنة ذي الجلا ل وأمّ زيد زانيّه

- يعني أمّ أبي العتاهية ، وهي أمّ زيد بنت زياد - ف قيل له : أتشم مسلماً ؟ فقال : لم أشتهه وإنما قلت :

فعليك لعنة ذي الجلا ل ومن عَيْننا زانيّه

قال : وفيه يقول والبة بن الحباب وكان يُهاجيه :

كان فينا يُكنى أبا إسحاق وبها الرّكب سار في الآفاق

فَكُنِّي مَعْتُوهُنَا بَعْتَاهُ يَا لَهَا كُنْيَةُ أَتَتْ بِاتِّفَاقٍ
خَلَقَ اللَّهُ لِحْيَةَ لَكَ لَا تَنْفُكَ مَعْقُودَةً بِدَاءِ الْخَلَاقِ^١

أبو العتاهية والموز :

أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبير بن بكرك قال حدثنا
الثَّوَشَّجَانِي قال : أتاني البواب يوماً فقال لي : أبو إسحاق الحَرَّافُ بالبَابِ ؛ فقلت :
أُذِّنْ لَهُ ، فإذا أبو العتاهية قد دخل ، فوضعت بين يديه قِنُوزًا مَوْزًا ؛ فقال :
قد صرْتَ تقتل العلماء بالموز ، قتلت أبا عبيدة بالموز ، وتريد أن تقتلني به ! لا
والله لا أذوقه . قال : فحدثني عروة بن يوسف الثَّقَفِيُّ قال : رأيت أبا عبيدة قد
خرج من دار الثَّوَشَّجَانِي في شِقِّ مَحَلِّ مُسَجَّيٍّ ، إلا أنه حيٌّ ، وعند رأسه قِنُوزُ مَوْزٍ
وعند رجله قِنُوزُ مَوْزٍ آخر ، يُذهِبُ به إلى أهله ؛ فقال الثَّوَشَّجَانِي وغيره : لما
دخلنا عليه نعوذ به قلنا : ما سببِ عِلَّتِكَ ؟ قال : هذا الثَّوَشَّجَانِي جاءني بموز كأنه
أُيُورُ المساكين ، فأكثرُ منه ، فكان سببَ عِلَّتِي قال : ومات في تلك العلة .

شهادات في شعره :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال :

سمعتُ مُصْعَبَ بن عبد الله يقول : أبو العتاهية أشعرُ الناس ؛ فقلت له : بأي
شيءٍ أَسْتَحِقُّ ذلكَ عندك ؟ فقال : بقوله :

تَعَلَّقْتُ بِأَمَالٍ طَوَالٍ أَيَّ أَمَالٍ

(١) كذا في أكثر النسخ وديوانه طبع بيروت . وفي ب ، س : « معنوتها » .

(٢) صفة سوء ، وقد ورد هذا البيت في هامش ديوانه (ص ٣٤٣) هكذا :

خلق الله لحيه لك لا تنفك معقودة لدى الخلاق

(٣) القنو : الكباسة ، وهي كالعنقود من العنب .

وأقبلتُ على الدنيا مُلِحاً أيَّ إقبالٍ
أيا هذا تجهُّزُ لفراق الأهل والمالِ
فلا بدَّ من الموتِ على حالٍ من الحالِ

ثم قال مُصعب : هذا كلام سهلٌ حقٌّ لا حشوَّ فيه ولا نقصانٌ ، يعرفه العاقل
ويُقرُّ به الجاهل .

أخبرني هاشم بن محمد الحُرَاعي قال حدثنا الرياشي قال : سمعتُ الأصمعيَّ
يُستحسن قولَ أبي العتاهية :

أنتَ ما أَسْتغْنيتَ عن صا جبك الدهرَ أخوه
فإذا أَحْتَجَّتْ إليه ساعةٌ مَجَّكَ فُوه

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي إملاءً قال حدثني عمي الفضل بن محمد قال
حدثني موسى بن صالح الشَّهْرَزُوري قال :

أتيت سلماً الحَاسِرَ فقلت له : أنشدني لنفسك ، قال : لا ، ولكن أنشدك
لأشعر الجنِّ والإِنس ، لأبي العتاهية ، ثم أنشدني قوله :

صوت

سَكَنُ يَبْقَى لَهُ سَكَنُ ما بهذا يُؤْذِنُ الزَّمنُ
نَحْنُ فِي دارٍ يُخْبِرُنَا بِبِلاها ناطقُ لِسِنُ
دارِ سَوْءٍ لَمْ يَدُمُ فَرَحُ لَأَمْرِي فِيها وَلَا خَزَنُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْفُسُنَا كُلُّنَا بِالْمَوْتِ مُرَتَّنُ
كُلُّ نَفْسٍ عِنْدَ مِيتَتِها حَظُّها مِنْ ما لَها الْكُفَنُ
إِنْ مالُ الْمَرْءِ لَيْسَ لَهُ مِنْهُ إِلَّا ذِكْرُهُ الْحَسَنُ

فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمارة قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني رجل من أهل البصرة أنبئت أمه ، قال حدثني حمدون بن زيد قال حدثني رجاء ابن مسleme قال :

قلت لسلم الخاسر : من أشعر الناس ؟ فقال : إن شئت أخبرتك بأشعر الجن والانس ؛ فقلت : إنما أسألك عن الانس ، فإن زدني الجن فقد أحسنت ؛ فقال : أشعرهم الذي يقول :

سَكَنُ يَبْقَى لَهُ سَكَنُ ما بهذا يُؤْذِنُ الزَّمَنُ

قال : والشعر لأبي العتاهية .

حدثني يزيد بن أبي ربيعة قال حدثني عمي الفضل قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا يحيى بن زياد القراء قال :

دخلت على جعفر بن يحيى فقال لي : يا أبا زكريا ، ما تقول فيما أقول ؟ فقلت : وما تقول أصحك الله ؟ قال : أزعج أن أبا العتاهية أشعر أهل هذا العصر ؛ فقلت : هو والله أشعرهم عندي .

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني جعفر بن النضر الواسطي الضرير قال حدثني محمد بن شيرويه الأنطاقي قال :

قلت لداود بن زيد بن رزين الشاعر : من أشعر أهل زمانه ؟ قال : أبو نواس ، قلت : فما تقول في أبي العتاهية ؟ فقال : أبو العتاهية أشعر الانس والجن .

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال قال الزبير بن بكار : أخبرني إبراهيم بن المنذر عن الضحاک ، قال :

قال عبد الله بن عبد العزيز العمري : أشعر الناس أبو العتاهية حيث يقول :

ما ضرتَ مَنْ جعل الترابَ مهادهُ ألا ينسامَ على الحريرِ إذا قَنِعُ
صدق والله وأحسن .

مهارته الشعرية :

حدثني الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني أحمد بن حرب قال
حدثني الملقى بن عثمان قال :

قيل لأبي العتاهية : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردته قط إلا مثل لي ،
فأقول ما أريد وأترك ما لا أريد .

أخبرني ابن عمارة قال حدثني ابن مَهْرُويه قال حدثني رَوْح بن الفرج
الحرمازي قال :

جلست الى أبي العتاهية فسمعتُه يقول : لو شئت أن أجعل كلامي كله شعراً
لفعلت .

حدثنا الصولي قال حدثنا العتري قال حدثنا أبو عكرمة قال :

قال محمد بن أبي العتاهية : سُئل أبي : هل تعرف العروض ؟ فقال : أنا أكبر
من العروض . وله أوزانٌ لا تدخل في العروض .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا العتري قال حدثنا أبو عكرمة قال :

‘حم’ الرشيد فصار أبو العتاهية الى الفضل بن الربيع برقة فيها :

لو عَلِمَ الناسُ كيف أنت لهم ماتوا إذا ما أَلِمْتَ أجمعهم
خليفةَ الله أنت ترجحُ بالناس إذا ما وزنت أنت وهم
قد عَلِمَ الناسُ أن وجهك يستغني إذا ما رآه معدهم

فأنشدها الفضلُ بن الربيع الرشيدُ ، فأمر بإحضار أبي العتاهية ، فزال
يسأره ويُحدثه إلى أن برى ، ووصل اليه بذلك السببُ مالٌ جليلٌ .

ابن الاعرابي يضربه :

قال : وحدثتُ أن أبن الأعرابي حَدَّثَ بهذا الحديث ، فقال له رجل
بالمجلس : ما هذا الشعر بمستحق لما قلت ؛ قال : ولم ؟ قال : لانه شعر ضعيف ؛
فقال أبن الأعرابي - وكان أحد الناس - : الضعيفُ والله عقلك لا شعرُ أبي
العتاهية ، ألابي العتاهية تقول : إنه ضعيفُ الشعر ! فوالله ما رأيتُ شاعراً قط
أطبعَ ولا أقدرَ على بيت منه ، وما أحسبُ مذهبه إلا ضرباً من السحر ،
ثم أنشد له :

قطعتُ منك حَبائِلَ الآمالِ	وحططتُ عن ظَهْرِ المَطِيِّ رِحَالِي
ووجدتُ بَرْدَ اليأسِ بين جِوانحي	فأرحتُ من حِلٍّ ومن تَرَحَالِ
يأيها البَطْرُ الذي هو من غدرِ	في قبره متنزِقُ الأَوْصَالِ
حَذَفَ المُنَى عنه المُشِيرُ في الهدى	وأرى مُنْكَ طَوِيلَةَ الأَذْيَالِ
حِيلُ أبن آدم في الأمور كثيرةٌ	والموتُ يقطعُ حيلةَ المُحْتَالِ
قَسْتُ السَّوَالِ فكان أعظمَ قِيسةً	من كلِّ عارفةٍ جَرَتْ بِسْوَالِ
فإذا أَبْتَلَيْتَ ببَذَلِ وجهك سائلاً	فأبْذُلْهُ للتَكْرِمِ المُفْضَالِ
وإذا خَشِيتَ تَعَذُّراً في بلدةٍ	فأشْذُذْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرَحَالِ
وأصيرُ على غَيْرِ الزَّمانِ فإنما	فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حِلِّ عِقَالِ

ثم قال للرجل : هل تعرف أحداً يُحْسِنُ أن يقول مثلَ هذا الشعر ؟ فقال له
الرجل : يا أبا عبد الله ، جعلني الله فداءك ، إني لم أرْ دُذْ عليك ما قلت ، ولكن

(١) أهل العالية يقولون : برأت من المرض أبرأ وبروءاً . وأهل الحجاز يقولون : برأت من
المرض برءاً بالفتح وسائر العرب يقولون : برئت من المرض . وبرؤ برءاً من باب قرب لئس (انظر
اللسان مادة برأ والمصباح المنير) .

الزهد مذهب أبي العتاهية، وشعره في المديح ليس كشعره في الزهد؛ فقال:
أفليس الذي يقول في المديح:

وهارون ماء المزن يشني به الصدى إذا ما الصدي بالريق غصت حناجره
وأوسط بيت في قريش لبيته وأول عز في قريش وآخره
وزحف له تحكي البروق سيوفه وتحكي الرعود القاصفات حوافره
إذا سميت شمس النهار تضاحكت إلى الشمس فيه بيضه ومغافره
إذا نكب الإسلام يوماً بنكبة فهارون من بين البرية نأثره
ومن ذا يفوت الموت والموت مدرك كذا لم يفوت هارون ضد ينافره

قال: فتخلص الرجل من شر ابن الأعرابي بأن قال له: القول كما قلت، وما كنت سمعت له مثل هذين الشعرين وكتبهما عنه.

رأي أبي نواس فيه:

حدثني محمد قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني ابن الأعرابي المنجم
قال حدثني هارون بن سعدان بن الحارث مولى عبادة قال:

حضرت أبا نواس في مجلس وأنشد شعراً، فقال له من حضر في المجلس: أنت
أشعر الناس؛ قال: أما والشيخ حي فلا. (يعني أبا العتاهية).

بجله:

أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني الحسين بن
أبي السري قال:

(١) الصدى: العطش.

(٢) البيض (بفتح الباء): جمع بيضة وهي الخوذة تصنع من الحديد ليتقي بها في الحرب.
والمغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، والجمع مغافر، وفيل فيه
غير ذلك.

قال ثمامة بن آشرس أنشدني أبو العتاهية :

إذا المرء لم يُعَيِّقْ من المال نفسه تَمَلَّكه المالُ الذي هو مالُكه
ألا إنا مالي الذي أنا مُنْفِقُ وليس لي المالُ الذي أنا تاركُه
إذا كنتَ ذا مالٍ فبادِرْ به الذي يَحِقُّ وإلا أستهلكته مَهالِكُه

فقلت له : من أين قضيتَ بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إنما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيته ، أو لبستَ فأبليتَ ، أو تصدقتَ فأمضيتَ » .
فقلت له : أتؤمن بأن هذا قولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأنه الحق ؟
قال : نعم . قلت : فلم تجلسَ عندك سبعا وعشرين بَدْرَةً في دارك ، ولا تأكل
منها ولا تشرب ولا تُركي ولا تُقدِّمها ذُخْراً ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقال : يا أبا
مَعْنٍ ، والله إنَّ ما قلتَ لهو الحق ، ولكنني أخاف الفقرَ والحاجةَ الى الناس ؛
فقلت : وبِمَ تَريدُ حالُ من أفقرَ على حالك وأنت دائمُ الحرصِ دائمُ الجمعِ
شحيحٌ على نفسك لا تشتري اللحمَ إلا من عيدٍ إلى عيدٍ ؟ ! فترك جوابَ كلامي
كله ثم قال لي : والله لقد اشتريتُ في يومِ عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بخمسة
دراهم ؛ فلما قال لي هذا القولُ أضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومُعابته ، فأمسكتُ
عنه وعلمت أنه ليس بمن شرَّح الله صدره للإسلام .

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدَّثني عليّ بن المهدي قال قال الجاحظ :
حدَّثني ثمامة قال :

دخلت يوماً الى أبي العتاهية فإذا هو يأكلُ خُبْزاً بلا شيء ؛ فقلت : كأنك
رأيتَه يأكلُ خُبْزاً وحده ؛ قال : لا ! ولكنني رأيته يتأدَّم بلا شيء ؛ فقلت :
وكيف ذلك ؟ فقال : رأيتُ قُدَّامه خُبْزاً يابساً من رِقاقِ فطيرٍ وقَدْحاً فيه لبنٌ
حليبٌ ، فكان يأخذ القطعة من الخُبْزِ فيغمسها في اللبن ويخرجها ولم تتعلَّق منه

بقليل ولا كثير ؛ فقلت له : كأنك أستهيت أن تتأدّم بلا شيء ، وما رأيت أحداً قبلك تأدّم بلا شيء .

قال الجاحظ : وزعم لي بعض أصحابنا قال : دخلتُ على أبي العتاهية في بعض المنزهات ، وقد دعا عياشاً صاحب الجسر وتبياً له بطعام ، وقال لغلامه : إذا وضعتُ قدامهم الغداء فقدم إليّ ثريدةً بخلٍ وزيت ؛ فدخلت عليه وإذا هو يأكل منها أكلٌ متكشّشٌ غير منكرٍ لشيء ، فدعاني فددت يدي معه ، فإذا بثريدة بخلٍ وبزرٍ بدلاً من الزيت ؛ فقلت له : أتدري ما تأكل ؟ قال : نعم ثريدة بخلٍ وبزر ؛ فقلت : وما دعاك إلى هذا ؟ قال : غلط الغلام بين دبةٍ الزيت ودبةٍ البزر ، فلما جاءني كرهت التجبّر وقلت : دهنٌ كدهن ، فأكلتُ وما أنكرتُ شيئاً .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني عليّ بن مهديّ قال حدثنا عبيد الله بن عطية الكوفيّ قال حدثنا محمد بن عيسى الجزيميّ ، وكان جارك أبي العتاهية ، قال :

كان لأبي العتاهية جارك يلتقط الثوى ضعيفٌ سيّئ الحال متجملٌ عليه ثياب ، فكان يمرّ بأبي العتاهية طرقيّ النهار ، فيقول أبو العتاهية : اللهم أغنيه عما هو بسبيله ، شيخٌ ضعيفٌ سيّئ الحال عليه ثيابٌ متجملٌ ، اللهم أغنيه ، أصنع له ، بارك فيه ؛ فبقي على هذا إلى أن مات الشيخ نحو من عشرين سنة ، ووافقه إن تصدّق عليه بدرهم ولا دارق قطّ ، وما زاد على الدعاء شيئاً ؛ فقلت له يوماً : يا أبا إسحاق إني أراك تكثّر الدعاء لهذا الشيخ وترغم أنه فقيرٌ مقلّ ، فلم لا تتصدّق عليه بشيء ؟ فقال : أخشى أن يعتاد الصدقة ، والصدقة آخر كسب العبد ، وإنّ في الدعاء خيراً كثيراً .

(١) في بعض النسخ : « ثردة » والثردة (بالفم) : الاسم من ثرد الخبز أي فته .

(٢) تكمش الرجل : أسرع .

(٣) الدبة : الوعاء للبزر والزيت .

(٤) المتجمل : الفقير الذي لم يظهر على نفسه المسكنة والذل .

قال محمد بن عيسى الجُرَيْمِيُّ هذا : وكان لآبي العتاهية خادمٌ أسودٌ طويلٌ كأنه محراكٌ أُتُون ، وكان يُجري عليه في كلِّ يومٍ رغيفين ، فجاءني الخادم يوماً فقال لي : والله ما أشبع ؛ فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : لآني ما أَفْتَرُ من الكدِّ وهو يُجري عليَّ رغيفين بغيرِ إدام ، فإن رأيتَ أن تكلمه حتى يزيدني رغيفاً فتَوَجَّر ! فوعده بذلك ؛ فلما جلستُ معه مرَّ بنا الخادم فكَرِهَتْهُ إِعْلَامُهُ أَنَّهُ شكا إليَّ ذلك ، فقلت له : يا أبا إسحاق كم تُجري على هذا الخادم في كلِّ يوم ؟ قال : رغيفين ؛ فقلت له : لا يكفِيانهُ ؛ قال : من لم يكفه القليلُ لم يكفه الكثير ، وكلُّ من أعطى نفسه شهوتها هلك ، وهذا خادمٌ يدخلُ إلى حُرَمِي وبناتي ، فإن لم أعوده القنعةَ والاقتصادَ أَهْلِكُنِي وَأَهْلِكُ عِيَالِي وَمَالِي ؛ فبات الخادم بعد ذلك فكفَّنَه في إزارٍ وفِراشٍ له خَلَقَ ؛ فقلت له : سبحان الله ! خادمٌ قديمٌ الحُرمةِ طويلٌ الخدمةِ واجبُ الحقِّ تُكفِّنُه في خَلَقٍ ، وإِنَّمَا يكفِيكَ له كفنٌ بدينارٍ ! فقال : إنه يصير إلى البلى ، والحيُّ أُولَى بالجديد من الميت ؛ فقلت له : يرحمك الله أبا إسحاق ! فلقد عوَدَتْهُ الاقتصَادُ حَيًّا وَمَيِّتًا .

قال محمد بن عيسى هذا : وَقَفَ عليه ذاتَ يومٍ سائلٌ من العِيَّارِينَ الظُّرَفَاءِ ، وجماعةٌ من جيرانه حوله ، فسأله من بين الجيران : فقال : صنع الله لك ؛ فأعاد السؤالَ فأعاد عليه ثانيةً ، فأعاد عليه ثالثةً فردَّ عليه مثلَ ذلك ، فغضب وقال له : أَلَسْتَ الْقَائِلَ :

كلَّ حَيٍّ عِنْدَ مَيِّتِهِ حَظُّهُ مِنْ مَالِهِ الْكَفْنُ

ثم قال : فبأله عليك أتريدُ أن تعدَّ مالكَ كُلَّهُ لثمنِ كفنك ؟ قال لا ؛ قال : فبأله كم قدَّرتَ لكفنك ؟ قال : خمسةَ دنانيرٍ ؛ قال : فهي إِذَا حَظُّكَ مِنْ مَالِكَ كِلَهْ ؛ قال : نعم ؛ قال : فتصدَّقْ عليَّ من غيرِ حَظِّكَ بدينارٍ واحدٍ ؛ قال : لو تصدَّقتُ عليك لكان حظي ؛ قال : فأعملْ على أن ديناراً من الخمسةِ الدنانيرِ

وَصِيْعَةُ قِيْرَاطٍ، وَأَدْفَعْ إِلَيَّ قِيْرَاطًا وَاحِدًا، وَإِلَّا فَوَاحِدَةً أُخْرَى؛ قَالَ: وَمَا هِيَ؟
 قَالَ: الْقُبُورُ تُخْفَرُ بِثَلَاثَةِ دِرَاهِمٍ فَأَعْطِنِي دِرْهَمًا وَأَقِمْ لَكَ كَفِيلًا بِأَنِّي أَحْفَرُ لَكَ
 قَبْرَكَ بِهِ مَتَى مُتَّ، وَتَرْبَحُ دِرْهَمَيْنِ لَمْ يَكُونَا فِي حُسْبَانِكَ، فَإِنْ لَمْ أَحْفَرْ رَدَدْتُهُ
 عَلَيَّ وَرَرْتِكَ أَوْ رَدَّه كَفِيلِي عَلَيْهِمْ؛ فَخَجَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَقَالَ: اغْرُبْ لَعْنَكَ اللَّهُ
 وَغَضِبْ عَلَيْكَ؛ فَضَحَكَ جَمِيعٌ مِنْ حُضُرٍ، وَمَرَّ السَّائِلُ يَضْحَكُ، فَأَلْتَفَتَ إِلَيْنَا
 أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ: مَنْ أَجَلَ هَذَا وَأَمَثَالَهُ حُرِّمَتِ الصَّدَقَةُ؛ فَقُلْنَا لَهُ: وَمَنْ حَرَّمَهَا
 وَمَتَى حُرِّمَتْ! فَمَا رَأَيْنَا أَحَدًا أَدْعَى أَنَّ الصَّدَقَةَ حُرِّمَتْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ!.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيْسَى هَذَا: وَقُلْتُ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ: أَتُرَكِي مَالَكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ
 مَا أَنْفَقَ عَلَى عِيَالِي إِلَّا مِنْ زَكَاةٍ مَالِي؛ فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ تُتَخَرَّجَ
 زَكَاةَ مَالِكَ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ؛ فَقَالَ: لَوْ أَنْقَطَعَتْ عَنْ عِيَالِي زَكَاةُ مَالِي لَمْ يَكُنْ
 فِي الْأَرْضِ أَفْقَرُ مِنْهُمْ.

أَحْكَمُ شَعْرِهِ:

أَخْبَرَنِي عِيْسَى بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ:

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ قُلْتُ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ: أَيُّ
 شَعْرٍ قُلْتَهُ أَحْكَمُ؟ قَالَ قَوْلِي:

عَلِمْتُ يَا مُجَاشِعُ بْنُ مَسْعَدَةَ أَنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ
 مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ

عَتَاب:

أَخْبَرَنِي عِيْسَى قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَرِيَّةٍ قَالَ:

كان مجاشع بن مسعدة أخو عمرو بن مسعدة صديقاً لأبي العتاهية ، فكان يقوم بجوائحه كلها ويخلص مودته ، فمات وعرضت لأبي العتاهية حاجة إلى أخيه عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها ؛ فكتب إليه أبو العتاهية :

غَنَيْتَ عَنِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ غَنِيَّتَا وَضَيَّعْتَ وَدَّاءَ بَيْنِنَا وَنَسَيْتَا
وَمِنْ عَجَبِ الْأَيْلَمِ أَنْ مَاتَ مَا لَنِي وَمَنْ كُنْتَ تَغْشَانِي بِهِ وَبَقَيْتَا

فقال عمرو : إستطال أبو إسحاق أعمارنا وتوعدنا ، ما بعد هذا خير ، ثم قضى حاجته .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا أبو غزوة قال :

كان أبو العتاهية إذا قدم من المدينة يجلس إليّ ؛ فأراد مرة الخروج من المدينة فودعني ثم قال :

إِنْ نَعِشْ نَجْتَمِعُ وَإِلَّا فَاأَشْغَلْ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ الْأَنَامِ

معاينته لعلام :

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني عبد الرحمن بن إسحاق المذري قال :

كان لبعض التجار من أهل باب الطّاق^(١) على أبي العتاهية ثمن ثياب أخذها منه ، فمر به يوماً ، فقال صاحب الدكان لعلام ممن يخدمه حسن الوجه : أدرك أبا العتاهية فلا تفارقه حتى تأخذ منه ما لنا عنده ؛ فأدركه على رأس الجسر ، فأخذ

(١) كذا والسياق يقتضي حذف « من » .

(٢) باب الطّاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي تعرف بطاق أسماء .

بعنان حمارة ووقفه؛ فقال له : ما حاجتك يا غلام ؟ قال : أنا رسول فلان بعثني اليك لأخذ ماله عليك ، فأمسك عنه أبو العتاهية ؛ وكان كل من مرّ فرأى الغلام متعلقاً به وقف ينظر ، حتى رضي أبو العتاهية جمع الناس وحفلهم ثم أنشأ يقول :

والله ربك إنني لأجل وجهك عن فعالك
لو كان فعلك مثل وجهك كنت مكتفياً بذلك

فجبل الغلام وأرسل عنان الحمارة ، ورجع إلى صاحبه وقال : بعثني إلى شيطان جمع عليّ الناس وقال في الشعر حتى أخجلني فهربت منه .

في حاجب :

أخبرني أحمد بن العباس قال حدثنا العزّي قال قال إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم التيمي : حدثني إبراهيم بن حكيم قال :

كان أبو العتاهية يختلف إلى عمرو بن مسعدة لو دّر كان بينه وبين أخيه مجاشع ، فأستأذن عليه يوماً فحجب عنه ، فلزم منزله ، فأستبطأه عمرو ؛ فكتب إليه : إن الكسل يمنعني من لقائك ؛ وكتب في أسفل رقعته :

كسّاني اليأس منك عما أرفع طرني اليك من كسل
إني إذا لم يكن أخي ثقةً قطعتُ منه حبال الأمل

حدثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال :

أستأذن أبو العتاهية على عمرو بن مسعدة فحجب عنه ؛ فكتب إليه :

(١) حكى عن بعضهم أنه قال : ما يملك باليد يقال فيه : أوقفت (بالألف) ، وما لا يملك باليد يقال فيه : وقفت (بغير ألف) . والفصيح وقفت بغير ألف في جميع الباب إلا في قولك : ما أوقفك هاهنا؟ وأنت تريد : أي شأن حالك على الوقوف ! (أنظر المصباح المنير مادة وقف) .

مالك قد حلت عن إخالك وأسبدلت يا عمرو شية كدرة
إني إذا الباب تاه حاجبه لم يك عندي في هجره نظرة
لستم ترجون للحساب ولا يوم تكون السماء منقطرة
لكن لدنيا كالظل يهجتها سريعة الانقضاء منشيرة
قد كان وجهي لديك معرفة فالיום أضى حرفاً من النكرة

هجاء مقذع :

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثنا أبو بكر مة قال :
كان الرشيد إذا رأى عبد الله بن معن بن زائدة تمثل قول أبي العتاهية :
أخت بني شيان مرت بنا ممشوطة كوراً على بغل

وأول هذه الأبيات :

يا صاحبي رحلي لا تكثر يا صاحبي رحلي لا تكثر
سبحان من خص ابن معن بما سبوحان من خص ابن معن بما
قال ابن معن وجلا نفسه قال ابن معن وجلا نفسه
أنا فتاة الحمي من وائل أنا فتاة الحمي من وائل
ما في بني شيان أهل الحجا ما في بني شيان أهل الحجا
ولي يا لهني على أمر ولي يا لهني على أمر
صاحته يوماً على خلوة صاحته يوماً على خلوة
أخت بني شيان مرت بنا أخت بني شيان مرت بنا
تكني أبا الفضل ويا من رأى تكني أبا الفضل ويا من رأى
قد نطقت في وجهها نقطة قد نطقت في وجهها نقطة

(١) الكور : الرحل .

(٢) الحجل (بفتح الحاء وكسرهما) : الخلل .

إن ذُرْقوها قال حُجَّابُها نحن عن الزُّوَّار في سُفُلِ
 مولانا مشغولة عندها بَعْلٌ ولا إذنَ على البَعْلِ
 يا بنتَ مَعْنٍ الحَيَّرِ لا تَجْهَلِي وأين إقصارُ عن الجَهْلِ
 أَتَجَلِدُ الناسَ وأنتَ أمرؤ تُجَلِّدُ في الدُّبُرِ وفي القُبُلِ
 ما ينبغي للناس أن يَنْسُبُوا من كان ذا جُودٍ إلى البُخْلِ
 يَبْذُلُ ما يَنْعِ أهْلُ الندى هذا لَعَمْرِي مُنْتَهَى البَذْلِ
 ما قلتُ هذا فيك إلا وقد جَعْتُ به الأَقْلَامُ من قَبْلِي

قال : فبعث إليه عبد الله بن معن ، فأتي به ، فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتكبوا
 منه الفاحشة ، ففعلوا ذلك ، ثم أجلسه وقال له : قد جزييتك على قولك في ، فهل
 لك في الصلح ومعه مَرَكَبٌ وعشرة آلاف درهم أو تُقيم على الحرب ؟ قال : بل
 الصلح ؛ قال : فأسمعي ما تقوله في الصلح ؛ فقال :

ما لُعْذَالِي ومالي أروني بالضَّلالِ
 عَذَلُونِي في اغْتِفَارِي لأبنِ مَعْنٍ وأَحْثَالِي
 إن يكن ما كان منه فيجُرِّمِي وِفْعَالِي
 أنا منه كنت أسوا عشرةً في كلِّ حالِ
 قل لمن يَعْجَبُ من حُسْنِ رُجُوعِي وَمَقَالِي
 رَبِّ وَدَّرَ بعدَ صَدِّ وهوى بعدَ تَقَالِي
 قد رأينا ذا كثيراً جارياً بين الرِّجَالِ
 إنما كانت يميني لَطَمَتْ مِنِّي شِمَالِي

حبه سعدى :

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن موسى اليزيدي قال حدثنا أبو
 سويد عبد القوي بن محمد بن أبي العتاهية ومحمد بن سعد قالوا :

كان أبو العتاهية يهوى في حدائته امرأةً نائحةً من أهل الحيرة لها حسن وجمال يقال لها سعادى ؛ وكان عبد الله بن معن بن زائدة المكنى بأبي الفضل يهواها أيضاً ، وكانت مولاة لهم ، ثم اتهمها أبو العتاهية بالنساء ؛ فقال فيها :

ألا يا ذوات السحق في الغرب والشرق أفقن فإن النيك أشنى من السحق
أفقن فإن الحبر بالأدم يشتهى وليس يسوغ الحبر بالخبر في الحلق
أراكن ترزقن الحروق بمثلها وأي ليب يرقع الحرق بالحرق
وهل يصلح المهراس إلا بعوده إذا احتيج منه ذات يوم الى الدق

حدثني الصولي قال حدثني الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال :

تهدد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوفه ونهاه أن يعرض لمولاته سعادى ؛
فقال أبو العتاهية :

ألا قل لابن معن ذا الذي في الود قد حالا
لقد بلغت ما قال فما باليت ما قالا
ولو كان من الأسد لما صال ولا هالا
فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخلا
وما تصنع بالسيف اذا لم تك قتالا
ولو مد إلى أذنيه كفيه لما نالا
قصير الطول والطيلة لا شب ولا طالا
أرى قومك أبطالا وقد أصبحت بطلا

مع آل معن :

حدثنا الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثني سليمان المدائني قال :

(١) المهراس : الهاون .

(٢) الطيلة : العمر .

إحتال عبد الله بن مَعْن على أبي العتاهية حتى أخذ في مكان فضربه مائة سوط ضرباً ليس بالمبرح غيظاً عليه، وإنما لم يعنف في ضربه خوفاً من كثرة من يُعنى به؛ فقال أبو العتاهية يهجو:

جَلَدْتَنِي بِكَفِّهَا بِنْتُ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةٍ
جَلَدْتَنِي فَأَوْجَعْتُ بِأَبِي تَلَكْ جَالِدَةٍ
وَتَرَاهَا مَعَ الْخَصِي عَلَى الْبَابِ قَاعِدَةٍ
تَتَكَنَّى كُنَى الرَّجَا لَ بَعْدِ مُكَايِدَةٍ
جَلَدْتَنِي وَبَالَغْتُ مَائَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ
إِجْلِدْنِي وَإِجْلِدِي إِنَّمَا أَنْتِ وَالِدَةٍ

وقال أيضاً :

ضَرَبْتَنِي بِكَفِّهَا بِنْتُ مَعْنٍ أَوْجَعْتُ كَفَّهَا وَمَا أَوْجَعْتَنِي
وَلَعَمْرِي لَوْلَا أَذَى كَفِّهَا إِذْ ضَرَبْتَنِي بِالسُّوطِ مَا تَرَكْتَنِي

قال الصولي: حدثنا عون بن محمد ومحمد بن موسى قالا :

لما أتصل هجاء أبي العتاهية بعبد الله بن معن وكثر غضب أخوه يزيد بن معن من ذلك وتوعد أبا العتاهية؛ فقال فيه قصيدته التي أولها :

بَنِي مَعْنٍ وَيَهْدِيهِمْ يَزِيدُ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ
فَتَمَعْنُ كَانَ لِلْخُسَادِ غَمًّا وَهَذَا قَدْ يُسَرُّ بِهِ الْحُسُودُ
يَزِيدُ يَزِيدُ فِي مَنَعٍ وَبِجَلٍ وَيَنْقُصُ فِي الْعَطَاءِ وَلَا يَزِيدُ

حدثني الصولي قال حدثني جبلة بن محمد قال حدثني أبي قال :

مضى بنو معن إلى مندل وحيان ابني علي العزّيين الفقيهين - وهما من بني عمرو بن عامر بطن من يقدم بن عزة، وكانا من سادات أهل الكوفة - فقالوا لها: نحن بيت واحد وأهل، ولا فرق بيننا، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو

أَتَانَا مِنْ بَعِيدِ الْوَلَاءِ لَوْجِبَ أَنْ تَرُدَّعَاهُ؛ فَأَحْضَرَا أَبَا الْعَتَاهِيَّةَ، وَلَمْ يَكُنْ يُمَكِّنُهُ
الْخِلَافُ عَلَيْهِمَا، فَأَصْلَحَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَيَزِيدَ ابْنِي مَعْنٍ، وَضَمِنَا عَنْهُ خُلُوصَ
النِّيَّةِ، وَعَنْهُمَا أَلَّا يَتَّبَعَاهُ بِسُوءٍ، وَكَانَا مِنْ لَا يُمَكِّنُ خِلَافُهَا، فَرَجَعْتُ الْحَالُ إِلَى
الْمُودَّةِ وَالصَّفَاءِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَعْذِرُونَ أَبَا الْعَتَاهِيَّةَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ، وَلَا مِمَّنْ آخَرُونَ
فِي صَلَاحِهِ لَهَا؛ فَقَالَ :

مَا لُذَّالِي وَمَالِي أَمْرُونِي بِالضَّلَالِ

وَقَدْ كُتِّيتُ مُتَقَدِّمَةً .

حَدَّثَنِي الصَّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَ :

كَانَ زَائِدَةُ بْنُ مَعْنٍ صَدِيقًا لِأَبِي الْعَتَاهِيَّةِ وَلَمْ يُعِنِ إِخْوَتَهُ عَلَيْهِ، فَهَاتَ؛ فَقَالَ
أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ يَرِثِيهِ :

حَزَنْتُ لِمُوتِ زَائِدَةَ بْنِ مَعْنٍ حَقِيقٌ أَنْ يَطُولَ عَلَيْهِ حُزْنِي
فَقَى الْفَتَيَانَ زَائِدَةُ الْمُصْغَى أَبُو الْعَبَّاسِ كَانَ أَخِي وَخَدْنِي
فَقَى قَوْمٍ وَأَيُّ فَقَى تَوَارَتْ بِهِ الْأَكْفَانُ تَحْتَ تَرَى وَلَبْنِي
أَلَا يَا قَبْرَ زَائِدَةَ بْنِ مَعْنٍ دَعْوَتُكَ كِي تُجِيبَ فَلَمْ تُجِيبْنِي
سَلِ الْأَيَّامَ عَنْ أَرْكَانِ قَوْمِي أَصْبَنَ بَيْنَ رُكْنًا بَعْدَ رُكْنِي

أَخْبَرَنِي الصَّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الرَّازِيُّ الْقَارِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ
ابْنُ أَبِي فَتْنٍ قَالَ :

كُنَّا عِنْدَ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ، فَذَكَرُوا قَوْلَ ابْنِ تَوْفَلٍ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ :
إِذَا ذَاتُ دَلٍّ كَلَّمْتَهُ حَاجَةً فَهَمٌّ بَأَنْ يَقْضِيَ تَنْعَنَحَ أَوْ سَعَلَ
وَأَنَّ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ : تَرَكَنِي وَاللَّهِ وَإِنَّ السُّعْلَةَ لَتَعْرِضُ لِي فِي الْخِلَاءِ فَأَذْكُرُ قَوْلَهُ

(١) اللَّبْنُ (بِكَسْرِ فَكُونِ لُغَةً فِي اللَّبَنِ كَكَتَفَ، وَيُقَالُ فِيهِ : اللَّبْنُ بِكَسْرَيْنِ كِبَابِلُ) :
الْمُضْرُوبُ مِنَ الطَّيْنِ مَرَبَعًا لِلْبَنَاءِ .

فأهاب أن أسئل؛ قال : فقلت لأبن الأعرابي : فهذا أبو العتاهية قال في عبد الله ابن مَعْن بن زائدة :

فَصُغَ مَا كُنْتُ حَلَيْتَ بِهِ سَيْفَكَ خَلْخَالًا
وَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَّالًا

فقال عبد الله بن مَعْن : ما لِبِسْتُ سَيْفِي قَطَّ فَرَأَيْتُ إِنْسَانًا يَلْتَمِخُنِي إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَحْفَظُ قَوْلَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي فَلَذَلِكَ يَتَأَمَّلُنِي فَأُخْجَلُ ؛ فقال ابن الأعرابي : إِعْجَبُوا لِعَبْدِ يَهْجُو مَوْلَاهُ . قال : وَكَانَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ مَوْلَى بَنِي شَيْبَانَ .

مع مسلم بن الوليد :

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ هَارُونَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى حَدَّثَنِي عَلِيٌّ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي السَّرِيِّ قَالَ :

إِجْتَمَعَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ فِي بَعْضِ الْمَجَالِسِ ، جَفَرَى بَيْنَهُمَا كَلَامٌ ؛ فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ : وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ أَرْضَى أَنْ أَقُولَ مِثْلَ قَوْلِكَ :
الْحَمْدُ وَالنِّعْمَةُ لَكَ وَالْمُلْكُ لَا شَرِيكَ لَكَ
لَبَيْتُكَ إِنَّ الْمُلْكَ لَكَ

لَقُلْتُ فِي الْيَوْمِ عَشْرَةَ آلَافٍ بَيْتٍ ، وَلَكِنِّي أَقُولُ :

مُوفٍ عَلَى مَهْجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهْجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ
يَنَالُ بِالرَّفَقِ مَا يَعْيا الرِّجَالُ بِهِ كَالْمَوْتِ مُسْتَعِجَلًا يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
يَكْسُو السِّوْفَ نَفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تَيْجَانًا الْقَنَا الذُّبُلِ

(١) فِي يَوْمِ ذِي رَهْجٍ : أَيِ فِي يَوْمِ ذِي غُبَارٍ مِنَ الْحَرْبِ . وَفِي دِيْوَانِ مُسْلِمٍ (طَبِيعَ مَدِينَةِ لَيْدِنَ ص ٩) :

لله من هاشم في أرضه جبلٌ وأنت وأبُنك رُكنا ذلك الجبل

فقال له أبو العتاهية : قلْ مثل قولي :

الحمدُ والتَّعِمة لكُ

أقلْ مثلَ قولك :

كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ

مع بشار :

حدثني الصوليّ قال حدثنا العلابيّ قال حدثنا مهديّ بن سابق قال :

قال بشار لأبي العتاهية : أنا والله أستحسِنُ اعتذاركَ من دَمْعِكَ حيث

تقول :

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لِي أَسَا رِقَّةَ الْبُكَاءِ مِنْ الْحَيَاءِ
فَإِذَا تَأَمَّلَ لَأْمَنِي فَأَقُولُ مَا بِي مِنْ بُكَاءِ
لَكِنْ ذَهَبْتُ لِأَرْتَدِي فَطَرَفْتُ عَيْنِي بِالرَّدَاءِ

فقال له أبو العتاهية : لا والله يا أبا مُعَاذٍ ما لَدْتُ إِلَّا بِمَعْنَاكَ وَلَا أَجْتَنِّتُ إِلَّا مِنْ

غُرْسِكَ حيث تقول :

صوت

شكوتُ إِلَى الْغَوَانِي مَا أَلَاقِي وَقَلْتُ لَهْنَ مَا يَوْمِي بَعِيدُ
فَقُلْنَ بِكَيْتَ قَلْتُ لَهْنَ كَلَّا وَقَدْ يَبْكِي مِنَ الشُّوقِ الْجَلِيدُ
وَلَكِنِّي أَصَابَ سَوَادَ عَيْنِي عُودٌ قَذَى لَهُ طَرَفٌ حَدِيدُ
فَقُلْنَ فَا لَدَمِهَا سَوَاءُ أَكَلْنَا مُقَلَّتَيْكَ أَصَابَ عُودُ

لأبراهيم الموصلي في هذه الأبيات نحن من الثَّقِيلِ الأول بالوُسْطَى مُطْلَقٌ .

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال
حدثني محمد بن هارون الأزرق مولى بني هاشم عن ابن عائشة عن ابن محمد
ابن الفضل الهاشمي قال :

جاء أبو العتاهية إلى أبي فتحدثنا ساعة، وجعل أبي يشكو إليه تعَلُّفَ
الصَّنْعَةِ^(١) وجرأء السلطان، فقال لي أبو العتاهية : أكتب :

كلُّ على الدنيا له حرصٌ والحادثات أُنْأَتْها غَفْصٌ^(٢)
وكان من واروهُ في جدثٍ لم يبدُ منه لناظر شخصٌ^(٣)
تبغي من الدنيا زيادتها وزيادة الدنيا هي النَّقصُ
ليدِ المنية في تَلَطُّفِها عن دُخْرِ كلِّ شَفِيقَةٍ فَحْصُ

حبسه :

حدثني عمرو قال حدثني علي بن محمد الهاشمي عن جده ابن حمدون قال
خبرني مخارق قال :

لما تنسك^(٤) أبو العتاهية ولبس الصوف، أمره الرشيد أن يقول شعراً في القزل،
فامتنع، فضربه الرشيد ستين عصاً، وحلف ألا يخرج من حبسه حتى يقول شعراً
في القزل، فلما رفعت المقارع^(٥) عنه قال أبو العتاهية : كلِّ مملوكٍ له حرٌّ وأمرأته
طالقٌ إن تكلم سنةً إلا بالقرآن أو بلا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ فكان
الرشيد يحزن بما فعله، فأمر أن يُحبس في دار ويوسع عليه ولا يُمنع من دخول

(١) لعلها : « الصنعة » .

(٢) الغفص : الختل .

(٣) في نسخة : « تقرأ » ومعناه : تنسك

من يُريد اليه . قال مُخارق : وكانت الحالُ بينه وبين إبراهيم الموصلي لطيفةً ، فكان يبعثني اليه في الأيام أتعرف خبره ؛ فإذا دخلتُ وجدتُ بين يديه ظهراً ودواةً ، فيكتب إليّ ما يريد ، وأكله ، فكث هكذا سنة . واتفق أن إبراهيم الموصلي صنع صورته :

صوت

أعرَفَتَ دارَ الحَيِّ بِالْحَجَرِ فشدوريان فَنَنَّةُ العَمِرِ
وهجرتنا وألِفَتَ رَسْمَ بَلَى والرسمُ كان أحقَّ بِالْهَجَرِ

- لحنُ إبراهيم في هذا الشعر خفيفٌ رَمَلٌ بالوسطى . وفيه لإسحاق رمل بالوسطى - قال مُخارق : فقال لي إبراهيم : اذهب إلى أبي العتاهية حتى تُغَنِّيَه هذا الصوتُ ؛ فأتيتُه في اليوم الذي انقضت فيه يمينه ، فغَنِّيَه إياه ، فكتب إلي بعد أن غَنِّيَه : هذا اليوم تنقضي فيه يميني فأحب أن تُقيم عندي إلى الليل ، فأقمتُ عنده نهاري كله ، حتى إذا أذن الناسُ المغربَ كلَّمَنِي ، فقال : يا مُخارق ؛ قلت : لبيك ؛ قال : قل لصاحبك : يا بن الزانية ، أمّا والله لقد أبقيت للناس فَنَنَةً إلى يوم القيامة ، فانظر أين أنت من الله غداً . ! قال مُخارق : فكنت أول من أفطر على كلامه ، فقلت : دعني من هذا ، هل قلت شيئاً للتخلص من هذا الموضع ؟ فقال : نعم ، قد قلت في أمرائي شعراً ؛ قلت : هارته ؛ فأنشدني :

صوت

مَنْ لِقَلْبٍ مَتِّمٍ مُشْتَاقٍ شَفَه شَوْقَهُ وَطُولُ الْفِرَاقِ

(١) لعله يريد بالظهر هنا الريش الذي يظهر من ريش الطائر وجمعه ظهر كعرق وعراق ، ويظهر أنه كان من عادتهم الكتابة به كالأقلام .

(٢) القنة : ذروة الجبل وأعلامه . والعمر : جبل بمذاه توز ، وتوز : من منازل طريق مكة من البصرة معدود في أعمال اليمامة .

طال شوقي إلى قعيدة بيتي ليت شعري فهل لنا من تلاقٍ
هي حظي قد اقتصرت عليها من ذوات العقود والأطواق
جمع الله عاجلاً بك شمي عن قريب وفكّني من وثاقي

قال : فكتبتها وصرّت بها إلى إبراهيم؛ فصنع فيها لحناً، ودخل بها على الرشيد، فكان أول صوت غنّاه إياه في ذلك المجلس؛ وسأله : لمن الشعر والغناء ؟ فقال إبراهيم : أمّا الغناء فلي، وأمّا الشعر فلا سيرك أبي العتاهية؛ فقال : أو قد فعل ؟ قال : نعم قد كان ذلك، فدعا به، ثم قال لمسرور الخادم : كم ضربنا أبا العتاهية ؟ قال : ستين عصاً، فأمر له بستين ألف درهم وخلّع عليه وأطلقه .

غضب عليه الرشيد وتراضاه له الفضل :

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدثني عليّ بن مهديّ قال
حدثنا الحسين بن أبي السريّ قال :

قال لي الفضل بن العباس : وجد الرشيدُ وهو بالرقّة على أبي العتاهية وهو بمدينة السلام، فكان أبو العتاهية يرجو أن يتكلّم الفضلُ بن الربيع في أمره فأبطأ عليه بذلك؛ فكتب إليه أبو العتاهية :

أجفوتني فيمن جفاني وجعلت شأنك غير شاني
ولطالما أمتّني بما أرى كلّ الأمانِ
حتى إذا أنقلب الزمان نُ عليّ صرت مع الزمانِ

فكلّم الفضلُ فيه الرشيدَ فَرْضِي عنه، وأرسل إليه الفضلُ يأمره بالشخص ويذكر له أن أمير المؤمنين قد رضي عنه، فشخص إليه؛ فلما دخل إلى الفضل أنشده قوله فيه :

قد دعواته نائياً فوجدنا • على نأيه قريباً سمياً

فأدخله إلى الرشيد، فرجع إلى حالته الأولى .

رثاء صديق :

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني
الحسين بن أبي السري قال :

كان يزيد بن منصور خال المهدي يتعصب لأبي العتاهية، لأنه كان يمدح
اليانية أحوال المهدي في شعره، فمن ذلك قوله :

صوت

سقيت الغيث يا قصر السلام فنعيم محلة الملك الهلم
لقد نشر الإله عليك نوراً وحقق باللائكة الكرام
سأشكر نعمة المهدي حتى تدور علي دائرة الحمام
له بيتان بيت تبغي وبيت حل بالبلد الحرام

قال : وكان أبو العتاهية طول حياة يزيد بن منصور يدعي أنه موالي للسمن ويبتني
من عترة، فلما مات يزيد رجع الى ولائه الاول . فحدثني الفضل بن العباس قال :
قلت له : ألم تكن ترغم أن ولاءك للسمن ؟ قال : ذلك شيء احتجنا اليه في
ذلك الزمن، وما في واحد من أنتميت إليه خير، ولكن الحق أحق أن يلبع .
وكان أدعى ولاء اللخمين . قال : وكان يزيد بن منصور من أكرم الناس
وأحفظهم حرمة، وأرعاهم لعهد، وكان باراً بأبي العتاهية، كثيراً فضله عليه؛
وكان أبو العتاهية منه في منعة ورحض حصين مع كثرة ما يدفعه إليه ويمنعه من
المكاره . فلما مات قال أبو العتاهية يرثيه :

أنعى يزيد بن منصور الى البشر أنعى يزيد لأهل البدو والحضر
يا ساكن الحفرة المهجور ساكنها بعد المقاصر والأبواب والحجر

وجدتُ فَقْدَكَ في مالي وفي نَشْيي وجدتُ فَقْدَكَ في شعري وفي بَشْرِي^١
فلستُ أدري جزاك اللهَ صالحةً أمُنْظِرِي اليومَ أسوأَ فيك أمْ خَبْرِي

اعجاب بشار بشعره :

حدثنا ابن عمّار قال حدثنا محمد بن إبراهيم بن خلف قال حدثني أبي قال :
'حدثتُ أن المهديّ جلس للشعراء يوماً فأذن لهم وفيهم بشار وأشجع' ،
وكان أشجع يأخذ عن بشار ويُعظِّمه ، وغير هذين ، وكان في القوم أبو العتاهية ؛
قال أشجع : فلما سمع بشار كلامه قال : يا أخا سُليم ، أهذا ذلك الكوفيّ
المُلَقَّب ؟ قلت : نعم ؛ قال : لا جزى الله خيراً من جمعنا معه . ثم قال له
المهديّ : أنشد ؛ فقال : ويحك ! أو يبدأ فيستنشد أيضاً قبلنا ؛ فقلت : قد ترى ؛
فأنشد :

ألا ما لِسِدِّي ما لها أدّلا فأحِملْ إدلالها
وإلا ففيم تجنّت وما جنيتُ سقى الله أطلالها
ألا إن جارية لالها م قد أسكن الحب سربالها
مشت بين حورٍ قصار الخطا تجاذب في المشي أكفالها
وقد أتعب الله نفسي بها وأتعب باللوم عذالها

قال أشجع : فقال لي بشار : ويحك يا أخا سُليم ! ما أدري من أيّ أمره أعجب ؛
أمن ضعف شعره ، أم من تشبيهه بجارية الخليفة ، يسمع ذلك بأذنه ! حتى أتى
على قوله :

أتته الخلافة مُنْقادةً إليه 'تَجَرَّرُ' أذيالها
ولم تك تصلح إلّا له ولم يك يصلح إلّا لها
ولو رامها أحدٌ غيره لَوُزِلَتِ الأرضُ زلزالها

(١) في ديوانه : « شعري (بكسر الشين) وفي نثري » .

ولولم تُطْعَمَ بناتُ القلوب^(١) لما قِيلَ اللهُ أعمالها
وإنَّ الخليفةَ من بُغِضَ لا إليه لِيُبْغِضَ مَنْ قالها

قال أشجع : فقال لي بشار وقد أهرتَ طرباً : ويحك يا أخا سليم ! أترى الخليفةَ
لم يَطْرُقْ عن فرشه طرباً لما يأتي به هذا الكوفي ؟ .

اتهامه بالزندقة :

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدثني ابن مَهْرُويَه قال حدثني العباس
ابن ميمون قال حدثني رجاء بن سلمة قال :

سمعتُ أبا العتاهية يقول : قرأت البارحة (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) ثم قلتُ قصيدة
أحسنَ منها؛ قال : وقد قيل : إن منصور بن عمار شَتَعَ عليه بهذا .

قال يحيى بن عليّ حدثنا ابن مَهْرُويَه قال حدثني أبو عَمْرٍ القُرشيّ قال :

لما قصَّ منصور بن عمار على الناس مجلسَ البعوضة^(٢) قال أبو العتاهية : إنما
سرق منصور هذا الكلامَ من رجل كوفي؛ فبلغ قوله منصوراً فقال : أبو العتاهية
زِنْدِيقٌ ، أما تَرَوْنَهُ لا يذكر في شعره الجنة ولا النار . وإنما يذكر الموت فقط !
فبلغ ذلك أبا العتاهية، فقال فيه :

يا واعظَ الناس قد أصبحتُ مُتَّهِماً إذ عِبتَ منهم أموراً أنت تأتيها
كالملبس الثوب من عري وعورته للناس بادية ما إن يُواربها
فأعظمُ الإثم بعد الشرك نَعْلُهُ في كل نفسٍ عَمَّاها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تُبصرها منهم ولا تُبصر العيب الذي فيها

(١) بنات القلوب : النيات .

(٢) يريد بذلك أنه قص ما يتعلق بالبعوضة من خلقها وصفتها وما أودعه الله فيها من الاسرار،
فأطلق المكان - وهو المجلس - وأراد ما يقع فيه، وهذا المجاز كثير الاستعمال .

فلم تَمُضْ إلا أَيْامُ سيرة حتى مات منصور بن عَمَّار، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال : يَغْفِرُ اللهُ لك أبا السريِّ ما كنتَ رميتني به .

وشاية :

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن موسى قال أخبرني النسائي عن محمد ابن أبي العتاهية قال :

كانت لأبي العتاهية جارة تُشرف عليه، فرأته ليلةً يَقْنُتُ، فروت عنه أنه يُكَلِّمُ القمرَ، وأتصل الخبرُ بِحَمْدِ وَيْهِ صاحبِ الزنادقة، فصار إلى منزلها وبات وأشرف على أبي العتاهية ورآه يُصَلِّي، ولم يزل يرقبه حتى قَنَّتْ وأنصرف إلى مَضْجَعِهِ، وأنصرف حَمْدُ وَيْهِ خاسئاً .

حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن الرياشي قال حدثنا الخليل بن أسد التوشجاني قال :

جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زعم الناس أني زنديق، والله ما ديني إلا التوحيد ! قلنا له : فقل شيئاً نتحدث به عنك ؛ فقال :

ألا إِنَّا كُلُّنا بَائِدُ وأي بني آدم خالدُ
وَبَدْوُهُمْ كان من رَبِّهِمْ وكلُّ إلى رَبِّهِ عائدُ
فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يُجحدُ الجاحدُ
وفي كلِّ شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدُ

ذات الامثال ارجوزته المشهورة :

أخبرني أبو دلف محمد بن هاشم الخراعي قال :

تذاكروا يوماً شعرَ أبي العتاهية بحضرة الجاحظ إلى أن جرى ذكرُ أَرْجوزِته

المزدوجة التي سماها « ذات الأمثال » فأخذ بعض من حضر يُنشدّها حتى أتى على قوله :

يا للشباب المرح التّصاي روائحُ الجنّة في الشّباب

فقال الجاحظ للمُنشد : قف، ثم قال : أنظروا الى قوله :

روائعُ الجنّة في الشّباب

فإن له معنى كعنى الطّرب الذي لا يقدر على معرفته إلا القلوب، وتعيّز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير، وخير المعاني ما كان القلب الى قبوله أسرع من اللسان الى وصفه . وهذه الأرجوزة من بدائع أي العتاهية، ويقال : إن له فيها أربعة آلاف مثّل . منها قوله :

حسبك بما تبتغيه القوت	ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا	من أتقى الله رجا وخافا
هي المقادير فلمني أو فذّر	إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر
لكل ما يؤذي وإن قلّ ألم	ما أطول الليل على من لم ينم
ما أنتفع المرء بمثل عقله	وخير ذخيرة المرء حسن فعله
إن الفساد ضده الصّلاح	ورب جدّ جرة المزاح
من جعل النّمام عينا هلكا	مبلغك الشرّ كباغيه لكّا
إن الشّباب والفراغ والجدة	مفسدة للمرء أي مفسدة
يفنيك عن كل قبيح تركه	يرتبن الرأي الأصيل شكّه
ما عيش من آفته بقاؤه	نقص عيشا كلّه فتاؤه
يا رب من أسخطنا بجهد	قد سرنا الله بغير حمد
ما تطلع الشمس ولا تغيب	إلا لأمر شأنه عجيب
لكل شيء معدن وجوهر	وأوسط وأصغر وأكبر

مَنْ لَكَ بِالْحُضِّ وَكَلِّ مُمْتَرَجٌ وَسَاوَسُ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَعْتَلَجُ
 وَكَلُّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرَةٍ أَصْغَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ
 مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَذَى مِمَزُوجَةِ الصَّفْوِ بِالْوَانِ الْقَذَى
 الْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِهَا أَزْوَاجُ إِذَا نِتَاجُ وَلِذَا نِتَاجُ
 مَنْ لَكَ بِالْحُضِّ وَلَيْسَ مُحْضٌ يَخْبُثُ بَعْضٌ وَيَطْيِبُ بَعْضٌ
 لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهُمَا ضِدَانِ
 إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنَشِقُ الشَّحِيحَا وَجَدْتَهُ أَنْتَنَ شَيْءٍ رِيحاً
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جَدَا
 عَجِبْتُ حَتَّى غَمَّنِي السَّكُوتُ صَرْتُ كَأَنِّي حَاضِرٌ مَبْهُوتُ
 كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ الصَّيْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

وهي طويلة جداً ، وإِذَا ذَكَرْتُ هَذَا الْقَدْرَ مِنْهَا حَسَبَ مَا أَسْتَاقَ الْكَلَامُ
 مِنْ صِفَتِهَا .

برمه بالناس :

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ سَهْرُويه عَنْ رَوْحِ بْنِ الْفَرَّاحِ قَالَ :
 شَاوَرَ رَجُلٌ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ فِيمَا يَنْقُشُهُ عَلَى خَاتَمِهِ ؛ فَقَالَ : انْقُشْ عَلَيْهِ : لَعْنَةُ اللَّهِ
 عَلَى النَّاسِ ؛ وَأَنْشَدَ :

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَاقِهِمْ فَصَرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالْوَحْدَةِ
 مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَعْمَرِي وَمَا أَقْلَهُمْ فِي حَاصِلِ الْعِدَّةِ

المدح القاصد :

حَدَّثَنَا الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْغَلَايِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّحَّاحِ : أَنَّ عَمْرَ
 ابْنَ الْعَلَاءِ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ مُرَيْثٍ صَاحِبَ الْمَهْدِيِّ كَانَ مُمَدِّحاً ، فَدَحَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ

فأمر له بسبعين ألف درهم ، فأنكر ذلك بعض الشعراء . وقال : كيف فعل هذا
بهذا الكوفي وأي شيء . مقدار شعره ! فبلغه ذلك فأحضر الرجل وقال له :
والله إن الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يُصيبه ويتعاطاه فلا يُحسنه حتى
يُشبب بخمسين بيتاً ثم يمدحنا ببعضها ، وهذا كأن المعاني تُجمع له ، مدحني فقصر
التشبيب ، وقال :

إني أمنت من الزمان ورّيته لما علقت من الأمير حبالا
لو يستطيع الناس من إجلاله لحدوا له حرّ الوجوه رعالا

صوت

إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سباسباً ورمالا
فإذا وردن بنا وردن حجةً وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا

أخذ هذا المعنى من قول نصيب :

فأجوا فأتتوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الخقائب

تفضيله على أبي نواس :

حدثنا الصولي قال حدثنا محمد بن عون قال حدثني محمد بن النضر كاتب
غسان بن عبد الله قال :

أخرجتُ رسولاً إلى عبد الله بن طاهر وهو يريد مصر ، فترلت على العتّابي ،
وكان لي صديقاً ، فقال : أنشدني لشاعر العراق - يعني أبا نواس ، وكان قد

(١) سباسب : جمع سبب ، وهو الأرض القفر البعيدة .

(٢) حفة : قليلة الحمل ، وفي ديوانه (طبع بيروت) : « خفافا » .

مات - فأُنشدته ما كنت أحفظ من مَلَحِه * وقلت له : ظَنَنْتُكَ تقول هذا لأبي العتاهية ؛ فقال : لو أردت أبا العتاهية لقلت لك : أنشدني لأشعر الناس ولم أقتصر على العراق .

الشعر في عرض الكلام :

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هارون بن سعدان عن شيخ من أهل بغداد قال :

قال أبو العتاهية : أكثرُ الناس يتكلمون بالشعر وهم لا يعلمون ، ولو أحسنوا تأليفه كانوا شعراء كلهم . قال : فبينما نحن كذلك إذ قال رجل لآخر عليه منْحٌ^١ :

يا صاحب المسح تبيع المسحا

فقال لنا أبو العتاهية : هذا من ذلك ، ألم تسمعه يقول :

يا صاحب المسح تبيع المسحا

قد قال شعراً وهو لا يعلم ؛ ثم قال الرجل :

تعال إن كنت تُريد الرجبا

فقال أبو العتاهية : وقد أجاز المصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم قال له :

تعال إن كنت تُريد الرجبا

حدثنا الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن بشير أبو طاهر الحلبي قال حدثنا مزيد الهاشمي عن السدري قال :

(١) المسح : كساء من شعر كتوب الرهبان .

سمعت الأصمعي يقول : شعر أبي العتاهية كساحة الملوكة يقع فيها الجوهر
والذهب والتراب والخرق والنوى .

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبير بن بكار قال .

لما حبس المهدي أبا العتاهية تكلم فيه يزيد بن منصور الحميري حتى أطلقه؛
فقال فيه أبو العتاهية :

ما قلت في فضله شيئاً لأمده إلا وفضل يزيد فوق ما قلت
ما زلت من ريب دهري خائفاً وجللاً فقد كفاني بعد الله ما خفت

قوته في الارتجال :

أخبرني يحيى بن علي بإجازة قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثني محمد بن
يحيى قال حدثني عبد الله بن الحسن قال :

جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان فجلس إلي ، فقلت : يا أبا إسحاق ، أما
يصعب عليك شيء من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائر
من يقول الشعر ، أو إلى ألفاظ مستكرهة ؟ قال : لا ؛ فقلت له : إني لأحسب
ذلك من كثرة ركوبك القوافي السهلة ؛ قال : فأعرض علي ما شئت من القوافي
الصعبة ؛ فقلت : قل أبياتاً على مثل البلاغ ؛ فقال من ساعته :

أي عيش يكون أبلغ من عيش كفاف قوت بقدر البلاغ
صاحب البغي ليس يسلم منه وعلى نفسه بغى كل باغي
رب ذي نعمة تعرض منها حائل بينه وبين المساغ
أبلغ الدهر في مواعظه بل زاد فيهن لي على الإبلاغ
غبتني الأيام عقلي ومالي وشباني وصحتي وفراغي

أخبرنا يحيى إجازة قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثني أبو علي اليعقوبي قال حدثني أبو خارجة بن مسلم قال :

أكبار بعد استخفاف :

قال مسلم بن الوليد : كنت مُستخفّاً بشعر أبي العتاهية ، فلقيني يوماً فسألني أن أصير إليه ، فصرت إليه فجاءني بلون واحد فأكلناه ، وأحضرني تمرأ فأكلناه ؛ وجلسنا نتحدث ، وأنشدته أشعاراً لي في الغزل ، وسأله أن يُنشدني ؛ فأنشدني قوله :

يا قرة العينين زوريني قبل الملت وإلا فاستريري
إني لا أعجب من حب يقربني من يُباعدي منه ويُقصيني
أماً الكثير فما أرجوه منك ولو أطعني في قليله كان يكفيني

ثم أنشدني أيضاً :

رأيت الهوى جمر الغضى غير أنه على حره في صدر صاحبه خلو

صوت

أخلاي بي شجو وليس بكم شجو وكل أمرى عن شجو صاحبه خلو
وما من محب نال من يحبه هو صديق صادق إلا سيدخله زهو
بليت وكان المزح بدء يليتي فأجبت حقاً والبلاء له بدو
وعلقت من يزهر علي تجبراً وإني في كل الخصال له كفو
رأيت الهوى جمر الغضى غير أنه على كل حال عند صاحبه خلو

- الغناء لإبراهيم ثقل أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضاً خفيف ثقل أول بالوسطى عن عمرو . ولعمرو بن بانة رمل بالوسطى

من كتابه . ولعريب فيه خفيفٌ ثقيله من كتاب ابن المعتز - قال مسلم : ثم
أنشدني أبو العتاهية :

صوت

خليلي مالي لا تزال مَصْرَّتِي تكون على الأقدار حَتْمًا من أَلَحَمِ
يُصابُ فؤادي حين أرمى ورميتي تعودُ إلى نحري ويسلمُ من أرمي
صبرتُ ولا والله ما بي جَلادةٌ على الصبر لكنتي صبرتُ على رَغَمي
ألا في سبيل الله جسي وقوتي ألا مُسْعِدٌ حتى أنوحَ على جِسمي
تعدّ عظامي واحداً بعد واحد يَمْنَحُنِي مِنَ الْعَذَالِ عَظْماً على عَظْمِ
كفالك بحق الله ما قد ظلمتني فهذا مقام المستجير من الظُّلَمِ

- الغناء لسياط في هذه الأبيات ، وإيقاعه من خفيف الثقيل الأول بالسَّبابة
في مجرى البصر عن إسحاق - قال مسلم : فقلت له : لا والله يا أبا إسحاق ما
يُبالي من أحسن أن يقول مثل هذا الشعر ما فاته من الدنيا ! فقال : يا بن أخي ،
لا تقولن مثل هذا ، فإن الشعر أيضاً من بعض مَصايد الدنيا .

وفوده على الرشيد :

أخبرنا يحيى إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني عبد الرحمن بن
الفضل قال حدثني ابن الأعرابي قال :

اجتمعت الشعراء على باب الرشيد ، فأذن لهم فدخلوا وأنشدوا ، فأنشد
أبو العتاهية :

يا مَنْ تَبَعْنِي زَمَنًا صالِحًا صلاحُ هارون صلاحُ الزمن

كلُّ لسانٍ هو مُلكه بالشكر في إحسانه مُرتَّحِنٌ

قال : فأهتزَّ له الرشيد ، وقال له : أحسنتَ والله ؛ وما خرج في ذلك اليوم أحدٌ من الشعراء بِصلةٍ غيره .

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدثنا عليّ بن مهديّ قال حدثنا عامر بن عمران الضبيّ قال حدثني ابن الأعرابيّ قال :

أجرى هارونُ الرشيدَ الخيلَ فجاءه فرس يقال له المُشْتَرُ سابقاً ، وكان الرشيدُ مُعجباً بذلك الفرس ، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه ، فبدرهم أبو العتاهية فقال :

جاء المُشْتَرُ والأفراسُ يقدُّها هَوْنًا على رِسله منها وما أنبَهَرا
وَحَلَفَ الريحَ حَسْرَى وهي جاهدةٌ ومَرٌّ يَحْتَظِفُ الأبصارَ والنظرا

فأجزلَ صلته ، وما جَسَرَ أحدٌ بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئاً .

رثاء صديق :

أخبرني يحيى إجازةً قال حدثني الفضل بن عباس بن عُقبة بن جعفر قال :

كان عليّ بن ثابت صديقاً لأبي العتاهية وبينهما مُجاوبات كثيرة في الزهد والحكمة ، فتوفي عليّ بن ثابت قبله ، فقال يرثيه :

مُؤنسٌ كان لي هَلَكٌ والسبيلُ التي سَلَكُ
يا عليّ بنَ ثابتٍ غَفَرَ اللهُ لي ولكِ
كلُّ حيٍّ مُملِكٌ سوف يَغْنَى وما مَلِكُ

(١) على رسله : على تؤدته وهينته ، ومثله الهون (بالفتح) .

(٢) حسرى : كالة معيبة .

قال الغزل : وحضر أبو العتاهية علي بن ثابت وهو يجود بنفسه فلم يزل ملتزماً حتى فاض ؛ فلما شدَّ حياها بكى طويلاً ، ثم أنشد يقول :

يا شريكى فى الخير قرَّبك الله فنعم الشريك فى الخير كُنَّا
قد لعمري حكيت لي غصص الموت فخر كُنَّي لها وسكُنَّا

قال : ولما دُفن وقف على قبره يبكي طويلاً أحرَّ بكاء ، ويردّد هذه الأبيات :

ألا من لي بأنيسك يا أخياً ومن لي أن أثبتك ما لدنيا
طوتك خطوب دهرك بعد نشر كذاك خطوبه نشر وطياً
فلو نشرت قواك لي المنايا شكوت اليك ما صنعت إلماً
بكيتك يا علي بدمع عيني فما أغنى البكاء عليك شيئاً
وكانت فى حياتك لي عظام وأنت اليوم أوعظ منك حياً

قال علي بن الحسين مؤلف هذا الكتاب : هذه المعاني أخذها كلها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الإسكندر ، وقد أخرج الإسكندر ليُدفن : قال بعضهم : كان الملك أمس أهيّب منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس . وقال آخر : سكنت حركة الملك فى لذاته ، وقد حرّ كنا اليوم فى سكونه جزعاً لفقده . وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية فى هذه الأشعار .

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني جعفر ابن الحسين المهلبى قال :

لقينا أبو العتاهية فقلنا له : يا أبا إسحاق ، من أشعر الناس ؟ قال : الذي يقول :

أفنه أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل

فقلت : أنشدني شيئاً من شعرك ، فأنشدني :

يا صاحب الروح ذي الأنفاس في البدن بين النهار وبين الليل مُرْتَهَن
لَقَلَّمَا يَتَخَطَّأُكَ أَخْتَلَا فُهْمَا حتى يُفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ
لَتَجْذِبَنِي يَدُ الدُّنْيَا بِقُوَّتِهَا إلى المَنَايَا وَإِنْ نَازَعَتْهَا رَسَنِي
لَهُ دُنْيَا أَنَاثٍ دَائِبِينَ لَهَا قد أَرْتَعَوْا فِي رِيَاضِ النِّعَى وَالْفِتَنِ
كَسَائِمَاتٍ رِتَاعٍ تَبْتَغِي سَمَنًا وَحَتُّهَا لَوْ دَرَّتْ فِي ذَلِكَ السِّمَنِ

قال : فكتبتها ، ثم قلت له : أنشدني شيئاً من شعرك في الغزل ، فقال يابن أخي
إن الغزل يُسرَّع إلى مثلك ؛ فقلت له : أرجو عصمة الله جلَّ وعزَّ ؛ فأنشدني :

كَأَنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا دُرَّةٌ أَخْرَجَهَا إِلَيَّ إِلَى السَّاحِلِ
كَأَنَّ فِي فِيهَا وَفِي طَرَفِهَا سَوَاحِرَاءُ أَقْبَلْنَ مِنْ بَابِلِ
لَمْ يُبْقِ مِنِّي حُبُّهَا مَا خَلَا حُشَّاشَةً فِي بَدَنِ نَاحِلِ
يَا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بَكَى مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ عَلَى الْقَاتِلِ

فقلت له : يا أبا إسحاق ، هذا قولُ صاحبنا جميل :

خَلِيلِيَّ فَيَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي

فقال : هو ذاك يابن أخي وتبسم .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثني أبو عكرمة
عن شيخ له من أهل الكوفة قال :

دَخَلْتُ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ بَبْغَدَادَ بَعْدَ أَنْ يُبَوِّعَ الْأَمِينُ مُحَمَّدٌ بِسَنَةِ ، فَإِذَا شَيْخٌ
عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ وَهُوَ يُنْشِدُ :

(١) ورد هذا البيت في الديوان هكذا :

لَهُ دُرَّةٌ أَنَاثٍ عَمَّرَتْ بِهِمْ حتى رَعَوْا فِي رِيَاضِ النِّعَى وَالْفِتَنِ

(٢) رِتَاع : جمع راتمة وفي الديوان : « رَوَاع » جمع راعية وهما بمعنى .

لَهْنِي عَلَى وَرَقِ الشَّبَابِ وَغُصُونِهِ الْخَضِرِ الرَّطَابِ
 ذَهَبُ الشَّبَابِ وَبَانَ عَنِّي غَيْرَ مُنْتَظَرِ الْإِيَابِ
 فَلَا بُكَيْنَ عَلَى الشَّبَابِ وَطَيْبِ أَيَّامِ التَّصَابِي
 وَلَا بُكَيْنَ مِنَ الْإِلَى وَلَا بُكَيْنَ مِنَ الْخَضَابِ
 إِنِّي لَأُمَلُّ أَنْ أَخْلُدَ وَالْمَيَّةُ فِي طِلَابِي

قال : فجعل يُنشدها وإن دموعه لتسيل على خديته ؛ فلما رأيت ذلك لم أصبر أن
 ملتُ فكتبْتُها ، وسألت عن الشيخ فقل لي : هو أبو العتاهية .

ابن الاعرابي يعيبه :

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عُكَيْل العَزَري قال حدثني
 أبو العباس محمد بن أحمد قال :

كان ابن الاعرابي يعيب أبا العتاهية ويثلبه ، فأنشدته :

كَمْ مِنْ سَفِيدٍ غَاظَنِي سَفْهًا فَشَفَيْتُ نَفْسِي مِنْهُ بِالْخَلَمِ
 وَكَفَيْتُ نَفْسِي ظَلَمَ عَادِيَتِي وَمَنْحَتُ صَفْوَى مَوَدَّتِي بِالسُّلَمِ
 وَلَقَدْ رُرِقْتُ لظَالِمِي غَلْظًا وَرَحْمَتُهُ إِذْ لَجَّ فِي ظُلَمِي

أحب شعره إليه :

أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العَزَري قال حدثني محمد بن إسحاق قال
 حدثني محمد بن أحمد الأزدي قال :

قال لي أبو العتاهية : لم أقل شيئاً قط أحب إلي من هذين البيتين في
 معناها :

(١) سلمي : مسالتي ، يقال : فلان سلم لفلان ، وحرب له إذا كان بينها سلام أو حرب .

ليت شعري فإنني لست أدري أيُّ يوم يكون آخرُ عمري
وبأيِّ البلاد يُقبَضُ رُوحِي وبأيِّ البقاع يُجفَرُ قَبْرِي

رهان وفوز :

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن عبد الجبار القزاري قال :

اجتاز أبو العتاهية في أوّل أمره وعلى ظهره قفص فيه فخّار يدور به في الكوفة ويبيع منه، فرّ بفتيان جالوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه، فسلم ووضع القفص عن ظهره، ثم قال : يا فتیان اراكم تتذاكرون الشعر، فأقول شيئاً منه فتجيزونه، فإن فعلتم فلکم عشرة دراهم، وإن لم تفعلوا فعليکم عشرة دراهم؛ فهزئوا منه وسخروا به وقالوا : نعم؛ قال : لا بد أن يشتري بأحد القلّارين رطباً يؤكل فإنه قار حاصل، وجعل رهنه تحت يد أحدهم، ففعلوا؛ فقال : أجزوا :

ساكني الأجداد أنتم

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع إذا بلغته الشمس ولم يجيزوا البيت غرّموا الخطر؛ وجعل يهزأ بهم وتّمّه :

... .. مثلنا بالأمس كنتم
ليت شعري ما صنعتم أربحتم أم خسرتم

وهي قصيدة طويلة في شعره .

(١) وروى : « البلاد » .

(٢) الخطر : الرهان .

رأي ناقد :

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله عن
أبي خيثم العنزي قال :

لما حبس الرشيدُ أبا العتاهية وحلف ألا يُطلقه أو يقول شعراً، قال لي
أبو حبش : أسمعت بأعجب من هذا الأمر ؛ تقول الشعراء الشعرَ الجيدَ النادر
فلا يُسمع منهم ! ويقول هذا الخنث المفقك تلك الأشعارَ بالشفاعة ! ثم
أنشدني :

أبا إسحاق راجعت الجماعة	وعدت إلى القوافي والصناعة
وكنت كجامع في الغني عاص	وأنت اليوم ذو سمع وطاعة
فجراً الحرة مما كنت تكسى	ودع عنك التقشف والبشاعة
وسئب بالتي تهوى وخبر	بأنك ميت في كل ساعة
كسدنا ما نراد وإن أجدنا	وأنت تقول شعرك بالشفاعة

مع المهدي في الصيد :

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثنا محمد بن
عبد الله قال حدثني أبو خيثم العنزي ، وكان صديقاً لأبي العتاهية ، قال حدثني
أبو العتاهية قال :

أخرجني المهديّ معه إلى الصيد فوقعنا منه على شيء كثير ، فتفرق أصحابه
في طلبه وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يلتقوا ، وعرض لنا واد جرّار
وتغيّمت السماء وبدأت تمطر فتحيرنا ، وأشرقنا على الوادي فاذا فيه ملاح يُعير
الناس ، فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق ، فجعل يضعف رأينا ويُعجزنا في بدّ لنا

أنفسنا في ذلك الغيم للصيد حتى أبعدنا؛ ثم أدخلنا كوخاً له، وكاد المهدي يموت برداً؛ فقال له : أَعْطَيْكَ بِجَبَّتِي هذه الصوف ؟ فقال : نعم؛ فغطَّاه بها، فتماسك قليلاً ونام، فافتقده غلباً أنه وتبعوا أثره حتى جاءونا، فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرَّب، وتبادر الغلمان فنَحَّوْا الجَبَّةَ عنه وألقوا عليه الحَزَّ والوَشْيَ، فلما أنتبه قال لي : ويحك ! ما فعل الملاح ؟ فقد والله وجب حَقُّه علينا؛ فقلت : هَرَبَ والله خوفاً من قُبْح ما خاطبنا به؛ قال : إنا لله ! والله لقد أردتُ أن أغنيه، وبأي شيء خاطبنا ! نحن والله مُسْتَحَقُّونَ لأَقْبَح مما خاطبنا به ! بجياقي عليك إلا ما هجوتني؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، كيف تطيب نفسي بأن أهجوك ! قال : والله لتفعلن، فأني ضعيف الرأي مُغرَمٌ بالصيد؛ فقلت :

يا لابس الوَشْيِ على ثوبه ما أقبح الأَشْيَبَ في الرَّاحِ

فقال : زدني بجياقي؛ فقلت :

لو شئتَ أيضاً جُلْتَ في خامةٍ وفي وِشاحين وأوضاعٍ

فقال : ويلك ! هذا معنى سوء يرويه عنك الناس، وأنا أستاذل؛ زدني شيئاً آخر؛ فقلت : أخاف أن تعَضِب؛ قال : لا والله؛ فقلت :

كم من عظيم القَدْرِ في نفسه قد نام في جَبَّةٍ مَلَّاحِ

فقال : معنى سوء عليك لعنة الله ! وقفنا وركبنا وأنصرفنا .

في عسكر المأمون :

أخبرني علي بن سليمان الأُخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا جماعة من كتَّاب الحسن بن سهل قالوا :

(١) الخام : ثوب من القطن لم يفسل .

(٢) الأوضاع : حلي من فضة أو الخلاخيل .

وقعت رقعة فيها نيتاً شعرياً في عسكر المأمون؛ فجيء بها إلى مجاشع بن مسعدة، فقال: هذا كلام أبي العتاهية وهو صديقي وليست المخاطبة لي ولكنها للأمير الفضل بن سهل. فذهبوا بها فقرأها وقال: ما أعرف هذه العلامة، فبلغ المأمون خبرها فقال: هذه إليّ وأنا أعرف العلامة. والبيتان:

صوت

ما على ذا كنّا أفرقنا بسندا ن' وما هكذا عهدنا الإخاء
تضربُ الناسَ بالمُهَنِّدة البيضِ على غدرهم وتُتسى الوفاء
قال: فبعث إليه المأمون بال.

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل رملٌ من رواية ابن المعتز.

استنجاز وعتاب:

قال: وكان عليّ بن يقطين صديقاً لأبي العتاهية وكان يبرّه في كل سنة ببرّ واسع، فأبطأ عليه بالبرّ في سنة من السنين، وكان إذا لقيه أبو العتاهية أو دخل عليه يُسرّ به ويرفع مجلسه ولا يزيد على ذلك؛ فلقيه ذات يوم وهو يريد دار الخليفة، فاستوقفه فوقف له، فأنشده:

حتى متى ليت شعري يا بن يقطين
إنّ السلام وإنّ البشر من رجل
هذا زمان ألحّ الناس فيه على
أما علمت جزاك الله صالحة
أني أريدك للدنيا وعاجلها
ولا أريدك يوم الدين للدين

فقال علي بن يقطين : لست والله أبرح ولا تَبْرَح من موضعنا هذا إلا راضياً، وأمر له بما كان يبعث به إليه في كل سنة، فحمل من وقته وعلي واقف إلى أن نَسَلَهُ .

حبسه :

وأخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثنا محمد بن يزيد قال : بلغني من غير وجه : أن الرشيد لما ضرب أبا العتاهية وحبسه، وكَلَّ به صاحب خَبرٍ يكتب إليه بكل ما يسمعه، فكتب إليه أنه سمعه ينشد :
أما والله إن الظلم لومٌ وما زال المُسيء هو الظَّالِمُ
إلى ديَّان يوم الدين غضي وعند الله تجتمع الخصوم
قال : فبكى الرشيد، وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه، وأمر له بألفي دينار .

اتهم بالزندقة :

أخبرني محمد بن جعفر قال حدثني محمد بن موسى عن أحمد بن حريث عن محمد ابن أبي العتاهية قال :

لما قال أبي في عتبة^(١) :

كان عتاباً من حُسْنها دُمِيَّةٌ قَسَرْتُ قَسَّها
يا رَبِّ لو أنسيتَنيها بما في جَنَّةِ الفردوس لم أنسها

شَنَعَ عليه منصور بن عمار بالزندقة وقال : يتهاون بالجنة ويبتذل ذكرها في شعره بمثل هذا التهاون ! وشَنَعَ عليه أيضاً بقوله :

(١) هي عتبة جارية المهدي وقد اشتهر بحبته لها وأكثر من تشبيهه فيها .

إنَّ المليكَ رآكَ أحسنَ خلقه ورأى جمالكُ
فحذا بقدره نفسه حورَ الجنان على مثالكُ

وقال: أَيْصَوِّرُ الحورَ على مثالِ امرأةِ آدميَّةٍ! واللهُ لا يحتاج الى مثال! وأوقع له هذا على السنة العامة؛ فلقي منهم بلاء.

حدثني هاشم بن محمد الحُرَاعي قال حدثنا خليل بن أسد قال حدثني أبو سلمة الباذرغيسي قال:

قلت لأبي العتاهية: في أي شعر أنت أشعر؟ قال: قولي:
الناس في غفلاتهم ورحا المنية تَطْحَنُ

مع المأمون:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العززي قال حدثني يحيى بن عبد الله القرشي قال حدثني المعلی بن أيوب قال:

دخلتُ على المأمون يوماً وهو مُقِيلٌ على شيخ حسن اللحية خضيبٍ شديد بياض الثياب على رأسه لاطئة^(١)، فقلت للحسن بن أبي سعيد - قال: وهو ابن خالة المعلی بن أيوب؛ وكان الحسن كاتبَ المأمون على العامة - : من هذا؟ فقال: أما تعرفه؟ فقلت: لو عرفته ما سألتك عنه؛ فقال: هذا أبو العتاهية، فسمعت المأمون يقول له: أنشدني أحسنَ ما قلتَ في الموت؛ فأنشده:

أنساك محياك المماتا فطلبت في الدنيا الثباتا
أورثت بالدنيا وأنت ترى جماعتها شتاتا
وعزمت منك على الحيا ق وطولها عزماً بتاتا
يا من رأى أبويه فيمن قد رأى كانا فماتا

(١) اللاطئة: فلسوة صغيرة تلتطأ بالرأس.

هل فيها لك عبرة أم خلت أن لك أنفلاتا
ومن الذي طلب التفلت من منيته ففاتا
كل نصحه المنية أو تبته بياتا

قال : فلما نهض تبعته فقبضت عليه في الصحن ، أو في الدهليز ، فكتبته عنه .

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى : قال حدثني علي بن مهدي قال
حدثني الجاحظ عن ثامة قال :

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده :

ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاع الله من نالها
من لم يؤاس الناس من فضلها عرض للإدبار إقبالها

فقال له المأمون : ما أجود البيت الأول ، فأما الثاني فما صنعت فيه شيئاً ، الدنيا
تدير عن واسي منها أو ضن بها ، وإنما يوجب الساحة بها الأجر ، والضم بها
الوزر فقال : صدقت يا أمير المؤمنين ، أهل الفضل أولى بالفضل ، وأهل النقص
أولى بالنقص ؛ فقال المأمون : أدفع اليه عشرة آلاف درهم لاعترافه بالحق ، فلما
كان بعد أيام عاد فأنشده :

كم غافل أودى به الموت لم يأخذ الأهبة للفت
من لم ترل نعمته قبله زال عن النعمة بالموت

فقال له : أحسنت ! الآن طيبت المعنى ؛ وأمر له بعشرين ألف درهم .

استنجاه المأمون :

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل الغزي قال
حدثني ابن سنان العجلي عن الحسن بن عائذ قال :

(١) كذا في ديوانه ، وفي الأصول : « تذعر النعمة بالموت » .

كان أبو العتاهية يَرحل في كل سنة ، فإذا قَدِمَ أَهْدَى إلى المأمون يُرداً
وَمَطْرَفاً ونَعْلًا سوداءَ وَمَسَاوِيكَ أَرَاكَ فَبِيعَتْ إِلَيْهِ بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَكَانَ
يُوصِلُ الْهَدِيَّةَ مِنْ جِهَتِهِ مِنْجَابُ مَوْلَى الْمَأْمُونِ وَيَجِيئُهُ بِالْمَالِ ؛ فَأَهْدَى مَرَّةً لَهُ كَمَا
كَانَ يُهْدِي كُلَّ سَنَةٍ إِذَا قَدِمَ ، فَلَمْ يُبَيِّنْهُ وَلَا بَعَثَ إِلَيْهِ بِالْوُضْئَةِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ
أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

خَبَّرُونِي أَنَّ مِنْ ضَرْبِ السَّنَةِ جُدُداً بَيْضاً وَصُفْراً حَسَنَةً
أُحْدِثْتُ لَكُنِّي لَمْ أَرَهَا مِثْلَ مَا كُنْتُ أَرَى كُلَّ سَنَةٍ

فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِحَمْلِ الْعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ : أَغْفِلْنَاهُ حَتَّى ذَكَّرْنَا .

استعطافه الهادي :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا
الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عُروَةَ بْنُ يَوْسَافَ الثَّقَفِيُّ قَالَ :

لَمَّا وَلِيَ الْهَادِي الْخِلَافَةَ كَانَ وَاجِداً عَلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ لِمُلَازِمَتِهِ أَخَاهُ هَارُونَ
وَأَنْقِطَاعِهِ إِلَيْهِ وَتَرَكَهُ مُوسَى ، وَكَانَ أَيْضاً قَدْ أَمَرَ أَنْ يُخْرَجَ مَعَهُ إِلَى الرَّيِّ فَأَبَى
ذَلِكَ ، خَافَهُ وَقَالَ يَسْتَطِيعُهُ :

أَلَا شَافِعُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ يَشْفَعُ فَيَدْفَعُ عَنَّا شَرَّ مَا يُتَوَقَّعُ
وَأِنِّي عَلَى عَظَمِ الرَّجَاءِ لَخَائِفُ كَانَ عَلَى رَأْسِي الْأَسِنَّةَ تُشْرَعُ
يُرْوِعُنِي مُوسَى عَلَى غَيْرِ عَثَرَةٍ وَمَالِي أَرَى مُوسَى مِنَ الْعَفْوِ أَوْسَعُ
وَمَا آمَنُ يُعْسِي وَيُصْبِحُ عَائِداً بَعْفُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُرْوَعُ

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ
قَالَ :

دخل أبي على الهادي فأنشده :

يا أمينَ الله مالي لست أدري اليومَ مالي
لم أنزل منك الذي قد نال غيري من نوال
تبذل الحق وتعطي عن يمين وشمال
وأنا البائس لا تنظر في رقة حالي

قال : فأمر المعلّى الخازن أن يُعطيَه عشرة آلاف درهم . قال أبو العتاهية :
فأتيته فأبى أن يُعطيها ، وذلك أن الهادي أمتحنني في شيء من الشعر ، وكان
مهيّباً ، فكنت أخافه فلم يُعطيني طبعي ، فأمر لي بهذا المال ، فخرجتُ فلما منعنيهِ
المعلّى صرت إلى أبي الوليد أحمد بن عقّال ، وكان يُجالس الهادي ، فقلت له :

أبلغ سلمت أبا الوليد سلامي عني أمير المؤمنين إمامي
وإذا فرغت من السلام فقل له قد كان ما شاهدت من إغامي
وإذا حصرت فليس ذاك يُبطله ما قد مضى من حرمتي وذمامي
ولطالما وفدت اليك مدائحي مخطوطة فليأت كل ملام
أيام لي لسن ورقة جدة والمرء قد ينيل مع الأيأم

قال : فأستخرج لي الدراهم وأنفذها إليّ :

حدثني الصوليّ ومحمد بن عمران الصيرفيّ قالا حدثنا العتريّ قال حدثنا محمد
أبن أحمد بن سليمان قال :

وُلِدَ للهادي ولدٌ في أوّل يوم ولي الخلافة ؛ فدخل أبو العتاهية فأنشده :

أكثرَ موسى غيظَ حسّادهِ وزين الأرض بأولادهِ
وجاءنا من صلبه سيّدٌ أصيدُ في تقطيع أجدادهِ
فأكثرت الأرضُ به بهجةً وأستبشر الملكُ بميلادهِ

وَأَبْتَسَمَ الْمُنْبَرُ عَنْ فَوْحَةٍ عُلَتْ بِهَا ذِرْوَةُ أَعْوَادِهِ
كَأَنِّي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقُوَادِهِ
فِي مَحْفَلٍ تَحْقِيقِ رَايَاتِهِ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ

قال : فأمر له موسى بألف دينار وطيب كثير ، وكان ساخطاً عليه فرفض عنه .

استشفاعه بمخدول :

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني علي بن يزيد الخورجي الشاعر عن يحيى بن الربيع قال :

دخل أبو عبيد الله على المهدي ، وكان قد وجد عليه في أمر بلغه عنه ، وأبو العتاهية حاضر المجلس ، فجعل المهدي يشتم أبا عبيد الله ويتغيط عليه ، ثم أمر به فجرّ برجله وحبس ؛ ثم أطرق المهدي طويلاً ؛ فلما سكن أنشده أبو العتاهية :

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كلما كثرت لديه
تُهمُّ المَكْرَمِينَ لها بصُغُرٍ وتُكْرِمُ كُلَّ مَنْ هانت عليه
إذا أَسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُهُ وَخُذْ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ

فتبسّم المهدي وقال لأبي العتاهية : أحسنت ! فقام أبو العتاهية ثم قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما رأيت أحداً أشدَّ إكراماً للدنيا ولا أصونَ لها ولا أشحَّ عليها من هذا الذي جرّ برجله الساعة ، ولقد دخلتُ إلى أمير المؤمنين ودخل وهو أغرّ الناس ، فما برحتُ حتى رأيته أذلّ الناس ، ولو رضي من الدنيا بما يكفيه لاستوت أحواله ولم تتفاوت ؛ فتبسّم المهدي ودعا بأبي عبيد الله فرفض عنه ؛ فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد
أبن الحسن قال حدثني إسحاق بن حفس قال :

أنشدني هارون بن مخلّد الرازيّ لأبي العتاهية :

ما إن يطيب لذي الرّعاية للأيام لا لعب ولا لهو
إذ كان يطرب في مسرته فيسوت من أجزائه جزو

فقلت : ما أحسنها ! فقال : أهكذا تقول ! والله لها روحانيّان يطيران بين
السماء والأرض .

أفضل المحدثين :

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدثني أبي عن أبن عكرمة عن مسعود
أبن بشر المازنيّ قال :

لقيت أبن مناذر بمكة فقلت له : من أشعر أهل الإسلام ؟ فقال : أترى
من إذا شئت هزل وإذا شئت جد ؟ قلت : من ؟ قال : مثل جريّر حين يقول
في السّيب :

إنّ الذين غدّوا بلبّك غادروا وسلاً بعينك ما يزال معيّناً
غيضنّ من عبراتهنّ وقلن لي ما ذا لقيت من الهوى ولقيّنا

ثم قال حين جدّ :

إنّ الذي حرّم المكارم تغلياً جعل الثبوة والخلافة فينا
مضرّ أبي وأبو الملوّك فهل لكم يا آل تغلب من أب كأيّينا
هذا أبن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم إليّ قطينا

(١) في ديوانه (ص ٢٩٨) : « يسرف » .

(٢) القطّين : الخدم والأتباع .

ومن المحدثين هذا الحِيثُ الذي يتناول شعره من كنهه ؛ فقلت : من ؟ قال : أبو
العتاهية ؛ قلت : في ماذا ؟ قال : قوله :

أَفْهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَوْلَاتِي أَبَدْتُ لِي الصَّدَّ وَالْمَلَلَاتِ
لَا تَغْفِرُ الذَّنْبَ إِنْ أَسَأْتُ وَلَا تَقْبَلُ عَذْرِي وَلَا مُوَاتَاتِي
مَنْحَتَهَا مُهْجَتِي وَخَالِصَتِي فَكَانَ هِجْرَانُهَا مُكَافَاتِي
أَقْلَقْنِي حُبُّهَا وَصَيَّرَنِي أَحَدُوتهُ فِي جَمِيعِ جَارَاتِي

ثم قال حين جدّ :

وَمَهْمٌ قَدْ قَطَعْتُ طَائِمَهُ قَفَرٌ عَلَى الْهَوْلِ وَالْمَحَامَةِ
بِحَرَّةٍ جَمْرَةٍ عَذَابَةٍ خَوْصَاءُ عَيْرَانَةٍ عَلَنَدَةٍ
تُبَادِرُ الشَّمْسُ كُلَّمَا طَلَعَتْ بِالسَّيْرِ تَبْغِي بِذَاكَ مَرْضَاتِي
يَا نَاقُ خُبِّي بِنَا وَلَا تَعِدِي نَفْسَكَ مِمَّا تَرَيْنَ رَاحَاتِي
حَتَّى تُنَاخِي بِنَا إِلَى مَلِكٍ تَوَجَّهَ اللَّهُ بِالْمَهَابَاتِ
عَلَيْهِ تَاجَانِ فَوْقَ مَفْرَقِهِ تَاجُ جَلَالٍ وَتَاجُ إِنْخِبَاتِ
يَقُولُ لِلرَّيْحِ كُلَّمَا عَصَفَتْ هَلْ لَكَ يَا رِيحُ فِي مُبَارَاتِي
مَنْ مِثْلُ مَنْ عَمِدَ الرَّسُولُ وَمَنْ أَخُوَالَهُ أَكْرَمُ الْخُؤُولَاتِ

الحب فوق المال :

أخبرني وكيع قال : قال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ حَدَّثَنِي أَبُو عَرَبَةَ ، وَكَانَ قَاضِيًا عَلَى

(١) المهمة : المغاظة البعيدة .

(٢) الطامس : البعيد .

(٣) الحرّة : الناقة النقيّة الأصيلة . والجسرة : العظيمة من الإبل وغيرها . والمذافرة : العظيمة
الشديدة من الإبل . والخوصاء : وصف من الخوص وهو ضيق العين وصغرها وغزورها . والعيرانة
من الإبل : التي تشبه بالعير في سرعتها ونشاطها . والعنداة : الناقة الضخمة الطويلة .

(٤) الاخبات : الخضوع .

المدينة ، قال : كان إسحاق بن عُزَيْرٍ يتعشق عبادة جارية المهلبية ، وكانت المهلبية منقطعة إلى الخيزران ، فركب إسحاق يوماً ومعه عبد الله بن مُصعب يريدان المهدي ، فلقينا عبادة ؛ فقال إسحاق : يا أبا بكر ، هذه عبادة ، وحرك دابته حتى سبقها فنظر إليها ، فجعل عبد الله بن مُصعب يتعجب من فعله ؛ ومضيا فدخلوا على المهدي ، فحدثه عبد الله بن مُصعب بحديث إسحاق وما فعل ؛ فقال : أنا اشتريها لك يا إسحاق ؛ ودخل على الخيزران فدعا بالمهلبية فحضرت ، فأعطاهها بعبادة خمسين ألف درهم ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ، إن كنت تريد لها لنفسك فيها فذاك الله ، وهي لك ؛ فقال : إنما أريد لها لإسحاق بن عُزَيْرٍ ؛ فبكت وقالت : أتؤثر عليّ إسحاق بن عُزَيْرٍ وهي يدي ورجلي ولساني في جميع حوائجي ! فقالت لها الخيزران عند ذلك : ما يُبكيك ؟ والله لا وصل إليها أبنُ عُزَيْرٍ بما جرى وقال له : الخمسون ألف درهم لك مكانها ، وأمر له بها ، فأخذها عن عبادة . فقال أبو العتاهية يُعَيِّره بذلك :

مَنْ صَدَقَ الْحُبَّ لِأَحْبَابِهِ فَإِنَّ حُبَّ ابْنِ عُزَيْرٍ غُرُورُ
أَنَسَاهُ عَبَادَةُ ذَاتِ الْهَوَى وَأَذْهَبَ الْحُبَّ الَّذِي فِي الضَّمِيرِ
خَمْسُونَ أَلْفًا كُلُّهَا رَاجِحٌ حُسْنًا لَهَا فِي كُلِّ كَيْسٍ صَرِيرُ

وقال أبو العتاهية في ذلك أيضاً :

حُبُّكَ لِلْمَالِ لَا كَحُبِّكَ عَبَادَةَ يَا فَاضِحَ الْحَيِينَا
لَوْ كُنْتَ أَصْفَيْتَهَا الْوَدَادَ كَمَا قُلْتَ لَمَّا بَعَثَهَا بِخَمْسِينَا

حدثني الصولي قال حدثني جبلة بن محمد قال حدثني أبي قال :

رأيت أبا العتاهية بعد ما تخلص من حبس المهدي وهو يلزم طبيباً على بابنا ليكحل عينه ، فقيل له : قد طال وجع عينك ؛ فأنشأ يقول :

صوت

أيا وَيَحَ نفسي وَيَحَا ثم وَيَحَا أما من خَلاص من شباك الحبائل
أيا وَيَحَ عيني قد أضرَّ بها البُكا فلم يُغنِ عنها طِبُّ ما في المكاحل

في هذين البيتين لإبراهيم الموصلي لحنٌ من الثقيل الأول .

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا عمر بن شبة قال :

كان الهادي وإجداً على أبي العتاهية مُلازمته أخاه هارونَ في خلافة المهدي ،
فلما ولي موسى الخلافة ، قال أبو العتاهية بمدحه :

صوت

يضطرب الخوفُ والرجاء إذا حرك موسى القضيْبَ أو فُكَّرُ
ما أَيْنَ الفضلُ في مُغيَّبٍ ما أوردَ من رأيه وما أصدَرَ

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل لحنٌ من الثقيل الأول في نهاية
الجلودة وما بان به فضله في الصنعة .

فكم تَرَى غَرْزاً عند ذلك مِن مَعشَرِ قومٍ وذلّ من مَعشَرِ
يُشمِر مِن مَسِّهِ القضيْبِ ولو يَمْسُه غيرُهُ لما أثمرَ
مَن مِثْلُ موسى ومثلُ والده السَّهْديّ أو جدّه أبي جعفر

قال : فرضي عنه . فلما دخل عليه أنشده :

لَهني على الزمن القصير بين الخورنقِ والسدير
إذ نحن في غُرَفِ الجنا ن نَعُومُ في بحر السُرورِ
في فِتيةٍ ملكوا عِنا ن الدهر أمثال الصقورِ

ما منهم إلا أَلْجَسُو رُ على الهوى غيرُ الحُصُورِ
 يتعاوَرُونَ مُدَامَةً صُهَبَاءَ من حَلَبِ العَصِيرِ
 عَذَرَاءَ رَبَاهَا سُعَا عُ الشمس في حرِّ الهَجِيرِ
 لم تُدْنِ من نارٍ ولم يَعلَق بها وَضْرُ القُدُورِ
 ومُقرَّطٍ يمشي أما مَ القومِ كالرَّشَا القُدِيرِ
 بزجاجةٍ تَستخرج السَّرَّ الدَّفِين من الضَّيَرِ
 زَهْوَاءَ مِثْل الكوكبِ الدُّرِّي في كَفِّ المَدِيرِ
 تَدْعُ الكَرِيمَ وليس يَدُ رِي ما قَبِيلٌ من دَبِيرِ
 ومُخَصَّرَاتٍ زُرْنَا بعد الهدوءِ من الحُدُورِ
 رِيَاءُ رَوادِفُهِنَّ يَلْبَسُن الحَوَاتِمَ في الحُصُورِ
 غَرَّ الوجوهِ مُحَجَّبَا تِقاصِرَاتِ الطَّرْفِ حُورِ
 متَنَقِّهَاتٍ في النعيمِ مُضْمَخَاتٍ بالعَيرِ
 يَرُفُلْنَ في حُلَلِ المحَا سِنِ والمَجَاسِدِ والحَرِيرِ
 ما إن يَرَيْن الشمسَ إلا الفَرُطَ من خَلَلِ السُّتُورِ
 وإلى أَمِينِ اللَّهِ مَهْرُبُنَا من الدَّهْرِ العُتُورِ
 واليه أَتَعَبْنَا المطَا يا بِالرَّوَاكِحِ وبالبُكُورِ
 صُغُرِ الحُدُودِ كَأَنَّمَا جُبَّتْ أَجْنَحَةُ النُّسُورِ

(١) القبيل : ما وليك . والدبير : ما خالفك، يقولون : لا يعرف قبيله من دبيره، ولا يدري قبيلًا من دبيره، أي لا يعرف شيئاً .

(٢) مخصرات : دقيقات الحُصُور .

(٣) ريا : ممثلة .

(٤) المجاسد : جمع مجسد وهو القميص الذي يلي البدن .

(٥) كذا في أكثر الأصول، والفُطُور : الحين، ويقال : لا ألقاه إلا في الفُطُور : أي في الأيام مرة .

متسرّياتٍ بالظلال م على السهولة والوعور
حتى وصلنا بنا الى ربّ المدائن والقصور
ما زال قبل فطامه في سنّ مكتهل كبير

قال : قيل لو كان جزل اللفظ لكان أشعر الناس ، فأجزل صلته وعاد الى أفضل
ما كان له عليه .

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثني الكرواني عن أبي حاتم قال :

قديم علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون ، فصار اليه أصحابنا فاستنشدوه ،
فكان أول من أنشدهم :

ألم ترَ ريبَ الدهر في كلّ ساعةٍ له عارضٌ فيه المنية تلمعُ
أيا باني الدنيا لغيرك تبثني ويا جامع الدنيا لغيرك تجتمعُ
أرى المرء وثأباً على كل فرصةٍ والمرء يوماً لا محالة مصرعُ
تبارك من لا يملك المملك غيره متى تنقضي حاجات من ليس يشبعُ
وأني أرى في غاية ليس نفسه الى غاية أخرى سواها تطلعُ

قال : وكان أصحابنا يقولون : لو أن طبع أبي العتاهية بجزالة لفظ لكان أشعر
الناس .

تمثل الفضل بشعره :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني سليمان بن جعفر
الجزريّ قال حدثني أحمد بن عبد الله قال :

كانت مرتبة أبي العتاهية مع الفضل بن الربيع في موضع واحد في دار

المأمون : فقال الفضل لأبي العتاهية : يا أبا إسحاق ، ما أحسن بيتين لك وأصدقهما !
قال : وما هما ؟ قال : قولك :

ما الناس إلا للكثير المال أو لمسلط ما دام في سلطانه
فإذا الزمان رماهما ببلية كان الثقات هناك من أعوانه

يعني : من أعوان الزمان . قال : وإنما تمثل الفضل بن الربيع بهذين البيتين
لأنه خطا مرتبته في دار المأمون وتقدم غيره ؛ وكان المأمون أمر بذلك لتحريره
مع أخيه .

تفسيكه :

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال :

قال لي محمد بن أبي العتاهية : كان أبي لا يفارق الرشيد في سفر ولا حضر
إلا في طريق الحج ، وكان يحوي عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز
والمعاون ؛ فلما قدم الرشيد الرقة ليس أبي الصوف وترهد وترك حضور المنادمة
والقول في الغزل ، وأمر الرشيد بحبسه فجلس ؛ فكتب إليه من وقته :

صوت

أنا اليوم لي والحمد لله أشهر يروح علي ألهم منكم ويبكر
تذكر أمين الله حقي وحرمتي وما كنت توليني لعلك تذكر
ليالي تدني منك بالقرب مجلسي ووجهك من ماء البشاشة يقطر

(١) لعل أصل الكلام « لتحريره نفسه مع أخيه » فسقطت من النسخ أو حذفها المؤلف للعلم

بها .

(٢) كذا في الديوان (ص ٣٢٦) وأشير في هامشه الى رواية أخرى هي : « كذلك يذكر » .

وفي جميع النسخ : « لذلك يذكر » .

فمن لي بالعين التي كنت مرة إلي بها في سالف الدهر تنظر
قال : فلما قرأ الرشيد الأبيات قال : قولوا له : لا بأس عليك؛ فكتب اليه :

صوت

أرقتُ وطار عن عيني الثعاسُ وثام السامرون ولم يُواسوا
أمينَ الله أمنتك خيرُ أمنٍ عليك من الثقي فيه لباسُ
تُساس من السماء بكلِّ برٍّ وأنت به تَسوس كما تُساسُ
كانَ الخلقَ رُكبَ فيه رُوحُ له جسدٌ وأنت عليه راسُ
أمينَ الله إنَّ الحُفَسَ بأسُ وقد أرسلتُ ليس عليك بأسُ

- غنى في هذه الابيات إبراهيم ولحنه ثاني ثقييل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
وفيه أيضاً ثقييلٌ أوّل عن الهشامي - قال : وكتب اليه أيضاً في الحبس :

وكَلَّفَتْنِي ما حُلَّتَ بيني وبينه وقلتُ سأبغِي ما تريد وما تهوى
فلو كان لي قلبانِ كَلَّفْتُ واحداً هوالك وكَلَّفْتُ الحليّ لما يهوى

قال : فأمر بإطلاقه .

حدثني عمي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الرّيأت قال حدثني
الرّؤير بن بكّار قال حدثني ثابت بن الرّؤير بن حبيب قال قال حدثني ابن أخت
أبي خالد الحرّنيّ قال :

قال لي الرشيد : احبس أبا العتاهية وضيق عليه حتى يقول الشعر الرقيق في
القول كما كان يقول ؛ فحبسه في بيت خمسة أشبار في مثلها ؛ فصاح : الموت ،

أخرجوني، فانا أقول كل ما شئتم؛ فقلت: قل، فقال: حتى أتنفس؛ فأخرجته وأعطيته
دواة وقرطاساً؛ فقال أبياته التي أولها:

صوت

مَنْ لَعِبِدٍ أَذَلَّهُ مَوْلَاهُ مَا لَهُ شَافِعٌ إِلَيْهِ سِوَاهُ
يَشْتَكِي مَا بِهِ إِلَيْهِ وَيَخْشَاهُ وَيَرْجُوهُ مِثْلَ مَا يَخْشَاهُ

قال: فدفعته إلى مسرور الخادم فأوصلها، وتقدم الرشيد إلى إبراهيم الموصلي
فغنى فيها، وأمر بإحضار أبي العتاهية فأحضر، فلما أحضر قال له: أنشدني قولك:

صوت

يَا عُتْبَ سَيِّدَتِي أَمَا لَكَ دَرِينُ حَتَّى مَتَى قَلْبِي لَدَيْكَ رَهِينُ
وَأَنَا الذَّلُولُ لِكُلِّ مَا حَمَلْتَنِي وَأَنَا الشَّقِيُّ الْبَائِسُ الْمُسْكِينُ
وَأَنَا الْغَدَاةُ لِكُلِّ بَاكِ مُسْعِدُ وَلِكُلِّ صَبٍّ صَاحِبٌ وَخَدِينُ
لَا بَأْسَ إِنَّ لَذَاكَ عِنْدِي رَاحَةً لِلصَّبِّ أَنْ يَلْقَى الْحَزِينَ حَزِينُ
يَا عُتْبَ أَيْنَ أَفِرَّ مِنْكَ أَمِيرَتِي وَعَلَى حِصْنٍ مِنْ هَوَاكِ حَصِينُ

- لا إبراهيم في هذه الأبيات هزجٌ عن إلهشامي - فأمر له الرشيد بخمسين
ألف درهم.

ولأبي العتاهية في الرشيد لما حبسه أشعارٌ كثيرة، منها قوله:

يَا رَشِيدَ الْأَمْرِ أَرَشِدْنِي إِلَى وَجْهِ نَجْحِي لَا عِدِمَتَ الرَّشْدَا
لَا أَرَاكَ اللَّهُ سِوَا أَبَدَا مَا رَأَتْ مِثْلَكَ عَيْنٌ أَحَدَا
أَمِنْ الْخَائِفِ وَأَرْحَمِ صَوْتَهُ رَافِعَا نَحْوَكَ يَدْعُوكَ يَدَا

(١) كذا في جميع النسخ والديوان ولعله: «آمن الخائف».

وابلائي من دعاوى أمل
كلما قلت تداني بعدا
كم أمني بقدر بعد غد
ينفد العمر ولم ألق غدا

زبيدة تنصير له :

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى : حدثني علي بن مهدي قال
حدثني الحسين بن أبي السري قال :

مر القاسم بن الرشيد في موكب عظيم وكان من أتية الناس، وأبو العتاهية
جالس مع قوم على ظهر الطريق، فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاماً له، فلم يزل
قائماً حتى جاز، فأجازه ولم يلتفت إليه؛ فقال أبو العتاهية :
يَتِيهِ ابْنُ آدَمَ مِنْ جِهْلِهِ كَانَ رَحَا الْمَوْتِ لَا تَطْعُمُهُ

فسمع بعض من في موكبه ذلك فأخبر به القاسم، فبعث إلى أبي العتاهية وضربه
مائة مِرْقَعَةٍ، وقال له : يَا بَنَ الْفَاعِلَةِ ! أَتُعَرِّضُ بِي فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ! وَحَبَسَهُ
فِي دَارِهِ؛ فَدَسَّ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ إِلَى زُبَيْدَةَ بِنْتِ جَعْفَرٍ، وَكَانَتْ تَرْجِبُ لَهُ [حَقَّهُ]،
هذه الأبيات :

حتى متى ذو النِّيه في رِيهِه أصلحه الله وعافاه
يَتِيهِ أَهْلُ النِّيه من جَهْلِهِمْ وَهُمْ يَمُوتُونَ وَإِنْ تَأْهَوَا
مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ لِيَبْقَى بِهِ فَإِنْ عِزَّ الْمَرْءِ تَقْوَاهُ
لَمْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ لَيْسَ يَرْجُوهُ وَيَخْشَاهُ

وكتب إليها بحاله ورضيق حبسه، وكانت مائسة إليه، ففرقت له وأخبرت الرشيد

(١) المِرْقَعَةُ : السوط .

(٢) يقال : أوجب لفلان حقه إذا راعاه .

(٣) زيادة يقتضها السياق .

(٤) في بعض النسخ : « فرئت » .

بأمره وكلته فيه، فأحضره وكساه ووصله، ولم يرضَ عن القاسم حتى برَّ أبا العتاهية وأدناه واعتذر إليه .

ونسخت من كتاب هارون بن علي: قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال :

بعث الرشيد بالحرشي^١ إلى ناحية الموصل، فجي له منها ما لا عظيمًا من بقايا الخراج فوافى به باب الرشيد، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه، فاستعظم الناس ذلك وتحدثوا به؛ فرأيت أبا العتاهية وقد أخذه شبه الجنون، فقلت له : مالك ويحك ! فقال لي : سبحان الله ! أيدفع هذا المال الجليل إلى امرأة، ولا تتعلق كني بشيء منه ! . ثم دخل إلى الرشيد بعد أيام فأنشده :

الله هون عندك الدنيا وبعضها إليك
فأبيت إلا أن تُصغِرَ كل شيء في يديكا
ما هانت الدنيا علي أحد كما هانت عليك

فقال له الفضل بن الربيع : يا أمير المؤمنين، ما مُدحت الخلفاء بأصدق من هذا المدح؛ فقال : يا فضل، أعطه عشرين ألف درهم . فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده :

إذا ما كنت مُتخذًا خليلًا فثل الفضل فأتخذ الخليلًا
يرى الشكر القليل له عظيمًا ويُعطي من مواهبه الجزيلًا
أراني حيثما يمت طريقي وجدت على مكارمه دليلًا

فقال له الفضل : والله لولا أن أساوي أمير المؤمنين لأعطيتك مثلها، ولكن سأوصلها إليك في دفعات، ثم أعطاه ما أمر له به الرشيد، وزاد له خمسة آلاف درهم من عنده .

(١) لعله سعيد الحرشي الذي كان معاصراً للرشيد والذي كان يقوم له بأعمال مهمة .

سمع علي بن عيسى شعره وهو طفل فأعجب به :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا المبرّد قال حدثني عبد الصمد بن
المعذل قال :

سمعت الأمير علي بن عيسى بن جعفر يقول : كنت صبياً في دار الرشيد ،
فرايت شيخاً يُنشد والناس حوله :

ليس للإنسان إلا ما رزق	أستعين الله بالله أثق
علق الهمُّ بقلبي كله	وإذا ما علق الهمُّ علق
بأبي من كان لي من قلبه	مرةً ودُّ قليل فسرق
يا بني الإسلام فيكم ملك	جامع الإسلام عنه يفترق
لندي هارون فيكم وله	فيكم صوب هطول وورق
لم يزل هارون خيراً كله	قتل الشرُّ به يوم خلق

فقلت لبعض الهاشمين : أمّا ترى إعجاب الناس بشعر هذا الرجل ؟ فقال : يا بني ،
إن الأعناق لتقطع دون هذا الطبع ؛ قال : ثم كان الشيخ أبا العتاهية ، والذي
سأله إبراهيم بن المهدي .

استعطاف :

حدثني الصولي قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثني عبد القوي
ابن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال :

(١) ورد هذا البيت في ديوانه (ص ٣١٤) هكذا :

يا بني العباس فيكم ملك شعب الاحسان عنه تفترق

ليس أبو العتاهية كساء صوفٍ ودُرَّاعاً صوفٍ، وآلى على نفسه ألا يقول
شعراً في الغزل، وأمر الرشيدُ بحبسه والتضييقِ عليه، فقال :

صوت

يَا بْنَ عَمِّ النَّبِيِّ سَمِعاً وَطَاعَةً قَدْ خَلَعْنَا الْكِسَاءَ وَالْذُرَّاعَ
وَرَجَعْنَا إِلَى الصَّنَاعَةِ لَمَّا كَانَ سُخْطُ الْأَمَامِ تَرَكَ الصَّنَاعَةَ

وقال أيضاً :

أَمَّا رَحِمَتِي يَوْمَ وَلَّتْ فَأَسْرَعْتُ وَقَدْ تَرَكْتَنِي وَاقْفًا أَتَلَّعْتُ
أَقْلَبَ طَرَفِي كَيْ أَرَاهَا فَلَا أَرَى وَأَحْلَبَ عَيْنِي دَرَّهَا وَأَصَوْتُ

فلم يزل الرشيدُ مُتَوَانِياً فِي إِخْرَاجِهِ إِلَى أَنْ قَالَ :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلَمَ لَوْمُ وَمَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ
إِلَى دِيَّانٍ يَوْمَ الدِّينِ نَحْضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
لَأَمْرِهِ مَا تَصَرَّفَتْ اللَّيَالِي وَأَمْرِهِ مَا تَوَلَّيْتَ النُّجُومُ
تَمُوتُ غَدًا وَأَنْتَ قَوِيرُ عَيْنٍ مِنَ الْعَقَلَاتِ فِي لُجَجِ تَعُومُ
تَنَامُ وَلَمْ تَنْمَ عَنْكَ الْمَنَايَا تَنْبَهُ لِلنَّبِيَّةِ يَا نَوْوُمُ
سَلِ الْأَيْلَمَ عَنْ أَمْرِ تَقْعُضُ سَخْبِرَكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ
تَرُومُ الْخُلْدَ فِي دَارِ الْمَنَايَا وَكَمْ قَدْ رَامَ غَيْرُكَ مَا تَرُومُ
أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُرْجَى عَلَيْهِ نَوَاهِضُ الدُّنْيَا تَحُومُ
أَقْلَنِي زَلَّةً لَمْ أَجِرْ مِنْهَا إِلَى لَوْمٍ وَمَا مِثْلِي مَاوُمُ
وَخَلِّصْنِي مُخْلَصَ يَوْمٍ بَعَثَ إِذَا لِلنَّاسِ بُرَزَتْ الْجَحِيمُ

(١) 'تَوَلَّيْتَ النُّجُومَ' (بالباء للمفعول) : أي تولاها الله فتطلع ثم تَغَيَّبُ بتأثير قدرته، ولا يصح بناء الفعل للفاعل إلا مع ضرورة قبيحة وهي عدم حذف لام الفعل مع تاء التأنيث وقبلها ياء .

فرق له وأمر بإطلاقه .

راي ابي نواس فيه :

نسخت من كتاب هارون بن علي : قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني
ابن أبي الأبيض قال :

أتيت أبا العتاهية فقلت له : إني رجل أقول الشعر في الزهد ، ولي فيه أشعار
كثيرة ، وهو مذهب أستحسنه لأنني أرجو ألا آثم فيه ، وصمت شعرك في هذا
المعنى ، فأجبت أن أستريد منه ، فأجب أن تُنشدني من جيد ما قلت ؛ فقال :
اعلم أن ما قلته ردي ، قلت : وكيف ! قال : لأن الشعر ينبغي أن يكون مثل
أشعار الفحول المتقدمين أو مثل شعر بشار وابن هرمة ، فإن لم يكن كذلك
فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ،
ولاسيما الأشعار التي في الزهد ، فإن الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من
مذاهب رواق الشعر ولا طلاب الغريب ، وهو مذهب أشعث الناس به الزهاد
وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرياء والعامة ، وأعجب الأشياء اليهم ما
فهموه ؛ فقلت : صدقت . ثم أنشدني قصيدته :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى تَبَابٍ
أَلَا يَا مَوْتَ لَمْ أَرِ مِنْكَ بُدًّا أَتَيْتَ وَمَا تُخِيفُ وَمَا تُخَاجِي
كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي

قال : فصرت إلى أبي نواس فأعلمته ما دار بيننا ؛ فقال : والله ما أحسب في شعره
مثل ما أنشدك بيتاً آخر ، فصرت إليه فأخبرته بقول أبي نواس ، فأنشدني قصيدته
التي يقول فيها :

طُولُ الْمُعَاشِرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُوءٌ مَا لِأَبْنِ آدَمَ إِنْ قَلَّ شَتَّ مَعْقُولُ
يَا رَاعِي الشَّاءِ لَا تُغْفَلْ رِعَايَتُهَا فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا اسْتُرْعِيَتْ مَسْؤُولُ
إِنِّي لِنِي مَنَزَلٍ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ عَلَى يَقِينٍ بِأَنِّي عَنْهُ مَنَقُولُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ ذُو نَفْسٍ إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْأُولُ
لَمْ يُشْغَلِ الْمَوْتُ عَنَّا مِذْ أَعَدَّ لَنَا وَكَلَّمْنَا عَنْهُ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولُ
وَمَنْ يَمِتْ فَهُوَ مَقْطُوعٌ وَمُجْتَنَّبٌ وَالْحَيُّ مَا عَاشَ مَغْشِيٌّ وَمَوْضُولُ
كُلُّ مَا بَدَأَ لَكَ فَلَا كَالُ فَانِيَةٌ وَكُلُّ ذِي أَكْلٍ لَا بُدَّ مَا أُكُولُ

قال : ثم أنشدني عدة قصائد ما هي بدون هذه ، فصرت إلى أبي نواس فأخبرته ؛
فتغير لونه وقال : لم خبرته بما قلت ! قد والله أجاد ! ولم يقل فيه سوءاً .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي
أبن عبد الله بن سعد قال حدثني هارون بن سعدان مولى التجالين قال :

كنت مع أبي نواس قريباً من دور بني نبيخت بنهر طابقاً وعنده جماعة ،
فجعل يمر به القواد والكتاب وبنو هاشم فيسلمون عليه وهو متكئ ممدود
الرجل لا يتحرك لأحد منهم ، حتى نظرنا إليه قد قبض رجله ووثب وقام إلى
شيخ قد أقبل على حمار له ، فأعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يحادثه ، فلم يزل
واقفاً معه يراوح بين رجله يرفع رجلاً ويضع أخرى ، ثم مضى الشيخ ورجع
إلينا أبو نواس وهو يتأوه ؛ فقال له بعض من حضر : والله لَأَنْتَ أَشْعَرُ مِنْهُ ؛
فقال : والله ما رأيته قط إلا ظننت أنه سماء وأنا أرض .

قال محمد بن القاسم حدثني علي بن محمد بن عبد الله الكوفي قال حدثني
السري بن الصباج مولى ثوبان بن علي قال :

(١) في الديوان : « يا راعي النفس » .

(٢) نهر طابق : محلة كانت ببغداد من الجانب الغربي .

كنت عند بشر فقلت له : من أشعرُ أهل زماننا ؟ فقال : مُحَنِّثُ أهل بغداد
(يعني أبا العتاهية) .

تعزيتة المهدي :

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المُنَجِّمُ إجازةً : قال حدثني علي بن مهدي قال
حدثني الحُرْزَجِيُّ الشاعر قال حدثني عبد الله بن أيوب الأنصاري قال حدثني
أبو العتاهية قال :

ماتت بنتُ المهدي فحزن عليها حزناً شديداً حتى أمتنع من الطعام والشراب
فقلت أبياتاً أغريه بها - فوافيته وقد سلا وضحك وأكل وهو يقول : لا بدَّ
من الصبر على ما لا بدَّ منه ، ولئن سلَّونا عن فقدنا ليسلَّونا عنَّا من يَفْقِدُنَا ،
وما يأتي الليل والنهارُ على شيء إلا أبلياه ؛ فلما سمعتُ هذا منه قلت : يا أمير
المؤمنين ، أتأذن لي أن أنشدك ؟ قال : هات ؛ فأنشدته :

ما للجديدين لا يَبْلَى اختلافهما	وكلُّ غَضَرٍ جديدٍ فيهما بلي
يا من سلا عن حبيبٍ بعد ميته	كم بعد موتك أيضاً عنك من سالي
كأنَّ كلَّ نعيمٍ أنت ذائقه	من لذة العيش يحكي لَمَعَةَ الآلِ
لا تَلْعَنَنَّ بك الدنيا وأنت ترى	ما شئتَ من عِبَرٍ فيها وأمثالِ
ما حيلةُ الموت إلا كلَّ صالحةٍ	أولاً فما حيلةٌ فيه لمُحْتالِ

فقال لي : أحسنتَ ويحك ! وأصبتَ ما في نفسي ووعظتَ وأوجزت ! ثم أمر لي
لكل بيتٍ بألف درهم .

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العزّي قال حدثني أحمد بن خلاد
قال حدثني أبي قال :

لما مات موسى الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية : قل شعراً في الغزل ؛ فقال :

لا أقول شعراً بعد موسى أبداً ، فحبسه . وأمر إبراهيم الموصلي أن يغني ؛ فقال : لا أغني بعد موسى أبداً ، وكان محسناً إليهما ، فحبسه . فلما شخص إلى الرقعة حفر لهما حفيرة واسعة وقطع بينهما بخاطر ، وقال : كونا بهذا المكان لا تخرجا منه حتى تشعرا أنت ويغني هذا ؛ فصبرا على ذلك برهة . وكان الرشيد يشرب ذات يوم وجعفر بن يحيى معه ، فغنت جارية صوتاً فاستحسنه وطرباً عليه طرباً شديداً ، وكان بيتاً واحداً ؛ فقال الرشيد : ما كان أحوجه إلى بيت ثانٍ ليطول الغناء فيه فنستمع مدة طويلة به ! فقال له جعفر : قد أصبته ؛ قال : من أين ؟ قال : تبعث إلى أبي العتاهية فيلحقه به لقد رتبه على الشعر وسرعته ؛ قال : هو أنكد من ذلك ، لا يجيئنا وهو محبوس ونحن في نعيم وطرب ؛ قال : بلى ، فاكتب إليه حتى تعلم صحة ما قلت لك ؛ فكتب إليه بالقصة وقال : أخلق لنا بالبيت بيتاً ثانياً ؛ فكتب إليه أبو العتاهية :

سُيِّلَ الْمَسْكِينُ عَنْ تِلْكَ الْمَحَنُ فَارَقَ الرُّوحَ وَأَخْلَى مِنْ بَدَنُ
وَلَقَدْ كَلَّفْتُ أَمْرًا عَجَبًا أَسْأَلُ التَّفْرِيحَ مِنْ بَيْتِ الْخَزَنُ

فلما وصلت قال الرشيد : قد عرفت أنك لا تفعل ؛ قال : فتخرجه حتى يفعل ؛ قال : لا ! حتى يشعر ، فقد حلفت . فأقام أياماً لا يفعل . قال : ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم : إلى كم هذا تلاج الخلفاء ! هلم أقل شعراً وتغن فيه ؛ فقال أبو العتاهية :

بأبي من كان في قلبي له مرة حب قليل فسرق
يا بني العباس فيكم ملك شعب الإحسان منه تفرق
إنما هارون خير كله مات كل الشر منذ يوم خلق

وغنى فيه إبراهيم ، فدعا بهما الرشيد ، فأنشده أبو العتاهية وغناه إبراهيم ، فأعطى كل واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب .

حدثني الصولي بهذا الحديث عن الحسن بن يحيى عن عبد الله بن العباس بن
الفضل بن الربيع ، فقال فيه : غضب الرشيد على جارية له فحلف ألا يدخل
إليها أياماً ، ثم ندم فقال :

صَدَّ عَنِّي إِذْ رَأَيْتُ مَفْتَنَ وَأَطَالَ الصَّدَّ لَمَّا أَنْ فَطَنُ
كَانَ مَمْلُوكِي فَأُضْحَى مَالِكِي إِنَّ هَذَا مِنْ أَعَاجِيبِ الزَّمَنِ

وقال جعفر بن يحيى : اطلب لي مَنْ يَزِيدُ على هذين البيتين ؛ فقال له : ليس غيرُ
أبي العتاهية ؛ فبعث إليه فأجاب بالجواب المذكور ، فأمر بإطلاقه وِصَلَتِهِ ؛ فقال :
الآن طاب القول ؛ ثم قال :

عِزَّةُ الْحَبِّ أَرْتَهُ ذِلَّتِي فِي هَوَاهُ وَلَهُ وَجْهٌ حَسَنُ
وَلِهَذَا صِرْتُ مَمْلُوكًا لَهُ وَلِهَذَا شَاعَ مَا لِي وَعَلَنُ

فقال : أحسنت والله وأصبت ما في نفسي ، وأضعفَ صلته .

ذمه الناس :

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى : قال حدثني علي بن مهدي قال
حدثني الهيثم بن عثمان قال حدثني شبيب بن منصور قال :

كنتُ في الموقف واقفاً على باب الرشيد ، فإذا رجلٌ بَشَعَ الهيئة على بغلٍ قد
جاء فوقف ، وجعل الناسُ يُسَلِّمون عليه ويسألونه ويُضاحكونه ، ثم وقف في
الموقف ، فأقبل الناسُ يشكون أحوالهم : فواحد يقول : كنتُ مُنْقَطِعاً إلى فلان
فلم يصنع بي خيراً ، ويقول آخر : أملت فلاناً فخاب أمني وفعل بي ، ويشكو
آخرٌ من حاله ؛ فقال الرجل :

فَقَسْتُ ذِي الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِهَا أَحَدٌ أَرَاهُ لِأَخْرَجَ حَامِدُ
حَتَّى كَانَ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَدْ أَفْرَغُوا فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ

فسألت عنه فقيل : هو أبو العتاهية .

بينه وبين سلم الخاسر :

حدثني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهْرَوَيْه قال حدثني أحمد بن خلاد عن أبيه عن عبد الله بن الحسن قال :

أنشد المأمونُ بيتَ أبي العتاهية يخاطبُ سلماً الخاسر :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

فقال المأمون : إن الحرصَ مُفسِدٌ للدينِ والمروءةِ ، والله ما عرفتُ من رجلٍ قطَّ حرصاً ولا شرّها فرأيت فيه مُضْطَنّاً . فبلغ ذلك سلماً فقال : وبلي على المختبِ الجرارِ الزنديقِ ! جمع الأموالَ وكثرها وعَبَأَ البدورَ^(١) في بيته ثم تَرَهَّدَ^(٢) مُراءاةً ورفاقاً فاخذ يهتِفُ بي إذا تصدّيتُ للطلب .

أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدّب ومحمد بن عمران الصيرفيّ قالَا حدثنا الحسن بن عَلِيلِ العنزيّ قال حدثني محمد بن أحمد بن سليمان العتكيّ قال حدثني العباس بن عبيد الله بن سنان بن عبد الملك بن مِسْمَعٍ قال :

كنّا عند قُتَمِّ بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية يُنشد في الزهد ، فقال قُتَمِّ : يا عباس ، أطلب الساعةَ الْجَمَّازَ حيث كان ، ولك عندي سَبَقٌ^(٣) ؛ فطلبته فوجدته عند رُكنِ دار جعفر بن سليمان ، فقلت : أجبِ الأمير ؛ فقام معي حتى أتى قُتَمِّ ، فجلس في ناحية مجلسه ، وأبو العتاهية يُنشدّه ؛ فأنشأ الْجَمَّازُ يقول :

ما أقبحَ التزهيدَ من واعظٍ يُزهدُ الناسَ ولا يُزهدُ

(١) البدور : جمع بدرة ، والبذرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم .

(٢) أصل السبق (بالتحريك) الخطر يوضع بين أهل السباق وهو ما يتراهنون عليه .

لو كان في ترهيدِه صادقاً أضحى وأمسى بيته المسجدُ
يخاف أن تنفد أرزاقه والرزقُ عند الله لا ينفدُ
والرزقُ مقسومٌ على من ترى يناله الأبيض والأسودُ

قال : فالتفت أبو العتاهية إليه فقال : من هذا ؟ قالوا : هذا الجُمَاز وهو ابن أختِ
سَلَم الخاسر أقتصَّ لحاله منك ؛ فأقبل عليه وقال : يا ابن أخي ، إني لم أذهب
حيث ظننت ولا ظنَّ خالك ، ولا أردت أن أهتِف به ؛ وإنما خاطبته كما يخاطب
الرجلُ صديقه ، فإله يغفر لكما ، ثم قام .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمَّار قال حدثني محمد بن أحمد بن خلف الشَّعْري
عن أبيه قال :

كنت عند مُخارق فجاء أبو العتاهية في يوم جمعة ، فقال : لي حاجة وأريد
الصلاة ؛ فقال مُخارق : لا أبرح حتى تعود ؛ قال : فرجع وطرح ثيابه ، وهي
صوفٌ ، وغسل وجهه ، ثم قال له غنَّيْني :

صوت

قال لي أحمدٌ ولم يدر ما بي أُنحِب الغداة عُبَّة حَقاً
فتنقَّستُ ثم قلت نعمُ جُباً جرى في العروق عِرقاً فِعِرقاً

فجذب مُخارق دواةً كانت بين يديه فأوقع عليها ثم غنَّاه ، فاستعاده ثلاث مرَّاتٍ
فأعاده عليه ، ثم قام وهو يقول : لا يسمع والله هذا الغناء أحدٌ فيُفْلح . وهذا
الخبر رواية محمد بن القاسم بن مهرويه عنه .

وحدثنا به أيضاً في كتاب هارون بن علي بن يحيى عن ابن مهرويه عن ابن
عمَّار قال حدثني أحمد بن يعقوب عن محمد بن حسان الصَّبيّ قال حدثنا مُخارق قال :

لقيني أبو العتاهية فقال : بلغني أنك خرجت قولي :

قال لي أحمدٌ ولم يدر ما لي أُنحِبُ الغداة عُتْبَةَ حَقًّا

فقلت : نعم ؛ فقال : غَيْبُهُ ، فُلْتُ معه إلى خرابٍ ، فيه قوم فقراء سَكَّانٌ ، ففَنَيْتُهُ
إِيَّاهُ ، فقال : أحسنت والله ! منذ ابتدأت حتى سكت ؛ ثم قال لي : أما ترى ما
فعل الملك بأهل هذا الخراب ! .

تبخيل الناس :

أخبرني جحظة قال حدثني ميسون بن هارون قال :

قال مخارق : لقيتُ أبا العتاهية على الجسر ، فقلتُ له : يا أبا إسحاق ، أُنشدني
قولك في تبخيلك الناسَ كلَّهم ؟ فضحك وقال لي : ها هنا ؟ قلت : نعم ؛
فأنشدني :

إن كنتُ مُتَّخِذاً خليلاً فَتَنَّقْ وَأَنْتَقِدْ الخليلاً
من لم يكن لك مُنْصِفاً في الودِّ فَأَبْغِرْ به بديلاً
ولربما سُئِلَ البخیلُ الشيءَ لا يسوئُ قتيلاً
فيقول لا أجد السبيلَ إليه يَكْزُرُهُ أن يُنِيلَا
فلذلك لا جعلَ الإلهُ له إلى خيرٍ سبيلاً
فأضربُ بظرفك حيث شئتَ فلن ترى إلا مُجِيلَا

فقلتُ له : أفرطتَ يا أبا إسحاق ؛ فقال : فديتُك ، فأكذبني بجوادٍ واحد ؛
فأحببتُ موافقته ، فالتفتُ يميناً وشمالاً ثم قلت : ما أجد ؛ فقبل بين عيني وقال :
فديتُك يا بني ، لقد رفقتَ حتى كِدْتَ تُسْرِفُ .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن مخارق قال :

كان أبو العتاهية لما نسك يقول لي : يا بني ، حدثني فإن ألفاظك تطرب
كما يطرب غناؤك .

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري قال حدثني أبو هفان قال حدثني
موسى بن عبد الملك قال :

كان أحمد بن يوسف صديقاً لأبي العتاهية ، فلما خدم المأمون وخص به
رأى منه أبو العتاهية جفوة ، فكتب إليه :

أبا جعفر إن الشريف يشينه تتأبّه على الأخلاء بالوفّر
ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى وأن الغنى يُخشى عليه من الفقر
فإن نلتَ تيتهاً بالذي نلتَ من غنى فإن غناي في التجلّ والصبر
قال : فبعث إليه بأني درهم ، وكتب إليه يعتذر بما أنكره .

طرائفه :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني إبراهيم بن أحمد
ابن إبراهيم الكوفي قال حدثني أبو جعفر المَعْدِي قال :

قلت لأبي العتاهية : أرجز لي قول الشاعر :

وكان المال يأتينا فكنا نبذره وليس لنا عقول
فلما أن تولى المالُ عنا عَقَلْنَا حين ليس لنا فُضُولُ

قال : فقال أبو العتاهية على المكان :

فقصر ما ترى بالصبر حقاً فكلُّ إن صبرت له مزيلُ

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني الحسن بن الفضل
الرَّعْقَرَانِي قال : حدثني من سَمِعَ أبا العتاهية يقول لأبنه وقد غضب عليه : اذهب
فإنك ثقيل الظلّ جامد الهواء .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني يحيى بن خليفة الرّازي قال حدثنا حبيب بن الجهم الثميري قال :

حضرت الفضل بن الربيع مُتَنَجِّزاً جازتني وفرضي ، فلم يدخل عليه أحدٌ قبلي ، فإذا عَوْنٌ حاجبه قد جاء فقال : هذا أبو العتاهية يُسَلِّمُ عليك وقد قَدِمَ من مكة ؛ فقال : أَعَفَنِي منه الساعةَ يشغلني عن ركوبي ؛ فخرج اليه عَوْنٌ فقال : إنه على الرّكوب إلى أمير المؤمنين ؛ فأخرج من كَتَمِهِ نعلًا عليه شراكٌ فقال : قل له إن أبا العتاهية أهداها إليك جُعِلَتْ فداءك . قال : فدخلت بها ؛ فقال : ما هذه ؟ فقلت : نعل وعلى شراكها مكتوبٌ كتاب ؛ فقال : يا حبيب ، اقرأ ما عليها ؛ فقرأته فإذا هو :

نعلٌ بعثتُ بها ليلبسها قرمٌ بها يمشي إلى المجد
لو كان يصلح أن أشرّكها خدي جعلتُ شراكها خدي

فقال حاجبه عَوْنٌ : أحملها معنا فحملها ، فلما دخل على الأمين قال له : يا عبّاسي ، ما هذه النعل ؟ فقال : أهداها إليّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين ، وكان أمير المؤمنين أولى بلبسها لما وُصف به لابنِها ؛ فقال : وما هما ؟ فقرأهما ؛ فقال : أجاد والله ! وما سبقه إلى هذا المعنى أحد ، هبوا له عشرة آلاف درهم . فأخرجتُ وافته في بَدْرَةِ وهو راكب على حماره ، فقبضها وأنصرف .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثنا إسماعيل بن عبد الله الكوفيّ قال حدثنا عمرو بن صاحب الطعام وكان جازاً أبي العتاهية قال :

كان أبو العتاهية من أقلّ الناس معرفةً ، سمعتُ بشرّاً المريسيّ يقول له :

(١) القرم (بالفتح) : السيد أو العظيم ، سمي بذلك لتشبيهه بالفعل من الإبل . وروى « لتلبسها قدم بها تمشي » .

(٢) أشرّكها : أجعل لها شراكاً ، والشراك : سير النعل على ظهر القدم .

يا أبا إسحاق ، لا تُصَلِّ خَلْفَ فُلَانٍ جَارِكَ وإمامٍ مُسَجِّدٍكُمْ فَإِنَّهُ مُشَبَّهٌ ؛ قال :
كَلَا ! إِنَّهُ قَرَأَ بِنَا الْبَارِحَةَ فِي الصَّلَاةِ : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » ؛ وَإِذَا هُوَ يَظُنُّ أَنَّ
الْمُشَبَّهَ لَا يَقْرَأُ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْهَاشِمِيُّ
قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو شَيْخٍ مَنْصُورُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

كَتَبَ بَكْرُ بْنُ الْمُغْتَمِرِ إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يَشْكُو إِلَيْهِ ضَيْقَ الْقَيْدِ وَغَمَّ الْحَبْسِ ،
فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

هِيَ الْإِيَّامُ وَالْعَبْرُ وَأَمْرُ اللَّهِ يُنْتَظَرُ
أَتَيْتَ أَنْ تَرَى فَرْجًا فَأَيْنَ اللَّهُ وَالْقَدَرُ

ذمه الخيلاء :

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ
نَاصِحٍ قَالَ :

كَنتُ أَمْشِي مَعَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يَدُهُ فِي يَدِي وَهُوَ مَتَكِي ؛ عَلِيٌّ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ
يَذْهَبُونَ وَيَجِيئُونَ ، فَقَالَ : أَمَا تَرَأَوْنَ هَذَا يَتِيهِ هَذَا يَتَكَلَّمُ ، وَهَذَا يَتَكَلَّمُ بِصَلْفٍ ؟ !
ثُمَّ قَالَ لِي : مَرَّ بَعْضُ أَوْلَادِ الْمُهَلَّبِ بِمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ وَهُوَ يَخْطُرُ فَقَالَ : يَا بَنِي ،
لَوْ خَفَضْتَ بَعْضَ هَذِهِ الْخِيَلَاءِ أَلَمْ يَكُنْ أَحْسَنَ بِكَ مِنْ هَذِهِ الشُّهُرَةِ الَّتِي قَدْ
شَهَرْتَ بِهَا نَفْسَكَ ؟ ! فَقَالَ لَهُ الْفَتَى : أَوْ مَا تَعْرِفُ مَنْ أَنَا ! فَقَالَ لَهُ : بَلَى ! وَاللَّهِ

(١) المشبه : الذي يرى رأي المشبهة وهم فرقة من الشيعة يقولون : إن معبودهم صورة ذات
أعضاء وأعضاء إما روحانية وإما جسدية ، ويجوز عليه الانتقال والترحال والصعود والاستقرار
والتمكن ؛ وقد حكى أن جماعة منهم أجازوا على ربه الملامة والمصافحة وأن الخالصين من المسلمين
يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض .

أعرفك معرفة جيدة، أولئك نطفة مذرة^(١)، وآخرك جيفة قذرة^(٢)، وأنت بين ذينك حامِل عذرة^(٣)؛ قال: فأرخص الفتى أذنيه وكف عما كان يفعل وطأاً رأسه ومشي مسترسلاً. ثم أنشدني أبو العتاهية:

أيا واهاً لذكر الله يا واهاً له واهاً
لقد طيب ذكرُ الله بالتسبيح أفواهها
فيا أنتَ من حشرٍ على حشرٍ إذا تاهها
أرى قوماً يتيهون حشوشاً رزقوا جاهها

حدثني الزبيدي عن عمه إسماعيل بن محمد بن أبي محمد قال:

قلت لأبي العتاهية وقد جاءنا: يا أبا إسحاق، شعرك كله حسن عجيب، ولقد مرت بي منذ أيام أبيات لك أستحسنتها جداً، وذلك أنها مقالوبة أيضاً، فأواخرها كأنها رأسها، لو كتبها الإنسان إلى صديق له كتاباً والله لقد كان حسناً أرفع ما يكون شعراً. قال: وما هي؟ قلت:

المراء في تأخير مدته كالثوب يخلق بعد جدته
وحياؤه نفس يُعدّ له ووفاته استكمال عدته
ومصيره من بعد مدته لبلى وذا من بعد وحدته
من مات مال ذوو مودته عنه وحالوا عن مودته
أزف الرحيل ونحن في لعب ما نستعد له بعدته
ولقلنا تبي الخطوب على أشمر الشباب وحر وقده

(١) مذرة: قذرة.

(٢) الحشر (بتثنية أوله): النخل المجتمعة، ويكنى به عن بيت الخلاء لما كان من عادتهم التفوط في البساتين، والجمع: حشوش. وفي ديوان أبي العتاهية: «... من زبل على زبل...».

(٣) في الديوان: «بها».

(٤) في ديوانه ص ٥٦ طبع بيروت هكذا: «بلياً».

عَجَبًا لِمَنْتِهِ يُضَيِّعُ مَا يَحْتَاجُ فِيهِ لِيَوْمَ رَقْدَتِهِ

قال اليزيدي : قال عمي وحدثني الحسين بن الضحَّاك قال :

كنت مع أبي نواس فأنشدني أبياته التي يقول فيها :

يا بني النقص والغَيْرُ وبني الضعف والحَوَرُ

فلما فرغ منها قال لي : يا أبا علي ، والله لكانها من كلام صاحبك (يعني أبا العتاهية) .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني حُذَيْفَةُ بن محمد الطائي قال حدثني أبو دُلْف القاسم بن عيسى العجلي قال :

حَجَجْتُ فَرَأَيْتُ أبا العتاهية واقفاً على أعرابي في ظلِّ مِيلٍ^(١) وعليه شَمْلَةٌ^(٢) إذا غطى بها رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطى رجله بدا رأسه ؛ فقال له أبو العتاهية : كيف أخبرت هذا البلدَ القفرَ على البلدان الخصبة ؟ فقال له : يا هذا ، لولا أن الله أقنع بعضَ العبادَ بشرَ البلاد ، ما وسع خيرُ البلادِ جميعَ العباد ؛ فقال له : فمن أين معاشُكم ؟ فقال : منكم معشرُ الحاجِّ : تمرُّون بنا فننال من فضولكم ، وتَنصَرِفون فيكون ذلك ؛ فقال له : إنما تمرُّ وتَنصَرِف في وقت من السنة ، فمن أين معاشُكم ؟ فأطرق الأعرابي ثم قال : لا والله لا أدري ما أقول إلا أنا نُزِق من حيث لا نَحْتَسِبُ أكثرَ مما نُزِق من حيث نَحْتَسِبُ ؛ فولى أبو العتاهية وهو يقول :

أَلَا يَا طَالِبَ الدُّنْيَا دَعِ الدُّنْيَا لِشَانِهَا

وَمَا تَصْنَعُ بِالْدُّنْيَا وَظِلُّ الْمِيلِ يَكْفِيكَ

(١) الميل : منار بين المسافرين في أنشاز الارض وأشرفها .

(٢) الشملة : كساء يخلل دون القطيفة .

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال :

لما قال أبو العتاهية :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعتاق الرجال

فقال سلم : ويلي على ابن الفاعلة ! كثر البدور ويزعم أنني حريص وأنا في ثوبي هذين .

أخبرني محمد بن مزيد والحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمرو بن أذجع قال : قلت لعبد الله بن عبد العزيز العمري وسمعتة يتمثل كثيراً من شعر أبي العتاهية : أشهد أنني سمعته يُنشد لنفسه :

مرت اليوم شاطره بضة الجسم ساحره
إن دنيا هي التي مرّت اليوم سافره
سرقوا نصف إسمها فهي دنيا وآخرة

فقال عبد الله بن عبد العزيز : وكله الله إلى آخرتها . قال : وما سمع بعد ذلك بيت يتمثل به من شعره .

قال علي بن الحسين مؤلف هذا الكتاب : هذه الأبيات لأبي عينة المهلب ، وكان يُشَبِّدُ بدنياه في شعره ، فإما أن يكون الخبر غلطاً وإما أن يكون الرجل أنشدها العمري لأبي العتاهية وهو لا يعلم أنها ليست له .

مقارنة :

أخبرني هاشم بن محمد الحراعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل قال :

قال الحرّ مازي : شهدت أبا العتاهية وأبا نواس في مجلس ، وكان أبو العتاهية

أسرعَ الرجلين جواباً عند البديهة ، وكان أبو نواس أسرعهما في قول الشعر ؛ فإذا تعاطيا جميعا السرعة فضله أبو العتاهية ، وإذا توقفا وتماهلا فضله أبو نواس .

أخبرني أحمد بن العباس بن عليل العنزي قال حدثنا أبو أنس كثير بن محمد الخزامي قال حدثني الزبير بن معروف العاملي قال :

قال أبو العتاهية: كنتُ مُنقطعاً إلى صالح المسكين ، وهو ابنُ أبي جعفر المنصور ، فأصبْتُ في ناحيته مائة ألف درهم ، وكان لي ودوداً وصديقاً ، فجنَّته يوماً ، وكان لي في مجلسه مرتبةٌ لا يجلس فيها غيري ، فنظرتُ إليه قد قصر بي عنها ، وعاودته ثانية فكانت حاله تلك ، ورأيت نظره إليّ ثقيلًا ، فنهضت وقلت :

أراني صالحٌ بُغضاً فأظهرتُ له بُغضاً
ولا والله لا ينقض إلا زِدته نقضاً
وإلا زِدته مَقْتاً وإلا زِدته رَفَضاً
ألا يا مُفسِدَ الودِّ وقد كان له مُحضاً
تَغَضَّبَ من الريح فما أطلب أن تَرْضَى
لئن كان لك المالُ المُصمَّى إن لي عَرْضاً

قال أبو العتاهية : فنبى الكلامُ الى صالح فنادى بالعداوة؛ فقلت فيه :

مَدَدْتُ لِمُعْرِضٍ جَبلاً طويلاً كأطول ما يكون من الجبال
جبالٌ بالصرعة ليس تَفْنَى موصلةٌ على عدد الرمال
فلا تنظر إليّ ولا تُردني ولا تُقرب جبالك من جبالي
فليت الرِّدَمُ من ياجوج بيني وبينك مُشَبَّهاً أخرى الليالي

فَكَرَّشَ^١ إِنْ أَرَدْتَ لَنَا كَلَامًا ۖ وَنَقْطَعُ رِجْفًا ۖ وَأَسْكُ بِالْقَدَالِ ۖ

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ التَّوْفَلِيُّ قَالَ قَالَ
 مُسَاوِرُ السَّبَاقِ . وَأَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ عَنْ مُسَاوِرِ
 السَّبَاقِ قَالَ :

شهدت جنازة في أيام الحاج وقت خروج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن المقتول بفخ، فوأت رجلًا قد حضر الجنازة معنا وقد قال لآخر: هذا الرجل الذي صَفَّته كذا وكذا أبو العتاهية! فالتفت إليه فقلت له: أنت أبو العتاهية؟ فقال: لا، أنا أبو إسحاق؛ فقلت له: أنشدني شيئًا من شعرك، فقال لي: ما أحملك! نحن على سفر وعلى شفير قبر، وفي أيام العشر، وبيلدكم هذا تستنشدني الشعر! ثم أدبر عني ثم عاد إلي فقال: وأخرى أريدُكها، لا والله ما رأيتُ في بني آدم قطُ اسمج منك وجهًا! .

قال التوفلي في خبره : وصدق أبو العتاهية، كان مُساور هذا مُقْبَحاً طويلاً الوجه كأنه ينظر في سيف .

عتاب حاجب :

أَخْبَرَنِي عَمِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَجَبْطَةَ قَالَ حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ :
قَدِمَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَوْمًا مَنَزَلَ يَحْيَى بْنَ خَاقَانَ ، فَلَمَّا قَامَ بَادِرَ لَهُ الْحَاجِبُ فَاَنْصَرَفَ ،

(۱) کروش الرجل : قطب وجهه .

(٢) القحف: العظم فوق الدماغ، انفلق من الجمجمة فبان .

(٣) الغزال: جماع مؤخر الرأس ما بين ثقبه القفا الى الأذن، ويري: « بالقتال ».

(٤) فخ : واد بمكة . وهو فيما قيل : وادي الزاهر .

وأناه يوماً آخرَ فصادفه حين نزل فسلم عليه ودخل الى منزله ولم يأذن له، فأخذ
قرطاساً وكتب إليه :

أراك تُراعُ حين ترى خيالي فما هذا يرُوعك من خيالي
لعلك خائفٌ مني سؤالي ألا فلك الأمانُ من السؤالِ
كفيتك إن حالك لم تمل بي لأطلبَ مثلها بدلاً بحالي
وإن السرَّ مثلُ العسرِ عندي بأيها مُنيتُ فلا أبالي

فلما قرأ الرقعةَ أمرَ الحاجبَ بإدخاله إليه، فطلبه فأبى أن يرجع معه ولم يلتقيها
بعد ذلك .

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا
الدائني قال :

اجتمع أبو نواس وأبو الشمقم في بيت ابن أذين، وكان بين أبي العتاهية
وبين أبي الشمقم سرٌّ خفيته من أبي العتاهية في بيت، ودخل أبو العتاهية فنظر
إلى غلام عندهم فيه تأنيثٌ فظن أنه جارية، فقال لابن أذين : متى أستظرفت
هذه الجارية ؟ فقال : قريباً يا أبا إسحاق، فقال : قل فيها ما حضر، فدأ أبو العتاهية
يده اليه وقال :

مددتُ كَفِّي نحوكم سائلاً ماذا تردّون على السائلِ

فلم يلبث أبو الشمقم حتى ناداه من البيت :

زُودَ في كَفِّكَ ذا قَيْشَةٍ كَسَفَى جَوَى في أَسْتِكَ من داخلِ

فقال أبو العتاهية : شقمق والله ! وقام مغضباً .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمارة قال حدثنا علي بن محمد التوفلي قال
حدثني سليمان بن عباد قال حدثنا سليمان بن مناذر قال :

كنّا عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضر في وسط المجلس؛ فقال أبو العتاهية
لجعفر : جعلني الله فداك، معكم شاعرٌ يُعرفُ بأبن أبي أمية أحبّ أن أسمعهُ يُنشد؛
فقال له جعفر : هو أقربُ الناس منك؛ فأقبل أبو العتاهية على محمد، وكان إلى
جانبه، وسأله أن يُنشدَه فكأنه حَصِرَ ثم أنشده :

صوت

رُبّ وعدٍ منك لا أنساه لي أوجبَ الشكرَ وإن لم تفعل
أقطعُ الدهرَ بوعدٍ حسنٍ وأجلي غمرةً ما تنجلي
كلّما أملتُ وعداً صالحاً عرض المكرهه دون الأمل
وأرى الأيَّامَ لا تُدني الذي أرّجى منك وتُدني اجلي

- في هذه الأبيات لأبي حَبَشَة رَمَلٌ - قال : فأقبل أبو العتاهية يُردّد البيت
الأخير ويُقيّل رأسَ ابن أبي أمية وَيَكِي، وقال : وَدِدْتُ والله أنه لي بكثير
من شعري .

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال :

كانت لأبي العتاهية بنتان، اسم إحداهما « الله »، والأخرى « بالله »؛ فخطب
منصور بن المهدي « الله » فلم يُزوجهُ، وقال : إنما طلبها لأنها بنتُ أبي العتاهية،
وكانت بها قد مَلَّها فلم يكن لي إلى الانتصافِ منه سبيلٌ، وما كنت لأزوجهَا
إلا بائعَ خَزَفٍ وجرارٍ، ولكنني اختاره لها مُوسراً .

ابنه شاعر :

وكان لأبي العتاهية ابنٌ يُقالُ له محمد وكان شاعراً، وهو القائل :

قد أفلح السالمُ الصَّوتُ كلامُ راعي الكلامِ قوتُ
ما كلُّ نطقٍ له جوابٌ جواب ما يُكره السكوتُ
يا عجباً لأمرى ظلومٍ مُستيقنٍ أنه يموتُ

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى : حدثنا زكريا بن الحسين عن
عبد الله بن الحسن بن سهل الكاتب قال :

قلت لأبي العتاهية : أنشدني من شعرك ما تستحسن فأنشدني :

ما أسرع الأيام في الشهر وأسرع الأشهر في العمر

صوت

ليس لمن ليست له حيلةٌ موجودةٌ خيرٌ من الصبرِ
فأخطُ مع الدهر إذا ما خطا وأجر مع الدهر كما يجري
من سابق الدهر كبا كبوةٌ لم يستقلها آخر الدهرِ

لإبراهيم في هذه الأبيات خفيفٌ ثقيلٌ وثقيلٌ أولٌ .

قال عبد الله بن الحسن : وصفت أبا العتاهية يحدث قال : ما زال الفضل بن
الربيع من أميل الناس إليّ، فلما رجع من خراسان بعد موت الرشيد دخلت
إليه، فاستنشدني فأنشدته :

أفنيته عمرك إداراً وإقبالاً تبغي البنين وتبغي الأهل والمالاً

الموت هَوْلٌ فكن ما شئت ملتصقاً من هَوْلِهِ حيلةٌ إن كنت محتالاً
ألم ترَ الملكَ الأميَّ حين مضى هل نال حيٌّ من الدنيا كما نالاً
أفناه من لم يزل يُفني القرونَ فقد أضحي وأصبح عنه الملكُ قد زالاً
كم من ملوكٍ مضى ريبُ الزمان بهم فأصبحوا عبراً فينا وأمثالاً

فأستحسنها وقال : أنت تعرف شغلي ، فعد إلي في وقت فراغي أقعد معك
وآنس بك ؛ فلم أزل أراقب أيامه حتى كان يوم فراغه فصرت إليه ، فبينما هو
مقبِلٌ عليّ يستنشدني ويسألني فأحدثته إذ أنشدته :

ولّى الشبابُ فما له من حيلةٍ وكسا ذؤابتِي المشيبُ رخماراً
أين البرامكةُ الذين عهدتهم بالأمس أعظم أهلها أخطاراً

فلما سمع ذكرى البرامكة تغير لونه ورأيت الكراهية في وجهه فما رأيت منه
خيراً بعد ذلك .

قال : وكان أبو العتاهية يُحدث هذا الحديث ابن الحسن بن سهل ؛ فقال له :
لئن كان ذلك ضرك عند الفضل بن الربيع لقد نفعتك عندنا ، فأمر له بعشرة آلاف
درهم وعشرة أثواب وأجرى له كل شهر ثلاثة آلاف درهم ، فلم يزل يقبلها دارة
إلى أن مات .

قال عبد الله بن الحسن بن سهل ، وسمعت عمرو بن مسعدة يقول : قال لي أخي
مجاشع : بينا أنا في بيتي إذ جاءني رُعةٌ من أبي العتاهية فيها :
خليلٌ لي أكاتمهُ أراني لا الأئمّة
خليلٌ لا تهبّ الريحُ إلا هبّ لائمه
كذا من نال سلطاناً ومن كثرت دراهمه

قال : فبعثتُ إليه فأتاني فقلت له : أما رَعَيْتَ حقاً ولا ذِمّاماً ولا مودّة ! فقال
لي : ما قلت سوءاً ؛ قلت : فما حملك على هذا ؟ قال : أغيبُ عنك عشرة أيام
فلا تسأل عني ولا تبعثُ إليّ رسولاً فقلت : يا أبا إسحاق ، أنسيت قولك :

يَأْبَى الْمَلْعَقُ بِالْمُنَى إِلَّا رَوَاحًا وَأَدْلَاجًا
أَرْفُقُ فُصْرَكَ عُودُ ذِي أَوْ دِرَافَتُ بِهِ أَعُوجَاجًا
مَنْ عَاجَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ أَصَابَ لَهُ مَعَايَا

فقال : حَسْبُكَ ! حَسْبُكَ ! أَوْ سَعَتْنِي عَذْرَا .

بينه وبين ابن منذر :

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي الزارع قال قال حدثنا الحسن بن علي
الغزي قال حدثني محمد بن عمران بن عبد الصمد الزارع قال حدثنا ابن عائشة
قال :

قال ابو العتاهية لابن منذر : شعرك مُهَجَّنٌ لَا يَلْحَقُ بِالْفُحُولِ وَأَنْتَ خَارِجٌ
عَنْ طَبَقَةِ الْمُحَدِّثِينَ، فَإِنْ كُنْتَ تَشَبَّهْتَ بِالْعَجَّاجِ وَرُؤْيَا فَمَا لِحَقَّتْهَا وَلَا أَنْتَ
فِي طَرِيقِهَا، وَإِنْ كُنْتَ تَذْهَبُ مَذْهَبَ الْمُحَدِّثِينَ فَمَا صَنَعْتَ شَيْئًا؛ أَخْبَرَنِي عَنْ
قَوْلِكَ :
وَمَنْ عَادَاكَ لَاقَى الْمَرْمِيسَ

أَخْبَرَنِي عَنْ الْمَرْمِيسِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : فَجَلَّ ابْنُ مُنَازِرٍ وَمَا رَاجَعَهُ حَرْفًا . قَالَ :
وَكَانَ بَيْنَهُمَا تَنَافُرٌ .

(١) في شرح القاموس مادة «نذر» ما نصه : «وابن منذر بالفتح ممنوع من الصرف ويضم
فيصرف قال الجوهري : هو محمد بن منذر شاعر بصري فن فتح الميم منه لم يصره ويقول إنه جمع
منذر لانه محمد بن المنذر بن المنذر ومن ضمه صرفه» اهـ . وقد ورد في معجم البلدان
لياقوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينة ليدن) ما يؤكد أنه بالضم لا غير قال : «ذكر المبرد أن محمد
ابن منذر الشاعر كان إذا قيل ابن منذر بفتح الميم يفض ويقل : أمانذر الكبرى أم منذر الصغرى
وهما كورتان من كور الأهواز، إنما هو منذر على وزن مفاعل من نذر ينذر فهو منذر مثل ضارب
فهو مضارب» وقد ورد في المشته في أسماء الرجال للذهبي (ص ٤٥٧ طبع مدينة ليدن) بالضم أيضاً .

(٢) المرميس : الداهية .

(٣) التناغر : التناكر .

نسختُ من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثني الحسين بن إسماعيل المهدي قال حدثني رجاء بن سلمة قال :

وجد المأمونُ عليّ في شيء ، فاستأذنته في الحج فأذن لي ، فقدمتُ البصرة وعبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشمي عليها واليه أمرُ الحج ، فزاملته إلى مكة ، فبينما نحن في الطواف رأيت أبا العتاهية ؛ فقلت لعبيد الله : جِعلتُ فداك ! أأتحب أن ترى أبا العتاهية ؟ فقال : والله إني لأحب أن أراه وأعاشره ؛ قلت : فأفرغ من طوافك وأخرج ، ففعل . فأخذت بيد أبي العتاهية فقلت له : يا أبا إسحاق ، هل لك في رجله من أهل البصرة شاعر أديب ظريف ، قال : وكيف لي ذلك ! فأخذت بيده فجئت به إلى عبيد الله ، وكان لا يعرفه ، فتحدثنا ساعة ، ثم قال له أبو العتاهية : هل لك في بيتين يُجيزهما ؟ فقال له عبيد الله : إنه لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ؛ فقال له : لا زُفْتُ ولا نفُسْتُ ولا نجادل ؛ فقال : هاتِ إذا ؛ فقال أبو العتاهية :

إنَّ المَنونَ غدوَّها وروَّاحها في الناس دائبةٌ تُجِيلُ قَدَاحها
يا ساكنَ الدنيا لقد أوْطنتها ولتُزْحِنَ وإن كُوهتَ زَراحها

فأطرق عبيد الله ينظر الأرض ساعة ، ثم رفع رأسه فقال :

خُذْ لا أبا لك للمنيَّةِ عُدَّةً وأَحْتَلْ لِنَفْسِكَ إن أردتَ صلاحها
لا تَغْتَرَّرْ فكأنني بعقاب ريبِ الموت قد نشرتُ عليك جَنَاحها

قال : ثم سمعت الناس ينعاون أبا العتاهية هذه الأربعة الأبيات كلها ، وليس له إلا البيتان الأولان .

قصته في السجن مع داعية عيسى بن زيد :

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثني إبراهيم ابن رباح قال أخبرني إبراهيم بن عبد الله . وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا

هارون بن مُخارق قال حدثني إبراهيم بن دسكوة ، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمارة قال حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال :

قال أبو العتاهية : حبسني الرشيد لما تركت قول الشعر ، فأدخلت السجن وأغلق الباب علي ، فدهشت كما يدهش مثلي لتلك الحال ، وإذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مُقَيَّد ، فجعلت أنظر إليه ساعة ، ثم تمثّل :

صوت

تعوّدتُ مرَّ الصبر حتى ألفتُهُ وأسلفني حسنُ الغراء إلى الصبر
وصيرني يأسِي من الناس راجياً لحسن صنيع الله من حيث لا أدري

فقلت له : أَعِدْ ، يرحمك الله ، هذين البيتين ؛ فقال لي : ويلك أبا العتاهية ! ما أسوأ أدبك وأقل عقلك ! دخلت علي الحبس فاسألت تسليم المسلم على المسلم ، ولا سألت مسألة الحر للحر ، ولا توجعت توجع المبتل للمبتلى ، حتى إذا سمعت بيتين من الشعر - الذي لا فضل فيك غيره - لم تصبر عن استعادتهما . ولم تُقدِّم قبل مسألتك عنهما عذراً لنفسك في طلبهما ! فقلت : يا أخي إني دهشت لهذه الحال ، فلا تعذّرني وأعذّرني مُتَفَضِّلاً بذلك ؛ فقال : أنا والله أولى بالدهش والخيبة منك ، لأنك حبست في أن تقول شعراً به أرتفعت وبلغت ، فإذا قلت أمنت ، وأنا مأخوذ بأن أدلّ على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل أو أقتل دونه ، والله لا أدلّ عليه أبداً ، والساعة يُدعى بي فأقتل ، فأينا أحق بالدهش ؟ فقلت له : أنت والله أولى ، سلّمك الله وكفأك ، ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك ؛ قال : فلا نبخل عليك إذا ، ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما . قال : فسأله من هو ؟ فقال : أنا خاص داعية عيسى بن زيد وأبنيه أحمد ؛ ولم

(١) في وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ١٠٢) : «أمر المهدي بحسي ...» .

(٢) في وفيات الأعيان : «حاضر» .

نَلَبَثَ أَنْ يَسْمَعَهُ صَوْتَ الْأَقْفَالِ ، فَقَامَ فَسَكَبَ عَلَيْهِ مَاءً كَانَ عِنْدَهُ فِي جَرَّةٍ ،
وَلَبَسَ ثَوْبًا نَظِيفًا كَانَ عِنْدَهُ ، وَدَخَلَ الْحَرَسُ وَالْجُنْدُ مَعَهُمُ الشَّعْخُ فَأَخْرَجُونَا جَمِيعًا ،
وَقَدِمَ قَبْلِي إِلَى الرَّشِيدِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عِيْسَى ؛ فَقَالَ : لَا تَسْأَلْنِي عَنْهُ وَأَصْنَعْ
مَا أَنْتَ صَانِعٌ ، فَلَوْ أَنَّهُ تَحْتَ ثَوْبِي هَذَا مَا كَشَفْتُهُ عَنْهُ ؛ وَأَمْرٌ بِضَرْبِ عُنُقِهِ
فَضْرِبْ ؛ ثُمَّ قَالَ لِي : أَظُنُّكَ قَدْ أَرْتَعْتَ يَا إِسْمَاعِيلُ ؛ فَقُلْتُ : دُونَ مَا رَأَيْتَهُ تَسْمِيلُ
مِنْهُ النَّفُوسُ ؛ فَقَالَ : رُدُّوهُ إِلَى مَحْبَسِهِ فَرُدِّدْتُ ، وَأَنْتَحَلْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ
وَزِدْتُ فِيهِمَا :

إِذَا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ كُلِّ مَا تَكَرَّهْتُ مِنْهُ طَالَ عَتَبِي عَلَى الدَّهْرِ

لِرُزْزُورٍ غَلَامٍ الْمَارِقِيِّ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ خَفِيفٌ رَمَلٌ . وَفِيهِمَا لَعَرِيبٌ
خَفِيفٌ ثَقِيلٌ .

كَانَ خَلْفًا فِي شَعْرِهِ لَهُ مِنْهُ الْجِيدُ وَالرَّدِيُّ :

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ هَارُونَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْدِي قَالَ
حَدَّثَنِي نَاجِيَةُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ قَالَ :

قَالَ لِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْخَزَائِمِيُّ :

كَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ خَلْفًا فِي الشَّعْرِ ، بَيْنَمَا هُوَ يَقُولُ فِي مُوسَى الْهَادِي :

لَهْنِي عَلَى الزَّمَنِ الْقَصِيرِ بَيْنَ الْخَوَرَنْقِ وَالسَّدِيرِ

إِذَا قَالَ :

أَيَا ذَوِي الْوَخَامَةِ أَكْثَرْتُمُ الْمَلَامَةَ

فَلَيْسَ لِي عَلَى ذَا صَبْرٌ وَلَا قُلَامَةَ (١)

نَعَمْ عَشِيقْتُ مُوَقَّا هَلْ قَامَتِ الْقِيَامَةُ (٢)

لَأَرْكَبَنَّ فِيمَنْ هَوَيْتُهُ الصَّرَامَةَ (٣)

ونسخت من كتابه : حدثني علي بن مهدي قال حدثني أحمد بن عيسى قال
حدثني الجواز قال :

قال سلم الخاسر : صار إلي أبو العتاهية فقال : جئتكَ زائراً ؛ فقلت : مقبول
منك ومشكور أنت عليه ، فأقم ؛ فقال : إن هذا مما يشتد علي ؛ قلت : ولم
يشتد عليك ما يسهل على أهل الأدب ! فقال : لمعرفتي بضيق صدرك ؛ فقلت له
وانا أضحك وأعجب من مكابرتي : « رممتني بدائها وأنسأت » ؛ فقال : دعني من
هذا وأسمع مني أبياتاً ؛ فقلت : هات ، فأنشدني :

نقص الموت كل لذة عيشه يا لقومي للموت ما أوحاه^١
عجباً أنه إذا مات مَيِّتٌ صدَّ عنه حبيبُه وجفاهُ
حيثما وجهُ أمروءٍ ليفوتَ السموتَ فآلموتُ واقفٌ بجذاهُ
إنما الشَّيبُ لابن آدم ناعٍ قام في عارضيه ثم نعاهُ
من نَمَى المني فأغرق فيها مات من قبل أن ينال منهاهُ
ما أذلَّ المقلَّ في أعين الناس لا قلاله وما أقواه^٢
إنما تنظر العيون من الناس إلى من ترجوه أو تحشاهُ

ثم قال لي : كيف رأيتهَا ؟ فقلت له : لقد جودتها لو لم تكن ألفاظها سوقية ؛
فقال : والله ما يُرغِبني فيها إلا الذي زهدك فيها :

في متكبر :

ونسخت من كتابه عن علي بن مهدي قال حدثني عبد الله بن عطية عن محمد
أبن عيسى الحرابي قال :

(١) يريد كتاب هارون بن علي .

(٢) هذا مثل يضرب لمن يمتدح آخر بعيب هو فيه .

(٣) ما أوحاه : ما أسرعه .

(٤) ما أقواه : ما أذله .

كنت جالساً مع أبي العتاهية ، إذ مرّ بنا حميد الطوسي في موكبه وبين يديه الفرسان والرجالة ، وكان يقرب أبي العتاهية سوادي^(١) على أتان ، فضربوا وجه الأتان ونحوه عن الطريق ، وحميد واضع طرفه على معرفة فرسه والناس ينظرون إليه يعجبون منه وهو لا يلتفت إليها ؛ فقال أبو العتاهية :

لموت أبناء جهم ما شئت من صلفٍ وتيه
وكأني بالموت قد دارت رحاه على بني

قال : فلما جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية :

ما أذلّ المقلّ في أعين الناس لا قلاله وما أقماه
إنما تنظر العيون من الناس إلى من ترجوه أو تحشاه

قال علي بن مهدي وحدثني الحسين بن أبي السري قال .

قيل لأبي العتاهية : ما لك تبخل بما رزقك الله ؟ قال : والله ما بخلتُ بما رزقني الله قط . قيل له : وكيف ذاك وفي بيتك من المال ما لا يحصى ! قال : ليس ذلك رزقي ، ولو كان رزقي لأنفقته .

عتاب واسترضاء :

قال علي بن مهدي وحدثني محمد بن جعفر الشهرزوري قال حدثني رجاء مولى صالح الشهرزوري قال :

كان أبو العتاهية صديقاً لصالح الشهرزوري وأنس الناس به ، فسأله أن يكلم الفضل بن يحيى في حاجة له ؛ فقال له صالح : لست أكلّمه في أشباه هذا ، ولكن تخملي ما شئت في مالي ، فأنصرف عنه أبو العتاهية وأقام أياماً لا يأتيه ؛ فكتب إليه أبو العتاهية :

(١) السوادي : القروي ، من سواد البلدة وهو ما حولها من القرى ، أو هو الرجل من عامة الناس .

أَقْلِلْ زِيَارَتَكَ الصَّدِيقَ وَلَا تُطِلْ إِيَّانَهُ فَتَلَجَّ فِي هِجْرَانِهِ
 إِنَّ الصَّدِيقَ يَلْجُ فِي غَشِيَانِهِ لَصَدِيقِهِ فَيَمْلَ مِنْ غَشِيَانِهِ
 حَتَّى تَرَاهُ بَعْدَ طَوْلِ مَسْرُورَةٍ بِمَكَانِهِ مُتَبَرِّمًا بِمَكَانِهِ
 وَأَقْلَ مَا يُلْفَى الْفَتَى ثَقَلًا عَلَى إِخْوَانِهِ مَا كَفَّ عَنْ إِخْوَانِهِ
 وَإِذَا تَوَالَى عَنْ صِيَانَةِ نَفْسِهِ رَجُلٌ تُنْقِصُ وَأَسْتُخِفُّ بِشَانِهِ

فلما قرأ الأبيات قال : سبحان الله ! أتهجرني لمنعي إياك شيئاً تعلم أني ما أبتذلت
 نفسي له قط ، وتنسى مودتي وأخوتي ، ومن دون ما بيني وبينك ما أوجب
 عليك أن تعذرني ؟ ! فكتب إليه :

أَهْلَ التَّعَلُّقِ لَوْ يَدُومُ تَحَلُّقُ لَسَكَنْتُ ظِلَّ جَنَاحٍ مِنْ يَتَخَلَّقُ
 مَا النَّاسُ فِي الْإِمْسَاكِ إِلَّا وَاحِدُ فَبِأَيِّهِمْ إِنْ حَصَلُوا أَتَعَلَّقُ
 هَذَا زَمَانٌ قَدْ تَعَوَّدَ أَهْلُهُ رِيَّةَ الْمُلُوكِ وَفَعَلَ مِنْ يَتَصَدَّقُ

فلما أصبح صالحٌ غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى وحدثه بالحديث ؛ فقال له : لا
 والله ما على الأرض أبغض إليّ من إسداء عارفةٍ إلى أبي العتاهية ، لأنه ممن ليس
 يظهر عليه أثرُ صنيعه ، وقد قضيتُ حاجته لك ، فرجع وأرسلني إليه بقضاء
 حاجته ؛ فقال أبو العتاهية :

جَزَى اللَّهُ عَنِّي صَالِحًا بِوَفَائِهِ وَأَضْعَفَ أضعافاً لَهُ فِي جَزَائِهِ
 بَلَوْتُ رَجُلًا بَعْدَهُ فِي إِخَانِهِمْ فَمَا أَزْدَدْتُ إِلَّا رَغْبَةً فِي إِخَانِهِ
 صَدِيقٌ إِذَا مَا جِئْتُ أَبْغِيهِ حَاجَةً رَجَعْتُ بِمَا أَبْغِي وَوَجْهِي بِأَنَّهُ

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني أحمد بن حرب قال :

أنشدني محمد بن أبي العتاهية لأبيه يُعَاتِبُ صَالِحًا هَذَا فِي تَأْخِيرِهِ قِضَاءَ حَاجَتِهِ :

صوت

أعيني جوداً وأبكياً ودَّ صالحٍ وهيجاً عليه مغولاتِ النوائح
فما زال سلطاناً أخُ لي أودّه فيقطّني جرماً قطيعةً صالحٍ
الغناء في هذين البيتين لإبراهيم ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

التأديب بشعره :

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن
جده قال :

كان الرشيد معجباً بشعر أبي العتاهية ، فخرج إلينا يوماً وفي يده رُفعتان على
نسخة واحدة ، فبعث بإحدهما إلى مؤدّب لولده وقال : ليروهم ما فيها ، ودفع
الأخرى إليّ وقال : غنّ في هذه الأبيات ، ففتحتها فإذا فيها :

صوت

قل لمن ضنّ بوْدّه	وكوى القلب بصدّه
ما أبّتلَى الله فؤادي	بك إلا سُومَ جدّه
أيّها السارق عقلي	لا تَصْنَنَّ برْدّه
ما أرى حُبَّك إلّا	بالغأ لي فوق حدّه

أخبرني هاشم بن محمد الحزامي قال حدثني عبد الله بن محمد الأموي العُشبي
قال قال لي محمد بن عبد الملك الزيات :

(١) في نسخة : « جزماً » . وفي سائرهما : « حزمًا » . ويظهر أن كليهما عرف عما أثبتناه .

لما أحسن المعتصم بالموت قال لأبنة الوائق : ذهب والله أبوك يا هارون ! لله درّ
أبي العتاهية حيث يقول :

أَمُوتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مُشْتَرَكُ لا سُوقَةُ يَبْقَى وَلَا مَلِكُ
مَا ضَرَّ أَصْحَابَ الْقَلِيلِ وَمَا أَغْنَى عَنِ الْأَمْلاكِ مَا مَلَكَوا

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى وعمي الحسن والكوكبى قالوا حدثنا عبد الله
ابن أبي سعد قال :

قال لي أبو تمام الطائي : لأبي العتاهية خمسة أبيات ما شرکه فيها أحدٌ ، ولا
قدّر على مثلها مُتقدّم ولا متأخّر ، وهو قوله :

الناس في غفلاتهم ورَحَى الْمَنِيَّةِ تَطْحَنُ

وقوله لأحمد بن يوسف :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُرْجَى لَهُ الْغِنَى وَأَنَّ الْغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ

وقوله في موسى الهادي :

وَلَمَّا اسْتَقَلُّوا بِأَتْقَاهُمْ وَقَدْ أَرَمَعُوا لِلَّذِي أَرَمَعُوا
قَرَنْتُ الْتَفَاقِي بِأَنَارِهِمْ وَأَتْبَعْتُهُمْ مُقَلَّةً تَدْمَعُ

وقوله :

هَبِ الدُّنْيَا تَصِيرُ إِلَيْكَ عَفْوَاً أَلَيْسَ مُصِيرُ ذَلِكَ إِلَى زَوَالِ

عزّاه صديقا :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني محمد
ابن سعيد المَهْدِيّ عن يحيى بن سعيد الأنصاريّ قال :

مات شيخ لنا ببغداد ، فلما دفنناه أقبل الناس على أخيه يُعزُّونه ، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جَزَعٌ شديد ، فعزَّاه ثم أنشده :

لا تَأْمَنِ الدَّهْرَ وَالْبَسَ لِكُلِّ حِينَ لِبَاسًا
لَيَذِفَنَّ أَنْسُ كَمَا دَفَنَّا أَنْسَا

قال : فانصرف الناس ، وما حفظوا غير قول أبي العتاهية .

نسختُ من كتاب هارون بن علي : حدثني علي بن مهدي قال حدثني حبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه :

قال : كنت في مجلس 'خزيمه' ، فجرى حديث ما يُسْفِكُ من الدماء ، فقال : والله ما لنا عند الله عذرٌ ولا حجةٌ إلا رجاء عفوهِ ومغفرته ؛ ولولا عزَّ السلطان وكراهةُ الذلَّةِ ، وأن أصيرَ بعد الرياسة سُوقَةً وتلبعا بعد ما كنتُ متبوعاً ، ما كان في الأرض أزهْدُ ولا أعبَدُ مِنِّي ؛ فإذا هو بالخاجب قد دخل عليه برُقعة من أبي العتاهية فيها مكتوبٌ :

أراك أمراً ترجو من الله عَفْوَهَ وَأنتَ على ما لا يُحِبُّ مُقِيمُ
تَدُلُّ على التقوى وَأنتَ مُقَصِّرُ أَيَا مِنْ يُدَاوِي النَّاسَ وَهُوَ سَقِيمُ
وإنَّ أمراً لم يُلْهِهِ اليَوْمُ عن غَدٍ تَخَوُّفَ ما يَأْتِي به الحَكِيمُ
وإنَّ أمراً لم يجعلِ البرَّ كَنَزَهَ وإنَّ كانت الدنيا له لَعَدِيمُ

فغضب 'خزيمه' ، وقال : والله ما المعروفُ عند هذا المعتوه المُلْحَفِ من كنوز البرِّ فيرغبُ فيه حرٌّ ؛ ف قيل له : وكيف ذاك ؟ فقال : لأنَّه من الذين يكتزون الذهب والفضة ولا يُنْفِقونها في سبيل الله .

ونسختُ من كتابه : عن علي بن مهدي قال حدثني الحسين بن أبي السري قال قال لي الفضل بن العباس قال :

قال لي أبو العتاهية : دخلت على يزيد بن مزيد ، فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها :

وما ذاك إلا أنني واثق بما لديك وأني عالمٌ بوفائكا
كأنك في صدري اذا جئتُ زائراً تُقدِّر فيه حاجتي بأبتدائكا
وإنَّ أميرَ المؤمنين وغيره ليُعلم في الهيجاء فضلَ غنائكا
كأنك عند الكفر في الحرب إنما تفر من السلم الذي من ورائكا
فما آفةُ الأملاكِ غيرُك في الوغى ولا آفةُ الأموال غيرَ حبايك

قال : فأعطاني عشرة آلاف درهم ، ودابةً بسرّجها ورجلها .

الوعظ بشعره :

وأخبرني عيسى بن الحسين الوراق وعمي الحسن بن محمد وحبيب بن نصر المهلبّي قالوا : حدّثنا عمر بن شبة قال :

مرَّ عابدٌ براهبٍ في صومعة ؛ فقال له : عِظْني ؛ فقال : أعْظُك وعليكم
نزل القرآن ، ونبئكم محمد صلى الله عليه وسلّم قريبُ العهد بكم ! قلت نعم ؛
قال ؛ فأتعظ بيت من شعر شاعرٍ أي العتاهية حين يقول :

تجرّد من الدنيا فإنك إنما وقعت إلى الدنيا وأنت مُجرّد

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدّثنا العتري قال حدّثني الفضل بن محمد الزّارع قال حدّثني جعفر بن جميل قال :

قديم العتّابي الشاعر على المأمون ، فأترّله على إسحاق بن إبراهيم ، فأترّله على
كاتبه ثوابة بن يونس ، وكنا نختلف إليه نكتب عنه ، فجري ذات يوم ذكرُ
الشعراء ؛ فقال : لكم يا أهل العراق شاعر منوّه الكُنية ، ما فعل ؟ فذكر القوم أبا
نواس ؛ فانتهمهم ونفض يده وقال : ليس ذلك ، حتى طال الكلام ؛ فقلت :
لعلّك تريد أبا العتاهية ؛ فقال : نعم ، ذلك أشعرُ الأولين والآخرين في وقته .

أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزي قال حدثني محمد بن إسحاق عن علي بن عبد الله الكندي قال :

جلس أبو العتاهية يوماً يعذُّلُ أبا نواس ويأومه في استماع الغناء ومجالسته لأصحابه ؛ فقال له أبو نواس :

أُتراني يا عتاهي تاركاً تلك الملاحي
أُتراني مُفسِداً بالنسك عند القوم جاهي

قال : فوثبَ أبو العتاهية وقال : لا بارك الله عليك ! وجعل أبو نواس يضحك .

أخبرني جحظة قال حدثني بَقِيَّةُ الله بن إبراهيم بن المهدي قال :

بلغ أبا العتاهية أن أبي رماه في مجلسه بالزندقة وذكره بها ، فبعث إليه يعاتبه على لسان إسحاق الموصلي ، فأدَّى إليه إسحاق الرسالة ، فكتب إليه أبي :

إنَّ المنيَّةَ أمهلتك عتاهي والموتُ لا يسهو وقلبك ساهي
يا ويحَ ذي السنِّ الضعيفِ أَمَا لَهُ عن غِيهِ قبل الملت تناهي
وَكَلَّتْ بالدنيا تُبَكِّجُهَا وتَنُدُّهَا وأنت عن القيامة لاهي
والعيشُ حلوٌ والمنونُ مريرةٌ والدار دارُ تفاخر وتباهي
فأختر لنفسك دونها سُبلًا ولا تتَحَامَقَنَّ لها فإنك لاهي
لا يُعْجِبُنَّكَ أن يُقالَ مُقَوِّهٌ حَسَنُ البلاغةِ أو عريضُ الجاهِ
أصلح جهولاً من سريرتك التي تخلو بها وأرهَبُ مقام الله
إني رأيتك مظهرًا لزهادةٍ تحتاجُ منك لها إلى أشباهِ

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى الصولي قال حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال :

رَأَى الرَشِيدَ مَشْغُوفًا بِالْغَنَاءِ فِي شَعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

صوت

أَحْمَدُ قَالَ لِي وَلَمْ يَذَرِ مَا بِي أَتَحَبُّ الْعِدَاءَ عُشْبَةً حَقًّا
فَتَنَقَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حُبًّا جَرَى فِي الْعُرُوقِ عِرْقًا فَعِرْقًا
لَوْ تَجَسَّيْتَ يَا عَتِيَّةَ قَلْبِي لَوَجَدْتَ الْفَوَادَ قَرْحًا تَفَقَّأَ
قَدْ لَعِمَرِي مَلَّ الطَّيِّبُ وَمَلَّ الْأَهْلُ مِنِّي بِمَا أَقَاسِي وَأَلْقَى
لَيْتَنِي مُتُّ فَاسْتَرَحْتُ فَإِنِّي أَبَدًا مَا حَيَّيْتُ مِنْهَا مُلَمَّيًّا

ولاسيما من مُخَارِقٍ ، وكان يُغَنِّي فيه رَمَلًا لإبراهيم أخذه عنه . وفيه لحنٌ لفريدة
رَمَلٌ . هكذا قال الصولي : « فريدة » بالياء ، وغيره يقول : « فِرْدَة » بالنون .

حدثني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا محمد بن صالح العدوي
قال أخبرني أبو العتاهية قال :

كان الرشيد بما يُعِجِبُهُ غِنَاءُ الْمَلَّاحِينَ فِي الزَّلَّالَاتِ إِذَا رَكِبَهَا ، وَكَانَ يَتَأَذَى
بِفَسَادِ كَلَامِهِمْ وَلَحْنِهِمْ ، فَقَالَ : قُولُوا لِمَنْ مَعَنَا مِنَ الشُّعْرَاءِ يَعْتَلُوا لِهَؤُلَاءِ شَعْرًا يَغْنُتُونَ فِيهِ ؛
فَقِيلَ لَهُ : لَيْسَ أَحَدٌ أَقْدَرَ عَلَى هَذَا مِنْ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، وَهُوَ فِي الْحَبْسِ . قَالَ : فَوَجَّهَ
إِلَى الرَّشِيدِ : قُلْ شَعْرًا حَتَّى أَسْمَعَهُ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يَأْمُرْ بِإِطْلَاقِي ، فَعَاظَنِي ذَلِكَ ، فَقُلْتُ :
وَاللَّهِ لَا أَقُولُ شَعْرًا يُحْزِنُهُ وَلَا يُسِرُّ بِهِ ، فَعَمِلْتُ شَعْرًا وَدَفَعْتُهُ إِلَى مَنْ حَفَظَهُ الْمَلَّاحِينَ .
فَلَمَّا رَكِبَ الْحَرَّاقَةَ صَمِعَهُ ، وَهُوَ :

(١) الملقى : المعتن الذي لا يزال يلتقي مكروه .

(٢) لم يوجد هذا الاسم في كتب اللغة التي بين أيدينا بالمعنى المراد منه هنا . وظاهر أن المراد
به نوع من السفن .

(٣) الحرَّاقَة : ضرب من السفن الحربية الكبيرة فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر .
وكان منها أنواع تستعمل للفرجة والرياضة والتنقل عند الخلفاء والملوك والأمراء في أوَّل العصر العباسي
(مثل الذهبية عندنا) وهي المرادة هنا .

خانك الطرفُ الطُّمُوحُ أيتها القلبُ الجُمُوحُ
 لدواعي الخير والشرِّ دُنُوٌّ وتُزُوحُ
 هل لمطلوبٍ بذنبٍ توبةٌ منه نَصُوحُ
 كيف إصلاحُ قلوبٍ إنَّما هنَّ قُروحُ
 أحسن الله بنا أن الخطايا لا تَفُوحُ
 فإذا المستور منَّا بين ثَوْبَيْهِ فُضُوحُ
 كم رأينا من عزيزٍ طويت عنه الكُشُوحُ
 صاح منه برحيلٍ صائحُ الدهرِ الصَّدُوحُ
 موت بعض الناس في الأر ض على قومٍ فُتُوحُ
 سيصير المرء يوماً جسداً ما فيه رُوحُ
 بين عَيْنِي كلَّ حيٍّ علَّمُ الموت يَلُوحُ
 كلنا في غفلةٍ والسُّمُوتُ يغدو وَيَرُوحُ
 لبني الدنيا من الدنيا غُبُوقٌ وَصَبُوحُ
 رُحْنٌ في الوُشْيِ وأصبحنَ عليهنَّ المَسُوحُ
 كلَّ نَطَّاحٍ من الدهر له يومٌ نَطُوحُ
 نُحْ على نفسك يا مَسْكِينُ إن كنت تَنُوحُ
 لَتَمُوتَنَّ وإن عُمِرْتَ ما عُمِرَ نُوحُ

قال : فلما سمع ذلك الرشيد جعل ييكي وينتجب، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعاً في وقت الموعظة، وأشدَّهم عسفاً في وقت الغضب والغلظة . فلما رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه، أوماً الى الملاحين أن يسكتوا .

هجاء سجان :

حدثني الصولي قال حدثني الحسن بن جابر كاتب الحسين بن رجاء قال :

- (١) هذه رواية الديوان . وفي الأصول : نضوح « بالنون » .
 (٢) الغبوق : ما شرب أو أكل آخر النهار، ويقابله الصبوح وهو ما أكل أو شرب أول النهار .

لما حبس الرشيد أبا العتاهية دفعه الى منجابه فكان يعنف به ؛ فقال
أبو العتاهية :

ومنجابه مات بدائه فأعجل له بدوائه
إن الامام أعلمه ظلماً بحد شقائه
لا تعنفن سياقه ما كل ذلك برائه
ما شئت هذا في مخا يل بارقات سمائه

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العزري قال حدثني أحمد بن
معاوية القرشي قال :

لما عقد الرشيد ولاية العهد لبنيه الثلاثة : الأمين ، والمأمون ، والمعتز ، قال
أبو العتاهية :

رحلت عن الربع الحيل قعودي إلى ذي زحوف^(١) جثة و جنود
وراع يراعي الليل في حفظ أمة يدافع عنها الشر غير رقاد
بالوية جبريل يقدم أهلها ورايات نصر حوله وبنود
تجاني عن الدنيا وأيقن أنها مفارقة ليست بدار خلود
وشد عرى الإسلام منه بفتية ثلاثة أملاك ولأقر عهد
هم خير أولاد لهم خير والد له خير آباء مضت وجود
بنو المصطفى هارون حول سريره غير قيام حوله وقعود
تقلب الحاظ المهابة بينهم عيون طباء في قلوب أسود
جدودهم^(٢) شمس أتت في أهلة تبدت لراء في نجوم سعود

قال : فوصله الرشيد بصلة ما وصل مثلها شاعراً قط .

(١) يريد : « برأيه » .

(٢) الزحوف : جمع زحف وهو الجيش .

(٣) كذا في الديوان . وفي الأصول : « خدودهم » بالحاء .

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي إجازة قال حدثني الرّياشي قال :
 قديم رسول ملك الروم إلى الرشيد، فسأل عن أبي العتاهية وأنشده شيئاً من
 شعره، وكان يُحسن العربية، فضى إلى ملك الروم وذكره له، فكتب ملك الروم
 إليه، وردّ رسوله يسأل الرشيد أن يُوجه بأبي العتاهية ويأخذ فيه رهائن من
 أراد، وألحّ في ذلك؛ فكلّم الرشيد أبا العتاهية في ذلك فاستعنى منه وأباه .
 وأتصل بالرشيد أن ملك الروم أمر أن يُكتب بيتان من شعر أبي العتاهية على
 أبواب مجالسه وباب مدينته، وهما :

صوت

ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك
 إلا لنقل السلطان عن ملل قد أنقض ملكه إلى ملك

أخبرني عمي قال حدثنا عبيد الله بن أبي سعد قال حدثنا الربيع بن محمد
 الحنّلي الورّاق قال أخبرني ابن أبي العتاهية :

أن الرشيد لما أطلق أباه من الحبس، لزم بيته وقطع الناس؛ فذكره الرشيد
 فعرّف خبره، فقال : قولوا له : صرّت زير نساء وحلّس بيت؛ فكتب إليه
 أبو العتاهية :

برمت بالناس وأخلاقهم فصرت أستاذس بالوحدة
 ما أكثر الناس لعمري وما أقلهم في منتهى العدة

ثم قال : لا ينبغي أن يمضي شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدح له، فقرن
 هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها وهي :

(١) حلّس بيت : ملازمه لا يبرحه، وهو مما يذم به الرجل .

صوت

عَادَ لِي مِنْ ذِكْرِهَا نَصَبُ فدموع العين تنسكبُ
وكذاك الحبُّ صاحبُه يَعْتَرِيهِ الهمُّ والوَصَبُ
خيرُ من يُرْجَى ومن يَهَبُ مَلِكٌ دانت له العربُ
وحقيقٌ أن يُدَانَ له من أبوه للنبيّ أبُ

يعظ الرشيد :

حدثنا الصوليّ قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا محمد بن أبي العتاهية
قال :

قال الرشيد لأبي : عِظْنِي؛ فقال له : أخافك ! فقال له : أنت آمن؛ فأنشده :

لَا تَأْمَنِ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ إِذَا تَسَوَّتَ بِالْأَبْوَابِ وَالْحُرْسِ
وَأَعْلَمَ بِأَنَّ سِهَامَ الْمَوْتِ قَاصِدَةٌ لِكُلِّ مُدْرِعٍ مَنًى وَمُتَرَسٍ
تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَتَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبْسِ

قال : فبكى الرشيد حتى بَلَ كُتْمَه .

مناظرة :

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال :

قال لي أحمد بن أبي فَنَنْ : تناظرت أنا والفتح بن خاقان في منزله : أَيْمًا
[الرجلين] أشعر : أبو نُوَاس أم أبو العتاهية ؟ فقال الفتح : أبو نُوَاس، وقلت : أبو
العتاهية، ثم قلت : لو وُضِعَتْ أشعار العرب كلها بإزاء شعر أبي العتاهية لفضّلها،
وليس بيننا خلافٌ في أن له في كل قصيدة جيّدًا ووسطًا وضعيفًا، فإذا جُمع جيّدُه

كان أكثر من جيد كل مجود، [ثم] قلت له: بن ترضى؟ قال: بالحسين بن الضحاك؛ فما أنقطع كلامنا حتى دخل الحسين بن الضحاك؛ فقلت: ما تقول في رجلين تشاجرا، فضل أحدهما أبا نواس وفضل الآخر أبا العتاهية؟ فقال الحسين: أم من فضل أبا نواس على أبي العتاهية زانية؛ فحجل الفتح حتى تبين ذلك فيه، ثم لم يعاودني في شيء من ذكرهما حتى أفرقنا.

من مجلس شراب إلى الزهد:

وقد حدثني الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهدي فإني تقدم، فقال: حدثني هارون بن مخارق قال حدثني أبي قال:

جاءني أبو العتاهية فقال: قد عزمت على أن أترود منك يوماً تنه لي، فتي تنشط؟ فقلت: متى شئت؛ فقال: أخاف أن تقطع بي؛ فقلت: والله لا فعلت وإن طلبني الخليفة؛ فقال: يكون ذلك في غد؛ فقلت: أفعل. فلما كان من غد باكرني رسوله فجئته، فأدخلني بيتاً له نظيفاً فيه فرش نظيف، ثم دعا بائدة عليها خبز سميد وخل وبقل وملح وجدي مشوي فأكلنا منه، ثم دعا بسمك مشوي فأصبنا منه حتى أكتفينا، ثم دعا بخلوة فأصبنا منها وغسلنا أيدينا، وجاءونا بفاكهة ورمان وألوان من الأنبة، فقال: اختر ما يصلح لك منها، فأخترت وشربت؛ وصب قدحاً ثم قال: غثني في قولي:

أحمد قال لي ولم يدّر ما بي اتحب الغداة عتبة حقاً

فغثيته، فشرّب قدحاً وهو يبكي أحراً بكاء؛ ثم قال: غثني في قولي:

ليس لمن ليست له حيلة موجودة خير من الصبر

(١) السميد: الدقيق الأبيض وهو لباب الدقيق.

(٢) كذا بالأصول، ولعل صوابه «نقل».

فَغَنَيْتَهُ وَهُوَ يَبْكِي وَيَنْشِجُ، ثُمَّ شَرِبَ قَدْحاً آخَرَ ثُمَّ قَالَ : غَنَيْتَنِي، فَذَيْتُكَ، فِي قَوْلِي:
خَلِيلِيَّ مَا لِي لَا تَزَالُ مَضْرُتِي تَكُونُ مَعَ الْأَقْدَارِ حَتْمًا مِنَ الْحَتْمِ

فَغَنَيْتَهُ إِيَّاهُ، وَمَا زَالَ يَقْتَرِحُ عَلَيَّ كُلَّ صَوْتٍ غَنَيْتَ بِهِ فِي شَعْرِهِ فَأُغَنِيهِ وَيَشْرِبُ وَيَبْكِي
حَتَّى صَارَ الْعَتَمَةُ؛ فَقَالَ : أَحَبُّ أَنْ تَصْبِرَ حَتَّى تَرَى مَا أَصْنَعُ جَلَسْتُ، فَأَمَرَ أَبْنَاهُ
وَعَلَامَهُ فَكَسَّرَا كُلَّ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنَ النَّبِيذِ وَآلَتِهِ وَالْمَلَاهِي، ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْرَاجِ كُلِّ
مَا فِي بَيْتِهِ مِنَ النَّبِيذِ وَآلَتِهِ، فَأَخْرَجَ جَمِيعَهُ، فَمَا زَالَ يَكْسِرُهُ وَيَصُبُّ النَّبِيذَ وَهُوَ يَبْكِي
حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، ثُمَّ نَزَعَ ثِيَابَهُ وَأَغْتَسَلَ، ثُمَّ لَبَسَ ثِيَابًا بَيْضًا مِنْ صُوفٍ،
ثُمَّ عَانَقَنِي وَبَكَى، ثُمَّ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبِي وَفَرَحِي مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ سَلَامٌ
الْفِرَاقِ الَّذِي لَا لِقَاءَ بَعْدَهُ؛ وَجَعَلَ يَبْكِي، وَقَالَ : هَذَا آخِرُ عَهْدِي بِكَ فِي حَالِ تَعَاشُرٍ
أَهْلُ الدُّنْيَا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا بَعْضُ حِمَاقَاتِهِ، فَأَنْصَرَفْتُ وَمَا لَقِيْتُهُ زَمَانًا، ثُمَّ تَشَوَّقْتُه فَأَتَيْتُهُ
فَأَسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لِي فَدَخَلْتُ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَخَذَ قَوْصَرَتَيْنِ وَثَقَبَ إِحْدَاهُمَا وَأَدْخَلَ
رَأْسَهُ وَبِيَدَيْهِ فِيهَا وَأَقَامَهَا مَقَامَ الْقَمِيصِ، وَثَقَبَ الْأُخْرَى وَأَخْرَجَ رَجُلِيهِ مِنْهَا وَأَقَامَهَا
مَقَامَ السَّرَاوِيلِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ نَسِيتُ كُلَّ مَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْغَمِّ عَلَيْهِ وَالْوَحْشَةَ لِعِشْرَتِهِ،
وَضَحَكْتُ وَاللَّهِ ضَحْكًا مَا ضَحَكْتُ مِثْلَهُ قَطُّ؛ فَقَالَ : مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَضْحَكُ ؟
فَقُلْتُ : أَسْخَنُ اللَّهُ عَيْنَكَ ! هَذَا أَيُّ شَيْءٍ هُوَ ؟ مَنْ بَلَغَكَ عَنْهُ أَنَّهُ فَعَلَ مِثْلَ
هَذَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالزُّهَّادِ وَالصَّحَابَةِ وَالْمُجَانِّينَ، أَتَزْعُمُ أَنَّكَ هَذَا يَا سَخِينُ الْعَيْنِ !
فَكَأَنَّهُ أَسْتَحْيَا مِنِّي ؛ ثُمَّ بَلَغَنِي أَنَّهُ جَلَسَ حَجَّامًا، فَجَهِدْتُ أَنْ أَرَاهُ بِتِلْكَ الْحَالِ فَلَمْ
أَرَهُ، ثُمَّ مَرِضَ، فَبَلَغَنِي أَنَّهُ أَسْتَهَى أَنْ أُغَنِيَهُ، فَأَتَيْتُهُ عَائِدًا، فَخَرَجَ إِلَيَّ رَسُولُهُ
يَقُولُ : إِنْ دَخَلْتَ إِلَيَّ جَدَّدْتُ لِي حُزْنًا وَتَأَقَّتْ نَفْسِي مِنْ سَمَاعِكَ إِلَى مَا قَدْ

(١) نشج الباكي : غص بالبكاء في حلقه من غير انتخاب .

(٢) في معاجم اللغة التي بين أيدينا أن «تشوق» يتعدى بالحرف، فلعل ما هنا من باب
الحذف والإيصال، والاصل : «وتشوقت إليه» .

(٣) القومرة (بتشديد الراء وتخفيفها) : وعاء من فصب يرفع فيه النمر من البواري .

(٤) أسخن الله عينه : أبكاه وأحزنه .

غلبتها عليه ، وأنا أستودعك الله وأعتذر إليك من ترك الالتقاء ، ثم كان آخر عهدي به .

أمنية محتضر :

حدثني جحظة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

قيل لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ فقال : أشتهي أن يجيء 'مُخَارِقُ' فيضع فمه على أذني ثم يغترني :

سِعْرَضُ عَنْ ذِكْرِي وَتَنْسَى مَوَدَّتِي وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلْخَلِيلِ خَلِيلُ
إِذَا مَا أَنْقَضَتْ عَنِّي مِنَ الدَّهْرِ مُدَّتِي فَإِنْ غَنَاءَ الْبَاكِيَاتِ قَلِيلُ

وأخبرني به أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال :

قال بشر بن الوليد لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ فذكر مثل الأول .

وأخبرني به ابن عمارة أبو العباس عن ابن أبي سعد عن محمد بن صالح : أن بشرًا قال ذلك لأبي العتاهية عند الموت ، فأجابه بهذا الجواب .

نسخت من كتاب هارون بن علي : حدثني علي بن مهدي قال حدثني عبد الله بن عطية قال حدثني محمد بن أبي العتاهية قال : آخر شعر قاله أبي في مرضه الذي مات فيه :

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي مُقَرٌّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
فَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي لِعَفْوِكَ إِنْ عَفَوْتَ وَحَسَنُ ظَنِّي

(١) كذا في وفيات الأعيان لابن خلكان وديوانه طبع بيروت (ص ٢٢١) ، ومده : أجله . وفي الأصول : « ليلة » .

(٢) ورد هذا الشعر في ديوانه ص ٢٦٣ باختلاف يسير في الرواية عما هنا .

وكم من زلّة لي في الخطايا وأنت عليّ ذو فضل ومن
إذا فكّرت في ندمي عليها عضضت أنامي وقهرت سني
أجنّ بزهرة الدنيا جنونا وأقطع طول عمري بالتسني
ولو أنّي صدقت الزهد عنها قلبت لأهلها ظهراً المجنّ
يظنّ الناس بي خيراً وإني لشرّ الخلق إن لم تعف عني

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثني أحمد
ابن حمزة الضبي قال أخبرني أبو محمد المؤدّب قال :

قال أبو العتاهية لأبنته رقية في علته التي مات فيها : قومي يا بُنية فأندبي
أباك بهذه الأبيات ؛ فقامت فندبته بقوله :

لعبَ إليّ بعمالي ورُسومي وقبرت حياً تحت ردم همومي
لزم إليّ جسدي فأوهن قوتي إنَّ إليّ لموكلٌ بلزومي

وفاته ومدفنه :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال
حدثني عليّ بن محمد قال حدثني مخارق المغني قال :

توفي أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصلي ، وأبو عمرو الشيباني عبد السلام في يوم
واحد في خلافة المأمون ، وذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين .

(١) كذا في أكثر الأصول، وظاهر الكلام أن عبد السلام اسم لأبي عمرو الشيباني وهو غير
صحيح . فإن أبا عمرو الشيباني الذي توفي في اليوم الذي توفي فيه أبو العتاهية اسمه اسحاق بن مرار
(وزان كتاب) وهو من رمادة الكوفة ونزل إلى بغداد وجاور شيان للتأدب فيها فنسب إليها، وكان
من الأئمة الأعلام في اللغة والشعر . وفي «عبد السلام» زيادة واو العطف وهو ما يفيد أنه
اسم لشخص آخر ذكر في وفيات هذه السنة ، وقد بحثنا في كتب التاريخ والتراجم عن توفوا في سنة
٢١٣ فلم نعثّر فيهم على من تسمى بعبد السلام . وفي نسخة «أبو عمرو الشيباني ... السلام» .
والظاهر أن البيهقي في «١» وكلمة «عبد» في باقي الأصول أصله «بمدينة» ، ومدينة السلام هي
بغداد، ويؤيد هذا ما ورد في وفيات الأعيان في ترجمة أبي عمرو الشيباني من قوله : «... مات اسحاق
ابن مرار في اليوم الذي مات فيه أبو العتاهية وإبراهيم النديم الموصلي سنة ثلاث عشرة ومائتين
ببغداد» .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مهرويه عن أحمد بن يوسف عن أحمد
ابن الخليل عن إسماعيل بن أبي قتيبة قال :

مات أبو العتاهية ، وراشد الخنّاق ، وهشيمة الحمّارة في يوم واحد سنة
تسع ومائتين .

وذكر الحارث بن أبي أسامة عن محمد بن سعد كاتب الواقدي : أن أبا العتاهية
مات في يوم الاثنين لثمان خلوّن من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة ومائتين ،
ودُفن حياً قنطرة الزياتين في الجانب الغربي ببغداد .

أخبرني الصوليّ عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشيباني عن محمد بن أبي
العتاهية : أن أباه توفي سنة عشر ومائتين .

أخبرني الصوليّ قال حدثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم بن
عبد الله بن الجنيّد عن إسحاق بن عبد الله بن شعيب قال :

أمر أبو العتاهية أن يكتب على قبره :

أذُنَ حَيٍّ تَسْمَعِي اسْمِي ثُمَّ رِعِي
أَنَا رَهْنٌ بِمُضْجِعِي فَأَحْذَرِي مِثْلَ مَصْرَعِي
عَشْتُ تَسْعِينَ حِجَّةً فِي دِيَارِ التَّرْعُوعِ
لَيْسَ زَادُ سِوَى التَّقَى نَفْذِي مِنْهُ أَوْ دِرْعِي

ابنه يرثيه :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال :

(١) كذا في الديوان . وفي الأصول :

عشت تسعين حجة أسلمتني لمضجعي
كم ترى الحمي ثابئاً في ديار الترزع
ولعل صوابه : كم يرى الحمي ثابئاً الخ .

لما مات أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبي العتاهية فقال :

يا أبي ضَمَكِ الثَّرى وطوى الموتُ أَجَمَكَ
ليتني يومَ مُتَّ صرْتُ إلى حُفْرَةٍ معَكَ
رَجِمَ اللهُ مصرعَكَ بَرَّدَ اللهُ مضجِعَكَ

أخبرني الحسن قال حدثني أحمد بن زهير قال :

قال محمد بن أبي العتاهية : لقيني محمد بن أبي محمد اليزيدي فقال : أنشدني
الآبيات التي أوصى أبوك أن تُكتب على قبره ؛ فأنشأت أقول له :

كَذَبْتَ على آخر لك في مماتِهِ ولمْ كَذِبْ فشا لك في حَيَاتِهِ
وأَكْذَبُ ما تكون على صديقِهِ كَذَبْتَ عليه حياً في مماتِهِ

نفجّل وأنصرف . قال : والناس يقولون : إنه أوصى أن يُكتب على قبره شعر
له ، وكان ابنه يُنكر ذلك .

وذكر هارون بن علي بن مهدي عن عبد الرحمن بن الفضل أنه قرأ الآبيات
العينية التي أولها :

أُذِنَ حيَّ تَسْمِي

على حجرٍ عند قبر أبي العتاهية .

ولم أذكرها هنا مع أخبار أبي العتاهية أخباره مع 'عُتْبَة' وهي من أعظم
أخباره لأنها طويلة ، وفيها أغان كثيرة ، وقد طالت أخباره ها هنا فأفردتها .

اخبار فريدة

قال مؤلف هذا الكتاب : هما اثنتان مُحِسَّتَانِ لهما صُنْعَةٌ تُسَمَّيانِ بفريدة .

فريدة الكبرى :

فأماً إحداهما ، وهي الكبرى ، فكانت مُوَلَّدة نشأت بالحجاز ، ثم وقعت إلى آل الربيع ، فعُلِّمت الغناء في دورهم ، ثم صارت إلى البرامكة ، فلما قُتِل جعفر ابن يحيى ونُكِبوا هربت وطلبها الرشيد فلم يجدها ، ثم صارت إلى الأُميين ، فلما قُتِل خرجت ، فتزوجها الهيثم بن مسلم فولدت له أبنه عبد الله ، ثم مات عنها فتزوجها السندي بن الحرشي وماتت عنده . ولها صُنْعَةٌ جَيِّدَةٌ ، منها في شعر الوليد بن يزيد :

صوت

وَنَحْ سَلَمَى لَوْ تَرَانِي لَعَنَاهَا مَا عَنَانِي
وَاقْفَا فِي الدَّارِ أَبْكِي عَاشِقًا حُورَ الْقَوَانِي

ولحنها فيه خفيف رمل .

ومن صنعتها :

(١) كذا في الطبري (ص ٦٨٠ و ٧٣٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ من القسم الثالث) وهو أحد رجالات الرشيد والمأمون . وفي الأصول : « الجرشي » بالميم .

صوت

ألا أيها الركبُ التَّيَّامُ ألا هُبُوا نَسْأَلُكُمْ هل يقتلُ الرجلُ الحبُّ
ألا ربُّ ركبٍ قد وَقَفْتُ مطيَّهم عليكِ ولولا أنتِ لم يَقِفِ الركبُ

لحنها فيه ثاني ثقيل . وفيه لآبن جامع خفيف رَمَل بالسبابة في مجرى
الوُسْطَى .

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري
قال حدثني الهيثم بن عدي قال :

قال لي صالح بن حسن يوماً : ما نصفُ بيتٍ كأنه أعرابي في شِمْلَةٍ ، والنصف
الآخر كأنه مُحَنَّثٌ مُفَكِّكٌ ؟ قلت : لا أدري ؛ فقال : قد أَجَلْتُكَ حَوْلًا ؛ فقلت :
لو أَجَلْتَنِي عَشْرَةَ أَحْوَالٍ ما عَرَفْتُهُ ؛ فقال : أَوْه ! أفَ لك ! قد كنت أحسبك
أَجُودَ ذِهْنًا بما أرى ؛ فقلت : فما هو الآن ؟ قال : قول جميل :

ألا أيها الركبُ التَّيَّامُ ألا هُبُوا

هذا كلام أعرابي ، ثم قال :

أَسْأَلُكُمْ هل يقتلُ الرجلُ الحبُّ

كأنه والله من مُحَنَّثِي الْعَقِيقِ .

فريدة المحسنة :

وأما فريدة الأخرى فهي التي أرى بل لا أشك في أن اللحن المختار لها ،

(١) الرواية المشهورة هذين البيتين :

ألا أيها النَوَّامُ ويحكُمُ هَبُوا نَسْأَلُكُمْ هل يقتلُ الرجلُ الحبُّ
ألا رب ركبٍ قد دَفَعْتُ وجيَّهم إليك ولولا أنتِ لم يوجِفِ الركبُ

لأن إسحاق أختار هذه المائة الصوت للوائح ، فاختار فيها مُتَمِّمَ لَحْنًا ، ولَاثِي دُفْلَ لَحْنًا ، وَلُسْلِمَ بنَ سَلَامَ لَحْنًا ، وَلِرِيَّاضَ جَارِيَةَ أَبِي حَمَّادَ لَحْنًا ؛ وكانت فريدة أثيرةً عند الوائح وَحَظِيَّةً لديه جدًّا ، فأختار لها هذا الصوت ، لمكانها من الوائح ولأنها ليست دون من أختار له من نظرائها .

أخبرني الصوليّ قال حدثنا الحسين بن يحيى عن رَيْقَ : أنها اجتمعت هي وَخُشْفُ الواضِحِيَّةِ يوماً فتذاكرنا أحسنَ ما سمعناه من المغنيات ؛ فقالت رَيْقُ : شَارِيَّةُ أَحْسَنُ غَنَاءٍ وَمُتَمِّمٌ ، وقالت خُشْفُ : عَرِيبُ وفريدة ؛ ثم اجتمعتا على تساوينَ وَتَقْدِيمِ مُتَمِّمٍ في الصنعة ، وَعَرِيبَ في القُرارة والكثرة ، وشَارِيَّةَ وفريدة في الطيب وإحكام الغناء .

حدثني جَحْظَةُ قال حدثني أبو عبد الله الهشاميّ قال :

كانت فريدة جاريةً للوائح لعمر بن بانه ، وهو أهداها إلى الوائح ، وكانت من الموصوفات المحسنات ، ورُيِّيت عند عمرو بن بانه مع صاحبة لها اسمها « خِل » ، وكانت حسنة الوجه ، حسنة الغناء ، حادة الفطنة والفهم .

قال الهشاميّ حدثني عمرو بن بانه قال : غَنِيَتْ الوائح :

قُلْتُ حَلًّا فَأَقْبَلِي مَعْدِرَتِي مَا كَذَا يُجْزِي مُحِبُّ مِّنْ أَحَبِّ

فقال لي : تقدّم إلى الستارة فألقه على فريدة ، فألقيته عليها ، فقالت : هو حِلٌّ أَوْ خِلٌّ كيف هو ؟ فعلت أنها سألتني عن صاحبها في خفاء من الوائح .

تزوجها المتوكل :

ولما تزوجها المتوكل أرادها على الغناء ، فأبّت أن تغنيَ وفاءً للوائح ، فأقام على رأسها خادماً وأمره أن يضرب رأسها أبداً أو تُغَنِّيَ ؛ فأندفعت وَغَنَّت :

فلا تَبْعِدْ فكلّ فتى سياقي عليه الموت يطرق أو يُغادي

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجّم قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسَحْر قال :

كانت لي نوبة في خدمة الواصل في كل جمعة ، إذا حضرت ركبت إلى الدار ، فإن نشط إلى الشرب أقمت عنده ، وإن لم ينشط أنصرفت ، وكان رسماً ألا يحضر أحد منّا إلا في يوم نوبته ؛ فإني لفي منزلي في غير يوم نوبتي إذا رسل الخليفة قد هجموا عليّ وقالوا لي : أحضر ؛ فقلت : الخير ؟ قالوا : خير ؛ فقلت : إن هذا يوم لم يحضرني فيه أمير المؤمنين قطّ ولعلكم غلطتم ؛ فقالوا : الله المستعان لا تطل وبادر فقد أمرنا ألا ندعك تستقرّ على الأرض ؛ فداخلي قرع شديد ورخفت أن يكون ساع قد سعى بي ، أو بليّة قد حدثت في رأي الخليفة علي ؛ فتقدّمت بما أردت وركبت حتى وافيت الدار ، فذهبت لأدخل على رسمي من حيث كنت أدخل ، فنيعت ، وأخذ بيدي الخدم فأدخلوني وعدّوا بي إلى سموات لا أعرفها ، فراد ذلك في جزعي وغمي ، ثم لم يزل الخدم يسلموني من خدم إلى خدم حتى أفضيت إلى دار مفروشة الصحن ، ملبسة الحيطان بالوشى المنسوج بالذهب ، ثم أفضيت إلى رواق أرضه وحيطانه ملبسة بمثل ذلك ، وإذا الواصل في صدره على سرير مرصع بالجوهر وعليه ثياب منسوجة بالذهب ، وإلى جانبه فريدة جاريته ، عليها مثل ثيابه وفي حجرها عود^(١) ، فلما رأيته قال : جودت^(٢) والله يا محمد إلينا ؛ فقبلت الأرض ثم قلت : يا أمير المؤمنين خيراً ! قال : خيراً ، أما ترانا ! طلبت والله ثالثاً يؤنسنا فلم أر أحقّ بذلك منك ، فبحياتي بادر فكل شيئاً وبادر إلينا ؛ فقلت : قد والله يا سيدي أكلت وشربت أيضاً ؛ قال : فأجلس فجلس ، وقال : هاتوا لمحمد رطلاً في قدح فأحضرت ذلك ، وأندفعت فريدة^(٣) تعني :

(١) تبعّد : تهلك .

(٢) جودت : أسرع ، قال في اللسان : « يقال : جود في عدوه نجودا » .

أهاؤبك إجلالاً وما بك قدرة^١ عليّ ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس يا ليل أنها قلّتك ولا أن قلّ منك نصيبها^٢

جاءت والله بالسحر، وجعل الواثق يجاذبها، وفي خلال ذلك تُعني الصوت بعد الصوت، وأغني أنا في خلال غنائها، فمرّ لنا أحسن ما مرّ لأحد؛ فإننا لكذلك إذ رفع رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض وقفّت عودها ومرت تعدو وتصيح، وبقيت أنا كالمترّوع الروح؛ ولم أشك في أن عينه وقعت عليّ وقد نظرت إليها ونظرت إليّ، فأطرق ساعة إلى الأرض متحيراً وأطرقت أتوقع ضرب العنق؛ فإني لكذلك إذ قال لي: يا محمد، فوثبت؛ فقال: ويحك! أرايت أغرب مما تهيأ علينا! فقلت: يا سيدي، الساعة والله تخرج روحي، فعلى من أصابنا بالعين لعنة الله! فما كان السبب؟ أذنب؟ قال: لا والله، ولكن فكّرت أن جعفرأ يقعد هذا المقعد ويقعد معها كما هي قاعدة معي، فلم أطلق الصبر وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت؛ فسرّيت عني وقلت: بل يقتل الله جعفرأ، ويحيي أمير المؤمنين أبداً، وقبّلت الأرض، وقلت: يا سيدي الله الله! أرحمها ومرّ بردها؛ فقال لبعض الخدم الوقوف: من يجي بها؟ فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفي يدها عودها وعليها غير الثياب التي كانت عليها، فلما رآها جذبها وعانقها، فبكت وجعل هو يبكي، وأندفعت أنا في البكاء، فقالت: ما ذنبي يا مولاي ويا سيدي! وبأي شيء أستوجب هذا! فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي تبكي؛ فقالت: سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلّا ضربت عني الساعة وأرحتني من الفكر في هذا وأرحت قلبك من الهم لي؛ وجعلت تبكي ويبكي، ثم مسح أعينها ورجعت إلى مكانها؛ وأوماً إلى خدم وقوف بشيء لا أعرفه، فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عَيْنٌ وورق،

(١) ورد هذا البيت في شرح ديوان حماسة أبي تمام (ص ٥٩٨ طبع أوروبا) هكذا:

وما هجرتك النفس أنك عندها قليل ولكن قلّ منك نصيبها

(٢) في الأصول: «وقعت اليّ».

(٣) العين: الذهب المضروب وهو الدنانير. والورق: الدراهم المضروبة من الفضة.

ورُزِمًا فيها ثياب كثيرة ، وجاء خادم بدُرُج ففتحه وأخرج منه عِقدًا ما رأيت
قطـةً مثلَ جَوهَرٍ كان فيه ، فألبسها إِيَّاهُ ، وأحضرتُ بَدْرَةً فيها عشرةُ آلافِ
درهم فجعلتُ بين يدي وخمسةُ نُحُوتٍ فيها ثيابٌ ، وُعِدْنَا إلى أمرنا وإلى أحسن مما
كنَّا ، فلم نزل كذلك إلى الليل ، ثم تفرقنا .

قصتها مع المتوكل :

وضربَ الدهرُ ضربَه وتقلَّدَ المتوكلُ ، فوالله إني لني منزلي بعد يوم نوبتي
إذ هجم عليَّ رُسلُ الخليفة فما أمهلوني حتى ركبتُ وصرتُ إلى الدار ، فأدخلتُ
والله الحجرةَ بعينها ، وإذا المتوكل في الموضع الذي كان فيه الوراق على السرير
بعينه وإلى جانبه فريدة ؛ فلما رآني قال : ويحك ! أما ترى ما أنا فيه من هذه !
أنا منذُ غُدوةٍ أطلبها بأن تُغَيِّبني فتأبى ذلك ! . فقلتُ لها : يا سبحان الله ،
أُتخالفين سيِّدك وسيِّدنا وسيِّدَ البشر ؟ بحياته غني ؛ فعرفتُ والله ثم أندفعتُ
تغني :

مُقيمٌ بالمجازة من قَنُونَا وأهلك بالأجيفرُ فالثَّادِرُ
فلا تبعُدْ فكلَّ فتى سيأتي عليه الموت يطرُق أو يُغادي

ثم ضربتُ بالعود الأرضَ ، ثم رمتُ بنفسها عن السرير ومرتُ تعدو وهي تصيح :
واسيِّداه ! فقال لي : ويحك ! ما هذا ؟ فقلتُ : لا أدري والله يا سيدي ؛ فقال :
فما ترى ؟ فقلتُ : أرى أن أنصرف أنا وتحضر هذه ومعها غيرها ، فإن الأمرَ

(١) يقال : ضرب الدهر ضربانه ومن ضربانه وضرب الدهر من ضربته أي مرَّ من مروره
وذهب بفضله .

(٢) المجازة : منزل من منازل طريق مكة بين ماوية وبنبوعة .

(٣) قنونا : واد من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة .

(٤) الأجيفر : موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس .

(٥) الثَّادِر : موضع في ديار بني تميم قرب المروء .

يؤول الى ما يُريد أمير المؤمنين ؛ قال : فَأَنْصَرَفُ فِي حِفْظِ اللَّهِ ! فَأَنْصَرَفْتُ وَلَمْ أَذَرِ مَا كَانَتْ الْقِصَّةُ .

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ :

سَمِعْتُ فَرِيدَةَ تَغَنِّي :

أَخْلَايَ بِي شَجْوٌ وَلَيْسَ بِكُمْ شَجْوٌ وَكَلَّ أَمْرِي مِمَّا بِصَاحِبِهِ خَلْوٌ
أَذَابَ الْهَوَى لَحْمِي وَجَسْمِي وَمَقْصِلِي فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الرُّوحُ وَالْجَسَدُ التَّضْوُ

فَمَا سَمِعْتُ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ غَنَاءَ أَحْسَنَ مِنْهُ .

الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي، وله أيضاً فيه خفيف ثقیل بالسبابة والينصر عن ابن المكي . وفيه لعمر بن بانه رمل بالوسطى من مجموع أغانيه . وفيه لعريب خفيف ثقیل آخر صحيح في غنائها من جمع ابن المعتز وعلي بن يحيى . وتام هذه الأبيات :

وَمَا مِنْ مُحِبٍّ نَالَ مِنْ يُحِبُّهُ هُوَ صَادِقًا إِلَّا سَيَدُخِلُهُ زَهْوٌ

وفيهما كلها غناء مفترق الألحان في أبياته .

بُلَيْتَ وَكَانَ الْمَرْحُ بَدءَ بَلِيَّتِي فَأُحِبُّتُ جَهْلًا وَالبَلَايَا لَهَا بَدْوٌ
وَعَلَّقْتُ مِنْ يَزْهَوُ عَلَيَّ تَجْبُرًا وَإِنِّي فِي كُلِّ الْحُصَالِ لَهُ كُفْوٌ

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه :

بَاتَتْ هُمُومِي تَسْرِي طَوَارِقَهَا أَكْفُ عَيْنِي وَالدمْعُ سَابِقُهَا

لما أتاه من اليقين ولم تكن تراه يُلم طارقتها

الشعر لأُمَيَّة بن أبي الصَّلْت، والغناء للهُذَلِيّ خفيفٌ ثَقِيلٌ أولٌ بالوسطى .
وفيه لَأَبْنُ مُحَرِّزٍ لَحْنَانٌ : هَزَجٌ وَثَقِيلٌ أولٌ بالوسطى عن الهشاميّ وَحَبَش .
وذكر يونس : أن فيه لَأَبْنِ مُحَرِّزٍ لَحْنًا واحدًا مُجَنِّسًا .

ذكر أمية بن أبي الصلت ونسبه وخبره

وأسم أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عزة^١ بن قسي، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن، هكذا يقول من نسبهم إلى قيس، وقد شرح ذلك في خبر طريح. وأم أمية بن أبي الصلت رقيقة بنت عبد شمس بن عبد مناف. وكان أبو الصلت شاعراً، وهو الذي يقول في مدح سيف بن ذي يزن:

لِيَطْلُبَ الثَّارَ أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزْنَ إِذْ صَارَ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالاً^٢
وقد كُتِبَ خبر ذلك في موضعه.

اولاد أمية :

وكان له أربعة بنين : عمرو وربيعه ووهب والقاسم؛ وكان القاسم شاعراً؛ وهو الذي يقول - أنشدني الأخفش وغيره عن ثعلب، وذكر الربيع أنها لأمية - :

(١) في كتاب الشعر والشعراء : « غيرة » . وغيرة (وزان غنة) : اسم قبيلة أيضاً .

(٢) يعني قيساً .

(٣) يريد قيس عيلان وهو الجد الأعلى لهوازن لأن هوازن هو ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

(٤) في الشعر والشعراء :

لن يطلب الوتر أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزْنَ لَجَّجَ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالاً

وفي شعراء النمرانية : في البحر خم للأعداء أحوالاً

وفي سيرة ابن هشام : في البحر رَمَّ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالاً

صوت

قومٌ إذا تَزَلَّ الغريبُ^١ بدارِهم رَدَّوه ربُّ صَوَاهِلٍ وِقيانٍ
لا يَنْكُتُونَ الأَرْضَ عند سَوَاهِمِ لَيْتَلُثْسِ الْعِلَّاتِ بِالْعِيدَانِ

يُدَحُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ بِهَا؛ وَأَوَّلَهَا :

قومي ثَقِيفٌ^٢ إِنْ سَأَلْتَ وَأَسْرَقِي وَبِهِمْ أَدَافِعُ رُكْنٍ مِنْ عَادَانِي
غَنَاءُ الْغَرِيضِ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ^٣ أَوَّلُ بِالْبِنْصَرِ . وَلَا بَنُ مُحْرَزٍ فِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ
بِالْوَسْطَى، عَنْ الْهَشَامِيِّ جَمِيعاً .

وكان ربيعة أبْنُه شاعراً، وهو الذي يقول :

وإنْ تَكُ حَيًّا مِنْ إِيَادِرِ فَإِنَّا وَقِيسًا سِوَاهُ مَا بَقِينَا وَمَا بَقُوا
وَنَحْنُ خِيَارُ النَّاسِ طَرًّا بِطَانَةً لَقَيْسٍ وَهَمَّ خَيْرٌ لَنَا إِنْ هُمُ بَقُوا^٤

أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ :

كَانَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ قَدْ قَرَأَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْاَوَّلَ، فَكَانَ يَأْتِي فِي
شِعْرِهِ بِأَشْيَاءَ لَا تَعْرِفُهَا الْعَرَبُ؛ فَهَذَا قَوْلُهُ :

قَرٌُّ وَسَاهُورٌ يُسَلُّ وَيُغَمَدُ^٥

وكان يُسَمِّي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي شِعْرِهِ السِّلْطِيطَ فَقَالَ :

(١) في الشعر والشعراء : « الحريب » بالخاء المهملة وهو الذي سلب ماله .

(٢) في الأصول وشعراء النصرانية : « وان بك ... » بالياء المثناة من تحت .

(٣) كذا في الأصول، وفيه الإبطاء وهو تكرار التافية لفظاً ومعنى، وهو عيب .

(٤) هذا عجز بيت وصدرة :

لا نقص فيه غير أن خبيثه

والساهور فيما يذكر أهل الكتاب : غلاف القمر يدخل فيه إذا كسف .

والسَلْطِيطُ فوق الأرض مُقْتَدِر

وسمَّاهُ في موضع آخر التغرور^١ فقال : وأَيُّده التغرور . وقال ابن قتيبة : وعلماؤنا لا يحتجون بشيء من شعره لهذه العلة .

أشعر ثقيف :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال :

قال أبو عبيدة : اتَّفقت العربُ على أنَّ أشعر أهل المدن أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثَقِيف، وأنَّ أشعر ثَقِيف أميَّة بن أبي الصَّلْت .

أخبرنا الحرَّميَّ قال حدثنا الزُّبير قال :

قال يحيى بن محمد قال الكُمَيْت : أميَّة أشعر الناس، قال كما قلنا ولم نقل كما قال .

طبعه بالنبوة :

قال الزُّبير وحدثني عمي مُصَعَّب عن مُصَعَّب بن عثمان قال :

(١) هكذا بالأصول وهذه الصيغة لا يتزَّن بها البيت . وقد ورد البيت كاملاً في اللسان (مادة سلط) هكذا :

إنَّ الأنام رعايا الله كلهم هو السَلْطِيطُ فوق الأرض مستطر

قال ابن جني : هو القاهر، من السلاطة . قال : ويروى السَلِيطُ (بكسر السين) وكلاهما شاذ . قال صاحب التهذيب : سَلِيطُ جاء في شعر أمية بمعنى المسلط . قال : ولا أدري ما حقيقته . ورواه في الشعر والشعراء : « السَلْطِيطُ » . وفي القاموس : والسَلْطِيطُ بالكسر : المسلطُ » ثم قال شارحه : « هكذا في سائر أصول القاموس والصواب السَلْطِيطُ كما في الباب » .

(٢) عبارة ابن قتيبة في الشعر والشعراء : « وأبدت التغروراء، يريد التغر؛ وهذه أشياء منكورة، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة في اللغة » اهـ .

كان أمية بن أبي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها، ولبس المسوح تعبدًا، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل وأخنيفة، وحرّم الحمر، وشكّ في الأوثان، وكان مُحققًا، وأتَمَس الدّين وطَمِع في النبوة؛ لأنّه قرأ في الكتب أن نبيًّا يُبعث من العرب، فكان يرجو أن يكونه. قال: فلما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم قيل له: هذا الذي كنت تَسْتَرِث^(١) وتقول فيه؛ فحسده عدو الله وقال: إنما كنت أرجو أن أكونه؛ فأنزل الله فيه عز وجل (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي أُتِينَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا). قال: وهو الذي يقول:

كلّ دين يوم القيامة عند الله إلا دين أخنيفة زورُ

قال الزبير وحدثني يحيى بن محمد قال: كان أمية يُحَرِّضُ قريشًا بعد وقعة بدر، وكان يرثي من قُتِل من قريش في وقعة بدر؛ فمن ذلك قوله:

ماذا بَيدِرُ والعَقَنَقَلُ من مَراذِبِ جَجَاجِ^(٢)

وقال: وهي قصيدة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن روايتها. ويقال: إن أمية قدّم على أهل مكة: بأسمك اللهم، فجعلوها في أول كتبهم مكان (بسم الله الرحمن الرحيم).

قال الزبير وحدثني علي بن محمد المدائني قال:

قال الحجاج على المنبر: ذهب قوم يعرفون شعراً أمية، وكذلك أندراس^(٣) الكلام.

(١) تسترث: تسبّطى.

(٢) العَقَنَقَل: كتيب ومل بيدر.

(٣) مراذبة: جمع مرزبان، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك، وهو معرّب وأصله فارسي.

(٤) ججاج: جمع ججاج وهو السيد المسارع في المكارم.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمر بن أبي بكر المؤملي وغيره قال :

كان أمية بن أبي الصلت يلتبس الدين ويطمح في النبوة ، فخرج الى الشام فرآه بكنيسة ، وكان معه جماعة من العرب وقريش ، فقال أمية : إن لي حاجة في هذه الكنيسة فانتظروني ، فدخل الكنيسة وأبطأ ، ثم خرج اليهم كاسفاً متغير اللون ، فرمى بنفسه ، وأقاموا حتى سرتي عنه ، ثم مضوا فقصوا حوائجهم ثم رجعوا ، فلما صاروا الى الكنيسة قال لهم : أنتظروني ، ودخل الى الكنيسة فأبطأ ، ثم خرج اليهم أسوأ من حاله الأولى ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : قد شققت على رفقاتك ؛ فقال : خلوني فإنني أرتاد لنفسي لمعادي ، إن ها هنا راهباً عالماً أخبرني أنه تكون بعد عيسى عليه السلام ست رجعات ، وقد مضت منها خمس وبقيت واحدة ، وأنا أطمع في النبوة وأخاف أن تحطني ، فأصابني ما رأيت ؛ فلما رجعت ثانية أتيت فقلت : قد كانت الرجعة وقد بعث نبي من العرب ؛ فينست من النبوة ، فأصابني ما رأيت ، إذ فاتني ما كنت أطمع فيه .

قال : وقال الزهري : خرج أمية في سفر فترلوا مترلاً ، فأمام أمية وجهاً وصعد في كثيب ، فرفعت له كنيسة فأتته إليها ، فإذا شيخ جالس ؛ فقال لأمية حين رآه : إنك كمتبوع ، فمن أين يأتيك ربيك ؟ قال : من شتي الأيسر ؛ قال : فأني الثياب أحب إليك أن يلقاك فيها ؟ قال : السواد ؛ قال : كدت تكون نبي العرب ولست به ، هذا خاطر من الجن وليس بملك ، وإن نبي العرب صاحب هذا الأمر يأتيه من شقه الأيمن ، وأحب الثياب إليه أن يلقاه فيها البياض .

قال الزهري : وأتى أمية أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، عجي الخبر فهل أحسست شيئاً ؟ قال : لا والله ! قال : قد وجدته يخرج العام .

(١) كذا ورد هذا الاسم هنا في أكثر الأصول وهو الموافق لما في الطبري (ص ١١١٦ قسم أول طبعة أوروبا) .

(٢) رتبة (بفتح الزاء وقد تكسر) : جن يري مصاحبه كهانة وطبا ويلقى على لسانه شعراً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن سُبَّة قال :

سمعت خالد بن يزيد يقول : إن أُمِّيَّة وأبا سفيان أصطحبا في تجارة إلى الشام ؛ ثم ذكر نحوه ؛ وزاد فيه : فخرج من عند الراهب وهو ثقیل ؛ فقال له أبو سفيان : إن بك لشرًّا ، فاقصصك ؟ قال : خيرٌ ، أخبرني عن عُثْبَةَ بنِ ربيعة كم سيده ؟ فذكر سنًّا ؛ وقال : أخبرني عن ماله فذكر مالا ؛ فقال له : وضعته ؛ فقال أبو سفيان : بل رفعته ؛ فقال له : إن صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذي مال . قال : وكان الراهب أشيب ، وأخبره أن الأمر لرجل من قريش .

لغة الشياه :

أخبرني الحرَمي قال حدثني الزُّبَيْر قال حدثت عن عبد الرحمن بن أبي حماد المنقري قال :

كان أُمِّيَّة جالسا مع قوم ، فموت بهم غنم فثقت منها شاة ، فقال للقوم : هل تدرون ما قالت الشاة ؟ قالوا : لا ؛ قال : إنها قالت لسختها : مري لا يحيي الذئب فيا كلك كما أكل أختك عام أول في هذا الموضع ؛ فقام بعض القوم إلى الراعي فقال له : أخبرني عن هذه الشاة التي ثقت لها سخة : نعم ، هذه سختها ؛ قال : أكانت لها عام أول سخة ؟ قال : نعم ، وأكلها الذئب في هذا الموضع .

قال الزُّبَيْر وحدثني يحيى بن محمد عن الأصمعي قال : ذهب أُمِّيَّة في شعره بعامه ذكر الآخرة ، وذهب عنقرة بعامه ذكر الحرب ، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامه ذكر الشباب .

روى حالم :

قال الزُّبَيْر حدثني عمرو بن أبي بكر الموصلي قال حدثني رجل من أهل الكوفة قال :

كان أمية ثامناً فجاء طائران فوق أحدهما على باب البيت ، ودخل الآخر فشقَّ
عن قلبه ثم رده الطائر ، فقال له الطائر الآخر : أوعى ؟ قال : نعم ؛ قال : زكا ؟
قال : آبي .

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابي عن ابن
دأب قال :

خرج ركبٌ من ثقيفٍ إلى الشام ، وفيهم أمية بن أبي الصلت ، فلما قفلوا
راجعين نزلوا منزلاً ليتعشوا بعشاء ، إذ أقبلت عظايةٌ حتى دنت منهم ، فخصبها
بعضهم بشيء في وجهها فرجعت ؛ وكفتوا سفرتهم ثم قاموا يرحلون مُسِين ،
فطلعت عليهم عجوزٌ من وراء كثيبٍ مقابلٍ لهم تتوكأ على عصا ، فقالت : ما
منعكم أن تطعموا رجيمَةَ الجارية اليتيمة التي جاء تكم عشيّة ! قالوا : ومن
أنت ؟ قالت : أنا أمُ العوامِ إمتُ منذ أعوام ؛ أما وربّ العباد ، لتفتقن في
البلاد ؛ وضربتُ بعصاها الأرضَ ثم قالت : بَطِئِي إياهم ، ونفري رِكابهم ؛
فوثبت الإبلُ كأنَّ على ذروة كلِّ بعيرٍ منها شيطاناً ما يُملك منها شيء ، حتى
أفترقت في الوادي ، فجمعناها في آخر النهار من الغد ولم نكد ؛ فلما أئخناها
لنرحلها طلعت علينا العجوزُ فضربت الأرضَ بعصاها ثم قالت كقولها الأول ،
ففعلت الإبلُ كفعلها بالأمس ، فلم نجعلها إلَّا الغدَ عشيّة ؛ فلما أئخناها لنرحلها
أقبلت العجوزُ ففعلت كفعلها في اليومين ونفرت الإبلُ ؛ فقلنا لأمية : أين ما

(١) ورد هذا الخبر في طبقات الشعراء لعبد بن سلام الجمحي (ص ٦٧ طبع أوربا) مع زيادة
في العبارة واختلاف في بعض الكلمات .

(٢) العظاية : دويبة ملساء تشبه سمَّ أبرص وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل ، وهي أنواع
كثيرة وكلها منقطة بالسواد ، ومن طبعها أنها تمشي مشياً سريعاً ثم تقف .

(٣) كفت الشيء : ضم بعضه إلى بعض . وفي بعض النسخ : « وكفتوا » . والسفرة : ما يبسط تحت
الخوان من جلد أو غيره .

(٤) يقال : آمت المرأة (من باب ضرب) إذا فقدت زوجها .

(٥) في الأصول : « إلى » .

كنت تُخبرنا به عن نفسك؟ فقال: أذهبوا أنتم في طلب الإبل ودعوني، فتوجه إلى ذلك الكتيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه وهبط منه إلى وادٍ فإذا فيه كنيسة وقناديل، وإذا رجل مضطجع مُعترض على بابها، وإذا رجل أبيض الرأس واللاحية؛ فلما رأى أمية قال: إنك لمُتبع، فن أين يأتيك صاحبك؟ قال: من أذني اليسرى؛ قال فبأي الثياب يأمرك؟ قال: بالسواد؛ قال: هذا خطيب الجن؛ كدت والله أن تكونه ولم تفعل؛ إن صاحب النبوة يأتيه صاحبه من قبل أذنه اليمنى، ويأمره بلباس البياض؛ فما حاجتك؟ فحدثته حديث العجوز؛ فقال: صدقت، وليست بصادقة!! هي امرأة يهودية من الجن هلك زوجها منذ أعوام، وإنها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تهلككم إن أستطاعت؛ فقال أمية: وما الحيلة؟ فقال: جئوا بظهوركم فإذا جاءكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها: سبع من فوق وسبع من أسفل، بأسمك اللهم؛ فلن تضرهم؛ فرجع أمية اليهم وقد جئوا بالظهور؛ فلما أقبلت قال لها ما أمره به الشيخ، فلم تضرهم؛ فلما رأت الإبل لم تتحرك قالت: قد عرفت صاحبكم، ولييئضن أعلاه وليسودن أسفله، فأصبح أمية وقد برص في عذاريه وأسود أسفله؛ فلما قدموا مكة ذكروا لهم هذا الحديث؛ فكان ذلك أول ما كتب أهل مكة «بأسمك اللهم» في كتبهم.

حوار طائرين:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن سببة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن مسعود عن الزُّهري قال:

دخل يوماً أمية بن أبي الصلت على أخته وهي تعتي أدماً لها، فأدركه النوم

(١) الظهور: الركاب التي تحمل عليها الأنفال في السفر لجمالها وإياها على ظهورها، يقال: عند فلان ظهر أي إبل.

فنام على سرير في ناحية البيت . قالت : فأثقت جانب من السقف في البيت ،
وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه ، فشقت الواقع
صدره فأخرج قلبه فشقه ؛ فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره : أوعى ؟
قال : وعى ؛ قال : أقيّل ؟ قال : أبى ، قال : فردّ قلبه في موضعه ، فنهض فأتبعهما
أمية طرفه فقال :

لبيكما لبيكما هانذا لديكما

لا بريء فأعذر ، ولا ذو عشيرة فأنتصر . فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه
ثم أخرج قلبه فشقه ؛ فقال الطائر الأعلى : أوعى ؟ قال : وعى ؛ قال : أقيّل ؟
قال : أبى ، ونهض فأتبعهما بصره وقال :

ليكما ليكما هانذا لديكما

لا مالٌ يُغنيني ، ولا عشيرة تحميني . فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه ، ثم
أخرج قلبه فشقه ؛ فقال الطائر الأعلى : أوعى ؟ قال : وعى ؛ قال : أقيّل ؟ قال :
أبى ، ونهض فأتبعهما بصره وقال :

ليكما ليكما هانذا لديكما

محفوف بالنعم ، محوطٌ من الرّيب . قال : فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه
وأخرج قلبه فشقه ؛ فقال الأعلى : أوعى ؟ فقال : وعى ؛ فقال : أقيّل ؟ قال :
أبى ، قال : ونهض فأتبعهما بصره وقال :

ليكما ليكما هانذا لديكما

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَأُ

قالت أخته : ثم أنطبق السقف وجلس أمية يمسح صدره ؛ فقلت : يا أخي ، هل
تجد شيئاً ؟ قال : لا ، ولكنني أجد حرّاً في صدري ؛ ثم أنشأ يقول :

ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي في قناني^١ الجبال أرعى الوُعولا
اجعل الموت نُصبَ عينك وأحذرْ غولة الدهر إنَّ للدهر غولا

النبي وشعره :

حدَّثني محمد بن جرير الطبري قال حدَّثنا ابنُ حميد قال حدَّثني سلمة عن ابنِ
إسحاق عن يعقوب بن عُتبة عن عكرمة عن ابنِ عباس :

أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صدَّق أُمِّيَّةً في قوله :
رجلٌ وثورٌ تحت رجل يمينه والفسر للأخرى وليثٌ مرَّ صدٌ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق » .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شُبَّة قال حدَّثني حماد بن
عبد الرحمن بن الفضل الحرَّاني قال حدَّثنا أبو يوسف - وليس بالقاضي - عن
الزُّهري عن عُرْوَةَ عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هذا .

أخبرني الحرَّمي بن أبي العلاء قال حدَّثني الزُّبير قال حدَّثنا جعفر بن الحسين
اللَّهبي قال حدَّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عكرمة قال : أنشد النبي صلى
الله عليه وسلم قول أُمِّيَّة :

الحمدُ لله مُمَسَّنا ومُصَبَّحنا بالخير صَبَّحنا ربِّي ومَسَّنا
ربُّ الحنيفة لم تَنفَدْ خَزَائِنُهَا مَمْلُوءة طَبَقَ الآفاقُ سُلْطَانَا
ألا نبيَّ لنا منَّا فيُخَبِّرُنَا ما بعدَ غايَتنا من رأسِ حَيَاتنا

(١) القناني : أعالي الجبال ، واحدها قنة .

(٢) قال الجاحظ في كتاب الحيوان (ج ٦ ص ٦٨) طبع مصر : « وقد جاء في الخبر أن من
الملائكة من هو في صورة الرجال ، ومنهم من هو في صورة الثيران ، ومنهم من هو في صورة النسور ،
ويدل على ذلك تصديق النبي صلى الله عليه وسلم لأُمِّيَّة بن أبي الصلت ... » وذكر هذا البيت .

بيننا يُرِينَا آبَاؤُنَا هَلَكُوا وبيننا نَقُتْنِي الأولَادَ أَفْنَانَا
وقد علمنا لو أَنَّ العلمَ يَنْفَعُنَا أَن سَوْفَ يَلْحَقُ أَخْرَانَا بِأَوْلَانَا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن كاد أميةٌ لَيُسْلِمَ » .

عقوق وعتاب :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية قال حدثنا عبد الله بن أبي بكر ، وحدثنا خالد بن عماره :

أَنَّ أُمِيَّةً عَتَبَ عَلَى ابْنِ لَهُ فَأَنشَأَ يَقُول :

غَدَوْتُكَ مَوْلُودًا وَمُنْتُكَ يَافِعًا	تَعَلُّ بِمَا أَجْنِيْ عَلَيْكَ وَتُنْهَلُّ
إِذَا لَيْلَةُ آبَتِكَ بِالشَّجْوِ لَمْ أَبْتَ	لَشُكْوَاكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلُّ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي	طَرَقْتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنِي تَهْمَلُّ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنِّي	لَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ حَتَمٌ مُّوَجِّلُّ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَ وَالْغَايَةَ الَّتِي	إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَوْ مِلُّ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفِظَاطَةً	كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُّ

معاورة في شعره :

قال الزبير قال أبو عمرو الشَّيْبَانِي قال أبو بكر الهذلي قال : قلت لعكرمة :
ما رأيتُ من يُبَلِّغُنَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِأُمِيَّةَ : « آَمَنَ

(١) في شرح ديوان الحماسة للتبريزي (ص ٣٥٤) طبع أوروبا : « وعلتك » .

(٢) أجني عليك : أكسب ، ويجوز أن يكون من جنبت الثمرة جنياً وجناية . (عن شرح الحماسة للتبريزي) . وفيه رواية أخرى : « بما أدني إليك » .

(٣) في شرح ديوان الحماسة : « نابتك بالشكو » .

شعره وكفر قلبه»، فقال: «هو حق»، وما الذي أنكرتم من ذلك! فقلت له: أنكرنا قوله:

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء مطلع لوئها متورد
تأبى فلا تبدو لنا في رسالها إلا معذبة وإلا تجلد

فا شأن الشمس تجلد! قال: والذي نفسي بيده ما طلعت قط حتى ينحسها سبعون ألف ملك يقول لها: أطلعي؛ فتقول: أطلع على قوم يعبدونني من دون الله! قال: فيأتيها شيطان حين تستقبل الضياء يريد أن يصدّها عن الطلوع فتطلع على قرنيه، فيحرقه الله تحتها، وما غربت قط إلا خرت لله ساجدة، فيأتيها شيطان يريد أن يصدّها عن السجود، فتغرب على قرنيه فيحرقه الله تحتها، وذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان».

حدثني أحمد بن محمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا سفيان ابن عيينة عن زياد بن سعد أنه سمع ابن حاصر يقول:

اختلف ابن عباس وعمرو بن العاصي عند معاوية، فقال ابن عباس: ألا أغنيك؟ قال: بلى! فأنشده:

والشمس تغرب كل آخر ليلة في عين ذي خلب وثأط حرمد

(١) الرسل: الرفق والنودة.

(٢) اسمه عثمان بن حاصر الحميري ويقال: الأزدي أبو حاصر القاصي، وقال عبد الرزاق: عثمان ابن أبي حاصر (انظر تهذيب التهذيب في اسم عثمان).

(٣) الحلب: الطين بلغة حمير، والثأط: الطين الحماة (أي الأسود) وقيل: الطين حمأة كان أو غير حمأة. والحرمد: الأسود من الطين. ورواية هذا الشعر في اللسان مادة (ثأط).

بلغ المشارق والمغارب يتنغي أسباب أمر عن حكيم مرشد
فأق مغيب الشمس عند مأبها في عين ذي خلب وثأط حرمد

وقد رواه صاحب اللسان لأمية ثم قال: وأورد الأزهري هذا البيت مستشهداً به على التأط الحماة، وكذلك أورده ابن بري وقال: إنه لتبّع يصف ذا القرنين.

في مرض موته :

أخبرني الحرَمي قال حَدَّثَنَا عمي عن مُصعب بن عثان عن ثابت بن الزبير قال :

لما مرض أمية مرضه الذي مات فيه جعل يقول : قد دنا أجلي وهذه المُرَضَةُ مَنِيَّتِي ، وأنا أعلم أَنَّ الحَنيفَةَ حقٌ ، ولكن الشك يُدَاخِلُنِي في محمد . قال : ولَمَّا دنت وفاته أَغْمِيَ عليه قليلاً ثم أَفاق وهو يقول :

لَبَّيْكَما لَبَّيْكَما هانذا لديكما

لا مالٌ يَفْدِينِي ، ولا عَشِيرَةٌ تُنَجِّنِي . ثم أَغْمِيَ عليه ايضاً ساعة حتى ظنَّ من حضره من أهله أَنه قد قُضِيَ ، ثم أَفاق يقول :

لَبَّيْكَما لَبَّيْكَما هانذا لديكما

لا بريء فأَعْتَذِرُ ، ولا قَويٌّ فَأَنْتَصِرُ . ثم إنه بَقِيَ يَحْدِثُ من حضره ساعة ثم أَغْمِيَ عليه مثلَ المَرَّتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ حتى يَنسُوا من حياته ؛ وَأفاق وهو يقول :

لَبَّيْكَما لَبَّيْكَما هانذا لديكما

محفوظ بالنعم ،

إن تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَاءَ وَأَيَّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَأ

ثم أَقبل على القوم فقال : قد جاء وقتي ، فكونوا في اهْبِيتِي ؛ وَحدَّثهم قليلاً حتى يَنسَ القوم من مرضه ، وَأَنشأ يقول :

كُلُّ عِشْرٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا مُنْتَهَى أَمْرِهِ إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ أُرْعَى الْوُعُولَا

اجعل الموت نُصَبَ عَيْنِكَ وَأَحْذَرُ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ الدَّهْرَ غُولًا
 ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَدْ قِيلَ فِي وَفَاةِ أُمِيَّةَ
 غَيْرُ هَذَا .

لغة الغربان :

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال :
 سمعت في خبر أُمِيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ ، حين بُعثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 أنه أخذ بِنْتَيْهِ وَهَرَبَ بِهَما إلى أَقْصَى الْيَمَنِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الطَّائِفِ ؛ فَبَيْنَا هُوَ
 يَشْرَبُ مَعَ إِخْوَانٍ لَهُ فِي قَصْرِ غَيْلَانَ بِالطَّائِفِ ، وَقَدْ أودَعَ أَبْنَتَيْهِ الْيَمْنَ وَرَجَعَ
 إِلَى بِلَادِ الطَّائِفِ ، إِذْ سَقَطَ غَرَابٌ عَلَى سُورَةِ فِي الْقَصْرِ فَتَعَبَ نَعْبَةً ؛ فَقَالَ أُمِيَّةُ :
 بِفِيكَ الْكَشْكُثُ ! - وَهُوَ التَّرَابُ - فَقَالَ أَصْحَابُهُ : مَا يَقُولُ ؟ قَالَ : يَقُولُ إِنَّكَ
 إِذَا شَرَبْتَ الْكَأْسَ الَّتِي بِيَدِكَ مَتَّ ، فَقُلْتَ : بِفِيكَ الْكَشْكُثُ . ثُمَّ نَعَبَ نَعْبَةً
 أُخْرَى ، فَقَالَ أُمِيَّةُ نَحْوَ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ أَصْحَابُهُ : مَا يَقُولُ ؟ قَالَ : زَعَمَ أَنَّهُ يَقَعُ عَلَى
 هَذِهِ الْمَرْبُوبَةِ أَسْفَلَ الْقَصْرِ ، فَيَسْتَتِيرُ عِظْمًا فَيَبْتَلَعُهُ فَيَشْجِي بِهِ فَيَمُوتُ ؛ فَقُلْتَ نَحْوَ
 ذَلِكَ فَوَقَعَ الْغَرَابُ عَلَى الْمَرْبُوبَةِ ، فَأَنَارَ الْعِظْمَ فَشَجِي بِهِ فَاتَتْ ؛ فَأَنْكَسَرَ أُمِيَّةُ ،
 وَوَضَعَ الْكَأْسَ مِنْ يَدِهِ ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ ؛ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : مَا أَكْثَرَ مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ
 هَذَا وَكَانَ بَاطِلًا ! فَالْخُوا عَلَيْهِ حَتَّى شَرَبَ الْكَأْسَ ، فَالَ فِي رِشْقٍ وَأَغْمَى عَلَيْهِ ثُمَّ
 أَفَاقَ ، ثُمَّ قَالَ : لَا بَرِيءَ فَأَعْتَذَرَ ، وَلَا قَوِيَّ فَأَنْتَصَرَ ، ثُمَّ خَرَجَتْ نَفْسُهُ .

(١) ويروى : « عينك » .

(٢) هو غيلان بن سلة بن معتب ، وكان وفد على كسرى وحاوره فأعجب به واشترى منه
 التجارة بأضعاف ثمنها وكساه وبعث معه من الفرس من بني له هذا القصر بالطائف ، فكان أول قصر
 بني بها .

صوت

من المائة المختارة

تَبَلَّتْ فؤادك في المنام خريدةٌ تَشْنِي الضَّجِيعَ بيارِدٍ بِسَلمٍ
كالْمِسْكِ تَخْلَطُهُ بماءِ سحابةٍ أو عاتقٍ كدَمِ الذَّبِيحِ مُدَامِ

عروضه من الكامل . الشعر لحسان بن ثابت والغناء لموسى بن خارجة
الكوفي ثقيلٌ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وذكر حماد عن أبيه أن فيه
لحنًا لغرة الميلاء . وليس موسى بكثير الصنعة ولا مشهور ، ولا بمن خدم الخلفاء .



(١) تبلى فؤادك : أسقمته . والخريدة : الحبيبة .

(٢) في ديوان حسان : « تسقي » وعلى هذه الرواية تكون الباء في « بيارد » زائدة .

(٣) العاتق : الخمر القديمة التي حبست زماناً حتى عتقت وجادت ، وقيل : هي التي لم يفيض أحد
ختامها كالجارية العاتق التي قد أدركت ولما تتزوج .

اخبار حسان بن ثابت ونسبه

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عديّ
 ابن عمرو بن مالك بن النجار، واسمه تميم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الحارث
 ابن حارثة بن ثعلبة، وهو العنقاء بن عمرو، وإنما سمي العنقاء لطول عنقه، وعمرو
 هو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة العطريف بن أمي القيس البطريق
 ابن ثعلبة البهلؤل بن مازن بن الأزد، وهو ذري - وقيل: ذراء ممدود - بن
 القوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب
 ابن قحطان.

قال مصعب الرُّبيريّ فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير
 عنه، قال: بنو عديّ بن عمرو بن مالك بن النجار يُسمّون بني مَعَالَة؛ ومَعَالَة
 أمّه، وهي امرأة من القَيْن واليها كانوا يُنسَبون. وأم حسان بن ثابت بن المنذر،
 الفريضة ابنة خالد بن قيس بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الحارث بن

(١) هذا الاسم ان جعلته فعلاً من الحسن أجريته وان جعلته فعلاً من الحسن (بالفتح)
 وهو القتل أو الحسّ بالشيء لم نجده. قال ابن سيده: وقد ذكرنا أنه من الحسّ أو الحسّ، وقال:
 ذكر بعض النحويين أنه فعال من الحسن وليس بشيء.

(٢) كذا في أسد الغابة في ترجمة حسان. وفي سائر الأصول: «وهم تميم الله» وبنو النجار هم
 تميم الله بن ثعلبة.

(٣) نقل صاحب شرح القاموس مادة أزد عن الشيخ عبد القادر البغدادي أن اسمه «در»
 بكسر الدال فسكون وآخره همزة وعن أبي القاسم الوزير أنه دراء ككتاب.

(٤) في تهذيب التهذيب طبع الهند: «الفريضة بنت خالد بن حيش». وفي أسد الغابة طبع
 بولاق: «الفريضة بنت خالد بن خنيس». وفي خزائن الأدب البغدادي (ج ١ ص ١١١ طبع بولاق):
 «الفريضة بنت خنس».

أَبْنِ سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزَرَجِ . وَقِيلَ : أَنْ أَسْمَ النَّجَّارِ تَمِيمُ اللَّاتِ ؛ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ :

وَأُمُّ ضَرَارٍ تَنْشُدُ النَّاسَ وَالْهَأْ أَمَا لِأَبْنِ تَمِيمٍ اللَّهُ مَاذَا أَضَلَّتْ

يَعْنِي ضَرَارَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَكَانَ ضَلَّ فَنَشَدَتْهُ أُمُّهُ . وَإِنَّمَا سَمَّاهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمِيمَ اللَّهِ ، لِأَنَّ الْأَنْصَارَ كَانَتْ تُنْسَبُ إِلَيْهِ ، فَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ فِي أَنْسَابِهَا ذِكْرُ اللَّاتِ .

وَيُكْنَى 'حَسَانُ' بْنُ ثَابِتٍ أَبَا الْوَلِيدِ ، وَهُوَ فَعْلٌ مِنْ فَعُولِ الشُّعْرَاءِ ؛ وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ أَشْعَرُ أَهْلِ الْمَدَرِ . وَكَانَ أَحَدَ الْمُعْتَرِينَ مِنَ الْخَضِرَمِينَ ، عُمَرُ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً : سَيِّئٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَسَيِّئٌ فِي الْإِسْلَامِ .

من المعبرين :

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : عَاشَ ثَابِتُ بْنُ الْمُنْذِرِ مِائَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَعَاشَ حَسَّانُ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً . وَمِمَّا يَحْقُقُ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي الرَّبِيعُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ زُرَّارَةَ عَنْ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : إِنِّي لَعَلَامٌ يَفْقَهُ بْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ إِذَا بِيَهُودِيٍّ يَيْتَرِبُ يَصْرُخُ ذَاتَ غَدَاةٍ : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ؛

(١) وَيُكْنَى أَيْضاً أَبَا الْحَسَامِ ، كَمَا فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ وَأَسَدُ الْغَابَةِ ، لِمُنَاضَلَتِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِتَقْطِيعِهِ أَعْرَاضَ الْمُشْرِكِينَ ، وَيُكْنَى أَيْضاً أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَيُلَقَّبُ بِذِي الْأَكَلَةِ (بِالضَّمِّ) كَمَا فِي الْقَامُوسِ مَادَّةُ أَكَلَ .

(٢) الْمَدَرُ (بِالتَّحْرِيكِ) : الْمَدَنُ وَالْخَضِرُ .

(٣) فِي أَسَدِ الْغَابَةِ وَتَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ وَالنُّجُومِ الزَّاهِرَةِ : أَنَّ عُمَرَ حَسَّانَ مِائَةً وَعِشْرُونَ سَنَةً وَكَذَلِكَ عَاشَ أَبُوهُ ثَابِتٌ وَجَدُّهُ الْمُنْذِرُ وَأَبُو جَدِّهِ حَرَامٌ ، وَلَا يَعْرِفُ فِي الْعَرَبِ أَرْبَعَةَ تَنَاسَلُوا مِنْ صُلْبٍ وَاحِدٍ وَعَاشَ كُلُّ مِنْهُمْ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً غَيْرِهِمْ .

فلما اجتمعوا اليه قالوا : وَيْلَكَ ! ما لك ؟ قال : طلع نجمٌ أُحمدُ الذي يُولد به في هذه الليلة ؛ قال : ثم أدركه اليهودي ولم يُؤمن به . فهذا يدل على مدة عمره في الجاهلية ، لأنه ذكر أنه أدرك ليلة وُلد النبي صلى الله عليه وسلم ، وله يومئذٍ ثمانُ سنين ، والنبي صلى الله عليه وسلم بُعث وله أربعون سنة ، وأقام بمكة ثلاثَ عشرةَ سنة ، فقدم المدينة وحسَّان يومئذٍ ، على ما ذكره ، ستون سنة أو إحدى وستون سنة ، وحينئذ أسلم .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكرك عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثني أبني أبي الزناد قال :

عُمَرُ حَسَّانُ بن ثابتَ عشرين ومائة سنة : ستين في الجاهلية ، وستين في الإسلام .

قال أخبرني الحسين قال أخبرني أحمد بن زهير قال حدث سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار قال : رأيتُ حَسَّانَ بن ثابتَ وله ناصيةٌ قد سدَّ لها بين عينيه .

كان مخضب :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد التوفي عن أبيه قال :

كان حَسَّانُ بن ثابتَ يَمْخُضُ شاربَه وَعَنْقَتَه بِالْحِثَاءِ ، وَلَا يَمْخُضُ سائرَ لحيتِه ؛ فقال له أبْنُه عبد الرحمن : يا أبتِ ، لِمَ تفعلُ هذا ؟ قال : لا مَكُونُ كَأَنِّي أَسَدٌ والغُ في دَمِهِ .

(١) العنققة : شعرات بين الشفة السفلى والذقن .

تفوقه :

أخبرنا محمد بن الحسين بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :

فصل حسان الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الإسلام .

قال أبو عبيدة : وأجمعت العرب على أن حسان أشعر أهل المدرك . أخبرنا بذلك أيضاً أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة قال :

اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدرك أهل يثرب ، ثم عبد القيس ثم ثقف ، وعلى أن أشعر أهل يثرب حسان بن ثابت .

أخبرني حبيب بن نصر المهلب ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا سمر بن شبة قال حدثنا عفان قال حدثنا عبد الواحد بن زياد قال حدثنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال :

جاء حسان إلى نفر فيهم أبو هريرة ، فقال : أنشدك الله ، أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أجب عني » ثم قال : « اللهم أيد به روح القدس » ؟ قال أبو هريرة : اللهم نعم .

الشعر في خدمة العقيدة :

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت محمد بن سيرين ، قال أبو زيد وحدثناه هوزة بن خليفة قال حدثنا عوف عن محمد بن سيرين ، قال :

كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهط من قريش : عبد الله

ابن الرِّبْعَرَى ، وأبو سُفْيَانَ بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاصي ؛ فقال قائل لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه : أتهج عَنَّا القوم الذين قد هَجَوْنَا ؛ فقال علي رضي الله عنه : إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت ؛ فقال رجل : يا رسول الله ، ائذن لعلي كي يهجو عَنَّا هؤلاء القوم الذين قد هَجَوْنَا ؛ قال : « ليس هناك » أو « ليس عنده ذلك » ؛ ثم قال للأَنْصار : « ما يمنع القوم الذين نَصَرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلّاحهم أن ينصروه بالسِّتْهم ؟ » ؛ فقال حَسَنُ بن ثابت : أنا لها ، وأخذ بطرف لسانه ، وقال : والله ما يَسُرُّني به مِثْلُ^١ بين بُصْرَى وَصَنْعَاء ؛ فقال : « كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ » فقال : إني أَسْلَمْتُ منهم كما تُسَلِّ الشَّعْرَةُ من العَجِين . قال : فكان يهجوهم ثلاثة من الأَنْصار : حَسَنُ بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدُ الله بن رَوَاحَة . فكان حَسَنُ وكعب يُعارِضَانِهم بِمِثْلِ قولهم بالوقائع والأَيَّامِ والمآثر ويُعَيِّرَانِهم بِالْمِثَالِ ؛ وكان عبدُ الله بن رَوَاحَة يُعَيِّرُهُم بالكفر . قال : فكان في ذلك الزمان أشدُّ القول عليهم قولُ حَسَنٍ وكعب ، وأهونُ القول عليهم قولُ أبْنِ رَوَاحَة . فلما أسلموا وَفَّقَهُوا الإِسْلَامَ ، كان أشدُّ القول عليهم قولُ أبْنِ رَوَاحَة .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبيّ قالا حدثنا عمرو بن شُبَّة قال حدثنا عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهْمِيّ قال حدثنا أبو يونس القَشِيرِيّ وهو حاتم بن أبي صَغِيرَة قال حدثنا سِمَاكُ بن حَرْب قال :

قام حَسَنُ أبو الحُسام ، فقال : يا رسول الله ، أئْذَن لي فيه ، وأخرج لساناً له أَسْوَدَ ، فقال : يا رسول الله ، لو شئتُ لَفَرَيْتُ به المَزَادَ^٢ ، أئْذَن لي فيه ؛ فقال :

(١) المَقُول : اللسان .

(٢) كَذَا في طبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ٢ ص ٣١ طبع أوروبا) وتهذيب التهذيب (ج ٢ ص ١٣٠ طبع الهند) والخلاصة طبع مصر ؛ وهو مولى بني قَشِيرٍ وأسم أبيه مسلم ، وأبو صَغِيرَة أبو أمه وهو يروى عن عمرو بن دينار وسماك بن حرب (أنظر الأَنْساب للسماعي) . وقد ورد هذا الاسم مضطرباً في جميع الأصول .

(٣) المَزَاد جمع مَزَادَة والمَزَادَة هي التي يَجْعَلُ فيها الماء ، وهي ما فُتِحَ بِجِلْدِ ثَلَاثِ بَيْنِ الْجِلْدَيْنِ لِيَتَسَعَّ ، سميت بذلك لمكان الزيادة .

« اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ثم أهبهم وجبريل معك ». قال أبو زيد قال ابن وهب وحدثنا بهذا الحديث حاتم عن السدي عن البراء بن عازب وعن سماك بن حرب - فأنا أشك - أهو عن أحدهما أم عنهما جميعاً - قال أبو زيد : وحدثنا علي بن عاصم قال حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن سماك بن حرب بنحوه ، وزاد فيه : فأخرج لسانه أسود ، فوضعه على طرف أرنبته ، وقال : يا رسول الله ، لو شئت لفريت به المراد ؛ فقال : « يا حسان وكيف وهو مني وأنا منه » ؛ قال : والله لأسلته منك كما يسأل الشعر من العجين ! ، قال : « يا حسان فأت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك » . فأتى أبا بكر فأعلمه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : كُفَّ عن فلانة وأذكر فلانة ؛ فقال :

هجوت^١ محمداً فأجبت^٢ عنه وعند الله في ذلك الجزاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وراق
أتهجوه ولست له بكف^٣ فشر كما خير كما القداء

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الربيع بن بكار قال حدثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال :

لما أنشدت قريش شعر حسان قالت : إن هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة .

(١) وردت هذه الأبيات في السيرة لابن هشام (ص ٨٣٠ طبع أوربا) ضمن قصيدة مطلقها :

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عنراء منزلها خلاء

على غير ترتيب الأغاني بذكر البيت الثالث بعد الأول وبزيادة بيتين بعدهما :

هجوت مباركاً برأ حفيأ أمين الله شيمته الوفاء
أمن هجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

وبلها البيت « فان أبي الخ » . وانظر هذا الشعر أيضاً في صحيح مسلم (ج ٢ ص ٢٦٠ - ٢٦١ طبع بولاق) .

(٢) هو أبو بكر الصديق .

قال الرُّبَيْرُ : وحدَّثني محمد بن يحيى عن يعقوب^١ بن إسحاق بن مُجَمِّع عن رجل من بني العَجَلان قال :

لما بلغ أهل مكة شعراً حسناً ولم يكونوا علموا أنه قوله ، جعلوا يقولون :
لقد قال أبو بكر الشعر بعدنا .

تناشد الهجاء :

قال الرُّبَيْرُ : وحدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن زهير قال حدَّثنا الرُّبَيْرُ بن بكَّار قال حدَّثني محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال :

نهى عمر بن الخطاب الناس أن يُنشدوا شيئاً من مُناقضة الأنصار ومشركي قريش ، وقال : في ذلك شتمٌ الحَيِّ بالليت وتجديدُ الضغائن ، وقد هدم الله أمرَ الجاهلية بما جاء من الإسلام . فقَدِمَ المدينة عبد الله بن الرُّبَيْرُ السَّهْمِيُّ وضرار ابن الخطَّاب الفهري ثم المحاربي ، فترلا على أبي أحمد بن جحش ، وقالاه : نُحِبُّ أن تُرسل إلى حسَّان بن ثابت حتى يأتيك ، فننشده ويُنشداً بما قلنا له وقال لنا : فأرسل إليه فجاءه ، فقال له : يا أبا الوليد ، هذان أخواك ابن الرُّبَيْرِ وضرار قد جاءا أن يُسمعَاك وتُسمعَهما ما قالَا لك وقلتَ لهما ؛ فقال ابن الرُّبَيْرِ وضرار : نعم يا أبا الوليد ، إن شعرك كان يُحتمل في الإسلام ولا يُحتمل شعراً ، وقد أحيينا أن نُسمعَكَ وتُسمعنا ؛ فقال حسان : أَقْتَبِدَان أم أبدا ؟ قالَا : نَبْدَأ نحن ؛ قال : أَبْتَدِئَا ؛ فأنشده حتى فار فصار كالمرجل غضباً ثم أستويا على راحلتيهما

(١) ليس واضحاً من هو المعنى بهذا الاسم ففي كتب التراجم التي بين أيدينا والذي بها هو : « يعقوب بن مجمع » أو « يعقوب بن إسحاق بن زيد » كما في تهذيب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال . وفي لسان الميزان (ج ٦ ص ٣٠٦) : « يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن مجمع » ولعله هذا .

(١) ليس في ولد محمد بن ثابت بن قيس بن شماس من يسمى خالداً وقد أحصاه ابن سعد في الطبقات (ج ٥ ص ٥٨ - ٥٩ طبع أوروبا) . على أن السند كله مضطرب .

يُريدان مكة؛ فخرج حسان حتى دخل على عمر بن الخطاب فقص عليه قصتها وقصته؛ فقال له عمر: لن يذهبا عنك بشيء، إن شاء الله، وأرسل من يرُدُّهما، وقال له عمر: لو لم تُذرِكُهما إلا بمكة فأرُدُّهما عليّ؛ وخرجا فلما كانا بالروحاء رجع ضرارٌ إلى صاحبه بكروم، فقال له يابن الربيعي: أنا أعرف عمرَ وذِبّه عن الإسلام وأهله، وأعرف حسانَ وقلةَ صبره على ما فعلنا به، وكأنني به قد جاء وشكا إليه ما فعلنا، فأرسل في آثارنا وقال لرسوله: إن لم تَلَحِّظْها إلا بمكة فأرُدُّهما عليّ، فأرْبِج بنا تركَ العناء وأقم بنا مكاننا، فإن كان الذي ظننتُ فالرجوع من الروحاء أسهلُ منه من أبعدٍ منها، وإن أخطأ ظني فذلك الذي تُحِبُّ ونحن من وراء المضي؛ فقال ابنُ الربيعي: نعم ما رأيت. قال: فأقاما بالروحاء، فما كان إلا كمرَ الطائر حتى وافاهما رسولُ عمر فردَّهما إليه، فدعا لهما بحسان، وعمرُ في جماعةٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لحسان: أنشدكما بما قلتَ لهما؛ فأنشدتهما حتى فرغ بما قال لهما فوقف؛ فقال له عمر: أفرغت؟ قال: نعم؛ فقال له: أنشدك في الحلاء وأنشدتهما في الملا. وقال لهما عمر: إن شئنا فأقيا وإن شئنا فأنصرفا؛ وقال لمن حضره: إني قد كنتُ نهييتُكم أن تذكروا بما كان بين المسلمين والمشرِكين شيئاً دفعاً للتضاغن عنكم وبشِّ القبيح فيما بينكم، فأما إذ أبوا فأكتبوه واحتفظوا به؛ فدونوا ذلك عندهم. قال خلاد بن محمد: فأدرِكنه والله وإنَّ الانصار لتُجِدِّده عندها إذا خافت بِلاده.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عفان بن مسلم قال حدثنا عمران بن زيد قال: سمعت أبا إسحاق قال في قصة حسان وأبي سفيان ابن الحارث نحو ما ذكره مما قدَّمنا ذكره، وزاد فيه: فقال حسان فيه:

(١) الروحاء: موضع بين مكة والمدينة على نحو ثلاثين ميلاً من المدينة.

(٢) في الأصول: «محمد بن عبد العزيز» وظاهر جداً أنه أحمد بن عبد العزيز الجوهري الذي يروي عن عمر بن شبة، ويروي عنه كثيراً أبو الفرج.

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم، ووالدك العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منكم كرام ولم يلحق عجائزك المجد
وإن أمراً كانت سمية أمه وسمره مغلوب إذا بلغ الجهد
وأنت هجين نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدر

فقال العباس : وما لي وما لحسان ! يعني في ذكره ثبيلة ، فقال فيها :

واست كعباس ولا كابن أمه ولكن هجين ليس يورى له زند

جبريل يقول شعرا :

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا القعني قال حدثنا مروان بن
معاوية قال حدثنا إياس السلمي عن ابن بريدة قال :

(١) بنت مخزوم : يريد بها فاطمة بنت عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهي أم عبد الله (أي
التي) والزبير وأبي طالب أبناء عبد المطلب . ووالدك العبد : يريد به الحارث بن عبد المطلب وهو أبو
أبي سفيان المهجور وكانت أمه أم ولد .

(٢) يريد في هذا البيت مدح آمنة أم النبي وهالة أم حمزة وصفيّة، وكلتاها زهرية إذ هما ابنتا وهب
ابن عبد مناف بن زهرة . وقوله : « ولم يلحق عجائزك المجد » يرجو أبا سفيان بأن أمهاته لسن بأحرار
إذ كانت أم أبي سفيان نفسه أم ولد وأم أبيه كذلك أم ولد . ورواية الديوان في هذا البيت (ص ٩١
طبع ليدن) .

وما ولدت أقاء زهرة منكم كريماً ولم يقرب عجائزك المجد

(٣) كذا في الديوان وسمية : هي أم الحارث بن عبد المطلب، وأبوها موهب غلام لبني عبد مناف .
وفي الأصول : « ثبيلة » بالثاء المثناة وهو تحريف (انظر شرح التوري على صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٠٠
طبع بولاق) .

(٤) سمره : هي أم أبي سفيان المهجور .

(٥) الهجين : من أبوه عربي وأمّه ليست بعربية . ونيط في آل هاشم : نسب إليهم وليس منهم،
يريد أنه ليس من خالصهم .

(٦) كذا في المعارف لابن قتيبة وشرح القاموس (مادة نط) ، وهي ثبيلة بنت كليب بن مالك بن
جناب أم العباس وضرار ابني عبد المطلب، وهي إحدى نساء بني التمر بن قاسط . وفي الأصول
« ثبيلة » بالثاء المثناة وهو تحريف .

(٧) هو ضرار بن عبد المطلب .

أعان جبريل عليه السلام حسان بن ثابت في مديح النبي صلى الله عليه وسلم
بسبعين بيتاً .

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا سعيد بن
عامر قال حدثني جويرية بن أسماء قال :

بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت عبد الله بن رواحة
فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت
فشني وأشتني » .

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا ابن وهب
قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان ويعل بن
شداد بن أوس عن عائشة قالت :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت الشاعر : « إن
روح القدس لا يزال يؤتيك ما كلفت عن الله عز وجل وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم » .

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا هروذة بن خليفة قال حدثنا عوف بن
محمد قال :

قال النبي صلى الله عليه وسلم ليلة وهو في سفر : « أين حسان بن ثابت » ؛
فقال حسان : لبيك يا رسول الله وسعدنيك ؛ قال : « آحد » ، فجعل يُنشد
ويُصغي إليه النبي صلى الله عليه وسلم ويستمع ، فما زال يستمع إليه وهو سائق
راحلته حتى كان رأس الراحلة يمس الورك حتى فرغ من نشيده ، فقال النبي
صلى الله عليه وسلم : « لهذا أشد عليهم من وقع التبل » .

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا أبو عاصم النبيل قال أخبرنا ابن جريح
قال أخبرنا زياد بن أبي سهل قال حدثني سعيد بن المسيب :

انشاد في المسجد :

ان عمر مرّ بحسّان بن ثابت وهو يُنشِد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتهره عمر؛ فقال حسّان : قد أنشدتُ فيه مَنْ هو خيرُ منك ، فأنطلق عمر .

أخبرنا أحمد قال حدثنا أبو داود الطيالسي قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن الزُّهري عن سعيد بن المسيّب :

أن عمر مرّ على حسّان وهو يُنشِد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله وزاد فيه : وعلمتُ أنه يريد النبي صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا شجاع بن الوليد عن الإفريقي عن مُسلم بن يسار :

أن عمر مرّ بحسّان وهو ينشد الشعرَ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ بأذنه وقال : أرغاء كروغاء البعير ! فقال حسّان : دعنا عنك يا عمر ، فوالله لتعلمُ آني كنتُ أنشدُ في هذا المسجد مَنْ هو خيرُ منك فلا يُغيّرُ عليّ ؛ فصدّقه عمر .

حدثنا محمد بن جرير الطبري والحرّميّ بن أبي العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي وجاعة غيرهم قالوا حدثنا الزُّبير بن بكّار قال حدثنا أبو غرّة محمد بن موسى قال حدثني عبد الله بن مُصعب عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن جدّتها أسماء بنت أبي بكر قالت :

مرّ الزُّبير بن العوّام بمجلس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسّان بن ثابت يُنشِدهم من شعره وهم غير نشاطٍ إلّا يسمعون منه ، فجلس

(١) رواية صحيح مسلم (ج ٢ ص ٢٥٩ طبع بولاق) : « قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك » .

معهم الزبير فقال : مالي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريرة ! فلقد كان يعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن أستماعه ويُجزل عليه ثوابه ولا يشتغل عنه بشيء . فقال حسان :

أقام على عهد النبي وهدية	حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه	يوالي ولي الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي	يصول إذا ما كان يوم محجل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها	بأبيض سباق إلى الموت يرقل
وإن أمراً كانت صفية أمه	ومن أسد في بيتها لمرفل
له من رسول الله قرابة قريبة	ومن نصرة الإسلام مجد مؤئل
فكم كربة ذب الزبير بسيفه	عن المصطفى والله يعطي فيجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله	وليس يكون الدهر ما دام يذبل
تناؤك خير من فعال معاشر	وفعلك يأبى الهاشمية أفضل

أخبرني أحمد بن عيسى العجلي قال حدثنا واصل بن عبد الأعلى قال حدثنا ابن فضيل عن مجالد عن الشعبي قال :

لما كان عام الأحزاب وردتهم الله بغيتهم لم ينالوا خيراً ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من يحمي أعراض المسلمين ؟ » فقال كعب : أنا يا رسول الله ،

(١) حواري النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « إن لكل نبي حواريًا وإن حواري الزبير » . وفي رواية : « الزبير بن عمتي وحواري من أمتي » أي لصتي من أصحابي وناصري .

(٢) حش الحرب : أسعرها وهيجها .

(٣) أرقل : أسرع ، والإرقال ضرب من السير السريع ، قال النابغة :

إذا استنزلوا الطعن عنهن أرقلوا إلى الموت إرقال الجمال المصعب

(٤) المرفل : المعظم المسود .

(٥) يذبل : اسم جبل في بلاد نجد .

(٦) الأحزاب : قريش وخطفان وبنو قريظة تألبوا على حرب النبي .

وقال عبد الله بن رَواحة : أنا يا رسول الله ، وقال حسان بن ثابت : أنا يا رسول الله ؛ فقال : « نعم أهجهم أنتَ فإنه سيُعينك عليهم رُوحُ القدس » .

أخبرني أحمد بن عبد الرحمن قال حدثنا عمرو بن شبة قال حدثنا أبو داود قال حدثنا حديج بن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال :

كنّا عند ابن عباس فجاء حسان ، فقالوا : قد جاء اللّعين ؛ فقال ابن عباس : ما هو بلعين ، لقد نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ويده .

حدثني أحمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن بكر قال حدثنا حديج بن معاوية قال حدثنا أبو إسحاق عن سعيد بن جبير قال :

جاء رجلٌ إلى ابن عباس فقال : قد جاء اللعين حسان من الشام ، فقال ابن عباس : ما هو بلعين ، لقد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ونفسه .

منافحة :

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا عبد الله بن عمرو وشريح بن النعمان قالا حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت :

لما قدّم وفدُ بني تميم وُضع النبي صلى الله عليه وسلم لحسان منبراً وأجلسه عليه ، وقال : « إن الله ليؤيد حسانَ بروح القدس ما كافحَ عن نبيه » صلى الله عليه وسلم . هكذا روى أبو زيد هذا الخبر مختصراً ، وأتينا به على تمامه ها هنا لأنّ ذلك حسن فيه .

أخبرنا به الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الثوري قال حدثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال :

(١) ويروى : « ما نافع » بالحاء المهملة ، وهما بمعنى واحد .

قدّم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم وهم سبعون أو ثمانون رجلاً،
فيهم الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وعطارِد بن حاجب، وقيس بن
عاصم، وعمرو بن الأهم، وأنطلق معهم عيينة بن حصن، فقدموا المدينة،
فدخلوا المسجد، فوقفوا عند الحُجرات، فنادوا بصوت عالٍ جافٍ: أخرج إلينا
يا محمد، فقد جئنا لتفاخرِك، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا، فخرج إليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجلس، فقام الأقرع بن حابس فقال: والله إن مدحي لَرَيْن،
وإن ذمي لشَيْن؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ذلك الله». فقالوا: إنا
أكرمُ العرب؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكرمُ منكم يوسف بن
يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام». فقالوا: أئذَنُ لشاعرنا وخطيبنا؛ فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلس معه الناس. فقام عطارِد بن
حاجب فقال:

الحمد لله الذي له الفضلُ علينا وهو أهلُه، الذي جعلنا ماوكاً وجعلنا أعزَّ أهل
المشرق، وآتانا أموالاً عظيماً نفعل فيها المعروف، ليس في الناس مثلاً، ألسنا
برؤوس الناس وذوي فضلهم! فمن فآخونا فليعدِدْ مثل ما عدَدنا، ولو نشاء لا كثرنا،
ولكننا نستحي من الإكثار فيما خولنا الله وأعطانا، أقول هذا فأتوا بقول أفضل
من قولنا أو أمرٍ أبين من أمرنا، ثم جلس.

فقام ثابت بن قيس بن شماس فقال: الحمد لله الذي السموات والأرض
خلقه، قضى فيهن أمره ووسع كرسيه وعلمه، ولم يقض شيئاً إلا من فضله
وقدرته، فكان من قدرته أن أصطنى من خلقه لنا رسولاً أكرمهم حساباً وأصدقهم
حديثاً وأحسنهم رأياً، فأنزل عليه كتاباً وأتسمنه على خلقه، وكان خيرة الله من

(١) في الطبري (ص ١٧١١ من القسم الأول طبع أوروبا): «وجعلنا أعز أهل المشرق
وأكثره عدداً وأيسره عدة ... الخ».

(٢) في سيرة ابن هشام (ص ٩٣٥ طبع أوروبا) والطبري: «ووسع كرسيه علمه» من غير
و العطف، وقد وردت هاتان الخطبتان في السيرة والطبري باختلاف يسير عما هنا.

العالمين ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الايمان ، فأجابه من قومه وذوي رحمة المهاجرون أكرم الناس أنساباً ، وأصبح الناس وجوهاً ، وأفضل الناس فعلاً ؛ ثم كان أول من أتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وأستجاب له نحن معشر الأنصار ، فتحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا ويقولوا : لا إله إلا الله ، فن آمن بالله ورسوله منع منّا ماله ودمه ، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في الله ، وكان جهاده علينا يسيراً ، أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات .

فقام الربيعان فقال :

نحن الملوكة فلا حي يُقاربنا	منّا الملوكة وفيها يؤخذ الربع
تلك المكارم خزانها مقارعة	إذا الكرام على أمثالها اقترعوا
كم قد نشدنا من الأحياء كلهم	عند التّهاب وفضل الغرّ يتبع
وننحر الكوم عبطاً في منازلنا	للمنازلين إذا ما استطعموا شيعوا
ونحن نطعم عند الحبل ما أكلوا	من العبيط إذا لم يظهر القرع
وننصر الناس تأتينا سراهم	من كل أوب فتضي ثم تلّبع

(١) في سيرة ابن هشام والطبري : « ثم دعا الناس الى ... الخ » .

(٢) ورد هذا الشعر في ديوانه وسيرة ابن هشام (ص ٩٣٥ طبع أوروبا) والطبري (قسم ١ ص ١٧١٢ طبع أوروبا) باختلاف عما هنا .

(٣) كان من عادة العرب في الجاهلية اذا غزا بعضهم بعضاً وغنموا أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصاً دون أصحابه ، وذلك الربع يسمى المربع ، ورواية البيت في السيرة والطبري :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الملوكة وفيها تنصب البيع

(٤) الكوم : جمع أكوم وهو البعير الضخم السنام والأثني كوما .

(٥) عبط الذبيحة عبطاً : نحرها من غير داء ولا كسر وهي سينة فنية ، ويقال لتناقصة : عبيطة والجمع : عبط (بضمين) وقد تسكن عينه .

(٦) ورد هذا البيت في نهاية ابن الاثير والسان (مادة سدف) هكذا :

ونطعم الناس عند القحط كلهم من السديف اذا لم يؤنس القزح

والسديف : شحم السنام . والقزح : السحاب . أي نطعم الشحم في الحبل .

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حسان بن ثابت فجاءه ، فأمره أن يجيبه ؛ فقال حسان :

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ بَيَّنَّا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِيرَتُهُ تَقْوَى الْإِلَهَ وَالْأَمْرَ الَّذِي شَرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَافِلُوا التَّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ فَأَعْلَمُ شَرُّهَا الْبِدْعُ
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لَا ذَنْبَ سَبَقِهِمْ تَبَعُ
أَعْقَةُ ذُكْرَتٍ فِي الْوَحْيِ عَقَّتُهُمْ لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُرْدِيهِمُ الطَّمَعُ
وَلَا يَصْنُونَ عَنْ جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسَهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَمَعُ
يَسْمُونَ لِلْحَرْبِ تَبَدُّوْهُي كَالْحَلَّةِ إِذَا الرِّعَانُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا
لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا جُرْعُ
كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتِ مُكْتَنِعٌ أَسْوَدُ بَيْشَةٍ فِي أَرْسَافِهَا قَدَعُ^٧
خُذْ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوًا وَإِنْ مَنَعُوا فَلَا يَكُنْ هُمُكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا
فَإِنْ فِي حَرْبِهِمْ فَأَتْرُكْ عِدَاوَتَهُمْ سُمًّا يَخَاضُ عَلَيْهِ الصَّابُ وَالسَّلْعُ

(١) ورد هذا الشعر أيضاً في السيرة (ص ٩٣٦ طبع أوروبا) والطبري (قسم ١ ص ١٧١٤ طبع أوروبا) والديوان باختلاف يسير عما هنا .

(٢) ويروى : «رفع» .

(٣) كذا في الديوان . وفي الأصول : «لا يطعمون ولا يزري بهم طمع» .

(٤) الزعانف : أرذال الناس .

(٥) المكتنع : الداني القريب .

(٦) بيشة : من عمل مكة مما يلي اليمن ، على خمس مراحل من مكة ، وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الأسد . وفي السيرة : «أسد بجيلة ... الخ» وحلية : مأسدة بناحية اليمن .

(٧) القدع : اعوجاج في الرسغ .

(٨) كذا في ديوانه والسيرة . وفي الأصول : «... ما أتوا عفوا ... الخ» .

(٩) يخاض : يخلط . والصاب والسلم : ضربان من الشجر مرّان .

أكرم بقوم رسول الله قائدهم إذا تفرقت الأهواء والشيع
أهدى لهم مدحي قلب يؤازره فيما أراد لسان حائك صنع
فإنهم أفضل الأحياء كلهم إن جد بالناس جد القول أو شحوا

فقام عطار د بن حاجب فقال :

أتيناك كيا يعلم الناس فضلنا إذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم
بأنا فروع الناس في كل موطن وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

فقام حسان بن ثابت فقال :

منعنا رسول الله من غضب له على رغم أنف من معدّ وراغم
هل المجد إلا السودد العود والتدى وجاء الملوكة وأحبال العظام

قال : فقال الأقرع بن حابس : والله إن هذا الرجل لمؤتى له ! والله لشاعره

(١) كذا في ديوانه طبع أوربا وسيرة ابن هشام والطبري، ومعناه : مزحوا، وهو أنسب للقلم،
لمقابله لقوله : إن جد بالناس الخ، قال أبو ذؤيب يصف حمرا :

فلبت حيناً يعتلجن بروضة فيجد حيناً في العلاج ويشمع

وفي الأصول وديوانه طبع مصر : « سموا » بالسين المهملة .

(٢) الذي في سيرة ابن هشام (ص ٩٣٧ طبع أوربا) أن هذا الشعر من قول الزبرقان بن بدر .

(٣) دارم : أبو حي من تميم .

(٤) رواية الديوان وسيرة ابن هشام :

نصرنا وآوينا النبي محمداً على أنف راض من معدّ وراغم

ورواية الطبري :

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا على كل باغ من معدّ وراغم

(٥) العود : القديم .

(٦) كذا في الطبري وسيرة ابن هشام . ومؤتى له : مهتل وميسر له . وفي الأصول :
« مؤثر له » .

أشعرُ من شاعرنا ، وخطيبُهُ أخطبُ من خطيبنا ، ولا أصواتهم أرفعُ من أصواتنا !
 أعطني يا محمد ، فأعطاه ؛ فقال : زدني فزاده ؛ فقال : اللهم إنه سيد العرب ؛
 فزلت فيهم : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) :
 ثم إن القوم أسلموا ، وأقاموا عند النبي صلى الله عليه وسلم يتعلمون القرآن ،
 ويتفقهون في الدين ؛ ثم أرادوا الخروجَ إلى قومهم ، فأعطاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
 وسلم وكساحم ، وقال : « أَمَا بَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدٌ ؟ » ، وكان عمرو بن الأَهم في
 ركبهم ، فقال قيس بن عاصم ، وهو من رَهْطِهِ وكان مُشَاحِنًا لَهُ : لم يَبْقَ مِنَّا
 أَحَدٌ إِلَّا غُلَامٌ حَدِيثُ السِّنِّ فِي رِكَابِنَا ؛ فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
 مِثْلَ مَا أَعْطَاهُمْ . فبلغَ عَمْرًا مَا قَالَ قَيْسٌ ؛ فقال عمرو بن الأَهم لقيس :

ظَلَلْتُ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتَنِي عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصَبِّرْ
 إِنْ تُبَغِضُونَا فَإِنَّ الرُّومَ أَصْلَكُمْ وَالرُّومُ لَا تَمْلِكُ الْبَغْضَاءَ لِلْعَرَبِ
 فَإِنْ سُودِدُنَا عَوْدٌ وَسُودِدْكُمْ مُؤَخَّرٌ عِنْدَ أَصْلِ الْعَجَبِ وَالذَّنْبِ

فقال له قيس :

لولا دفاعي كنتم أعبدًا داركم الحيرة والسيلحون^١

إيمانه بالرسول :

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالوا حدثنا عمرو بن شبة قال
 حدثني عمرو بن علي بن مُقَدَّم عن يحيى بن سعيد عن أبي حيان التميمي عن حبيب

(١) النكمة عن سيرة ابن هشام والطبري .

(٢) الهلباء : الاست .

(٣) رواية هذا البيت في سيرة ابن هشام :

سدناكم سوددًا رهوًا وسوددكم بادٍ نواجزه مُنْقَعٍ عَلَى الذَّنْبِ

والعجب من كل دابة : ما انضم عليه الورك من أصل الذنب المفروز في مؤخر العجز .

(٤) السيلحون : موضع قرب الحيرة ، وقيل : هو بين الكوفة والقادسية .

ابن أبي ثابت، قال أبو زيد وحدثنا محمد بن عبد الله بن الرثير قال حدثنا مسعر عن سعد بن إبراهيم، قالوا :

قال حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم :

صوت

شهدتُ بإذن الله أنَّ محمداً رسولُ الذي فوقَ السمواتِ من علٍ
وأنَّ أخاُ الأحقافِ إذْ يَعْزِلُونَهُ يقومُ بدينِ الله فيهم فيعدلُ
وأنَّ أبا يحيى ويحيى كلاهما له عملٌ في دينه مُتَقَبَّلُ
وأنَّ الذي عادى اليهودَ ابنَ مريمَ رسولُ أتى من عند ذي العرشِ مرسلُ
وأنَّ الذي بالجزعِ من بطن نخلةٍ ومن دونها فلٌ من الخير معزلُ

- غنى في هذه الأبيات معبدٌ خفيفٌ ثَقِيلٌ أوَّلُ بالبصرة من رواية يونس وغيره - فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا أشهد معك » .

(١) نسب هذا الشعر في اللسان (مادة قلل) الى عبد الله بن رواحة يصف العزى ، وهي شجرة كانت تعبد، وذكر بيتين من هذا الشعر نذكرهما لاختلافهما في بعض الألفاظ عما هنا وهما :

شهدت ولم أكذب بأن محمداً رسول الذي فوق السموات من عل
وأن التي بالجزع من بطن نخلة ومن دأها فل من الخير معزل

ثم أعقبها بالجملة التفسيرية الآتية : « أي خال من الخير ، ويروى : ومن دونها ، أي الصنم المنصوب حول العزى » .

(٢) هو هود عليه السلام وهو المشار اليه في قوله تعالى : (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف) والأحقاف : جمع حقف ، وهو جبل مستطيل مرتفع فيه انحناه .

(٣) يعني بأبي يحيى زكريا عليه السلام .

(٤) الجزع : قرية عن يمين الطائف وأخرى عن شماله . ورواية الديوان في هذا البيت :

وأن التي بالسد من بطن نخلة ومن دأها فل من الخير معزل

(٥) الفل : الذي لا خير عنده كالأرض الفل وهي التي لا تبت فيها ولا خير . (انظر التعليقات التي على ديوان حسان المطبوع بأوروبا الذي أشرف على طبعه المستشرق الإنجليزي جيب) . وبطن نخلة : موضع بين مكة والطائف .

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا زهير بن حَرْب قال حدثني جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق، وأخبرني بها أحمد بن عيسى العجلي قال حدثنا سُفيان بن وكيع قال حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال :

دخلتُ على عائشة وعندها حسان وهو يرثي بنتاً له وهو يقول :
رِزَانُ حَصَانُ مَا تُرَنُّ بِرَبِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرُثٌ مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فقلت عائشة : لكن أنت لست كذلك؛ فقلت لها : أيدخل عليك هذا وقد قال الله عز وجل : (وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ! فقلت : أما تراه في عذاب عظيم قد ذهب بصره ! .

الفاخنة نبيء :

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدثنا ابن أبي أويس قال حدثني أبي ومالك بن الربيع بن مالك حدثاني جميعاً عن الربيع ابن مالك بن أبي عامر عن أبيه أنه قال :

بينما نحن جالوسٌ عند حسان بن ثابت، وحسان مضطجعٌ مُسْنِدٌ رجله إلى فارعٌ قد رفعها عليه، إذ قال : مه ! أما رأيتم ما مرَّ بكم الساعة ! قال مالك :

(١) القصيدة في ديوانه ليس فيها شيء من الرثاء بل هي في مدح عائشة والاعتذار عما رماها به هو وغيره من الإفاك (راجع صفحة ١٦٢ من هذا الجزء) وهي غير القصيدة التي رثي بها ابنته وان كانت على قافيتها .

(٢) رواية الديوان : « حسان رزان النخ » . وامرأة رزان اذا كانت ذات ثياب ووفار وعفاف وكانت رزينة في مجلسها ، وامرأة حسان بفتح الحاء : عفيفة بيّنة الحصانة .

(٣) الغرث : الجائعة ، أي أنها تصبح جائعة من لحوم الناس والمراد أنها لا تفتابهم .

(٤) فارع : اسم أطم ، وهو حصن بالمدينة كان لحسان بن ثابت .

قلنا : لا والله ، وما هو ؟ فقال حسان : فَاخْتَةُ^١ مَرَّتْ السَّاعَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ فَارِعِ
فَصَدَمْتَنِي ! أَوْ قَالَ : فَرَحَمْتَنِي ؛ قَالَ : قلنا : وما هي ؟ قَالَ :

سَتَاتِيكُمْ غَدَوَا أَحَادِيثُ جَعَّةُ^٢ فَأَصْغُوا لَهَا آذَانَكُمْ وَتَسْمَعُوا

قَالَ مَالِكُ بْنُ أَبِي عَمْرٍو : فَصَبَحْنَا مِنَ الْغَدِ حَدِيثُ صِفَيْنِ .

أَخْبَرَنَا وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَنْظَلِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الْعَلَاءِ
ابْنِ جَزْءٍ الْعَنْبَرِيِّ قَالَ :

يَبِينَا حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ بِالْحَنِيفِ وَهُوَ مَكْفُوفٌ ، إِذْ زَفَرَ زَفْرَةً ثُمَّ قَالَ :

وَكَانَ حَافِرَهَا بِكَلِّ خَمِيلَةٍ^٣ صَاعٌ يَكِيلُ بِهِ شَجِيجٌ مُعَدِمٌ^٤
عَارِي الْأَشَاجِعِ^٥ مِنْ تَقِيفِ أَصْلِهِ عَبْدٌ وَيَزْعَمُ أَنَّهُ مِنْ يَقْدَمِ^٦

قَالَ : وَالْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ جَالِسٌ قَرِيبًا مِنْهُ يَسْمَعُ مَا يَقُولُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِخُمْسَةِ آلَافٍ
دِرْهَمٍ ؛ فَقَالَ : مَنْ بَعَثَ بِهَذَا ؟ قَالَ : الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ سَمِعَ مَا قُلْتَ ؛ قَالَ : وَاسْوَأُ تَاهًا !
وَقِيلَ لَهَا .

الاستجارة من شعره :

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْغَرِيزِ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شُبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ
قَالَ :

(١) الفاختة : واحدة الفواخت ، وهي ذوات الأطواق من الحمام ، قيل لها ذلك لونها لأنه
يشبه الفخت الذي هو ضوء القمر .

(٢) الخميعة : الأرض السهلة التي تنبت ، شبه ذنبها بخميلة القطيفة .

(٣) الأشاجع : أصول الأصابع التي تنصل بعصب ظاهري الكف ، وقيل : هي عروق ظاهري
الكف ، واحدها : أشجع .

(٤) يقدم : أبو قبيلة وهو يقدم بن عذرة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، والبيت فيه إقواء وهو
اختلاف حركة الروي .

(٥) كذا في جميع الأصول ، وكان الأولى أن يكون « قيل » أو « قالوا » .

جاء الحارث بن عوف بن أبي حارثة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
 أجزني من شعر حسان، فلو مُزج البحر بشعره لَمَزَجَهِ . قال : وكان السبب في
 ذلك - فم أخبرني به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن الأصمعي وأخبرني
 به الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي
 مُصعب - أن الحارث بن عوف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ابعت
 معي من يدعو إلى دينك وأنا له جارٌ ؛ فأرسل معه رجلاً من الأنصار، فغدرت
 بالحارث عشيرته فقتلوا الأنصاري، فقدم الحارث على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم، وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤنب أحداً في وجهه، فقال : « ادعوا لي
 حسان ؛ فدعني له، فلما رأى الحارث أنشهده :

يا حارِ مَنْ يَغْدُرُ بِذِمَّةِ جَارِهِ مِنْكُمْ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَغْدُرْ
 إِنْ تَغْدُرُوا فَالْغَدْرُ مِنْكُمْ شِيمَةٌ وَالْغَدْرُ يَنْبُتُ فِي أَصُولِ السَّخْبَرِ

فقال الحارث : اكفّفه عني يا محمد، وأؤدّي إليك دية الخفارة ؛ فأدّى إلى النبي
 صلى الله عليه وسلم سبعين عُشْرَاءً وكذلك دية الخفارة، وقال : يا محمد، أنا عائدٌ
 بك من شرّة، فلو مُزج البحر بشعره لَمَزَجَهِ .

حفظه من المهاجرين :

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إبراهيم بن
 المنذر قال حدثنا عبد الله بن وهب قال أخبرنا العطاء بن خالد قال :
 كان حسان بن ثابت يجلس إلى أُطيمه فارِع، ويجلس معه أصحاب له ويضع

(١) السخبر : شجر إذا طال تدلت رؤوسه وانحنت، وقيل : شجر من شجر التّام له قضب مجتمعة
 وجرتومة . وفي اللسان يقال : ركب فلان السخبر إذا عذر ، وذكر البيت .

(٢) الخفارة : النعمان .

(٣) العشراء من النوق : التي مضى على حملها عشرة أشهر ، وقيل : ثمانية .

لهم يساطاً يجلسون عليه، فقال يوماً، وهو يرى كثرة من يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم من العرب فيسلمون :

أرى الجلابيب قد عزّوا وقد كثّروا وأبن الفرعة أمسى بيضة البلد

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: « من لي بأصحاب يساط بفارح ؟ » فقال صفوان بن المَعطّل: أنا لك يا رسول الله منهم؛ فخرج إليهم فأخترط سيفه، فلما رأوه عرفوا الشرّ في وجهه ففروا وتبدّوا، وأدرك حسّان داخلا بيته، فضربه وقلق أليته. قال: فبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم عوّضه وأعطاه حائطاً، فباعه من معاوية بعد ذلك بمال كثير، فبناه معاوية قصراً، وهو الذي يقال له: « قصر الدارين ». وقد قيل: إن صفوان بن المَعطّل إنما ضرب حسّان لما قاله فيه وفي عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم من الإفك، لأن صفوان هو الذي رمى أهل الإفك عائشة به.

(١) كذا في أكثر الأصول وهو الموافق لما في الطبري (ص ١٥٢٦ من القسم الأول) واللسان مادة «بيض» والتنبيه (ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية) والأضداد في (اللفظ ص ١١٨ طبع بيروت). وقال البكري في التنبيه: «وكان المناقون يسمون المهاجرين رضي الله عنهم الجلابيب». وفي اللسان: «أراد بالجلابيب سفلة الناس وكثّراهم». وفي تاج العروس شرح القاموس (ج ٥ ص ١٢) والديوان: «الخلايس» وقال في الشرح «الخلايس: الأخلاط من كل وجه» (انظر ديوانه المطبوع في لندن سنة ١٩١٠ ص ٩١).

(٢) العرب تقول للرجل: هو بيضة البلد، يمدحونه بذلك، وتقول للآخر هو بيضة البلد، يذمونه بذلك. والمدح يراد به البيضة التي يحضنها الظليم ويقبئها، لأن فيها فرخه. والمذموم يراد به البيضة المنبوذة بالمرء المذرة التي لا تحافظ لها ولا يدرى لها أب وهي تريكة الظليم. قال الرماني: إذا كانت النسبة إلى مثل المدينة ومكة والبصرة فيبيضة البلد مدح، وإذا نسب إلى البلاد التي أهلها أهل ضعة فيبيضة البلد ذم.

(٣) الحائط: البستان. وفي كتاب التنبيه للبكري: «فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم عوضاً: بيرحاء، وهي قصر بني حذالة اليوم بالمدينة، وسيرين (أمة قبطية وهي أم عبد الرحمن بن حسان رضي الله عنها)».

(٤) يعني أبو الفرج بالإفك هنا الحديث الذي غرّصه قوم على عائشة رضي الله عنها، وكان ذلك عقب غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم كان يصطحب فيها عائشة؛ فحدث أنه أمر بالرحيل؛ وكانت عائشة منطلقة لبعض شأنها؛ فأمر بهودجها فحمل على بعيره، وظن القوم أنها فيه ولم تكن هناك، فلما رجعت عائشة إلى الهودج ألقت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد ارتحلوا؛ فكنّت مكانها حتى عثر بها صفوان بن المعطل؛ فأرجعها إلى المدينة؛ فأرجف بها أناس ورموها بالإفك، وكان منهم حسان بن ثابت رضي الله عنه.

وأخبرنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة قال :

اعترض صفوان بن المعطل حسان بن ثابت بالسيف لما قذفه به من الإفك حين بلغه ما قاله . وقد كان حسان قال شعراً يُعرض بأبن المعطل وبين أسلم من العرب من مُضَرَّ فقال :

أُمْسَى الْجَلَالِيْبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وَأَبْنُ الْفُرَيْعَةِ أُمْسَى بِيضَةَ الْبَلَدِ
قَدْ تَكَلَّتْ أُمُّهُ مِنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ أَوْ كَانَ مُنْتَشِباً فِي بُرْتَنِ الْأَسَدِ
مَا لِلْقَتِيلِ الَّذِي أَعْدُو فَأُخِذَهُ مِنْ دِيَةٍ فِيهِ أُعْطِيهَا وَلَا قَوْدِ
مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَنْطَلُغُ وَيَرْمِي الْعَبْرَ بِالزُّبْدِ
يَوْمًا بِأَغْلَبَ مِنِّي حِينَ تُبْصِرُنِي بِالسَّيْفِ أَفْرِي كَفَّرَنِي الْعَارِضُ الْبَرْدِ

فأعترضه صفوان بن المعطل بالسيف فضربه وقال :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوجِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

وحدثنا محمد بن جرير قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي :

أن ثابت بن قيس بن الشماس أخا بلحارث بن الحنظلج وثب على صفوان بن المعطل في ضربه حسان فجمع يديه على عنقه ، فأنطلق به إلى دار بني الحارث بن الحنظلج ، فلقيه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ فقال : أَلَا أُعْجِبُكَ !

(١) القود : القصاص .

(٢) في ديوانه ص ٦٢ : « شاملة » .

(٣) كذا في ديوانه ، واغطال الشيء : ركب بعضه بعضاً . وفي ح : « فيفضل » بالعين والضاد المعجمتين . وفي باقي الأصول : « فيفضل » بالعين المهملة والضاد المعجمة ، وكلاهما تحريف . والعبر : جانب النهر ، وعبر الوادي : شاطئه وناحيته .

(٤) العارض : السحاب المعترض في الأفق . وسحاب برد (بكسر الراء) : فيه قر وبرد .

(٥) يقال : عجبته بالشيء إذا نبهه على التعجب منه .

ضَرَبَ حَسَّانَ بِالسَّيْفِ ! وَاللَّهِ مَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ قَتَلَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ :
 هَلْ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ؛ قَالَ :
 لَقَدْ أَجْتَرَأْتُ ! أَطْلَقَ الرَّجُلَ ، فَأَطْلَقَهُ . ثُمَّ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ ، فَدَعَا حَسَّانَ وَصَفْوَانَ بْنَ الْمَعْطَلِ ، فَقَالَ ابْنُ الْمَعْطَلِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
 أَذَانِي وَهَجَانِي فَضَرَبْتُهُ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَّانَ : « يَا حَسَّانُ
 أَتَعِيبُ عَلَى قَوْمِي أَنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْإِسْلَامِ ! » ؛ ثُمَّ قَالَ : « أَحْسِنُ
 يَا حَسَّانُ فِي الَّذِي أَصَابَكَ » ؛ قَالَ : هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْغَزِيرِ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ قَالَ
 حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارَ عَنْ
 بَعْضِ رِجَالِ بَنِي النَّجَّارِ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَزَادَ فِي الشَّعْرِ الَّذِي قَالَهُ حَسَّانُ زِيَادَةً ، وَوَافَقَهُ
 عَلَيْهَا مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيِّ ، فَمَا أَخْبَرَنَا بِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ
 زُهَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبُ فِي الْقِصَّةِ ، فَذَكَرَ أَنَّ
 فِتْنَةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ تَنَازَعُوا عَلَى الْمَاءِ وَهُمْ يَسْقُونَ خِيُولَهُمْ ، فَغَضِبَ مِنْ
 ذَلِكَ حَسَّانُ فَقَالَ هَذَا الشَّعْرُ .

وَذَكَرَ الزُّهْرِيُّ ، فَمَا أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْجَعْدِ ، قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ
 الْمُسَيْبِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ ابْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ
 أَنَّ هَذَا الْخَبَرَ كَانَ بَعْدَ غَزْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَنِي الْمُصْطَلِقِ . قَالَ :

وَكَانَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : سِنَانٌ ،

(١) بنو المصطلق : بطن من خزاعة ، والمصطلق : لقب جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة ،
 وسمي بالمصطلق لحسن صوته ، وهو أوَّل من غنى من خزاعة .

(٢) كذا في سيرة ابن هشام (ص ٧٢٦ طبع أوروبا) والطبري (ص ١٥١١ من القسم الأول
 طبع أوروبا) . وفي الأصول : « جمان » . وقد ساق ابن هشام والطبري هذه القصة هكذا . فازدحم
 جهجاه وسنان بن وهر الجهمي حليف بني عوز بن الخزرج على الماء فاقتتلا ، فصرخ الجهمي : يا معشر
 الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ؛ فغضب عبد الله بن أبي النخ .

ورجل من بني غفار يقال له: جَهْجَاهُ، فخرج جهجاه بفارس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفارس له يومئذ يسقيهما، فأوردهما الماء، فوجد على الماء فتية من الأنصار، فتنازعا فأقتلوا، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: هذا ما جزونا به، آويناهم ثم هم يقاتلوننا! وبلغ حسان بن ثابت الذي بين جهجاه وبين الفتية الأنصار، فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام، وهذا الشعر من رواية مضعب دون الزهري:

أَمْسَى الْجَلِيلُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وَأَبْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ
يَمْشُونَ بِالْقَوْلِ سِرًّا فِي مُهَادَنَةٍ أَتَهْدَأُ لِي كَأَنِّي لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
قَدْ ثَكَلْتُ أُمَّهُ مِنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ أَوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْنِ الْأَسَدِ
مَا لِلْقَتِيلِ الَّذِي أَسْمُو فَأَقْتَلَهُ مِنْ دِيَّةٍ فِيهِ أُعْطِيهَا وَلَا قَوَدٍ
مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَغْطُلُ وَيَرْمِي الْعَبْرَ بِالرَّبْدِ
يَوْمًا بِأَغْلَبَ مِنِّي حِينَ بُصِرَنِي أَقْرِي مِنَ الْغَيْظِ قَرْيَ الْعَارِضِ الْبَرْدِ
أَمَّا قَرِيشُ فَإِنِّي لَسْتُ تَارِكُهُمْ حَتَّى يُنْبِئُوا مِنَ الْغَيَاتِ بِالرَّشْدِ
وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْرَلَةٍ وَسُجِدُوا كُلُّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ
وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ حَقٌّ وَيُوفُوا بَعْدَ اللَّهِ فِي سَدَدٍ
أَبْلَغَ بَنِي بَأْنِي قَدْ تَرَكْتُ لَهُمْ مِنْ خَيْرِ مَا تَرَكَ الْآبَاءُ لِلْوَلَدِ
الْدَارُ وَاسْطَةُ وَالنَّخْلُ شَارِعَةٌ وَالْبَيْضُ يُرْفَلُنَ فِي الْقَتِي كَالْبَرْدِ

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حسانُ نَفَسْتُ عَلَى إِسْلَامِ قَوْمِي»

(١) هو جهجاه بن سعيد الغفاري ج في الطبري والمعارف لابن قتيبة (ص ١٦٥). وفي سيرة ابن هشام (ص ٧٢٦ طبع أوروبا): «جهجاه بن مسعود». وفي أسد الغابة: «هو جهجاه بن قيس وقيل ابن سعيد بن سعد بن حرام بن غفار الغفاري من أهل المدينة». (٢) السدد: القصد.

(٣) القسي: ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر، نسبت إلى قرية على ساحل البحر قريبا من تنيس يقال لها القس (يفتح القاف وكسرهما).

(٤) نفس عليه الشيء: حسده عليه ولم يره أهلا له.

وأغضبه كلامه ؛ فغدا صفوان بن المعطل السلمي على حسان فضربه بالسيف .
وقال صفوان :

تَلَقَّ ذُبَابَ السِّيفِ عَنِّي فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوجِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

فوثب قومه على صفوان فحبسوه ، ثم جاءوا سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الحزرج بن ساعدة بن كعب بن الحزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وهو مقبل على ناضحه بين القريبتين ، فذكروا له ما فعل حسان وما فعلوا ؛ فقال : أشاورتم في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : لا ، ففقدنا الأرض ، وقال : وأنقطع ظهرا ! أتأخذون بأيديكم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين ظهرا نيككم ! ودعا بصفوان فأتي به ، فكساه وخلاه ، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كسأك كساه الله » . وقال حسان لأصحابه : احموني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضاه ، فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردوه ؛ ثم سألهم فخاموه إليه الثانية ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنصرفوا به ؛ ثم قال لهم : عودوا بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقالوا له : قد جئنا بك مرتين كل ذلك يُعرض فلا نُبرِّمه بك ؛ فقال : احموني إليه هذه المرة وحدها ، ففعلوا ؛ فقال : يا رسول الله ، بأبي أنت وأُمِّي ، احفظ قولي :

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأُجِبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
فَإِنْ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَرِثَا

(١) يوافق ما في القاموس (مادة حزم) وطبقات ابن سعد (ج ٥ قسم ٢ ص ١١٥) . وفي سائر الاصول : « خزيمة » بالخاء المعجمة وهو تحريف .

(٢) كذا في الطبقات . وفي الاصول : « طريف » بالظاء المعجمة .

(٣) أبرمه : أضجره وأملته .

فرضي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووهب له سيرين^١ أخت مارية أم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم . هذه رواية مُصعب . وأما الزُّهري فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ضربُ السُّلَميِّ حَسَّانَ قال لهم : « خذوه فإن هلك حَسَّانَ فاقتلوه » ؛ فأخذوه فأسروه وأوثقوه ؛ فبلغ ذلك سعد بن عبادَةَ ، فخرج في قومه اليهم ، فقال : أرسلوا الرجل ، فأبوا عليه ، فقال : أعمدتم إلى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤذونهم وتشتمونهم وقد زعمتم أنكم نصرتموهم ! أرسلوا الرجل ؛ فأبوا عليه حتى كاد يكون قتال ؛ ثم أرسلوه ؛ فخرج به سعدُ إلى أهله فكساهُ حُلَّةً ، ثم أرسله سعدُ إلى أهله ؛ فبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ليُصلي فيه ، فقال : « من كساك كساه الله من ثياب الجنة » ؛ فقال : كساني سعدُ ابنُ عبادَةَ . وذكر باقي الخبر نحوه .

وحدثني محمد بن جرير الطبري قال حدثني ابنُ حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عَوْضاً منها بجرهاء^٢ ، وهي قصر بني حديلة اليوم بالمدينة ، كانت مالا لأبي طلحة بن سهل تصدق بها إلى رسول

(١) كذا في الأصول وسيرة ابن هشام (ص ٧٣٩ طبع أوروبا) والطبري (ص ١٥٢٨ ، ١٥٩١ ، ١٧٨١ قسم أول) والاصابة لابن حجر العسقلاني (ج ٨ ص ١١٨) والتنبيه للبكري (ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية) ، وضبطها الزرقاني أيضاً في شرحه على المواهب (ج ٣ ص ٣٢٥ طبع بولاق) بقوله : « سيرين بكسر السين المهمة وسكون المثناة التحتية وكسر الراء » . وفي تاريخ ابن الأثير (ج ٢ ص ١٥٢) ومعجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٧٨٤) : « سيرين » بالشين المعجمة .
(٢) في اللسان مادة برج نقلا عن ابن الأثير : « هذه اللفظة كثيراً ما تختلف أَلْفاظُ المحدثين فيها فيقولون : بجرهاء بفتح الباء وكسرها وفتح الراء وضما والمد فيهما وفتحها والقصر ، وهو اسم مال وموضع بالمدينة » .

(٣) كذا في اللسان : مادة حدل ، ومعجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٧٨٤ طبع أوروبا) وتاريخ ابن الأثير (ج ٢ ص ١٥٢ طبع أوروبا) وسيرة ابن هشام (ص ٧٣٩ طبع أوروبا) . وقد جاء في اللسان : « حديلة بضم الحاء وفتح الدال هي محلة بالمدينة نسبت إلى بني حديلة بطن من الأنصار » . وفي الأصول وكتاب التنبيه للبكري (ص ٧٦) : « حديلة » بالجيم المعجمة وهو تحريف .
(٤) كذا في اللسان : مادة برج ، ومعجم البلدان (ج ١ ص ٧٨٤ طبع أوروبا) وسيرة ابن هشام . وفي الأصول « طلحة » بدون « أي » وهو تحريف .

الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه حسنًا في ضربته ، وأعطاه سيرين (أمة قبطية) فولدت له عبد الرحمن بن حسان . قال : وكانت عائشة تقول : لقد سُئِلَ عن صفوان ابن المعطل ، فإذا هو حصور (لا يأتي النساء) ؛ قتل بعد ذلك شهيداً .

مدح واعتذار :

قال ابن إسحاق في روايته عن يعقوب بن عتبة : فقال حسان يعتذر من الذي قال في عائشة :

حَصَانُ رَزَانُ مَا تُرَنُّ بِرِيَّةٍ وَتُصَيِّحُ غَرْنِي مِنْ حُلُومِ الْغَوَافِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتَ فَلَا رَفْعَتُ سَوَاطِي إِلَيَّ أَنَا مِلِي
وَكَيْفَ وَوُدِّي مِنْ قَدِيمٍ وَنُصْرَتِي لَأَلَّ رَسُولُ اللَّهِ زَيْنَ الْحَافِلِ
فَإِنْ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَانْطِرٍ وَلَكِنَّهُ قَوْلُ أَمْرِي بِي مَا حِلِّ

قال الرُّبَيْرِيُّ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ : أَنَّ رَجُلًا هَجَا حَسَنًا بْنُ ثَابِتٍ بِمَا فَعَلَ بِهِ بَنُ الْمُعَطَّلِ ، فَقَالَ :

وَإِنْ أَبْنَى الْمُعَطَّلُ مِنْ سُلَيْمٍ أَذَلَّ قِيَادَ رَأْسِكَ بِالْخَطَامِ^(١)

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو عَاصِمٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو جَرَّيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ السَّائِبِ عَنْ أُمِّهِ : أَنَّهَا طَافَتْ مَعَ عَائِشَةَ وَمَعَهَا أُمُّ حَكِيمٍ وَعَاتِكَةُ : (أَمْرَاتَانِ مِنْ بَنِي مَخْرُومٍ) . قَالَتْ : فَأَبْتَدَرْنَا حَسَنًا نَشْتُمُهُ وَهُوَ يَطُوفُ ، فَقَالَتْ : أَبْنَى الْفَرِيعَةَ تَسْبِيحًا ! قُلْنَا : قَدْ قَالَ فِيكَ فَبَرَّكَ اللَّهُ ؛ قَالَتْ : فَأَيْنَ قَوْلُهُ :

(١) يقال : ما يُلِيطُ به النعم ولا يُلِيقُ به ، معناه واحد .

(٢) رواية الديوان : بك الدهر بل سمي أمرى بك عاجل .

(٣) عمل به إلى السلطان علًا ومعالًا : كاده بسخاية إليه .

(٤) الخطام : الحبل الذي يقاد به البعير .

هجرت محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذلك الجزاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم ورفاه

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني إبراهيم بن
المُنذر عن سُفيان بن عُيينة عن محمد بن السائب بن بركة عن أمه بنحو ذلك
وزاد فيه: إني لأرجو أن يُدخله الله الجنة بقوله.

أخبرني الحسن قال حدثنا الربيع عن عبد العزيز بن عمران عن سُفيان بن
عيينة وسلم بن خالد عن يوسف بن مَاهِك عن أمه قالت:

كنتُ أطوف مع عائشة بالبيت ، فذكرتُ حسان فسبَّيْتُه ، فقالت : بئس ما
قلتِ أتسبِّينه وهو الذي يقول :

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم ورفاه

فقلت أليس ممن لعن الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت : لم يقل شيئاً ،
ولكنه الذي يقول :

حصانُ رزانُ ما تُرَنّ بريبةٍ وتُصبح غرائي من لحوم الغوافلِ
فإن كان ما قد جاء عني قلته فلا رفعتُ سوطي إلي أنا ملي

أخبرني الحسن قال حدثنا الربيع قال حدثني مُصعب عمي قال حدثني بعض
أصحابنا عن هشام بن عروة عن أبيه قال :

كنتُ قاعداً عند عائشة ، فمرَّ بجنادة حسان بن ثابت فبُليتُ منه ؛ فقالت :
مهلاً ! فقلت : أليس الذي يقول ! قالت : فكيف بقوله :

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم ورفاه

افتخاره بلسانه :

أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد قال حدثني أحمد بن سلمان عن سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب^١ عن محمد بن سيرين :

أن حسّان أخذ يوماً بطرف لسانه وقال : يا رسول الله ، ما يسرني أن لي به مقولاً بين صنعاء وبصرى^٢ ، ثم قال :

لساني مقول لا عيب فيه وبحري ما تكذره الدلاء

جبهه :

أخبرنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال :

كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع (حصن حسّان بن ثابت) يعني يوم الخندق . قالت : وكان حسّان معنا فيه والنساء والصبيان . قالت : فرّ بنا رجل من يهود فجعل يُطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله والمسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم ، إذ أتانا آت^٣ : قالت : فقلت : يا حسّان ، إن هذا اليهودي كما ترى يُطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدُلّ على عوراتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول

(١) يريد أيوب بن أبي تميمة السخيتاني كما في الخلاصة للخزرجي .

(٢) ويروى : « منول » بالفتح المعجمة . والمفول : سيف دقيق له حد ماض . وفي الديوان ص ٢ : « لساني صارم ... الخ » .

(٣) بصرى : اسم لموضعين : بصرى الشام من أعمال دمشق وهي قسبة كورة حوران ، وبصرى بغداد وهي إحدى قراها قرب عكبراء .

الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فَأَنْزَلَ إِلَيْهِ فَأَقْتَلَهُ ؛ فَقَالَ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا بِنْتَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، لَقَدْ عَرَفْتِ مَا أَنَا بِصَاحِبِ هَذَا . قَالَتْ : فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ وَلَمْ أَرْ عِنْدَهُ شَيْئًا أَحْتَجِزْتُ^(١) ثُمَّ أَخَذْتُ عَمُودًا ثُمَّ نَزَلْتُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَصَنِ فَضَرَبْتُهُ بِالْعَمُودِ حَتَّى قَتَلْتُهُ ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْهُ رَجَعْتُ إِلَى الْحَصَنِ ؛ فَقُلْتُ : يَا حَسَانَ ، أَنْزِلْ إِلَيْهِ فَأَسْلُبْهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي مِنْ سَلْبِهِ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ ؛ قَالَ : مَا لِي بِسَلْبِهِ مِنْ حَاجَةٍ يَا بِنْتَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

وَأَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

كَانَ ابْنُ الرَّبِيعِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ كَانَ فِي فَارَعٍ (أُطْمِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ) مَعَ النِّسَاءِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَمَعَهُمْ عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَةَ . قَالَ ابْنُ الرَّبِيعِ : وَمَعَنَا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ضَارِبًا وَتَدَا فِي آخِرِ الْأُطْمِ ، فَإِذَا حَمَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ حَمَلَ عَلَى الْوَدِّ فَضَرَبَهُ بِالسِّيفِ ؛ وَإِذَا أَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ أَنْحَازَ عَنِ الْوَدِّ حَتَّى كَانَهُ يَقَاتِلُ قَرْنًا ، يَتَشَبَّهُ بِهِمْ كَأَنَّهُ يُرَى أَنَّهُ مُجَاهِدٌ حِينَ جَبَنَ ، وَإِنِّي لَا أَظْلِمُ ابْنَ أَبِي سَلَمَةَ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنِّي بِسِنَتَيْنِ فَأَقُولُ لَهُ : تَحْمِلْنِي عَلَى عُنُقِكَ حَتَّى أَنْظُرَ فَإِنِّي أَهْمُكَ إِذَا نَزَلْتُ ؛ قَالَ : فَإِذَا حَمَلْنِي ثُمَّ سَأَلْنِي أَنْ يَرْكَبَ قُلْتُ لَهُ : هَذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضًا . قَالَ : وَإِنِّي لَا أَنْظُرُ إِلَى أَبِي مُعَلِّمًا بِصُفْرَةٍ ، فَأَخْبَرْتُهَا أَبِي بَعْدُ ، فَقَالَ : أَيْنَ كُنْتَ حِينَئِذٍ ؟ فَقُلْتُ : عَلَى عُنُقِ ابْنِ أَبِي سَلَمَةَ يَحْمِلْنِي ؛ فَقَالَ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَجْتَمِعُ لِي أَبُوَيْهِ .

قَالَ ابْنُ الرَّبِيعِ : وَجَاءَ يَهُودِيٌّ يَرْتَقِي إِلَى الْحَصَنِ ، فَقَالَتْ صَفِيَّةٌ لَهُ : أَعْطِنِي السِّيفَ ، فَأَعْطَاهَا . فَلَمَّا أَرْتَقَى الْيَهُودِيٌّ ضَرَبْتُهُ حَتَّى قَتَلْتُهُ ، ثُمَّ أَحْتَرَّتْ رَأْسَهُ

(١) يقال : احتجز بردائه إذا شدّه على وسطه .

(٢) يعني أن النبي صلوات الله عليه كان يقول له : فذاك أبي وأمي .

فأعطته حسناً وقالت : أطوح به ، فإن الرجل أقوى وأشد رمية من المرأة .
 تريد أن تُرعب به أصحابه .

قال الرُّبَيْرُ : وحدثني عمي عن الواقدي قال : كان أكحل^(١) حسناً قد قطع
 فلم يكن يضرب بيده .

قال الرُّبَيْرُ وحدثني علي بن صالح عن جدي أنه سمع أن حسناً بن ثابت
 أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لقد غدوتُ أمام القوم مُنتظماً بصارمٍ مثل لون الملح قَطَّاعٍ
 يحفَرُ عني نجادَ السيف سابعة^(٢) ففضاضة^(٣) مثل لون التَّهي بالقاع

قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فظن حسناً أنه ضحك من صفته
 نفسه مع جبنه .

قول النابغة فيه :

قال الرُّبَيْرُ وحدثني محمد بن الحسن قال :

قال حسناً بن ثابت : جئتُ نابغةَ بني ذبيان ، فوجدت الحنساء بنت عمرو
 حين قامت من عنده ، فأنشدته ؛ فقال : إنك لشاعر وإن أخت بني سليم
 لبكاءة .

(١) الأكحل : عرق في وسط الذراع ، قال ابن سيده : يقال له عرق النسا في الفخذ وفي
 الظهر الأبر ، ويسمى : عرق الحياة ونهر البدن .

(٢) يحفر : يدفع .

(٣) يقال : درع سابعة إذا كانت طويلة ثلثة .

(٤) فضفاضة : واسعة . والتهي : الغدير . وفي الديوان (ص ٦٦ طبع أوروبا) ورد هذا الشطر
 هكذا :
 تغشى الأنامل مثل التهي بالقاع

وفسره في (ص ٩٥) بقوله : « شبه الدرع في بياضها وأطرافها بالغدير » .

قال الزبير وحديثي يحيى بن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال أخبرني غير واحد من مشايخي :
أن الخطيئة وقف على حسان بن ثابت وحسان يُنشد من شعره : فقال له حسان وهو لا يعرفه : كيف تسمع هذا الشعر يا أعرابي ؟ قال الخطيئة : لا أرى به بأساً ؛ فغضب حسان وقال : اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابي ؟ ما كنيتك ؟ قال : أبو مليكة ؛ قال : ما كنت قط أهون علي منك حين كنت بأمرأة ، فما أسئلك ؟ قال : الخطيئة فقال حسان : امض بسلام .

(١) قال الزبير :

اتهامه بالبخل :

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني الزبير ، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني الزبير قال حدثني بعض القرشيين ، قال :
دخل حسان بن ثابت في الجاهلية بيت خمار بالشام ومعه أعشى بكر بن وائل ، فاشترى خمرًا وشربا ، فنام حسان ثم أنقبه ، فسمع الأعشى يقول للخمار : كره الشيخ الغرم ؛ فتركه حسان حتى نام ثم اشترى خمر الخمار كلها ، ثم سكبها في البيت حتى سالت تحت الأعشى ، فعلم أنه سمع كلامه فاعتذر إليه ؛ فقال حسان :
ولسنا بشرب فوقهم ظل برقة يعدون للخمار تيساً ومفصداً .

(١) الزرقي : نسبة إلى بني زريق ، بطن من الأنصار وهم بنو زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم الخزرجي (راجع أنساب السعدي) .

(٢) المفصد : آلة القصد . يريد أنهم ملوك لا يفسدون التيس ويأكلون دمه . وفي أكثر نسخ الديوان : «لحانوت» بدل «لأخار» .

ولكننا شرب كراماً إذا انتشوا أهانوا الصريح والسديف المرهداً
 كأنهم ماتوا زماناً حليلة فإن تأتتهم تحمد ندامتهم عداً
 وإن جثتهم ألفيت حول بيوتهم من المسك والجادي قتيلاً مبدداً
 ترى حول أثناء الزراني ساقطاً نعلاً وقسوباً وریطاً منضداً
 وذا عُرق يسمى وملصق خده بدياجة تكفأها قد تقدداً

وهذه القصيدة يقولها حسن بن ثابت في وقعة بدر يفخر بها ويعير الحارث
 ابن هشام بفراره عن أخيه أبي جهل بن هشام . وفيها يقول :

(١) رواية الديوان :

ملوك وأبناء الملوك إذا انتشوا أهانوا الصبوح والسديف المرهدا
 والصريح : اللبن ذهب رغوته . والسديف : لحم السنام ، وقيل شحمه ، والمرهد : السمين من
 الأسنة .

(٢) في ديوانه : وتحبهم ماتوا زمين حليلة يقول : ترام من سكرهم كأنهم موق .
 وزمان حليلة يشير به الى أحد أيام العرب المعروفة وهو يوم التقى المنذر الأكبر والحارث الأكبر
 الفسائي ، والعرب تفرب به المثل في كل أمر متعالم مشهور والشريف النابه الذكر ، فتقول : « ما يوم
 حليلة بر » . وحليلة هذه هي بنت الحارث بن أبي شمر ، وسبب إضافة اليوم اليها أنها أخرجت طيباً
 في مِرْكَن فطيت به جيش أبيها الذي وجه به الى المنذر . قال النابغة يصف سيوفاً :

تورتن من أزمان يوم حليلة الى اليوم قد جرين كل التجارب

(٣) ندامتهم : منادمتهم ومجالستهم .

(٤) الجادي : الزعفران .

(٥) الزراني : الطنافس . وفي الصحاح : النارق ، الواحد من كل ذلك زربية (بفتح الزاي
 وسكون الراء) وقد ورد هذا البيت في اللسان مادة قس وبعض نسخ الديوان هكذا :

ترى فوق أذنان الرواني سواقطاً نعلاً وقسوباً وریطاً معضداً

(٦) كذا في ديوانه ولسان العرب : القسوب : خفاف لا واحد له ، وفي الأصول : « قسيأ » .

(٧) الریط : جمع ربطة . وهي الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن ليفتين . أو هي كل
 ثوب لين رقيق .

(٨) التمرق والتمرفة : وسادة صغيرة يتكأ عليها ، وما يفترشه الراكب فوق الرجل وهو المراد
 هنا . وفي بعض نسخ الديوان : وذو نطف يسمي ملصق خده والنطف : القرط .
 والتكفاف : لعله يريد به الحياطة الثانية بعد الأولى التي هي الشل . وتقعد : تقطع وبلي .

صوت

إن كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأجنة أن يقا تل دونهم ونجا برأس طيرة ولجام
- غناه يحيى المكي خفيف ثقل أول بالوسطى . ولغزة الملاء فيه خفيف
رمل بالينصر . وفيه خفيف ثقل بالينصر لموسى بن خارجة الكوفي - فأجاب
حارث بن هشام ، وهو مشرك يومئذ ، فقال :

صوت

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسي بأشقر مزبد
وعلمت أني إن أقاتل واحداً أقتل ولا يضر رعدوي مشهدي
ففررت منهم والأجنة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد
غنى فيه إبراهيم الموصلي خفيف ثقل أول بالينصر ، وقيل : بل هو
لفتح .

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني سليمان بن أيوب قال حدثنا محمد بن
سلام عن يونس قال :

لما صار ابن الأشعث إلى رُبَيْل ، تمثّل رُبَيْل بقول حسان بن ثابت في
الحارث بن هشام :

- (١) الطمرة : الأنثى من الجياد . وهي المستفزة للوئب والعدو ، وقيل : الطويلة القوائم الخفيفة .
- (٢) الأشقر من الدم : الذي صار علقاً ولم يعل غبار ، وزبد : البياض الذي يعلو .
- (٣) رُبَيْل (ويقال فيه زُبَيْل كما في الطبري وابن الأثير) : صاحب السرك ، كان بنواحي
سجستان وقد غزاه في سنة ٧٩ هـ عبيد الله بن أبي بكره ، وكان والياً بسجستان ، وتوغل في بلاده
وأصاب منه غنائم وأموالاً وهدم قلاعاً وحصوناً . وغزاه في سنة ٨٠ هـ جرية عبد الرحمن بن محمد بن
الأشعث من قبل الحجاج فدخل بلاده وأخذ منها الغنائم واستولى على الحصون . وكتب إلى الحجاج
بذلك يشير عليه ألا يتوغل في البلاد ، فأبى الحجاج ذلك وكتب له ثلاث كتب يأمره فيها بمحاربته
والتوغل في بلاده ؛ وكان من جرّاء ذلك ان خرج عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج وبايعه الناس
وكان من أمرها ما كان مما تراه مفصلاً في كتب التاريخ .

ذكر الخبر عن غزاة بدر

حدثني بخبرها محمد بن جرير الطبري في المغازي قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن مسلم الرُّهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن غزوة بدر وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عباس ، كل قد حدثني بعض هذا الحديث ، فأجتمع حديثهم فيما سمعت من حديث بدر ، قالوا :

لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مُقْبِلًا من الشام ندب المسلمين اليهم ، وقال : « هذه عيرُ قريش فيها أموالهم فأخرجوا إليها فاعل الله أن يُنْفِلَكُمْوَهَا » فانتدب الناس ، خف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربًا . وكان أبو سفيان استقدم حين دنا من الحجاز وجعل يتجسس الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفًا على أموال الناس ، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان أن محمدًا استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذروا عند ذلك فاستأجر ضَمَضَم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشًا يستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضَمَضَم بن عمرو سريعًا إلى مكة .

(١) نفله الثقل ونفله (بالتضعيف) وأنفله : أعطاه الغنيمة أو الهبة .

(٢) وروى : « يتحسس » (بالحاء المهملة) ، والتجسس والتحسس كلاهما بمعنى واحد وهو تطلب الأخبار والبحث عنها .

(٣) هذه رواية السيرة (ص ٤٢٨ طبع أوروبا) ، وفي الأصول : « فبعث » .

رؤيا عاتكة :

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد ابن رومان عن عروة بن الزبير قالاً : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمزم مكة بثلاث ليال رؤيا أفرغتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب ، فقالت : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفضعتني وتخوفت أن يدخل على قومك منها شرٌ أو مُصيبة ، فأكنتم عني ما أحدثك ؛ قال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيتُ راكباً أقبل على بعيرٍ له حتى وقفَ بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : أن أنفروا يا آل غدرٍ لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس قد اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته : أنفروا يا آل غدرٍ لمصارعكم في ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرةً فأرسلها فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت ، فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلتها منها فلققة . قال العباس : إن هذه لرؤيا ، وأنتِ فأكسيتها ولا تذكرها لأحد . ثم خرج العباس فلي الوليد بن عتبة بن

(١) كذا في السيرة . وفي الأصول : «عن عكرمة مولى ابن عباس» . وعكرمة هذا هو عكرمة أبو عبد الله البربري مولى ابن عباس ويروى عنه .

(٢) كذا في السيرة . وفي الأصول : «قال» بالإفراد .

(٣) الزيادة عن سيرة ابن هشام .

(٤) كذا في السيرة . وفي الأصول : «علي» .

(٥) غدر : كسر د ، وأكثر ما يستعمل في النداء في الشتم ، فيقال للمفرد يا غدر ، وللجمع يا آل غدر . وقال ابن الأثير : غدر معدول عن غادر للبالغة . ويقال للذكر : غدر ، والأنثى غدار (كقطام) ، وهما مختصان بالنداء في الغالب .

(٦) كذا في السيرة . وفي الأصول : «وأرى» .

(٧) ارفضت : تفرقت .

رَبِيعَةَ ، وكان له صديقاً ، فذكرها له وأستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه
عُتْبَةَ ، ففشا الحديثُ بمكة حتى تحدثت به قريش . قال العباس : فغدوتُ
أطوفُ بالبيت ، وأبو جهل بن هشام ورهطٌ من قريش يُعودُ يتحدثون برؤيا
عاتكة . فلما رأيَ أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأقبل
إلينا ، فلما فرغتُ أقبلتُ إليه حتى جلست معهم ؛ فقال لي أبو جهل : يا بني عبد
المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبئة ! قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا
التي رأت عاتكة ؛ قلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن
تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ! قد زعمتُ عاتكة في رؤياها أنها قالت : أنفروا
في ثلاث ؛ فسنترَبص بكم هذه الثلاث ، فإن يكن ما قالت حقاً فيكون ،
وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء . نكتبُ كتاباً عليكم أنكم
أكذبُ أهل بيت في العرب . قال العباس : فوالله ما كان اليه مني كبيرٌ إلا أن
جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأت شيئاً ؛ قال : ثم تفرقتنا ؛ فلما أمسيتُ
لم تبقَ امرأةٌ من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث
أن يقع في رجالكم ، ويتناول النساء وأنت تسع ، ولم يكن عندك غيرُ
لشيء مما سمعت ؟ ! قلت : قد والله فعلتُ ، ما كان مني اليه من كبير ، وأنيمُ
الله لا تعرضن له ، فإن عاد لا كفيينكنه . قال : فغدوتُ في اليوم الثالث من
رؤيا عاتكة وأنا حديدٌ مُغضبٌ أرى أنني قد فاتني منه أمرٌ أحب أن أدركه

(١) الزيادة عن سيرة ابن هشام .

(٢) كذا في السيرة . وفي الأصول : «يا بني عبد مناف» . ولا يخفى أن عبد مناف جد عبد المطلب .

(٣) في سيرة ابن هشام : «أنه قال انفروا النخ» ويكون المراد بضمير المذكر الهاتف الذي رآته .

(٤) كذا في السيرة . وفي الأصول : «أمسيتنا» .

(٥) مصدر قولك غار الرجل على امرأته غيرةً وغيره بدون ناء .

(٦) كذا في السيرة . وفي الأصول : «لا كفيينكموه» وهو تحريف اذ الخطاب لجماعة الإنانك .

(٧) زيادة عن السيرة .

منه . قال : فدخلتُ المسجدَ فرأيتُه ، فوالله إني لأمشي نحوه العُرْضَةَ ليعودَ
لبعض ما كان ؛ فأوقعَ به ، وكان رجلاً خفيفاً حديدَ الوجه حديدَ اللسان حديدَ
النظر ، إذ خرج نحوَ بابِ المسجدِ يشتدُّ ؛ قال : قلتُ في نفسي : ما له لعنه الله !
أكلُ هذا فَرَقاً أنْ أشأقَه ! فإذا هو قد سمع ما لم أسمع ، صوتَ ضَمضمِ بن عمرو
الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدَّعَ بعيره وحولَ رحله
وشقَّ قيصه وهو يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبي
سفیان بن حرب قد عرَضَ لها محمد في أصحابه ، لا أرى أنْ تدركوها ! الغوثُ
الغوثُ ! قال : فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر . قال : فتجهَّز الناس
سراعاً ، وقالوا : لا يظنُّ محمدٌ وأصحابه أنْ تكون كعيرِ ابنِ الحُضرمي ! كلا
والله ليعلمنَّ غيرَ ذلك ! فكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً .

خروج قريش :

وأوعبتُ قريشٌ فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ إلا أبو لهب بن عبد المطلب
تخلف فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكان لَطَّ له بأربعة آلاف درهم
كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يُجزي عنه بَعَثَه ، فخرج عنه

(١) يقال : فلان يمشي العرضة والعرضى أي في مشبته بغي من نشاطه . وفي السيرة لابن هشام :
«إني لأمشي نحوه أتعرضه» .

(٢) يشتدُّ : يعدو .

(٣) كذا في ابن هشام ، واللطيمة : العير تحمل الطيب وبز التجار . وفي الأصول : «اللطيمة»
بدون تكرار .

(٤) هو عمرو بن الحضرمي . وقد روى ابن هشام في السيرة (ص ٤٣٠) خبر هذه العير .

(٥) كذا في هامش تاريخ الطبري (ص ١٢٩٥ من القسم الأول) . ولط الغريم بالحق : ماطل
فيه ومنعه . ولط حقه : جحده . وفي حديث طهفة : «لا تلطط في الزكاة» أي لا تمنعها . وفي الأصول :
«لاط» وهو تحريف .

(٦) كذا في السيرة . وفي الأصول : «أفلس» .

وتخلف أبو لهب . هكذا في الحديث . فذكر أبو عبيدة وابن الكلبي : أن أبا لهب قام العاصي بن هشام في مائة من الإبل ، فقتره أبو لهب ، ثم عاد فقمره أيضاً ، ثم عاد فقمره أيضاً الثالثة ، فذهب بكل ما كان يملكه ؛ فقال له العاصي : أرى القداح قد حالفك يا ابن عبد المطلب ، هلم نجعلها على أينا يكون عبداً لصاحبه ؛ قال : ذلك لك ، فدحاها فقمره أبو لهب ، فأسلمه قيناً ، وكان يأخذ منه ضريبة ، فلما كان يوم بدر وأخذت قريش كل من لم يخرج بإخراج رجل مكانه أخرجه أبو لهب عنه وشرط له العتق ، فخرج فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

رجع الحديث الى وقعة بدر

قال محمد بن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح :

أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً ، جاءه عقبه بن أبي معيط وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه بمجترعة يحملها ، فيها نارٌ ومجترعة ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علي ، استجير فإنما أنت من النساء ! قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ! ثم تجهز وخرج مع الناس . فلما فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتوا من خلفنا .

(١) قره : غلبه في المقامرة .

(٢) دحاها : رماها . والدحو : رمي اللاعب بالحجر أو الجوز وغيره . وذلك أنهم كانوا يحفرون حفرة بمقدار الحجر الذي يريدون رميه ، ثم يتحون عنها قليلاً ويرمون بالأحجار إليها ، فإن وقعت الأحجار في الحفرة غلب صاحبها وإن لم تقع فيها غلب . وتسمى تلك الأحجار المداحي ، واحداً : مدحاة .

(٣) الزيادة عن السيرة .

(٤) الحجمر : العود يُتجتر به .

(٥) الزيادة عن السيرة .

(٦) كذا في السيرة . وفي الأصول : « كنانة بن الحارث » وهو تحريف .

قال محمد بن إسحاق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال :
لما أجمعت قريشُ المسيرَ ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة ، فكاد
ذلك أن يُبتطهم ، فتبدى لهم إبليسُ في صورة سُراقَة بن جُعشم المدلجي ،
وكان من أشرف بني كنانة ، فقال : إني جارٌ لكم من أن تأتكم كنانة من
خلفكم بشيء تكرهونه ، فخرجوا سراعاً .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني عن غير ابن إسحاق -
لثلاث ليالٍ خلون من شهر رمضان المعظم في ثلثائة وبضعة عشر رجلاً من
أصحابه ؛ فأُخْتُلف في مبلغ الزيادة على العشرة ، فقال بعضهم : كانوا ثلثائة وثلاثة
عشر رجلاً ، وكان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً ، وكان الأنصار مائتين
وسبعة وثلاثين رجلاً ، وكان صاحبُ راية رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن
أبي طالب رضي الله عنه ، وكان صاحبُ راية الأنصار سعد بن عُبادة .

حدثني محمد قال حدثنا هارون بن إسحاق قال حدثنا مُصعب بن المقدام ، قال
أبو جعفر وحدثني محمد بن إسحاق الأهوازي قال حدثنا أبو أحمد الزُّبيري قال
حدثنا إسرائيل قال حدثنا أبو إسحاق عن البراء قال :

كنا نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جازوا
معه النهر - ولم يُجْز معه إلا مؤمن - ثلثائة وبضعة عشر .

قال ابن إسحاق في حديثه عن روى عنه : وخرج رسول الله صلى الله عليه

(١) كانت الحرب التي بين قريش وبين بني بكر في ابن الحنفية بن الأخيف أحد بني معيص بن عامر
ابن لؤي ، قتله بنو بكر بضمجان ، وكان خرج ينتهي بها ضالّةً له ، بإيعاز من سيدهم عامر بن يزيد بن
عامر بن الملوّح ، فأمر لفلان أخوه مكرز من عامر بن يزيد بأن قتله وخاض بطنه بسيفه ، ثم أتى به الكعبة
ليلاً فعلقه بأستارها ، فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد معلقاً بأستار الكعبة فعرّفوه ،
فقالوا إن هذا سيف عامر بن يزيد عدا عليه مكرز بن حفص فقتله . (انظر السيرة لابن هشام ج ١
ص ٤٣١ طبع أوروبا) .

(٢) كذا في الأصول ولعله : «قالا» .

وسلم في أصحابه ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صغصة أخا بني مازن بن النجار ، في ليالٍ مضت من رمضان ؛ فسار حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنّي حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزغباء حليف بني النجار إلى بدر يتجسّسان له الخبر عن أبي سفيان بن حرب وغيره ، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمهما ، فلما استقبل الصفراء ، وهي قرية بين جبلين ، سأل عن جبلتيهما ما أتاها ؟ ف قيل : يقال لأحدهما هذا مُسَلِّح ، وللآخر هذا مُخْرِي ؛ وسأل عن أهلها فقالوا : بنو النار ، وبنو حراق (بطنان من غفار) ؛ فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ، وتفاءل بأسميهما وأسماء أهاليهما ، فتركهما والصفراء يساراً وسلّك ذات اليمين على وادٍ يقال له ذفران فخرج منه ، حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليسنعوا غيرهم فأستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون معلّمون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغنّاد -

(١) ساقفة الجيش : مؤخرته .

(٢) تفاءل هنا بمعنى تطير . والفأل يكون فيما يحسن ويسوء ، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء . وفي الحديث عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا عدوى ولا طيرة يعجبني الفأل الصالح » والفأل الصالح : الكلمة الحسنة . وهذا يدل على أن من الفأل ما يكون صالحاً ومنه ما يكون غير صالح .

(٣) أعلم نفسه : وسماها بسيا الحرب كعلمها .

(٤) برك الغنّاد (يفتح الباء وكسرها ، وبكسر الغين وضما وقيل مثلث الغين) : اختلف فيه قليل موضع وراء مكة بخمس ليالٍ مما يلي البحر ، وقيل : موضع في أقصى أرض هجر ، وقيل غير ذلك . وورد في تاريخ الطبري (ص ١٣٠٠ من القسم الأول طبع أوروبا) ما يؤيد التفسير الذي ذكره أبو الفرج . وورد أيضاً في معجم ما استعجم للبكري (ص ١٤٧) ما نصه : « وفي حديث هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً إلى الحبشة حتى إذا بلغ برك الغنّاد لقيه ابن الدغنة . . . الخ »

يعني مدينة الحبشة - جالدنا معك حتى تبلغه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير .

حدثنا محمد قال حدثنا محمد بن عبيد المحاربي قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى قال حدثنا المخارق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال :

شهدتُ من المقداد مَشهداً لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما في الأرض من كل شيء . كان رجلاً فارساً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب أحمّرتُ وجنتاه ، فأتاه المقداد على تلك الحال ، فقال : أبشِرْ يا رسول الله ، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وشمالك أو يفتح الله تبارك وتعالى .

رجع الحديث الى حديث ابن إسحاق

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشيروا عليّ أيها الناس » وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عددَ الناس وأنهم حين بايعوا بالعقبة قالوا : يا رسول الله ، إنا بُرّاك من ذمامك حتى تصيرَ إلى دارنا ، فإذا وصلتَ فأنت في ذمامنا ، نمنعُك مما نمنع منه أنفسنا وأبنائنا ونساءنا ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا بمن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدو في غير بلادهم ؛ فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ : والله لكانك تريدنا يا رسول الله ، قال : « أجل » ؛ قال : فقد آمناً بك يا رسول الله وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا على السمع والطاعة ، فأمض بنا يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا

(١) زيادة عن السيرة .

(٢) استعرض البحر : أتاه من جانبه عرضاً .

هذا البحرَ وخُضَّتْهُ لُحْضُنَاهُ مَعَكَ مَا يَتَخَلَّفُ مِنْهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكِرْهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوًّا غَدًا، إِنَّا لَصُبْرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ، صَدَقَ عِنْدَ الْإِقَاءِ، لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُرِيكَ مِنْهُ مَا تَقَرَّ بِهِ عَيْنُكَ، فَيَسِرَ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ؛ فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِ سَعْدٍ وَنَشْطِهِ ذَلِكَ؛ ثُمَّ قَالَ: «سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ» وَاللَّهُ لَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ. ثُمَّ أَرْتَحِلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَفْرَانَ، وَسَلَّكَ عَلَى ثَنَائِي يُقَالُ لَهَا الْأَصَافِرُ، ثُمَّ أَنْحَطَ مِنْهَا عَلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ الدَّبَّةُ، ثُمَّ تَرَكَ الْحَنَانَ يَمِينًا، وَهُوَ كَثِيبٌ عَظِيمٌ كَالْجَبَلِ، ثُمَّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ فَرَكِبَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ - قَالَ الطَّبْرِيُّ^١ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ - حَتَّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنَ الْعَرَبِ، فَسَأَلَهُ عَنْ قَرِيشٍ وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ؛ فَقَالَ الشَّيْخُ: لَا أَخْبِرُكَ حَتَّى تُخْبِرَانِي مَنْ أَنْتَا؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) يُقَالُ: رَجُلٌ صَدَقَ الْإِقَاءَ وَقَوْمٌ صَدَقُوا (بِالضَّمِّ) وَمِثْلُهُ فَرَسٌ وَزَرْدٌ وَأَفْرَاسٌ وَزَرْدٌ.

(٢) فِي الْأَصُولِ: «فَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَشْطَهُ ذَلِكَ» وَمَا أُثْبِتَنَاهُ عَنِ السَّيْرِ وَالْكَشَافِ لِلزَّمْخَشَرِيِّ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ.

(٣) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ: (وَإِذْ يُعِيدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) وَالطَّائِفَتَانِ هُمَا الْعِيرُ وَهِيَ رَكْبُ أَبِي سَفْيَانَ، وَالنَّفِيرُ وَهُوَ أَهْلُ مَكَّةَ الَّذِينَ نَفَرُوا لِمُسَاعَدَتِهِ.

(٤) ذَفْرَانُ: وَادٍ قَرِيبُ وَادِي الصَّفْرَاءِ.

(٥) الْأَصَافِرُ: جِبَالٌ قَرِيبَةٌ مِنَ الْجَحْفَةِ عَنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا هَضْبَاتٌ صَفْرَاءٌ.

(٦) الدَّبَّةُ: مَوْضِعٌ قَرِيبُ بَدْرٍ.

(٧) كَذَا فِي السَّيْرِ وَمَعْجَمِ الْبُلْدَانِ لِيَأْقُوتَ. وَفِي جَمِيعِ الْأَصُولِ: «ثُمَّ نَزَلَ الْحَيَانَ» وَهُوَ غَوْرِيْفٌ.

(٨) كَذَا فِي الطَّبْرِيِّ وَالسَّيْرِ. وَفِي جَمِيعِ الْأَصُولِ وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ هَكَذَا: «قَالَ الطَّبْرِيُّ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ... الخ». وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَكْرُورُ هُنَا شَخْصٌ وَاحِدٌ. وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِسَارَ صَاحِبُ السَّيْرِ الَّذِي يَنْقُلُ عَنْهُ الطَّبْرِيُّ وَالَّذِي يَرَوِي عَنْ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ.

« إذا أخبرتنا أخبرناك » ؛ فقال : أو ذاك بذاك ؟ فقال : « نعم » ؛ قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدقني الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي حدثني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به قريش) . فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء » ثم أنصرف الشيخ عنه ، قال يقول الشيخ : ما من ماء ! أمن ماء العراق ؟ ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه . فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى بدر يلتصقون له الخبر عليه - قال محمد بن إسحاق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير : - فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج ، وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد ، فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ؛ فسألوهما ، فقالا : نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء ؛ فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما ، فلما أذلقوهما قالوا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدين ثم سلم ، ثم قال : « إذا صدقاكم ضربتموهما فإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله إنها لقريش أخبراني أين قريش » ؟ قالوا : هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والكتيب : العتقل - فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كم القوم » ؟ قالوا : لا ندري ؛ قال : « كم ينحرون كل يوم » ؟ قالوا : يوماً تسعاً ويوماً عشرة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القوم ما بين التسعمائة والألف » ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فن فيهم

(١) يراد بالراوية هنا القوم يستقون الماء على الدواب .

(٢) كذا في السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٤٣٦) والطبري (ص ١٣٠٣ من القسم الاول) . وفي الأصول : « غريض بن يسار » بالغين المعجمة .

(٣) أذلقه : أضعفه وأقلقه . وفي حديث عائشة أنها كانت تصوم في السفر حتى أذلقها الصوم أي أجهدتها وأذابها وأقلقها .

(٤) التكملة عن الطبري والسيرة .

من أشراف قريش؟ قالوا: عُتْبَةُ بن ربيعة، وشَيْبَةُ بن ربيعة، وأبو الْبَخْتَرِيِّ
أَبْن هِشَام، وَحَكِيم بن حِزَام، وَتَوْقَل بن خُوَيْلِد، وَالْحَارِث بن عَامِر بن
تَوْقَل، وَطَعْنَةُ بن عَدِي، وَالتَّضَر بن الْحَارِث، وَزُمْعَةُ بن الْأَسَد، وَأَبُو
جَهْل بن هِشَام، وَأُمَيَّة بن خَلْف وَنَيْبُهُ ابْنَا الْحِجَّاج، وَسُهَيْل بن عَمْرٍو، وَعَمْرُو
بن وَدٍّ؛ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ
رَمَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلَاحَ كَيْدِهَا».

قال ابن إسحاق: وقد كان بَسْبَسَ بن عمرو وعدي بن أبي الزَّغْبَاء مَضِيًّا حَتَّى
تَزَلَا بِدْرًا فَأَنَاخَا إِلَى تَلٍّ قَرِيبٍ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ أَخَذَا شَتًّا يَسْتَقِيَانِ فِيهِ، وَجَدِي
بن عمرو الْجُهَنِي عَلَى الْمَاءِ، فَسَمِعَ عَدِيُّ وَبَسْبَسَ جَارِيَتَيْنِ مِنْ جَوَارِي الْحَاضِرِ وَهُمَا
كَتَلَا زَمَانًا عَلَى الْمَاءِ، وَالْمَلْزُومَةُ تَقُولُ لَصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا تَأْتِي الْعِيْرُ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ
فَاعْمَلْ لَهُمْ ثُمَّ أَقْضِيكَ الَّذِي لَكَ؛ قَالَ مَجْدِي: صَدَقَتْ، ثُمَّ خَلَصَ بَيْنَهُمَا. وَسَمِعَ
ذَلِكَ عَدِيُّ وَبَسْبَسَ جَلَسَا عَلَى بَعِيرِيهِمَا ثُمَّ أَنْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَاهُ بِمَا سَمِعَا. وَأَقْبَلَ أَبُو سَفْيَانَ قَدْ تَقَدَّمَ الْعِيْرَ حَذِرًا حَتَّى وَرَدَ

(١) ضبطه صاحب المغنى في أسماء رجال الحديث المطبوع بهامش تقريب التهذيب (ص ١٠١ طبع
الهند) بالعبرة هكذا: «زعمه بزاي وميم مفتوحتين وعين مهملة وأكثر الفقهاء والمحدثين يسكنون
الميم والد سودة... الخ». وضبط في السيرة بالقلم بفتح الميم وفي الطبري كذلك أحياناً بسكون
الميم وأحياناً بفتحها وفي الاشتقاق أيضاً بسكون الميم وفتحها. وقال صاحب القاموس: «وزعمه بالفتح
ومجرّد». وضبطه الفيومي في المصباح بفتح الميم، ثم قال: «والمحدثون يقولون: زعمه بالسكون،
ولم أظفر به في كتب اللغة». وفي شعر أُمَيَّة بن أبي الصلت يبكى زعمه بن الأسود وقتلى بني أسد ما
يؤيد فتح الميم وهو قوله: عين بكى بالسبلات أبالحا رث لا تدخري على زعمه. وفي شرح
المواهب اللدنية (ج ٣ ص ٢٧١) قال: «زعمه بزاي فميم مهملة مفتوحات». وقال ابن الأثير:
«وأكثر ما سمعنا أهل الحديث والفقهاء يقولونه بسكون الميم، وقول المصباح: لم أظفر بالسكون في
كتب اللغة قصور فقد قدمه القاموس ثم حكى الفتح، فظاهره أن السكون أكثر لغة».

(٢) في الاصل: «قالوا وقد كان بسبس الخ»، والتصويب عن السيرة.

(٣) الشن: القرية التي خلّق الصغيرة.

(٤) يقال: لزم فلان غريمه إذا تعلق به.

(٥) كذا في صلب الطبري (ص ١٣٠٥ قسم أول طبع أوروبا). وفي الاصول: «حين».

وفي سيرة ابن هشام: «حق» وكلتا الروايتين أشير إليها في هامش الطبري.

الماء، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسستَ أحداً؟ قال: ما رأيتُ أحداً أنكره، إلا أنني رأيتُ راكبين أتاخا إلى هذا التلِّ ثم أستقيا في شَنِّ لهما ثم انطلقا. فأني أبو سفيانَ مُنَاخِهما فأخذ من أبعاد بَعِيرِيهما ففَتَّه فإذا فيه النَّوى، فقال: هذه والله علائفُ يَثْرِبُ! فرجع إلى أصحابه سريعاً فصرف وجهَ عَيْرِهِ عن الطريق فساحل بها وترك بدرأ يساراً، ثم انطلق حتى أسرع.

وأقبلت قريش، فلما تزلوا الجُحفَةَ رأى جُهَيْمُ بن أبي الصَّلْتِ بن مخزومة بن عبد المطلب بن عبد مناف رؤيا، فقال: إني رأيتُ فيما يرى النائم، وإني لَبِيتُ النَّائمَ واليَقْظانَ إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرسٍ ومعه بَعِيرٌ له ثم قال: قُتِلَ عُثْبَةُ بن ربيعة، وشَيْبَةُ بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمِيَّةُ بن خَلَفٍ، وفلان وفلان - فعدَّد رجالاً ممن قُتِلَ يومئذٍ من أشرف قريش - ورأيتُهُ ضرب في لَبَّةٍ بعيره ثم أرسله في العسكر، فابقي خِباءً من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْحٌ من دمه. قال: فبلغتُ أبا جهل فقال: وهذا أيضاً نبيُّ آخرُ من بني عبد المطلب! سَيَعْلَمُ غداً من المَقْتُولِ إن نحن التقينا. ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عَيْرَهُ، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتسنعوا عَيْرَكُمْ ورجالكم وأموالكم فقد نجَّها الله فأرجعوا.

الاصرار على النزال:

فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدرأ - وكان بدرُ مَوْسِماً من

(١) في الطبري والسيرة: «فضرِبَ».

(٢) زيادة عن السيرة، وساحل بها: اتجه بها نحو الساحل.

(٣) الجحفة (بالضم): ميقات أهل الشام، وكانت قرية جامعة، على آتئين وغانين ميلاً من مكة، وكانت تسمى سميرة فنزل بها بنو عبيل وهم إخوة عاد، وكان أخرجهم العماليق من يثرب، فجاءهم سيل الجحاف فأجحفهم، فسميت الجحفة.

(٤) اللبة: المنحر وموضع القلادة من الصدر كالقلب.

(٥) في السيرة لابن هشام: «رجالكم» بالجمع المعجمة.

مواسم العرب تجتمع به ، لهم بها سوق كل عام - فنقيم عليه ثلاثاً ، وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر ، وتعترف علينا القيان ، وتسعى بنا العرب بمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فأمضوا . فقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب السقي ، وكان حليفاً لبني زهرة ، وهم بالحنفة : يا بني زهرة قد نجى الله لكم غيركم وخلص لكم صاحبكم بخربة بن نوفل ، وإنا نقرم لتسنعوه وماله ، فاجعلوا بي جنبها وأرجعوا ، فإنه لا حاجة بكم في أن تخرجوا في غير ضيعة لما يقول هذا (يعني أبا جهل) فلم يشهدا زهري ، وكان فيهم مطاعاً . ولم يكن بقي من قريش بطن إلا نفر منهم ناس ، إلا بني عدي بن كعب لم يخرج منهم رجل واحد ؛ فرجعت بنو زهرة مع الأخنس بن شريق ، فلم يشهد بدرأ من هاتين القبيلتين أحد ؛ ومضى القوم . وقد كان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورة ؛ فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا أن هوأكم لمع محمد ؛ فرجع طالب إلى مكة فيمن رجع . وأما ابن الكلبي فإنه قال فيما حدثت عنه : شخص طالب بن أبي طالب إلى بدر مع المشركين - أخرج كرهاً - فلم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولم يرجع إلى أهله ، وكان شاعراً ، وهو الذي يقول :

يا رب إما يغرونا طالب في مقنب من هذه المقانب
فليكن المسلوب غير السالب وليكن المغلوب غير الغالب

رجع الحديث إلى ابن إسحاق

قال : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العتقل .

(١) زيادة عن السيرة .

(٢) كذا في السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٤٣٨) وتاريخ الطبري (ص ١٣٠٧ من القسم الاول) . وفي الأصول : « فاجعلوني جنبها » وهو تحريف .

(٣) الزيادة عن السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٤٣٨ طبع أوروبا) .

(٤) المقنب بالكسر : جماعة الخيل والفرسان . وقيل : هي دون المائة .

وبطن الوادي، وهو يَلِيلٌ^١، بين بدر وبين العَنَقَل : الكُثيب الذي خَلَفَهُ قريش .
والقَلِيب ببدر من العُدوة الدنيا من بطن يَلِيل إلى المدينة . وبعث الله عز وجل
السياء ، وكان الوادي دَهْساً^٢ ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
منها ما لَبَد لهم الأرض ولم يمنعهم المسير ، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدرُوا
على أن يرتحلوا معه؛ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبادرهم إلى الماء حتى حاذى
ماءً من مياه بدر فنزل به .

قال ابن إسحاق : حَدَّثْتُ عَنْ^٣ رجالٍ من بني سَلَمَةَ أنهم ذكروا أن الحُباب
ابن المُنْذِر بن الجُمُوح قال : يا رسول الله ، أَرَأَيْتَ هذا المَنْزَلَ ، أَمْزَلُ أَنْزَلَكُمُ
الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال :
« بل هو الرأي والحرب والمكيدة » ؛ فقال : يا رسول الله ، إن هذا ليس لك
بمنزل ، فأنهض بالناس حتى تَأْتِيَ أدنى ماء من مياه القوم فتنزله ، ثم تُعَوِّرَ^٤ ما
سواه من القُلب ثم تبني عليه حوضاً فتملأه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا
يشربوا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أشرتَ بالرأي » . فنهض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس حتى أتى أدنى ماء من القوم
فنزل عليه ، ثم أمرَ بالقُلب فعَوِّرَ^٥ وبنوا حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملئوا
ماءً ثم قذفوا فيه الآنية .

(١) بلیل (بتكرير الياء المفتوحة) : اسم وادٍ يدفع في بدر . وفي معجم ما استعجم (في الكلام
على رضى) : « ووادى يَنْبُع بلیل يصب في غنيقة » . وفي الأصول : « تليل » بالناء المثناة من
فوق في أوله ، وهو تحريف .

(٢) الدهس : هو كل لين سهل لا يبلغ أن يكون رملًا وليس بتراب ولا طين كالدهاس ،
وقيل أيضاً : الأرض السهلة ينقل فيها المشي .

(٣) التكملة عن السيرة لابن هشام .

(٤) كذا في السيرة . والذي في الأصول : « قال ابن إسحاق : فعدتني عشرة رجال من بني
سلة ذكروا النخ » .

(٥) كذا في الطبري والسيرة . وعوّر العين أو القليب : طمّنه وردمه . وفي الأصول : « تعوّر »
بالعين المعجمة ، وهو تحريف .

(٦) كذا في السيرة والطبري . وفي الأصول : « فعوّر » بالعين المعجمة ، وهو تحريف .

قال محمد بن إسحاق : خدثني محمد بن أبي بكر أن سعد بن معاذ قال : يا رسول الله، تبني لك عريشاً من جريد فتكون فيه ونُعدّ عندك ركائبك، ثم نلتقي عدونا، فإن نحن أغرنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فليحت بين ورائنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشدّ حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلتقي حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك؛ فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً، ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه . وقد أرتحلت قريش حين أصبحت وأقبلت . فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوّب من العنقّل - وهو الكثيب الذي منه جاءوا - إلى الوادي قال : « اللهم هذي قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم فأرحنهم الغداة » . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر : « إن يكن عند أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يُطيعوه يَوشدوا » . وقد كان خفاف بن إيماء بن رَحْضة الغفاري، أو أبوه أَيْمَاءُ بن رَحْضة بعث إلى قريش حين مروا به ابناً له بجزائر أهداها لهم وقال لهم : إن أحببتُم أن نُمدّكم بسلاح ورجال فعلنا؛ فأرساوا إليه مع ابنه : أن وَصَلْتَكَ رَحِمٌ ! فقد قضيت الذي عليك، فلعنري لأن كُنّا إنا نقاتل الناس فما بنا ضَعَف عنهم، ولئن كنا نقاتل الله

(١) كذا في السيرة . وفي الاصول : « مما » .

(٢) هذه الزيادة عن السيرة وتاريخ الطبري .

(٣) الزيادة عن السيرة (ج ١ ص ٤٤٠ طبع أوربا) .

(٤) التصوّب : الانحدار من علو .

(٥) الحين بالفتح : الهلاك . وحان الرجل : هلك . وأحانه الله : أهلكه .

(٦) هذه الزيادة عن السيرة وتاريخ الطبري .

(٧) في الاصول : « أخوه » . والتصوّب عن السيرة وتاريخ الطبري . وإيماء بكسر الهمزة مع المدّ أو بفتحها مع القصر . ورحضة بالتحريك أو بالفتح، أو بالضم أنوال فيه .

(٨) كذا في السيرة . وفي الاصول والطبري : « أمدكم » .

كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة . فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوض حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوهم » . فما شرب منهم رجل إلا قتل يومئذ ، إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل ، نجا على فرس له يقال له الوَجِيه ، وأسلم بعد ذلك فحسن إسلامه ، فكان إذا اجتهد في يمينه قال : والذي نجاني من يوم بدر .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا :

لما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجُمَحِيّ فقالوا : احزُرْ^(١) لنا أصحاب محمد؛ فاستجال بفروسه حول العسكر ثم رجع اليهم ، فقال : ثلثائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصونه ، ولكن أهلاوني حتى أنظر : ألقوم كمين أو مدد . قال : فضرب في الوادي حتى أمعن ، فلم ير شيئاً ، فرجع فقال : لم أر شيئاً ، ولكن قد رأيتُ يا معشر قريش الولايا^(٢) تحمل المنايا ! تَوَاضَحَ^(٣) يثرب تحمل الموت الناقع ! قوم ليس لهم مَنَعَةٌ ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقَتَّلَ رجل منهم حتى يَقْتُلَ رجلاً منهم ! فإذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خير العيش بعد ذلك ! فروا رأيكم . فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فألقى عتبة بن ربيعة وقال : يا أبا الوليد ، إنك كبير قريش الليلة وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى أمر لا ترال تذكر منه بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي ؛ قال : قد فعلت ، أنت على ذلك شهيد ، إنما هو حليفي فعلي عَقْلُهُ^(٤) وما أصيب من ماله ، فأتر ابن الحنظلية^(٥) فإني لا أخشى أن يسخر الناس غيره (يعني أبا جهل بن هشام) .

(١) الحزُر : التخمين والتقدير .

(٢) الولايا : جمع ولية وهي البرذعة أو ما تحمها .

(٣) التواضح : جمع ناضح ، والناضح : البعير يستقى عليه ، ثم استعمل في كل بعير وإن لم يحمل الماء .

(٤) العقل : الدية .

(٥) قال ابن هشام : الحنظلية أم أبي جهل ، وهي أسماء بنت مخزومة أحد بني نضلة بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

حدثنا محمد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا غمامة بن عمرو السهمي قال حدثنا مسور بن عبد الملك اليربوعي عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال :

بينما نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل عليه حاجبه فقال : هذا أبو خالد حكيم بن حزام ؛ قال : أئذن له ؛ فلما دخل حكيم بن حزام ، قال : مرحباً بك يا أبا خالد ، اذن ؛ فقال له مروان عن صدر المجلس حتى كان بينه وبين الوسادة ، ثم استقبله مروان فقال : حدثنا حديث بدر ؛ قال : خرجنا حتى إذا نزلنا الجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها ، فلم يشهد أحد من مشركيهم بدرأ ؛ ثم خرجنا حتى نزلنا العدو التي قال الله عز وجل ، فبغت عتبة بن ربيعة ، فقلت : يا أبا الوليد ، هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال : أفعل ماذا ؟ قال : قلت : إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم واحد : - وهو حليفك ، فتحتل ديتته فيرجع الناس ؛ قال : أنت وذاك ، وأنا أتحمّل ديتته ، فأذهب إلى ابن الحنظلية (يعني أبا جهل) فقل له : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟ فبغتته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه ، فإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه وهو يقول : قد فسخت عقدي من بني عبد شمس ، وعقدي إلى بني مخزوم ؛ فقلت له : يقول لك عتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك ؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ؟ قلت : لا ، ولم أكن لا أكون رسولاً لغيره . قال حكيم : فخرج مبادراً إلى عتبة وخرجت معه لئلا يفوتني من الخبر شيء ، وعتبة يتكئ على إماء بن رخصة الغفاري ، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر ، فطلع أبو جهل والشر في وجهه ، فقال لعتبة : انتفخ سحرُك ؛ فقال عتبة : فستعلم ؛

(١) كذا في الأصول بالعين المعجمة . وقد ذكر الطبري (قسم أول من ١٣١٣) هذه القصة بهذا الاسناد وفيه : « غمامة بن عمرو السهمي » بالعين المهملة . وفي هامشه في الصفحة نفسها نقلاً عن نسخة أخرى : « غمامة » بالعين المعجمة كما في الأصول . وفي القسم الثالث من الطبري (من ٢٦٨) : « غمامة بن عمرو السهمي » . وفي هامشه في الصفحة نفسها نقلاً عن نسختين أخريين : « غمامة » بالعين و « غمامة » بالعين والتاء ، ولم نثر على هذا الاسم في كتب التراجم حتى نستطيع ترجيح إحدى هذه الروايات .

(٢) يكنى بانتفاخ البحر عن الجبن ، وذلك أن الجبان يملأ الخوف جوفه فينتفخ سحره . والسحر : الرئة وما حولها مما يعلق به الخلقوم فوق السرة .

فَسَلَّ أَبُو جَهْلٍ سَيْفَهُ فَضْرَبَ بِهِ مَتَى فَرَسَهُ؛ فَقَالَ إِنَّمَا بَن رَحْضَةَ : بَشَسَ الْمَقَامَ هَذَا !
فَعِنْدَ ذَلِكَ قَامَتِ الْحَرْبُ .

رجع الحديث الى ابن إسحاق

ثُمَّ قَامَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ خَطِيبًا، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا تَصْنَعُونَ بِأَنْ
تَلْقَوْا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ شَيْئًا ! وَاللَّهِ لَئِنْ أَصْبَحْتُمُوهُ، لَا يَزَالُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ
رَجُلٍ يَكْرَهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ، رَجُلٍ قَتَلَ ابْنَ عَمِّهِ أَوْ ابْنَ خَالِهِ أَوْ رَجُلًا مِنْ عَشِيرَتِهِ،
فَارْجِعُوا وَخَلُّوا بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ، فَإِنْ أَصَابُوهُ فَذَلِكَ الَّذِي أُرِدْتُمْ، وَإِنْ
كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ أَلْفَاكُمُ وَلَمْ تَعْدَمُوا مِنْهُ مَا تَرِيدُونَ . قَالَ حَكِيمٌ : فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى
جَنْتُ أبا جَهْلٍ فَوَجَدْتُهُ قَدْ نَثَلَ دِرْعًا لَهُ مِنْ جِرَاحِهَا وَهُوَ يُبَيِّئُهَا؛ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أبا
الْحَكَمِ، إِنْ عُتْبَةُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ بِكَذَا وَكَذَا (الَّذِي قَالَ)؛ فَقَالَ : انْتَفَخَ وَاللَّهِ
سَحْرُهُ حِينَ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، كَلَّا وَاللَّهِ ! لَا مَرْجِعَ حَتَّى يُحْكَمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ
وَأَصْحَابِهِ؛ وَمَا بِعُتْبَةَ مَا قَالَ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَأَى أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَكْثَلُ جَزُورٍ،
وَفِيهِمْ أَبْنُهُ قَدْ تَخَوَّفَكُمْ عَلَيْهِ ! ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عَامِرِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ فَقَالَ لَهُ : هَذَا
حَلِيفُكَ يَرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَقَدْ رَأَيْتَ ثَارَكَ بِعَيْنِكَ، فَقُمْ فَأَنْشُدْ خَفَرَتَكَ^(١)
وَمَقْتَلَ أَخِيكَ . فَقَامَ عَامِرُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ فَأَكْتَشَفَ ثُمَّ صَرَخَ : وَأَعْمَاهُ ! وَأَعْمَاهُ !
فَحَيَّيْتُ الْحَرْبَ، وَحَقَّبْتُ أَمْرَ النَّاسِ، وَأَسْتَوْسَقُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ،
وَأَفْسَدَ عَلَى النَّاسِ الرَّأْيُ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ . وَلَمَّا بَلَغَ عُتْبَةُ قَوْلُ أَبِي
جَهْلٍ : « انْتَفَخَ سَحْرُهُ » قَالَ : سَيَعْلَمُ مُصَفِّرُ الْأَسْتَرِ مِنْ انْتَفَخِ سَحْرِهِ : أَنَا أَمْ هُوَ !
ثُمَّ التَّمَسَّ عُتْبَةُ بِيضَةً لِيُدْخِلَهَا فِي رَأْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ فِي الْجِلْبِشِ بِيضَةً تَسَعُهُ مِنْ عِظَمِ

(١) نثَلَ : أَخْرَجَ .

(٢) يَرِيدُ أَنَّهُمْ قَدْ تَكْفِيهِمْ جَزُورٍ وَاحِدَةً لَطْعَامِهِمْ .

(٣) كَذَا فِي السِّيَرَةِ وَتَارِيخِ الطَّبَرِيِّ . وَالْخَفَرَةُ . الذِّمَّةُ وَالْعَهْدُ . وَفِي الْأَصُولِ : « حَقْوُوكَ » .

(٤) حَقَّبَ أَمْرَ النَّاسِ : فَسَدَ .

(٥) اسْتَوْسَقُوا : اجْتَمَعُوا .

هامته، فلما رأى ذلك اعتجراً على رأسه ببرد له . وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق، فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمته أو لأموئن دونه؛ فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب، فلما ألتقيا ضربه حمزة فأبان قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشحب رجله دماً نحو أصحابه، ثم جبا إلى الحوض حتى أقتحم فيه يريد أن يُبرئ يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض . ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شئبة بن ربيعة وأبنة الوليد بن عتبة، حتى إذا نصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة نفر، وهم : عوف ومعوذ ابنا الحارث، وأمه غفراء . ورجل آخر يقال : هو عبد الله بن رواحة؛ فقالوا : من أنتم؟ قالوا : رهط من الأنصار؛ قالوا : ما لنا بكم حاجة . ثم نادى منادهم : يا محمد، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثم يا حمزة بن عبد المطلب ثم يا عبدة بن الحارث ثم يا علي بن أبي طالب » . فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا : من أنتم؟ فقال عبدة : عبدة، وقال حمزة : حمزة، وقال علي : علي؛ قالوا : نعم أكفأه كرام، فبارز عبدة بن الحارث، وكان اسن القوم، عتبة بن ربيعة؛ وبارز حمزة شئبة بن ربيعة؛ وبارز علي الوليد بن عتبة . فأما حمزة فلم يُهل شئبة أن قتله . وأما علي فلم يُهل الوليد بن عتبة أن قتله . واختلف عبدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه، ففكر حمزة وعلي على عتبة بأسياقهما فذقفاً عليه فقتلاه، واحتسلا صاحبهما عبدة، فجاء به إلى أصحابه وقد قطعت رجله ونخه يسيل . فلما أتوا بعبدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألسن شهيداً يا رسول الله؟ قال : « بلى »؛ فقال عبدة : لو كان أبو طالب حياً لعلم أنني بما قال أحق منه حيث يقول :

(١) الاعتبار : لف العمامة على الرأس .

(٢) كذا في سيرة ابن هشام، ونصل : خرج . وفي الاصول والطبري : « فصل » بالفاء .

(٣) أثبت صاحبه : أنخته بالجراح .

(٤) ذفق على الجريح : أجهز عليه .

وَنَسْلُهُ حَتَّى نَصْرَعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَانِنَا وَالْحَلَالِ

قال محمد بن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا له : أكفء كرام ، إنما نريد قومنا . ثم تراخف الناس ودنا بعضهم من بعض . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : « إن اكتنفكم القوم فأنضحوهم بالنبل » ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش معه أبو بكر .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان . قال ابن إسحاق : كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين .

قال محمد بن جرير وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال قال لي محمد بن إسحاق حدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه :

(١) هذا البيت من قصيدة أبي طالب التي مطلعها :

خليلي ما أذني لأول عاذل بصغواء في حق ولا عند باطل

وقبل هذا البيت :

كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ولما نطاعن دونه ونناضل

ونبزي : نغلب ونقهر ، وهو على تقدير النفي ، ومحمد نصب على تزعم الخافض ، أي لا تغلب عليه . ونسبه (بالرفع) معطوف على نبزي أي لا نسبه . وقد ورد هذا البيت في اللسان مادة (بزا) هكذا :

كذبتم وحق الله نبزي محمد الخ

ومعناه ، كما في اللسان ، يقهر ويستذل . وهو على تقدير النفي أيضاً .

(٢) زيادة عن السيرة والطبري .

(٣) كذا في سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري . وفي الاصول : « قال ابن إسحاق فحدثني الخ » وهو خطأ .

(٤) كذا في الطبري وتهذيب التهذيب وهو محمد بن حميد بن حبان التميمي أبو عبد الله الرازي أحد شيوخ ابن جرير الطبري ومن رووا عن سلمة بن الفضل . وفي الاصول : « أبو أحمد » وهو خطأ .

(٥) كذا في السيرة (ص ٤٤٤ طبع أوروبا) ، وهو حبان بن واسع بن حبان بن منقذ أحد شيوخ محمد بن إسحاق (راجع تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٧٠ ، وكتاب من روى عنهم محمد بن إسحاق ص ٩ طبع لندن) . وفي الطبري : « حبان بن واسع بن حبان بن واسع » . وفي جميع الاصول : « واسم حبان بن واسع » .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قدح^١ يُعَدِّلُ به القوم ، فرأى سواد بن غزوة حليف بني عدي بن النجار وهو مُسْتَنْتَلٌ^٢ من الصف ، فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح ، ثم قال : « أَسْتَو يا سواد بن غزوة » ؛ فقال : يا رسول الله ، أَوَجَعْتَنِي ! وقد بعثك الله بالحق ، فأقْدَنِي . قال : فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال : « أَسْتَعِدُّ » ؛ فَأَعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَ بَطْنَهُ ؛ فقال : « ما حملك على هذا يا سواد » ؟ فقال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فلم آمن الموت ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسخ جلدك ؛ فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيراً . ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ، ورجع إلى العريش ودخله ومعه أبو بكر ليس معه غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم - يعني المسلمين - لا تبعث بعد اليوم » ، وأبو بكر يقول : يا نبي الله خل بعض مُنَاشِدَتِكَ رَبِّكَ ، فإن الله مُنْجِرٌ لك ما وعدك .

دعاء النبي يوم بدر :

حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن عبيد المحاربي قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن عكرمة بن عمار قال حدثني يمامة الحنفي قال سمعت ابن عباس يقول : حدثني عمر بن الخطاب قال :

لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعدتهم

(١) القدح (بالكسر) : السهم قبل أن ينصل ويراش .

(٢) ذكر هذا الاسم في تاريخ الطبري (من ١٣١٩ قسم أول) وأسد الغابة (ج ٢ من ٣٧٤) وطبقات ابن سعد (ج ٣ من ٧٢ من القسم الثاني) . وفي سيرة ابن هشام (من ٤٤٤ ، ٥٠٤ طبع أوروبا) قال ابن هشام في الموضعين : « ويقال سواد بن غزوة » . وفي الإصابة (ج ٣ من ١٤٨ طبع مصر) في الكلام على سواد بن غزوة : « المشهور أنه بتخفيف الواو وحكى السهيلي تشديدها » .

(٣) مستنل : متقدم ويروى : مستنل .

وإلى أصحابه وهم نَبَفٌ على ثلثائة، أَسْتَقْبَلُ الكعبةَ وجعل يدعو ويقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعَذِّبَ في الأرض» فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه، فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه، ثم التزمه من ورائه فقال: كفاك يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، مناشدُك لربك، سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى: (إِذْ كَسَبَتْ رُسُلُكُمْ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْكُمْ وَأَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْغَالِبِينَ^(١)).

حدثنا محمد قال حدثنا ابنُ وكيع قال حدثنا الثَّقَفِيُّ (يعني عبد الوهاب) عن خالد عن عكرمة عن ابنِ عباس:

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبته يوم بدر «اللهم أسألك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تُعِدْ بعد اليوم». قال: فأخذ أبو بكر بيده فقال: حَسْبُكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ - وهو في الدرع - فخرج وهو يقول: (سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُؤْلُونَ الدُّبْرَ بِلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ).

رجع الحديث الى حديث ابن إسحاق

قال: وقد خفق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَفَقَةً وهو في العريش، ثم انتبه فقال: «يا أبا بكر أتاك نصرُ الله هذا جبريلُ آخِذٌ بعنانِ فرسه يقوده وعلى ثناياه النُّعُقُ^(٢)». قال: وقد رُمي مِهْجَعُ مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل، فكان أولَ قَتِيلٍ من المسلمين؛ ثم رُمي حارثةُ بنُ سُرَاقَةَ أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحرَه فقتل. ثم خرج رسولُ الله

(١) مردفين: متتابعين بعضهم في إثر بعض.

(٢) كذا في تاريخ الطبري، والمراد بالقبعة العريش الذي نصب له. وفي الاصول: «في فنية» وهو تحريف.

(٣) النُّعُق: الغبار.

(٤) زيادة عن السيرة.

صلى الله عليه وسلم إلى الناس فخرّتهم ونفل كل امرئ ما أصاب ، وقال :
« والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر
إلا أدخله الله الجنة » ؛ فقال عُمير بن الحُمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلها :
بَخْرَ بَخْرَ ! أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! قال : ثم قذف
التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل ، وهو يقول :

رَكُضاً إلى الله بغير زادٍ إلا التقي وعَمَلُ المَعَادِ
والصبرُ في الله على الجهادِ وكلُّ زادٍ عُرْضَةُ النِّفَادِ
غيرَ التقي والبرِّ والرَّشَادِ

حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا محمد
ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة :

أن عوف بن الحارث ، وهو ابن عَفراء ، قال : يا رسول الله ، ما يُضِجُكَ
الربُّ من عبده ؟ قال : « غَمُّهُ يَدَهُ في العدوِّ حاسراً » ؛ فترع درعاً كانت عليه
فقدفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل .

الهزيمة :

حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال وحدثني
محمد بن مسلم الزُّهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صَعِير العُدَري حليف بني
زُهرة قال :

لما ألتقي الناسُ ودنا بعضهم من بعض ، قال أبو جهل : اللهم أقطعنا للرَّحِمِ
وآتانا بما لا يُعرَفُ فأحنه الغداة ؛ فكان هو المُستَفْتَحُ على نفسه . ثم إن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفْنَةً من الخُضْبَاءِ وأستقبل بها قريشاً ، ثم قال :
« شَاهَتِ الوجوهُ » ثم نفحهم بها ؛ وقال لأصحابه : « شُدُّوا » فكانت الهزيمة .

فقتل الله مَنْ قَتَلَ مِنْ صناديد قريش ، وأسر من أسر منهم . فلما وضع القومُ أيديهم يأسرون - ورسول الله صَلَّى الله عليه وسلم في العريش ، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم متوشحاً بالسيف في نفر من الأنصار ، يحرسون رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كرامة العدو - رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي - في وجه سعد بن معاذ الكراهة فيما يصنع الناس ؛ فقال له : « كأنك كرهت ما يصنع الناس » : قال : أجل والله يا رسول الله ! كانت أول وقعة أوقعها الله عز وجل بأهل الشرك فكان الإثخان في القتل أعجب إليّ من استبقاء الرجال .

حدثنا محمد قال حدثنا ابنُ حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس :

أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : « إني قد عرفت أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهًا لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب - عم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم - فلا يقتله ، وإنما خرج مستكراً » . قال : فقال أبو حذيفة بن عتبة ابن ربيعة : أئقتل آباؤنا وأبناؤنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس ! والله لئن لقيته لألحقت السيف ! فبلغت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ؛ فجعل يقول لعمر ابن الخطاب : « يا أبا حفص أما تسمع إلى قول أبي حذيفة يقول أضرب وجه عم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بالسيف » . فقال عمر : يا رسول الله ، دعني فلا أضربن عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق . قال عمر : والله إنه لأوّل يوم كنتاني

(١) كذا في تاريخ الطبري (ص ١٣٢٣ من القسم الأول طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ص ٤٤٦ طبع أوربا) وتهذيب التهذيب (ج ٥ ص ١٢٠ طبع الهند) . وفي الاصول : « مصعب » وهو تحريف .

(٢) كذا في السيرة . وفي جميع الاصول والطبري : « إخواننا » .

فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص . قال : فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بأمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة ؛ فقتل يوم اليامة شهيداً . قال :

مقتل أبي البختري :

وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختري ، لأنه كان أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه بمكة شيء ، يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب . فلقية المجذّر بن زياد البلوي حليف الأنصار من بني عدي ، فقال المجذّر بن زياد لأبي البختري : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتلك ، ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة ، وهو جنادة بن مليحة بن زهير بن الحارث بن أسد - وجنادة رجل من بني ليث ، وأسم أبي البختري العاصي بن هشام بن الحارث بن أسد - قال : وزميلي ؟ فقال المجذّر : لا والله ما نحن بتاركي زميلك ؛ ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك ؛ قال : والله إذا لأموت أنا وهو جميعاً ! لا تتحدث عني نساء قريش بين أهل مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة . فقال أبو البختري حين نازله المجذّر وأبى إلا القتال وهو يرتجز :

لن يسلم ابن حرّة أكيله حتى يموت أو يرى سبيله

فأقتلا ، فقتله المجذّر بن زياد . ثم أتى المجذّر بن زياد رسول الله صلى الله عليه

(١) كذا في الطبري وسيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد (ج ٣ من ٩٨ من القسم الثاني طبع أوربا) وأسد الغابة (ج ٤ من ٣٠٢) والمشتبه في أسماء الرجال للذهبي (ص ٤٦٤) وشرح القاموس مادة ذود . وورد فيه : « والمجذّر بن زياد بالكسر ويقال زياد ككتان والاول اكثر » . وفي الاصول : « زياد » بالزاي . وفي سيرة ابن هشام (ص ٤٧) : « ويقال المجذّر بن ذئاب » .

(٢) في سيرة ابن هشام : « زميله » .

وسلم فقال : والذي بعثك بالحق ، لقد جَهِدْتُ عليه أن يستأسرَ فأتَيْكَ به ،
فأبى إلا القتالَ ، فقاتلته فقتلته .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن
أبيه ، قال : وحدثني أيضاً عبد الله بن بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن
عوف قال :

كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة ؛ قال : وكان اسمي عبد عمرو ، فسُميتُ
حين أسلمتُ عبد الرحمن ونحن بمكة ؛ قال : وكان يلقيني بمكة فيقول : يا عبد
عمرو ، أرغبتَ عن اسمِ سمَّاك به أبواك ؟ فأقول : نعم ؛ فيقول : فأبى لا أعرف
الرحمن ، فأجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أمأ أنت فلا تجيبني بأسمك الأول ،
وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعاني : يا عبد عمرو ، لم أجبه ،
فقلت : اجعل بيني وبينك يا أبا عليٍّ ما شئتَ ؛ قال : فأنت عبد الإله ؛ فقلت :
نعم . قال : فكنت إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله فأجيبه فأتحدث معه ؛ حتى
إذا كان يومُ بدر ، مررتُ به وهو واقف مع عليٍّ ابنه آخذاً بيده ، ومعي أذراع
قد سلبتها وأنا أحملها ؛ فلما رأيته قال : يا عبد عمرو ، فلم أجبه ؛ فقال : يا عبد
الإله ، قلت : نعم ؛ قال : هل لك فيّ فأنا خيرٌ لك من هذه الأذراع ؟ قال
قلت : نعم ، هلمّ إذا ؛ فطرحْتُ الأذراعَ من يدي وأخذت بيده وبيد ابنه
عليٍّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كالليوم قطّ ، أما لكم حاجةٌ في اللبن ؟ ثم خرجت
أمشي بينهما .

مقتل أمية بن خلف وابنه :

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عوف عن سعد بن إبراهيم بن
عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال :

- (١) قال ابن هشام : « يريد باللبن أن من أسرنى اقتديت منه بإبل كثيرة اللبن » .
(٢) كذا في الطبري . وفي تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني أن عبد الواحد بن أبي عوف
يروى عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . وقد ورد في الأصول : « ... أبي عوف بن
سعيد بن إبراهيم الخ » وهو خطأ .

قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجل المعلم منكم بريش نعامة في صدره ؟ قال قلت : ذلك حمزة بن عبد المطلب ؛ قال : ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل . قال عبد الرحمن : فوالله إني لأقودها إذ رآه بلالٌ معي - وكان هو الذي يُعَذَّبُ بلالاً بمكة على أن يترك الإسلام ، فيُخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضججه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد ؛ فيقول بلال : أحدٌ أحدٌ - فقال بلال حين رآه : رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجوا ! قال : قلت : أي بلال ، أبأسيري ؟ قال : لا نجوت إن نجوا ! قلت : أي بلال ، أبأسيري ؟ سمع يابن السوداء ؟ قال : لا نجوت إن نجوا ! ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجوا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة ! وأنا أذب عنه . قال : فأخلف رجلٌ السيف فضرب رجل ابنه فوق ، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلاً قط ؛ قال قلت : أنج بنفسك ولا نجاء ! فوالله ما أغني عنك شيئاً . قال : فهبروهما بأسيا ففهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالاً ، ذهب بأدراعي وجعني بأسيري .

قال ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس قال حدثني رجل من بني غفار قال :

أقبلت أنا وابن عم لي حتى أضعنا في جبله يُشرف بنا على بدر ، ونحن

(١) التسميع : التشهير ، يقال : سمع الرجل : أذاع عنه عيباً وندد به وشهره وفضحه .

(٢) المسكة (بالتحريك) : السوار .

(٣) كذا في السيرة . وفي الأصول : « قال : ف ضرب رجل أمية فوق الخ » .

(٤) رواية السيرة : « انج بنفسك ولا نجاء به » .

(٥) هبروهما : قطعوهما .

مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة^(١)، فنذهب مع من يذهب، فبينما نحن في الجبل إذ دنت منّا سحابة، فسمعنا فيها حنينة الخيل، وسمعت قائلاً يقول: أقدم^(٢) حيزوم^(٣). قال: فأما ابن عمي فأنكشف قناع^(٤) قلبه فأت مكانه! وأما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت.

قال محمد بن إسحاق وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن رجال من بني مازن ابن النجار عن أبي داود المازني، وكان شهد بدرًا، قال:

: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيني، فعلت أنه قد قتله غيري.

حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم المصري قال حدثنا يحيى بن بكير قال حدثني محمد بن إسحاق عن العلاء بن كثير عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخزومة عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال:

قال لي أبي: يا بُني، لقد رأيتنا يوم بدر، وإن أحدنا ليشير إلى المشرك بسيفه فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد قال وحدثني الحسن ابن عمار قال أخبرنا سلمة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس قال:

(١) الدبرة (بالفتح): الماقبة، يقال: لمن الدبرة أي الدولة والنصر والظفر، وعلى من الدبرة أي الهزيمة.

(٢) أقدم حيزوم: هو أمر بالإقدام، وهو التقدم في الحرب، والإقدام: الشجاعة. وقد تكسر همزة «أقدم» ويكون أمراً بالتقدم لا غير، والصحيح الفتح من أقدم. وحيزوم: اسم فرس جبريل عليه السلام.

(٣) قناع القلب: غشاؤه، تشبيهاً بقناع المرأة.

(٤) كذا في المتن في أسماء الرجال للذهبي وتهذيب التهذيب. وفي الاصول: «عينته» وهو تحريف.

كانت سببا للملائكة يوم بدر عمامهم بيضا قد أرسلوها على ظهورهم، ويوم حنين عمامهم حمرا، ولم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر، وكانوا يكونون فيها سواء من الأيام مددا وعددا ولا يضربون.

مقتل ابي جهل :

حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال : قال محمد وحدثني ثور بن زيد مولى بني الدليل عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس ، قال وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة يقول :

لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أمر بأبي جهل أن يلتبس في القتلى ، وقال : « اللهم لا تعجزنك » ؛ وكان أول من لقي أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح ، قال : سمعت القوم ، وأبو جهل في مثل الخرجة ، وهم يقولون : أبو الحكم لا يخلص إليه ؛ فلما سمعها جعلتها من شأني ، فعمدت نحوه ، فلما أمكنتني حملت عليه ، فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا كالنواة تقطيع من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها ، قال : وضربني أبنته عكرمة على عاتقي فطرح يدي ، فتعلقت بجلدة من جنبي ، وأجهضني القتال عنها ، فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلني ، فلما أذنتني جعلت عليها رجلي ثم تمطيت بها حتى طرحتها . قال : ثم عاش معاذ بعد ذلك حتى كان

(١) في الاصول : « يزيد » والتصويب عن تهذيب التهذيب والطبري .

(٢) الخرجة بالتحريك : مجتمع شجر ملتف كالغيضة ، والجمع : حرج وحراج .

(٣) أطنت : قطعت .

(٤) كذا في الطبري . ورواية النهاية لابن الأثير : « شبهتها النواة تنزو من تحت المراضخ جمع مرضخة ، وهي حجر يرضخ به النوى ، والرضخ : الكسر . وفي الاصول : « مرضخة النوى » ورض الشيء : دقه وجرشه .

في زمن عثمان بن عفان . قال : ثم مرّ بأبي جهل ، وهو عَقِيرٌ ، مُعَوِّذُ بن عَفراء ، فضربه حتى أثبتته ، فتركه وبه رَمَقٌ ، وقاتل مُعَوِّذٌ حتى قُتل . فرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلتَمَسَ في القتلى ، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني ، : « أنظروا إن خني عليكم في القتلى إلى أثرٍ جرح برُكْبته فإني أزدحمُ أنا وهو يوماً على مأذبة لعبد الله ابن جُدعان ونحن غلامان وكنتُ أَشْبُ - أو أَشَفُ - منه ييسر فدفعتُه فوق عَلى ركبتيه فخدش في إحداهما خدشاً لم يَزَلْ أثرُه فيها بعدُ » . فقال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رَمَقٍ فعرفته ، فوضعتُ رجلي على عنقه ؛ قال : وقد كان ضَبْتُ بي مرةً بمكة فأذاني ولكرني ، ثم قلت : هل أخراك الله يا عدو الله ؟ قال : وماذا أخزاني ! أأحمدُ من رجل قتلتموه ! لمن الدبرة اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا ابنُ حميد قال حدثنا سلمة عن محمد قال :

زعم رجلٌ من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول : قال لي أبو جهل : لقد أرتقيت يا رُويعي الغنم مُرتَقى صعباً ؛ ثم احتزّتُ رأسه ، ثم جثت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأسُ عدو الله أبي جهل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آله الذي لا إله غيره » ! - وكانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم - قلت : نعم والله الذي لا إله غيره ، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال فحمد الله .

(١) العقير : المجرع .

(٢) أي جرحه جراحة لا يتحرك معها ولا يقوم .

(٣) ضبت بالشيء ضباً : قبض عليه بكفه .

(٤) أحمد : أي أعجب ، قال أبو عبيد : معناه هل زاد على سيد قتلته قومه ! هل كان الا هذا ! أي أن هذا ليس بعار ، يريد أن يهون على نفسه ما حلّ به من الهلاك وأنه ليس بعار عليه أن يقتله قومه . وقال ثمر : هذا استفهام أي أعجب من رجل قتلته قومه ! قال الأزهري : كأن الاصل أأحمد الخ فخفت إحدى الهمزتين . والمراد بالدبرة : الدولة والظفر .

قال محمد بن إسحاق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الرُّبَيْر عن عائشة قالت :

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتل أن يُطْرَحُوا فِي الْقَلْبِ طَرَحُوا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أُمِيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ، فَإِنَّهُ انْتَفَخَ فِي دَرَعِهِ فَلَاَهَا ؛ فَذَهَبُوا بِهِ لِيُخْرِجُوهُ ، فَتَزَايَلْ فَأَقْرَوَهُ^١ وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ مَا غِيَّبَهُ مِنَ التُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ . فَلَمَّا أَلْقَوْهُمْ فِي الْقَلْبِ ، وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « يَا أَهْلَ الْقَلْبِ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا » ؛ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُكَلِّمُ قَوْمًا مَوْتَى ؟ قَالَ : « لَقَدْ عَلِمُوا أَنْ مَا وَعَدَهُمْ رَبُّهُمْ حَقٌّ » .
قالت عائشة : وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : لَقَدْ سَمِعُوا مَا قُلْتُ لَهُمْ ، وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَدْ عَلِمُوا » .

قال ابن إسحاق وحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال :

لَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ : « يَا أَهْلَ الْقَلْبِ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ ابْنَ رَبِيعَةَ وَيَا أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ - فَعَدَدَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْقَلْبِ - هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا » قَالَ الْمُسْلِمُونَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُنَادِي قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا ! فَقَالَ : « مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لَمَّا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُونِي » .

قال محمد بن إسحاق وحدثني بعض أهل العلم : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ قَالَ : « يَا أَهْلَ الْقَلْبِ بَنِي عَشِيرَةِ النَّبِيِّ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ كَذَبْتُمُونِي وَصَدَقْتُمِي النَّاسُ وَأَخْرَجْتُمُونِي وَأَوَانِي النَّاسُ وَقَاتَلْتُمُونِي وَنَصَرْتُمِي النَّاسُ » ؛ ثُمَّ قَالَ : « هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا » لِلْمَقَالَةِ الَّتِي قَالَهَا . وَلَمَّا أَمَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُلْقَوْا فِي الْقَلْبِ ، أَخَذَ عُتْبَةَ فَسُحِبَ إِلَى الْقَلْبِ ،

(١) كَذَا فِي السِّيرَةِ . وَفِي الْأَصُولِ : « فَأَقْرَوَهُ » بِالْفَاءِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

فتنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيا بلغني ، إلى وجه أبي حذيفة بن عتبة ، فإذا هو كئيبٌ قد تغير ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء » أو كما قال ؛ قال فقال : لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكنني كنت أعرف من أبي رأياً وفضلاً وحلاً ، فكنت أرجو أن يهديه الله إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ، أحزنني ذلك . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم له بنخير وقال له خيراً .

اختلاف على الفياء :

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما في المكر مما جمع الناس فجميع ، واختلف المسلمون فيه : فقال من جمعه : هو لنا ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نَقَلَ كلَّ أمرٍ ما أصاب . فقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونهم : لولا نحن ما أصبتموه ، لنحن سَقَلْنَا القومَ عنكم حتى ما أصبتم أصبتم . وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يُخَالَفَ إليه العدو : والله ما أنتم بأحق به منا ، ولقد رأينا أن نقتل العدو إذ ولانا الله ومنحنا أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، ولكن خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كَرَّةَ العدو ، فقمنا دونه ، فما أنتم بأحق به منا .

مقتل النضر بن الحارث :

قال ابن إسحاق وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة ويزيد بن رومان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الأسارى من المشركين ، وكانوا أربعة

(١) كذا في السيرة . وفي الأصول : « فلما رأيت ما أصابه ذكرت ... فحزنني ذلك » .

(٢) أي مخافة أن يأتيه العدو في غيبة أصحابه .

وأربعين أسيراً، وكان من القَتلى مثلُ ذلك، وفي الأسارى عُقبة بن أبي مُعيط،
والتَّضَرُّ بن الحارث بن كَلْدَة، حتى إذا كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم
بالصَّفراء، قُتِلَ النَّضَرُ بن الحارث بن كَلْدَة، قتله علي بن أبي طالب رضي
الله عنه.

قال محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله بن
عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة قال:

قَدِمَ بالأسارى حين قَدِمَ بِهِمْ، وَسَوْدَة بنت زَمْعَة (زوج النبي صَلَّى الله
عليه وسلم) عند آل عَفراء في مَنَاحَتِهِمْ على عَوْفٍ وَمُعَوِّذِ ابْنِي عَفراء، وذلك
قبل أن يُضَرَّبَ عليهنَّ الحِجَابُ؛ قال: تقول سَوْدَة: والله إني لعندهم إذ أُتِينَا؛
فَقِيلَ هُؤَلاءِ الأسارى قد أَتَى بِهِمْ، فَرُحْتُ إلى بيتي ورسول الله صَلَّى الله عليه
وسلم فيه، وإذا أَبُو يَزِيدَ سَهِيلُ بن عمرو في ناحية الحِجْرَةِ بمَجْمُوعَةٍ يَدَاهُ إلى
عُنُقِهِ مَجْبُولٌ؛ قالت: فوالله ما مَلَكْتُ نَفْسِي حين رَأَيْتُ أبا يَزِيدَ كَذَلِكَ أن قلت:
يا أبا يَزِيدَ، أَعْطَيْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ، أَلَا مُتَّمْ كِرَاماً! فوالله ما أَتْبَهَنِي إِلَّا قولُ رسول
الله صَلَّى الله عليه وسلم من البيت: «يا سَوْدَة أَعْلَى اللهُ وَعَلَى رَسُولِهِ»! قالت
فقلت: يا رسول الله، والذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ما مَلَكْتُ نَفْسِي حين رَأَيْتُ أبا يَزِيدَ
بِمَجْمُوعَةٍ يَدَاهُ إلى عُنُقِهِ مَجْبُولٌ ان قلتُ ما قلتُ.

قال محمد بن إسحاق: وكان أول من قَدِمَ مَكَّةَ بِمِصَابِ قُرَيْشٍ، الْحِمْيَانُ

(١) ورد في الاصول: «أسعد» وهو خطأ، والتصويب عن طبقات ابن سعد (ج ٣ ص ١٣٨)
من القسم الثاني طبع أوربا). قال ابن سعد ما نصه: «وكان لأسعد بن زُرارة من الولد حَبِيبَةُ مَبَايَعَةُ،
وكَبْشَةُ مَبَايَعَةُ، والفَرِيعَةُ مَبَايَعَةُ؛ وأُمُّهُمُ عَمِيرَةُ بنت سهل بن ثعلبة بن الحارث بن يَزِيدَ بن ثعلبة بن غنم
ابن مالك بن النجار، ولم يكن لأسعد بن زُرارة ذكر وليس له عقب إلا ولادات بناته هُؤَلاءِ، والعقب
لأخيه سعد بن زُرارة».

(٢) كذا في تاريخ الطبري (ص ١٣٣٨ من القسم الأول طبع أوربا) وسيرة ابن هشام
(ص ٤٦٠) وشرح القاموس مادة «حسم». وفي الاصول: «الحِمْيَانُ» بالثاء المثلثة وهو تحريف.
ثم ذكر الطبري خلافاً في نسب الحِمْيَانِ هذا فقال: «وقال الواقدي: الحِمْيَانُ بن حابس الخزاعي». وفي
الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٨٠): «الحِمْيَانُ بن عمرو». وفي أسد الغابة: «الحِمْيَانُ بن
إياس بن عبد الله بن إياس بن ضبيعة بن عمرو بن مازن». وذكر في الإصابة في نسبه أقوالاً
كثيرة فراجعها.

أَبْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِيسَى بْنِ ضَبَّيْعَةَ بْنِ رُومَانَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو الْخُرَاعِيِّ؛
 قَالُوا: مَا وَرَاءُكَ؟ قَالَ: قُتِلَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو الْحَكَمِ
 بْنُ هِشَامٍ، وَأُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ،
 وَنُئَيْيَةُ وَمُنَيَّةُ ابْنَا الْحَجَّاجِ؛ قَالَ: فَلَمَّا جُعِلَ يُعَدِّدُ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ قَالَ صَفْوَانُ بْنُ
 أُمِيَّةٍ وَهُوَ قَاعِدٌ فِي الْحَجَرِ: وَاللَّهِ إِنْ يَغْفِلُ هَذَا فَسَلُّوهُ عَنِّي؛ قَالُوا: مَا فَعَلَ
 صَفْوَانُ بْنُ أُمِيَّةٍ؟ قَالَ: هُوَ ذَلِكَ جَالِسٌ فِي الْحَجَرِ، وَقَدْ وَاللَّهِ رَأَيْتُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ
 حِينَ قُتِلَا.

قال محمد بن إسحاق حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن
 عكرمة مولى ابن عباس قال:

قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنت غلاماً للعباس بن
 عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم
 الفضل، وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه، ويكره خلافهم، وكان يكره
 إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف
 عن بدر، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكذلك صنعوا، لم يتخلف
 رجل إلا بعث مكانه رجلاً؛ فلما جاء الخبر عن مصاب أهل بدر من قريش،
 كذبته الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوة وغزاً؛ وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت
 أعمل القِدَاحَ أُنَحِّثُهَا فِي حُجْرَةٍ زَمَرَمُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي جَالِسٌ فِيهَا أَنْحَتُ الْقِدَاحَ، وَعِنْدِي
 أُمُّ الْفَضْلِ جَالِسَةٌ وَقَدْ سَرَّتْنَا مَا جَاءَنَا مِنَ الْخَبَرِ، إِذْ أَقْبَلَ الْفَاسِقُ أَبُو لَهَبٍ يَجْرُ رَجُلِيهِ
 يَسِيرٌ حَتَّى جَلَسَ عَلَى طَنْبِ الْحُجْرَةِ، فَكَانَ ظَهْرُهُ إِلَى ظَهْرِي، فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ إِذْ
 قَالَ النَّاسُ: هَذَا أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْخَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ قَدْ قَدِمَ؛ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ:
 هَلَمْ إِلَيَّ يَا بَنَ أَخِي، فَعِنْدَكَ لَعْمُورِي الْخَبْرُ؟ فَجَلَسَ إِلَيْهِ وَالنَّاسُ قِيَامٌ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ
 يَا بَنَ أَخِي أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَ أَمْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: لَا شَيْءَ وَاللَّهِ، إِنْ كَانَ إِلَّا أَنْ

(١) الزيادة عن السيرة.

(٢) في السيرة: «بشر».

لَقِينَاهُمْ فَأَجْنَحْنَاهُمْ أَكْتَافَنَا يَقْتُلُون وَيَأْسِرُونَ كَيْفَ شَاءُوا، وَأَمِمْ اللَّهُ مَعَ ذَلِكَ مَا لُمْتُ النَّاسَ، لَقِينَا رَجَالًا بَيْضًا عَلَى خَيْلٍ بُلْقَرٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَا تُلْقَى شَيْئًا وَلَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ. قَالَ أَبُو رَافِعٍ: فَرَفَعْتُ طُئْبَ الْحِجْرَةِ بِيَدِي، ثُمَّ قُلْتُ: تِلْكَ وَاللَّهِ الْمَلَأْتُكَ، فَرَفَعَ أَبُو لَهَبٍ يَدَهُ فَضْرَبَ وَجْهِي ضَرْبَةً شَدِيدَةً؛ قَالَ: فَسَاورَتْهُ فَاحْتَمَلَنِي فَضْرَبَ بِي الْأَرْضَ، ثُمَّ بَرَكَ عَلَيَّ يَضْرِبُنِي، وَكُنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا؛ فَقَامَتْ أُمُّ الْفَضْلِ إِلَى عَمُودٍ مِنْ عُمُدِ الْحِجْرَةِ فَأَخَذَتْهُ فَضْرَبَتْهُ بِهِ ضَرْبَةً، فَشَجَّتْ فِي رَأْسِهِ شَجَّةً مَنَكْرَةً وَقَالَتْ: أُنْتَضِعْنِي أَنْ غَابَ عَنْهُ سَيْدُهُ! فَقَامَ مُوَلِّيًا ذَلِيلًا، فَوَاللَّهِ مَا عَاشَ فِيهَا إِلَّا سَبْعَ لَيَالٍ حَتَّى رَمَاهُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِالْعَدَسَةِ فَقَتَلَتْهُ، فَلَقَدْ تَرَكَهُ أَبْنَاهُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا لَا يَدْفِنَانَهُ حَتَّى أَنْتَنَ فِي بَيْتِهِ - وَكَانَتْ قَرِيشٌ تَتَّقِي الْعَدَسَةَ كَمَا يُتَّقَى الطَّاعُونُ - حَتَّى قَالَ لَهَا رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ: وَيَحْكُمَا! لَا تَسْتَحْيِيَانِ أَنْ أَبَاكُمَا قَدْ أَنْتَنَ فِي بَيْتِهِ لَا تُغَيِّبَانِهِ! فَقَالَا: نَحْشَى هَذِهِ الْقَرْحَةَ! قَالَ: فَأَنْطَلِقَا فَأَنَا مَعَكُمَا، فَمَا غَسَّاهُ إِلَّا قَدْ قُذِّفًا بِالْمَاءِ عَلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ مَا يَمْسُونَهُ؛ فَأَحْتَمَلُوهُ فَدَفَنُوهُ بِأَعْلَى مَكَّةَ عَلَى جِدَارٍ، وَقَذَفُوا عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ حَتَّى وَارَوْهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَحَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبُدٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ عَنْ الْحَكَمِ بْنِ عَيْنَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

لَمَّا أَمْسَى الْقَوْمُ مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ، وَالْأَسَارَى مَحْبُوسُونَ فِي الْوَتَاقِ، بَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاهِرًا أَوَّلَ لَيْلَتِهِ؛ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ لَا تَنَامُ؟ فَقَالَ: «سَمِعْتُ تَضَوَّرَ الْعَبَّاسُ فِي وَتَاقِهِ»؛ فَقَامُوا إِلَى الْعَبَّاسِ فَأَطْلَقُوهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ عَنْ الْحَكَمِ بْنِ عَيْنَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

(١) مَا تُلْقَى شَيْئًا: مَا تَبْقَى عَلَى شَيْءٍ، يُقَالُ: هَذَا سَيْفٌ لَا يَلِيقُ شَيْئًا أَيْ لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا قَطَعَهُ.

(٢) الْعَدَسَةُ: بَثْرَةٌ قَائِلَةٌ تَخْرُجُ بِالْبَدَنِ.

كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة، وكان رجلاً مجموعاً، وكان العباس رجلاً جسيماً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي اليسر: «كيف أسرت العباس يا أبا اليسر؟» فقال: يا رسول الله، أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم».

قال ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب حين أنهى به إلى المدينة: «يا عباس أفد نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل ابن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم أخا بني الحارث بن فهر فإنك ذو مال»؛ فقال: يا رسول الله، إني كنت مسلماً ولكن القوم استكروهني؛ فقال: «الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكر حقاً فإله يجزيك به، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فأفد نفسك». وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ منه عشرين أوقية من ذهب؛ فقال العباس: يا رسول الله، احسبها لي في فدائي؛ قال: «لا، ذلك شيء أعطاناه الله منك»؛ قال: فإنه ليس لي مال؛ قال: «فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت من عند أم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحد ثم قلت لها إن أصبحت في سفرتي هذه فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولقثم كذا ولعبيد الله كذا؟» قال: والذي بعثك بالحق ما علم هذا أحدٌ غيري وغيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله، ففدى العباس نفسه وابن أخيه وحليفه.

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت:

لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاصي بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاصي حين بنى عليها؛ فلما رآها رسول الله صلى الله

عليه وسلم رَقَّ لها رِقَّةٌ شديدة وقال : « إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وترُدُّوا عليها الذي لها فأفعلوا »؛ فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردُّوا عليها الذي لها .

رثاء الأسود بن المطلب لولاده :

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد عن أبيه قال :

ناحت قريش على قَتْلِها، ثم قالت : لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه، فيشتموا بكم، ولا تبعثوا في فداء أسراكم حتى تياسوا منهم، لا يتأرب عليكم محمد وأصحابه في الفداء . قال : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده، زُمعة وعقيل والحارث، بنو الأسود، وكان يُحب أن يبكي على بنيهِ؛ فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة في الليل، فقال لعلامه وقد ذهب بصره : انظر هل أحلَّ التحيبُ وهل بكت قريش على قَتْلِها؟ لعلِّي أبكي على أبي حكيمة (يعني زُمعة) فإن جوفي قد أحترق؛ فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته؛ فذلك حين يقول الأسود :

أَبْكِي أَنْ أَضَلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا الْبُكَاءُ مِنَ الْهَجُورِ*

(١) كذا في السيرة لابن هشام (ص ٤٦٥ طبع أوروبا) . وفي الأصول : « فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة الخ » .

(٢) وفي الطبري (قسم ١ ص ١٣٤٢) والسيرة (ص ٤٦١) : « حتى تستأنوا بهم » . واستأنى : تربص وانتظر .

(٣) كذا في الطبري . ويتأرب : يتألم وينشد . وفي السيرة واللسان مادة أرب : « لا يارب » وأرب : تشدد .

(٤) كذا في السيرة وهو الموافق لما في حاشية أبي تمام (ص ٣٩٧ - شرح التبريزي طبع أوروبا) والاشتقاق لابن دريد . وفي الأصول والطبري : « ابن عبد يغوث » وهو خطأ .

(٥) هذا البيت في حاشية أبي تمام والسيرة ص ٤٦٢ والطبري هكذا :

أَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ السَّهْوُ*

وذكر في الحاشية مع هذا البيت الثاني والآخر من هذه الايات، وهما البيتان المتفقان معه في حركة الروي .

ولا تبكي على بكرٍ ولكن على بدر تقاصرت الجدود^١
 على بدر سراة^٢ بني هُصيصٍ ومخزومٍ ورهط أبي الوليد
 وبكِّي إن بكيت على عَقله وبكِّي حارثاً أسد الأسود
 وبكِّيهم ولا تُسمي جميعاً فما لأبي حكيمة من نديد
 ألا قد ساد بعدهم رجالٌ ولولا يوم بدر لم يسودوا

ومما قيل في بدر من الشعر وغني به قول هند بنت عتبة
 ترثي أباها :

صوت

من حس^٣ لي الأخوين كالغُصنين أو من^٤ راءهما^٥
 قرمان^٦ لا يتظالما ن^٧ ولا يُرام^٨ جهاهما

(١) في الحماسة والطبري والسيرة : « فلا ... الخ » .

(٢) البكر : الفتى من الإبل . وتقاصرت الجدود أي تواضعت الحظوظ، يريد أنه يستهين فقد المال ويستعظم فقد النفوس . وتقاصرت : تفاعلت من القصور والمعجز، كأنها تبارت في القصور . ويحتمل أن تكون من القصر الذي هو ضد الطول، وتكون كلمة « على » من « على بدر » موضوعة موضع الباء، كما يقال : هم على ماء كذا وهم جاء كذا . وقال أبو هلال : تقاصرت الجدود : عثرت، والمائر يتطأطأ عند النار فيتقاصر . والعائر في الجد منل، وكذلك التقاصر . ويجوز أن يقال : إنه أراد بالجدود الأعمار أي أنه قتل من قتل من المشركين فذهب بهم عز قريش، أي لا تبكي على بكر وابكي على من تقاصرت جدودهم ببدر فهلكوا .

(٣) سراة : جمع سري وهو السيد الكريم .

(٤) بكاه بالتضعيف كبكاه الخفف .

(٥) حس من باب نصر كأحس .

(٦) أصل راءها : راءها، فحفت فيه الهمزة على حد : لا هناك المرتع، فاجتمعت ألفان، فحذفت أحدهما لالتقاء الساكنين .

(٧) القرم : السيد العظيم .

وَيَلِي عَلَى أَوَيِّ وَالْقَبْرِ الَّذِي وَاوَاهَا
لَا مِثْلُ كَهْلِي فِي الْكُهْوِ لِ وَلَا فَتَى كَفَتَاهَا

- ذكر الهشامي أن الغناء لأبن سُرَيْج رَمَلٌ، وفي الكتاب الكبير
المنسوب إلى إسحاق أنه للغريض - وقام هذه الأبيات :

أَسْدَانٍ لَا يَتَذَلَّلَا ن وَلَا يُرَامُ جَاهَاهَا
رُحَيْنِ خَطِيئِينَ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ تَرَاهَا
مَا خَلَفَا إِذْ وَدَّعَا فِي سُودَدٍ شَرَوَاهَا^١
سَادَا بَغِيرَ تَكَلُّفٍ عَفْوًا يَفِيضُ نَدَاهَا

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا محمد بن
سعد عن الواقدي، وأخبرني ابن أبي الأَزهري قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه
عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال :

لما كانت وقعة بدر، قُتل فيها عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن
عتبة؛ فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم، وبلغها نسيم^٢ الخنساء هودجها في الموسم
ومعاضتها العرب بمصيتها بأبيها عمرو بن الثريد وأخوها صخر ومعاوية، وأنها
جعلت تشهد الموسم وتبكيهم، وقد سومت هودجها براية، وأنها تقول : أنا
أعظم العرب مصيبة، وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك؛ فلما أصيبت هند
بما أصيبت به وبلغها ذلك، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبة وأمرت بهودجها
فسوم براية، وشهدت الموسم بمكافئ، وكانت سواقاً يجتمع فيها العرب، فقالت :
أقرنوا جملي بجمال الخنساء، ففعلوا؛ فلما أن دنت منها، قالت الخنساء : من أنت
يا أختي؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة، وقد بلغني أنك تعاضين
العرب بمصيتك، فم تعاضينهم؟ فقالت الخنساء : بعمرو بن الثريد، وصخر

(١) شرواها : مثلها .

(٢) سوم الشيء : جعل له سومة وعلامة ليعرف بها ويتميز .

ومعاوية أبني عمرو ، وبم تعاضمينهم أنت ؟ قالت : بأبي عتبة بن ربيعة ، وعمي
شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد ؛ قالت الحنساء : أو سواه هم عندك ؟ ثم
أنشدت تقول :

أبكى أبي عمرو بعين غزيرة قليله إذا نام الخلي هجودها
ورصنوي لا أنسى معاوية الذي له من سراق الحرثين وفودها
وصخراً ومن دامثل صخر إذا غدا بساهمة الأطال قبا يقودها
فذلك يا هند الرزية فأعلمي ونيران حرب حين شب وقودها

فقلت هند تجيبها :

أبكى عميد الأبطحين كليها وحاميها من كل باغر يريدُها
أبي عتبة الخيرات ويحك فأعلمي وشيبة والحامي الذمار وليدُها
أولئك آل المجيد من آل غالب وفي الغز منها حين ينمى عديدها

وقالت لها أيضاً يومئذ :

من حسن لي الأخوين كالمُضنين أو من راحها

(١) الحرّة : الأرض ذات الحجارة السود النخرة . والمراد بالحرثين : حرة بني سليم وحرة بني هلال بالحجاز . أي هو مقصد الأشراف من القبائل تأتيه وفودها فيما يلم بها .

(٢) كذا في ديوان الحنساء (طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٨٩٥) .
والساهمة : النقيصة . والأطال : جمع إطل (بالكسر وبكسرتين) وهو الخامسة . ويروى : «بساهمة
الأطال» والساهمة : من الخيل الطويلة على وجه الأرض . وفي سائر الأصول : «الأبطال» وهو
تحريف . وفي نسخة مخطوطة من الديوان مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٧٠ أدب ص ٨٦) :
«بساهمة الأبصار قب» . والقب : جمع أقب أو قباء ، وهي الفرس الدقيقة الخصر الضامرة البطن .

(٣) عميد القوم : سندهم وسيدهم . وتريد بالأبطحين : بطحاء مكة وسهل تهامة . وأصل الأبطح :
المسيل الواسع فيه دفاق الحصى .

(٤) عديدها : جوعها .

أريحية الغناء :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني بعض القُرَشِيِّينَ قال :
 قديم عبد الله بن جعفر على معاوية وافداً ، فدخل عليه إنسان ثم ذهب إلى
 معاوية فقال : هذا ابن جعفر يشرب التَّبِيدَ ، ويسمع الغناء ، ويُجَرِّكُ رأسه عليه ؛
 فجاء معاوية مُتَغَيِّراً حتى دخل على ابن جعفر ، وغَزَزَهُ المِئْلَاءُ بين يديه كالشمس
 الطالعة في كِوَاءِ البيت يُضيء بها البيت ، تُغَيِّيه على عودها :
 تَبَلَّتْ فَوَادِكُ فِي الظَّلامِ خُرَيْدَةً تَشْنِي الضَّجِيعَ بِسَارِدِ بَسْمٍ .

وبين يديه عُسٌّ ؛ فقال : ما هذا يا أبا جعفر ؟ قال : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 لَتَشْرَبَنَّ مِنْهُ ، فَإِذَا عَسَلٌ مُجْدُوحٌ بِمَسِكَ وَكَافُورٌ ! فقال : هذا طِيبٌ ؛ فما هذا
 الغناء ؟ قال : هذا شعر حسان بن ثابت في الحارث بن هشام ؛ قال : فهل تُغَيِّيه
 بغير هذا ؟ قال : نعم ، بالشعر الذي يأتيك به الأعرابي الجاني الأذفر ، القبيحُ
 المنظر ، فيُشَافِهَكَ به ، فتُعْطِيهِ عليه ؛ وآخِذَهُ أَنَا ، فأختار محاسنه ورقيقَ كلامه ،
 فأعطيه هذه الحَسَنَةَ الوجه ، اللَّيْنَةَ اللس ، الطَّيْبَةَ الريح ، فترتله بهذا الصوت
 الحسن . قال : فما تحريكُكَ رأسك ؟ قال : أَرِيحِيَّةٌ أَجِدُّهَا إِذَا سَمِعْتُ الغناء ؛ لو
 سُلِّتَ عندها لَأَعْطَيْتُ ، ولو لَقِيتُ لَأَبْلَيْتُ ؛ فقال معاوية : قَبِّحَ اللَّهُ قَوْمًا
 عَرَضُونِي لَكَ ، ثُمَّ خَرَجَ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِصَلَةٍ .

(١) كِوَاءُ البيت : منافذه وثقوبه ، واحده كوة .

(٢) العس (بالضم) : القدح الكبير .

(٣) مجدوح : مخلوط .

(٤) الجاني : الغليظ في المعاشرة . والأذفر بالذال المهملة : النتن .

صوت

من المائة المختارة

أَيُّهَا الْقَلْبُ لَا أَرَاكَ تُفَيْقُ طَالَمَا قَدْ تَعَلَّقَتْكَ الْعُلُوقُ
مَنْ يَكُنْ مِنْ هَوَى حَبِيبٍ قَرِيباً فَأَنَا النَّازِحُ الْبَعِيدُ السَّحِيقُ
قُضِيَ الْحُبُّ بَيْنَنَا فَالْتَقَيْنَا وَكِلَانَا إِلَى الْلِقَاءِ مَشُوقُ

الشعر في البيت الأول والثالث لعمر بن أبي ربيعة ، والبيت الثاني ليس له ولكن هكذا غني؛ وليس هو أيضاً مُشاكلاً لحكاية ما في البيت الثالث . والغناء لبابويه الكوفي ، خفيفٌ ثقيلٌ أول . وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من قريش ، يقال لها نغم ، كان كثيرَ الذِّكْرِ لها في شعره . أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المَرْزُبَانِ عن أبي عبد الله التَّمِيمِيّ عن القَحْذَمِيّ والمدائنيّ ، قال : وهي التي يقول فيها :

أَمِنْ آلِ نَغْمٍ أَنْتِ غَادِرٌ فَمُبَكِّرُ

ابن أبي ربيعة ونغم :

قال : وكانت تُكْنَى أُمَّ بَكْرٍ ، وهي من بني جُمَح . وتقام هذه الأبيات على ما حكاه ابن المَرْزُبَانِ عَنْ ذَكَرَتْ :

فَالْتَقَيْنَا وَلَمْ نَخَفْ مَا لَقَيْنَا لَيْلَةَ الْخَيْفِ ، وَالْمُنَى قَدْ تَشَوَّقُ
وَجَرَى بَيْنَنَا فَجْدٌ وَصَلَا قُلُوبٌ حَوْلَ أَرِيبٍ رَفِيقُ

(١) يريد به ما علقه من كلف الحب وجهده .

(٢) وفي ديوانه : « تشوق » .

(٣) القلب الحوّل : المختال البصير بتقليب الأمور .

لَا تَظَنِّي أَنَّ التَّرَاسِلَ وَالْبَذْنَ لَ لِكُلِّ النِّسَاءِ عِنْدِي يَلِيقُ
هَلْ لَكَ الْيَوْمَ إِنْ نَأَتْ أُمُّ بَكْرٍ وَتَوَلَّتْ إِلَى غَزَاءِ طَرِيقُ

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثت عن محمد بن حميد عن عبد الله
ابن سوار القاضي عن يشر بن الفضل قال :

بلغ عمر بن أبي ربيعة أن نعلماً أغتسلت في غدير فأتاه فأقام عليه ، وما زال
يشرب منه حتى جف .

أخبرني محمد بن خلف قال قال محمد بن حبيب الراوية :

بلغني أن نعلماً استقبلت عمر بن أبي ربيعة في المسجد الحرام ، وفي يدها
خاق^١ من خاق المسجد ، فسحت به ثوبه ، ومضت وهي تضحك ؛ فقال عمر :

أَدْخَلَ اللَّهُ رَبُّ مُوسَى وَعِيسَى جَنَّةَ الْخُلْدِ مَنْ مَلَانِي خَلَوْقاً
مَسَحْتُهُ مِنْ كَفِّهَا فِي قَيْصِي حِينَ طَافَتْ بِالْبَيْتِ مَسْحاً رَفِيقاً
غَضِبْتُ أَنْ نَظَرْتُ نَحْوَ نِسَاءِ لَيْسَ يَعْرِفْنِي سَلَكْنَ طَرِيقاً
وَأَرَى بَيْنَهَا وَبَيْنَ نِسَاءِ كُنْتُ أَهْدِي بَيْنَ بَوْنَا سَحِيقاً

وهذا البيت الأول مما عيب على عمر .

ومما غني فيه من تشبيب عمر بن نعم هذه :

صوت

دِينُ هَذَا الْقَلْبُ مِنْ نَعْمٍ بِسَقَامٍ لَيْسَ كَالسَّقَمِ

(١) الخلق : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران .

(٢) دين : جوزي وكوفي .

(٣) في ديوان عمر بن أبي ربيعة :

قد أصاب القلب من نعم سقم داء ليس كالسقم

إِنْ نَفْعًا أَقْصَدْتَ رَجُلًا آمِنًا بِالْخَيْفِ إِذْ تَرْمِي
بِشْتِيتٍ نَبْتُهُ رَقِيلٌ طَيِّبِ الْأَنْيَابِ وَالطَّعْمِ
وَبُخْفِرٍ مَائِلِ رَجُلِهِ كَمُنَاقِيدَ مِنَ الْكَرَمِ

ومنها :

صوت

خَلِيلِي أَرْبَعًا وَسَلَا بَمَغْنَى الْحَمِيَّ قَدْ مَثَلَا
بِأَعْلَى الْوَادِي عِنْدَ الْبُشْرِ هَيَّجَ عَبْرَةً سَبَلَا
وَقَدْ تَغْنَى بِهِ نَعْمٌ وَكُنْتُ يَوْصِلُهَا جَذَلَا
لِيَالِي لَا تُحِبُّ لَنَا بَعِثْهُ قَدْ مَضَى بَدَلَا
وَتَهَوَانَا وَنَهَوَاهَا وَنَعَصِي قَوْلَ مَنْ عَذَلَا
وُتْرَيْلُ فِي مُلَاطَفَةٍ وَنُعِيلُ نَحْوَهَا الرُّسَلَا

غَنَاهُ الْهَذَلِيَّ ، وَلَحْنُهُ مِنَ الْقَدْرِ الْأَوْسَطِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى
الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ . وَفِيهِ لَا بَنُ سُرَيْجَ لَحْنَانٍ : رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ فِي مَجْرَاهَا عَنْ

(١) أَقْصَدَهُ : أَصَابَهُ فَقْتَلَهُ .

(٢) الثَغَرُ الشَّتِيتُ : الْمَفْلِجُ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ أَسْنَانِهِ تَبَاعُدٌ . وَرَقِيلٌ : مَسْتَوٍ حَسَنُ التَّنْظِيدِ .

(٣) الْوَحْفُ : الشَّعْرُ الْكَثِيفُ الْمَسْوَدُ . وَالرَّجُلُ مِنَ الشَّعْرِ : مَا كَانَ بَيْنَ السَّبُوطَةِ وَالْجُمُودَةِ .

(٤) أَرْبَعًا : أَقْيَا . وَمَغْنَى الْحَمِيَّ : مَعْلٌ إِقَامَتُهُمْ . وَمَثَلٌ : قَامَ وَانْتَصَبَ .

(٥) الْوَادِي : كُلُّ مَنْفَرَجٍ بَيْنَ الْجِبَالِ وَالْثَلَالِ وَالْأَكَامِ يَكُونُ مَسْلَكًا لِلْسَّبِيلِ وَمَنْفَذًا . وَرَبْمَا
اِكْتَفَى فِيهِ بِالْكَسْرِ عَنِ الْيَاءِ ، كَمَا قَالَ أَبُو الرَّبَّاسِ النَّغَلِيَّ :

لَا صَلَحَ بَيْنِي فَاعْلَوْهُ وَلَا يَنْكُمُ مَا حَمَلْتُ عَاتِقِي
سَيْفِي وَمَا كُنَّا بِنَجْدٍ وَمَا قَرَقَرْتُمْ الْوَادِيَّ بِالشَّاهِقِ

(٦) سَبَلٌ : اسْمُ الْمَصْدَرِ مِنْ أَسْبَلَ الْمَطَرُ وَالِدَمْعُ إِذَا هَطَلَا ، وَلِذَلِكَ لَا يُوْثُّ وَلَا يَنْثِي وَلَا يَجْمَعُ
إِذَا وَصَفَ بِهِ .

إسحاق، وخفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى عن عمرو. وفيها عن إسحاق ثاني ثقيل، ولُسليم خفيفٌ رمل، جميعاً عن الهشامي، قال: ويقال: إن اللحن المنسوب إلى سُليم لحكم الوادي.

ومنها من قصيدة أولها:

لقد أرسلتُ نَعْمُ الينا أنِ أثبتنا فأحببُ بها من مُرسله مُتغضبٍ

يُغني منها في قوله:

صوت

فقلتُ لجنادٍ خذِ السيفَ واشتعلِ عليه برفقٍ وأرقبِ الشمسَ تغربِ
وأسرج لي الدِّهْماءَ وأعجلِ بمنطري ولا تعلمن حياً من الناس مذهبي
فلما ألتقينَا سلَّمتُ وتبسَّمتُ وقالت مَقالَ المعرض المتجيبِ
أمن أجل واشٍ كاشحٍ بنسيمةٍ مشى بيننا صدقته لم تُكذبِ
وقطعتُ جبلَ الوصل مناً ومن يُطعُ بذي ودّه قولَ المحرّشِ يُعْتَبِ

صوت

ما بالُ أهْلِكَ يا رَبَّابُ خَزْرَاءُ كأنَّهمُ غَضابُ

(١) المطر والمطرة: ثوب من صوف يلبس في المطر يتوق به منه.

(٢) هذه رواية الديوان، في هذا الشطر وفي الأصول:

ولا تعلمن حياً من الناس مذهبي

وفي هذه الابيات اختلاف يسير عما في الديوان.

(٣) الكاشح: العدو المضمحل للعداوة، لأنه يطوي كشحته على العداوة أو لانه يتباعد عنك ويوليكَ كشحته.

(٤) المحرّش: الذي يقري بعض القوم ببعض. ويروى: «المؤرش». وهو من أرش بين القوم إذا أفسد.

(٥) خزرأ: جمع أخزر، والأخزر: الذي ينظر بلحظ عينه.

إِنْ زُرْتُ أَهْلَكَ أَوْعِدُوا وَتَهَرَّ دُونَهُمُ الْكَلَابُ

عروضه من الكامل^١ . الشعر لعلس ذي جَدَنَ الحِمَيْرِي ، أخبرنا بذلك محمد
أَبْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ دُرَيْدٍ عَنْ عَمِّهِ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ . والغناء لَطَوَيْسَ ؛
ولحنه المختار خفيف رمل بالبنصر .

(١) هو من مجزوء الكامل المرفل .

نسب علس ذي جَدَن وأخباره

هو علس بن زيد بن الحارث بن زيد بن القوث بن سعد بن عوف بن عديّ
ابن مالك بن زيد الجمهور بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد
شمس بن وائل بن القوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أعر بن الهم بن
الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وهو ملك من
ملوك حمير ، ولقب ذا جَدَن لحسن صوته ، والجَدَن : الصوت بلغتهم ؛ ويقال :
إنه أول من تغنى باليمن .

أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي وأبي مسكين قالا :
إنما سمي ذا جَدَن لحسن صوته .

قبره وأثاره :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا
علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن إسماعيل بن إبراهيم بن ذي الشعار الهمداني
عن حيّان بن هاني الأرحبي عن أبيه قال :

أخبرني رجل من أهل صنعاء : أنهم حفروا حفيراً في زمن مروان ، فوقفوا
على أزج^(١) له باب فإذا هم برجل على سرير كأعظم ما يكون من الرجال ، عليه
خاتم من ذهب وعصابة من ذهب ، وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه :
« أنا علس ذو جَدَن القيل ، لخليتي مني الثيل ، ولعدوتي مني الويل ، طلبتُ

(١) عبارة القاموس وشرحه مادة أزج : « الأزج معركة : ضرب من الأبنية » . وفي الصحاح
والمصباح واللسان : الأزج : بيت بيني طولاً ويقال له بالفارسية أوستان .

فأدركتُ وأنا ابن مائة سنة من عمري ، وكانت الوحش تأذن لصوتي ، وهذا
 سيني ذو الكف عندي ، ودرعي ذات الفروج ورُمحي الخزيري ، وقوسي
 الفجواء ، وقرني ذات الشر ، فيها ثلثائة حشر ، من صنعة ذي غمر ، أعددتُ
 ذلك لدفع الموت عني فخاني . قال : فنظرنا فإذا جميع ذلك عنده . ووجدتُ
 هذا الخبر عن ابن الكلبي في بعض الكتب من غير رواية ابن عمّار ، فوجدت
 فيه : فإذا طولُ السيف اثنا عشر شبراً ، وعليه مكتوب تحت شاربهِ بالمُسندِ :
 « بأستِ أُمري كنتَ في يده فلم ينتصر » .

إنقضت أخبارُهُ .

(١) تأذن كتفرج : تسمع ، يشير بذلك الى جمال صوته .

(٢) القوس الفجواء : هي التي يبين وترها عن كبدها ، ومثل الفجواء الفجاء والمنفجة .

(٣) القرن : الجمبة ، والحشر : الدقيق من الأسنة .

(٤) ذو غمر : واد بنجد في ديار بني كلاب (انظر معجم ياقوت في اسم غمر وكتاب ما يعول عليه
 في المضاف والمضاف اليه في اسم « ذي غمر ») .

(٥) السيف شاربان وهما كما قال ابن شميل ، أنفان طويلان أسفل الثائم أحدهما من هذا الجانب
 والآخر من هذا الجانب وتحتها العاشية ، والشارب والعاشية يكونان من حديد وفضة وأدم .

(٦) المسند : خط الحميز .

أخبار طويس ونسبه

طويس لَقَبُ واسمه طاووس^(١)، مولى بني مخزوم، وهو أول من غنى الغناء الملتقن من المخنثين. وهو أول من صنع الهزج والرمل في الإسلام. وكان يقال: أحسن الناس غناء في الثقليل ابن مخزوم، وفي الرمل ابن سريج، وفي الهزج طويس. وكان الناس يضربون به المثل، فيقال: أهزج من طويس.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا: حدثنا حماد ابن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين، قال إسحاق: وحدثني المدائني وأهيم بن عدي عن صالح بن كيسان:

أن أبان بن عثمان وفد على عبد الملك بن مروان، فأمره على الحجاز؛ فأقبل حتى إذا دنا من المدينة تلقاه أهلها، وخرج إليه أشرافها، فخرج معهم طويس، فلما رآه سلم عليه، ثم قال له: أيها الأمير، إني كنت أعطيت الله عهداً لأن رأيتك أميراً لأخضبت يدي إلى المرفقين، ثم أزدو بالدفر بين يديك، ثم أبدى عن دقه وتغنى بشعر ذي جَدَن الحميري:

ما بال أهلِكَ يا ربَّابُ خُزراً كأنَّهم غُضابُ

قال: فطرب أبان حتى كاد أن يطير؛ ثم جعل يقول له: حسبك يا طاوس — ولا يقول له: يا طويس لئنبله في عينه — ثم قال له: اجلس فجلس؛ فقال له أبان: قد زعموا أنك كافر؛ فقال: جعلت فداءك! والله إني لأشهد أن لا إله إلا الله

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أزدو: أضرب.

وأن محمداً رسول الله، وأصلي الخمس، وأصوم شهر رمضان، وأحج البيت؛ فقال: أفأنت أكبر أم عمرو بن عثمان؟ - وكان عمرو أخا أبان لأبيه وأمه - فقال له طويس: أنا والله، جعلت فداءك، مع جلائل نساء قومي، أميك بذيولهن يوم زُفَّتْ أُمك المباركة إلى أبيك الطيب؛ قال: فاستجيا أبان ورمى بطرفه إلى الأرض.

وأخبرني بهذه القصة إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الثعبي عن أبيه بمثل هذه القصة عن أبان وطويس. وزاد فيها أن طويساً قال له: نذري أيها الأمير! قال: وما نذكرك؟ قال: نذرتُ إن رأيتك أميراً في هذه الدار أن أغني لك وأزدو بدني بين يديك؛ فقال له: أوفر بنذكرك فإن الله عز وجل يقول: (يُوفُونَ بِلَاذِكُمْ)؛ قال: فأخرج يديه مخضوبتين، وأخرج دُفَّهُ وتغنى:

ما بالُ أهليك يا ربابُ

وزاد فيه: فقال له أبان: يقولون: إنك مشؤوم، قال: وفوق ذلك! قال: وما بلغ من شؤمك؟ قال: ولدتُ ليلة قبض النبي صلى الله عليه وسلم، وفُطمتُ ليلة مات أبو بكر رضي الله عنه، وأحتلمتُ ليلة قتل عمر رضي الله عنه، وزُفَّتْ إليَّ أهلي ليلة قتل عثمان رضي الله عنه؛ فأخرج عني عليك الدُّبَارُ.

أهدر دمه :

أخبرني إسماعيل قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن الوليد قال حدثني مصعب بن عثمان عن نوفل بن عمار قال:

(١) قال ابن عبد ربه في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٢) بعد أن ساق هذه القصة: «انظر إلى حذقه ورقة أدبه كيف لم يقل أُمك الطيبة إلى أبيك المبارك». وفسر ذلك الجاحظ في كتابه الحيوان ج ٤ ص ١٩ فقال: «ولو قال شهدت زفاف أُمك الطيبة إلى أبيك المبارك لم يحسن ذلك، لأن قولك طيب إنما يدل على قدر ما اتصل به من الكلام، وقد قال الشاعر: والطيبون معاند الأزر وقد يخلو الرجل بالمرأة فيقول وجنتها طيبة، يريد طيبة الكوم لذينة نفس الوطء.

(٢) ويروى: «الدمار» ومعناها: الهلاك

خرج يحيى بن الحكم وهو أمير على المدينة، فبصر بشخص بالسبحة مما يلي مسجد الأحزاب، فلما نظر إلى يحيى بن الحكم جلس، فأستراب به، فوجه أعوانه في طلبه، فأتي به كأنه امرأة في ثياب مصبغة مصقولة وهو ممتشط مختضب. فقال له أعوانه: هذا ابن نغاش الخث. فقال له: ما أحسبك تقرأ من كتاب الله عز وجل شيئاً، اقرأ أم القرآن؛ فقال: يا أبانا لو عرفت آتاهن عرفت البنات؛ فقال له: أنتهزاً بالقرآن لا أم لك! وأمر به فضربت عنقه. وصاح في الخثمين: من جاء بواحد منهم فله ثلثائة درهم. قال زرجون الخث: فخرجت بعد ذلك أريد العالية، فإذا بصوت دُفٍّ أعجبي، فدنوت من الباب حتى فهمت نغلت قوم آس بهم، ففتحت ودخلت، فإذا بطويس قائم في يده الدف يتغنى؛ فلما رأيته قال لي: إيه يا زرجون! قتل يحيى بن الحكم ابن نغاش؟ قلت نعم؛ قال: أو جعل في الخثمين ثلثائة درهم؟ قلت نعم؛ فأندفع يغني:

ما بال أهلِكَ يا ربَّابُ خَزْرَأُ كأنهم غضابُ
إن زرتُ أهلِكَ أوعدوا وتهدُّ دونهم كلابُ

ثم قال لي: ويحك! أفما جعل في زيادة ولا فضلني عليهم في الجعل بفضل شيئاً!

أخبرني محمد بن عمرو العباسي القرشي قال حدثنا محمد بن خلف بن المروزيان - ولم أسمع أنه من محمد بن خلف - قال حدثني إسحاق بن محمد بن أبان الكوفي قال حدثني حسين بن دحمان الأشقر قال:

كنت بالمدينة فعلا لي الطريق ووسط النهار، فجعلت أتغنى:

ما بال أهلِكَ يا ربَّابُ خَزْرَأُ كأنهم غضابُ

قال: فإذا خوخة قد فُتحت، وإذا وجه قد بدا تتبعه حية حمراء، فقال:

(١) سبق له ذكر هذا الخبر منسوباً لأخيه مروان، وكلاهما ولي المدينة مع اختلاف يسير.

(٢) الخوخة: البوب، أو الباب الصغير في الباب الكبير.

يا فاسقُ أسأتِ التَّأديَّةَ، ومنعتِ القائلةَ، وأذعتِ الفاحشةَ؛ ثمَّ أَدْفَعُ يُغْنِيهِ،
فَظَنَنْتُ أَنْ طَوَّيَسًا قَدْ نُشِرَ بَعِيْنُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ، مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا
الْغِنَاءُ؟ فَقَالَ: نَشَأْتُ وَأَنَا غَلَامٌ حَدَّثْتُ أَتْبَعَ الْمُغَنِّينَ وَأَخَذَ عَنْهُمْ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي:
يَا بُنَيَّ إِنَّ الْمَغَنِّيَّ إِذَا كَانَ قَبِيْحَ الْوَجْهِ لَمْ يُلْتَقَ إِلَى غِنَائِهِ، فَدَعَ الْغِنَاءَ وَأَطْلُبْ
الْفَقْهَ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ مَعَهُ قَبِيْحُ الْوَجْهِ؛ فَتَرَكْتُ الْمُغَنِّينَ وَأَتَّبَعْتُ الْفُقَهَاءَ، فَبَلَغَ اللهُ بِي
عِزًّا وَجَلًّا مَا تَرَى. فَقُلْتُ لَهُ: فَأَعِدُّ جُعِلْتُ فِدَاكَ! قَالَ: لَا! وَلَا كِرَامَةً،
أَتُرِيدُ أَنْ تَقُولَ: أَخَذْتَهُ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ! وَإِذَا هُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَلَمْ أَعْلَمْ.

صوت

من المائة المختارة

لَيْتَنِي رُبْعٌ بِذَاتِ الْجَيْشِ أُمْسَى دَارِسًا خَلَقًا
وَقَفْتُ بِهِ أَسْأَلُهُ وَمَرَّتْ عَلَيْهِمْ حَزَقًا
عَلَوْا بِكَ ظَاهِرَ الْبَيْدَا، وَالْحَزُونُ قَدْ قَلِمَا

- ذاتُ الجيشِ: موضعٌ، ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ جَيْشًا يَغْزُو
الْكُعبَةَ، فَيُخَسَفُ بِهِمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا يُقَلِّبُ وَجْهَهُ إِلَى قِفَاهُ، فَيَرْجِعُ إِلَى قَوْمِهِ
كَذَلِكَ، فَيُخْبِرُهُمُ الْخَبِيرُ. حَدَّثَنِي هَذَا الْحَدِيثُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُعْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
ابْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ قَالَ سَمِعْتُ نَافِعَ بْنَ
جُبَيْرٍ بْنِ مُطْعِمٍ يَقُولُ حَدَّثَنِي عَائِشَةُ قَالَتْ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَغْزُو جَيْشُ الْكُعبَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا
بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خَسَفَ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ». قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ،
كَيْفَ يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ سِوَاهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخَسَفُ

بأوتهم وآخريهم ثم يُبعثون على قدر نيتهم» - الشعر للأحوص، والغناء في هذا
 اللحن المختار للدلال الخنث وهو أحد من خصاه ابنُ حزم بأمر الوليد بن عبد
 الملك مع الخنثين، والخبر في ذلك يُذكرُ بعد، ولحنه المختار من الثقيل الأول
 بإطلاق الوتر في مجرى النضر في الأول والثالث. ولا إسحاق فيه ثقيل أول آخر.
 وفيه للمالك لحن من خفيف الرمل عن يونس والهشامي وغيرهما. وفيه رمل
 ينسب إلى ابن سريج، وهو مما يُشك في نسبته إليه. وقيل: إن خفيف
 الرمل لابن سريج، والرمل للمالك. وذكر حبش أن فيه للدلال خفيف ثقيل
 بالنضر أيضاً.

ذكر الأحوص وأخباره ونسبه

هو الأحوص، وقيل: إن أسمه عبد الله، وإنه لقب الأحوص لحوص كان في عينيه، وهو ابن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح - وأسم أبي الأفلح قيس - بن عَصِيْمَة بن النعمان بن أمية بن ضَبَّعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. وكان يقال لبني ضَبَّعة بن زيد في الجاهلية: بنو كِسْر الذهب. وقال الأحوص حين نُفِيَ إلى اليمن:

بَدَلُ الدَّهْرِ مِنْ ضَبَّعَةٍ عَكَا
جيرةٌ وهو يُعَقِّبُ الأبدالا

وكان جدّه عاصم يقال له حَمِيّ الدُّبَر؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعثه بعثاً، فقتله المشركون، وأرادوا أن يصلبوه فحتمته الدُّبَر، وهي النَّحْل، فلم يَقْدِرُوا عليه، حتى بَعَثَ اللهُ عزَّ وجلَّ الواديَّ في الليل فأحتمله فذهب به. وفي ذلك يقول الأحوصُ مفتخراً:

وأنا ابنُ الذي حَمَتْ لَحْمَهُ الدُّبَرُ قَتِيلَ اللَّحْيَانِ^(١) يومَ الرَّجِيعِ

قصة وفد عضل والقارة:

حدثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبري قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل قال حدثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة قال:

(١) الحوص: ضيق في مؤخر العينين أو في إحداها.

(٢) عك: قبيلة من قحطان باليمن.

(٣) الوادي: كل مفرج بين الجبال والتلال والآكام، والمراد: السيل الذي يجري فيه.

(٤) لحيان: حمي من هذيل.

قديم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من قُضَل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً وخيراً ، فأبعت معنا نفرأ من أصحابك ، يُفَقِّهُونا في الدين ، ويقرئونا القرآن ، ويُعَلِّمونا شرائع الإسلام ؛ فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرأ ستة من أصحابه : مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب ، وخالد بن البكير حليف بني عدي بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخا بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدي أخا بني جحجج بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة أخا بني يياضة ابن عامر ، وعبد الله بن طارق حليفاً لبني ظفر من بني ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم مرثد بن أبي مرثد ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع ، ماء لهذيل بناحية من الحجاز من صدر الهداة ، غدروا بهم ،

(١) عضل : بطن من الهون بن خزيم بن مدركة بن إلياس بن مضر ينسبون إلى عضل بن الديش . والقارة : بطن من الهون ينسبون إلى الديش المذكور ، أو القارة : أكمة سوداء كأنهم نزلوا عندها فسموا بها . وقد ذكر ابن دريد في الاشتقاق (ص ١١٠) : أن الهون وعضل والقارة إخوة لهذيل وفسر أسماءهم . وسأل الأخفش المبرد عنها فقال : « هذان حيان كانا في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٢) الأسماء المذكورة موافقة لما في الطبري (قسم أول ص ١٤٣٢ طبع أوربا) والسيرة لابن هشام (ص ٦٣٨ طبع أوربا) . وقد ذكرت هذه الأسماء في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٧٥ طبعه أول) وشرح القاموس (مادة رجيع) كما هنا بزيادة سابع هو معتب بن عبيد أخو عبد الله بن طارق لأمه . إلا أنه ذكر بدل معتب بن عبيد هذا في شرح القاموس « معيث بن عبيدة » وهو تحريف .

(٣) الدثنة : بفتح الدال المهملة وكسر التاء المثناة والتون المفتوحة المشددة ثم تاء تأنيث ، قال ابن دريد : من قولهم : دثن الطائر إذا طاف حول وكثره ولم يسقط عليه . (انظر الاشتقاق ص ٢٧٢ وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج ٢ ص ٨٠ طبع بولاق) .

(٤) موافق لما في الطبري والسيرة .

(٥) في معجم ما استعجم للبكري : « ماء لهذيل لبني حيان منهم بين مكة وعسفان بناحية الحجاز ... الخ » .

(٦) كذا في معجم ما استعجم للبكري نقلاً عن ابن إسحاق . وضبط البكري « الهداة » بالعبارة فقال : « بفتح الهاء وإسكان الدال المهملة بعدها همزة مفتوحة » . وفي جميع الأصول : « الهداة » بدون همز . وفي السيرة وتاريخ الطبري : « صدور الهداة » . والهداة : موضع بين عسفان ومكة .

وأستصرخوا عليهم هذيلًا، فلم يُرَع القوم وهم في رحالهم إلا بالرجال في أيديهم السيوف قد غشوهم، فأخذوا أسياقهم ليقاتلوا القوم، فقالوا: إنا والله ما نريد قتلکم، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم؛ فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، فقالوا: إنا والله لا نقبل من مشركٍ عهداً ولا عقداً أبداً! فقاتلهم حتى قتلهم جميعاً. وأما زيد بن الدثنة، وخبيب بن عدي، وعبد الله ابن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم، فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظهران^(٢) أنتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن، ثم أخذ سيفه وأستأخر عن القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره بالظهران. وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة، فقدموا بها مكة فباعوها، فابتاع خبيبا حجير بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لمُعَبَّة بن الحارث بن عامر بن نوفل - وكان حجير أخا الحارث بن عامر بن نوفل لأمه - ليقتله بأبيه^(٣). وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ابن خلف أبيه. وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه لبيعوه من صلالة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين قتل عاصم أبنها يوم أحد^(٤) لنذرت على رأس عاصم للتشر بن في قحفه^(٥) الحمر، فمنعته الدبر؛

(١) أعطوا بأيديهم: انقادوا.

(٢) الظهران: اسم واد بين مكة وعسفان.

(٣) القرآن: الحبل.

(٤) موافق لما في السيرة والطبري. وفي بعض النسخ: «بابنه» وهو تحريف، لان الذي قتله خبيب يوم بدر هو الحارث بن عامر بن نوفل والد عقبة.

(٥) كذا في طبقات ابن سعد (ج ٣ ق ٢ ص ٣٣ طبع أوروبا) وتاريخ الطبري وسيرة ابن هشام ومعجم ما استعجم للبكري. وفي الاصول: «سهيل» وهو خطأ.

(٦) في معجم ما استعجم: «ليبيعوه من صلالة بنت سعد بن شهيد أم مسامع والجلال ابن طلحة وكان عاصم قتلها يوم أحد فنذرت... الخ». وفي طبقات ابن سعد أنها جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة.

(٧) القحف: العظم الذي فوق الدماغ.

فلما حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى يُمسي ، فتذهب عنه فنأخذه . فبعث الله عز وجل الوادي فاحتل عاصماً فذهب به ، وكان عاصم قد أعطى الله عز وجل عهداً لا يمسه مشرك أبداً ولا يمس مشركاً أبداً تنجساً منه . فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعه : « عجباً لحفظ الله عز وجل العبد المؤمن ! كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً في حياته ، فنعاه الله بعد مماته كما أمتنع منه في حياته ! » .

قال محمد بن جرير : وأما غير ابن إسحاق ، فإنه قص من خبر هذه السرية غير الذي قصه غيره .

من ذلك ما حدثنا أبو كريب قال حدثنا جعفر بن عروْن العمري قال حدثنا إبراهيم بن إسماعيل عن عمرو أو عمرو بن أسيد عن أبي هريرة :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عشرة رهط ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الألقح ، فخرجوا حتى إذا كانوا بالهدأة ذكروا لحي من هذيل يُقال لهم بنو لحيان ، فبعثوا اليهم مائة رجل رامياً ، فوجدوا ما كلهم حيث أكلوا التمر ، فقالوا : نوى يثرب ! ثم أتبعوا آثارهم ؛ حتى إذا أحس بهم عاصم وأصحابه ألتجئوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون فاستزَلوهم ؛ وأعطوهم العهد ؛ فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافر ، اللهم أخير نبيك عناً ؛ ونزل اليهم ابن الدثنة البياضي ، وخبيب ، ورجل آخر ؛ فأطلق القوم أوتار قسيهم ، ثم أوثقوهم ، فخرجوا رجلاً من الثلاثة ، فقال : هذا والله أول الغدر ، والله لا أتبعكم ، فضربوه وقتلوه ؛ وأنطلقوا بخبيب وابن الدثنة إلى مكة ، فدفعوا خبيبا إلى بني الحارث ابن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بأحد .

(١) يقال : فلان يتنجس إذا فعل فعلاً يخرج به عن النجاسة ، كما يقال : يتأثم ويتعرج ويتعنت إذا فعل فعلاً يخرج به عن الإثم والحرَج والحَنث .

(٢) كذا في تاريخ الطبري (قسم أول ص ١٤٣٤ طبع أوربا) .

فبينما خبيب عند بنات الحارث أستعار من إحدى بنات الحارث موسى لِيَسْتَعِدَّ^١ بها للقتل، فما راع المرأة ولها صبي يَذْرُجُ^٢ إلا خبيب قد أجلس الصبي على خذه والموسى بيده، فصاحت المرأة؛ فقال خبيب أتَحْسِبِينَ أَنِّي أَقْتَلُهُ! إن القدر ليس من شأننا؛ قال: فقالت المرأة بعد ما رأيت أسيراً قطعاً خيراً من خبيب، لقد رأيته وما بمكة من ثمرة وإن في يده لِقِطْفاً من عنب يأكله، إن كان إلا رزقاً رزقه الله خبيباً. وبعث حي من قيس إلى عاصم ليؤتوا من لحمه بشيء، وقد كان لعاصم فيهم آثار^٣ بأحد، فبعث الله عليه ذبلاً فحمت لحمه فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً. فلما خرجوا بخبيب من الحرم ليقنأوه، قال: ذروني أصل ركعتين؛ فتركوه فصلّى ركعتين، فحرت سنة لمن قتل صبراً أن يصلي ركعتين، ثم قال: لولا أن يُقال جَزَع لَزِدْتُ، وما أبالي.

على أيّ شقّ كان لله مصرعيّ

ثم قال:

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يُبارك على أوصالِ شلّو ممزّع.

(١) يستعدّ: يخلق شعر عانته، قال في اللسان مادة حدد: «وفي حديث خبيب أنه استعار موسى استعدّ بها لأنه كان أسيراً عندهم وأرادوا قتله فاستعدّ لئلا يظهر شعر عانته عند قتله». ومنه الحديث حين قدم من سفر فأراد الناس أن يطرّقوا النساء ليلاً فقال: «أهلوا كي تمسح الشعنة وتستعدّ المغيبة». قال أبو عبيد: «وهو استفعال من الحديدية يعني الاستحلاق بها استعماله على طريق الكتابة والتورية».

(٢) آثار: جمع ثأر على القلب. ويروى: «أوتار» جمع وتر وهو الجناية التي يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سي.

(٣) هذا الشعر من قصيدة نسبها ابن هشام في السيرة (ص ٦٤٣ طبع أوروبا) لخبيب هذا، ومطلعها:

لقد جمع الأحزاب حولي وألّبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

(٤) في ذات الإله: أي طاعته وطلب رضاه وثوابه. والأوصال: جمع وصل وهو العضو. والشلّو (بكسر الشين المعجمة وسكون اللام): الجسد. وممزّع: مقطّع.

اللهم احصهم عدداً^١، وخذهم بدداً. ثم خرج به أبو سروعة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، فضربه فقتله.

حدثنا محمد قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا جعفر بن عون عن إبراهيم بن إسماعيل قال وأخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه وحده عيناً إلى قریش، قال : فجئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون، ففرقت فيها، فخللت خبيياً فوقع الى الأرض، فانتبذت غير بعيد ثم ألتفت فلم أر خبيب أثراً، فكأنا الأرض ابتلعته، فلم تظهر خبيب رمة حتى الساعة.

قال محمد بن جرير : وأما زيد بن الدثنة، فإن صفوان بن أمية بعث به - فيما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق - مع مولى له يقال له نسطاس إلى التميم، فأخرجه من الحرم ليقتله، وأجتمع اليه رهط من قریش فيهم أبو سفيان بن حرب؛ فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن مكانك فنضرب عنقه وأنت في أهلِكَ؟ فقال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي ! قال يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمد ! ثم قتله نسطاس.

(١) أحصهم : أهلكهم بحيث لا تبقي من عددهم أحداً. وخذهم بدداً : قال ابن الأثير : يروى بكسر الباء، جمع بدّة وهي الحصة والنصيب، أي أقتلهم حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه، ويروى بالفتح من التبديد أي متفرقين في القتل واحداً بعد واحد.

(٢) كنية عقبة بن الحارث النوفلي القرشي الصحابي وهو الذي قتل خبيب بن عدي. وقال في القاموس مادة سرع : « وأبو سروعة ولا يكسر وقد تضم الراء عقبة بن الحارث الصحابي » : قال شارحه : « وفي التكملة : وأصحاب الحديث يقولون : أبو سروعة بكسر السين وقد ضبطه النووي بالوجهين، ثم قال : وبعضهم يقول : أبو سروعة مثال فروقة وركوبة، والصواب ما عليه أهل اللغة ».

(٣) انتبذ : تنحى.

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد
ابن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال :

شعر لعاصم بن ثابت :

نزل عبد الله وأبو أحمد أبنا جحش ، حين قدما مهاجرين ، على عاصم بن
ثابت ، وكنيته أبو سليمان :

وقال عاصم :

أبو سليمان وریش المقعد ومجنأ من جلد ثور أجرد

وذكر لنا الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير أن عاصماً ، فيما قيل ، كان يكنى
أبا سفيان . قال : وقال في يوم الرجيع :

أنا أبو سفيان مشي راما أضرب كبش العارض القداما

(١) في تهذيب التهذيب أن ابن شهاب اسمه محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الزهري وهو
الذي روى عنه موسى بن عقبة .

(٢) هو عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر أبو محمد الأسدي ، وأمه أميمة بنت عبد المطلب
عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو وأخوه أبو أحمد صحابييان ، وأختها زينب بنت جحش زوج
التي صلى الله عليه وسلم .

(٣) موافق لما في سيرة ابن هشام ويروي :

أبو سليمان وصنع المقعد ومجنأ من جلد ثور أجرد

المقعد : فرخ النسر ، وریش أجود الریش ، وقيل : المقعد : النسر الذي قشب له (خلط له السم في
اللحم) حتى صيد فأخذ ريشه ، وقيل : المقعد : اسم رجل كان يریش السهام . ومجنأ : الترس الذي لا
حديد به . يريد : أنا أبو سليمان ومعي سهام راشها المقعد ، وترس من جلد قوي ، فما عذري إذا
لم أقاتل .

(٤) في السيرة :

أبو سليمان ومعني راما وكان قومي معشراً كراما

ولم يذكر في السيرة أن عاصماً تكنى بأبي سفيان .

(٥) الكبش : الرئيس . والعارض : الجيش تشبهاً له بالسرب العظيم من الجراد في انتشاره أو
بالسحاب . والقدام (بفتح القاف وضمها مع تشديد الدال) والقديم (بكسر القاف) : السيد ومن
يتقدم الناس بالشرف .

كنية الأخوص :

أخبرني الحرّميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا إسماعيل بن عبد الله عن إسماعيل
ابن إبراهيم بن عُقبة عن عمه قال :

كنية الأخوص أبو محمد ، وأمه أثيلة بنت عمير بن مخشي ؛ وكان أحمراً
أخوص العينين .

رأي الفرزدق في شعره :

قال الزُّبير حدثني محمد بن يحيى قال :

قدِمَ الفرزدقُ المدينةَ ، ثم خرج منها ، فسُئِلَ عن شعرائها ، فقال : رأيتُ بها
شاعرين وعَجِبْتُ لهما : أحدهما أخضر يسكن خارجاً من بُطحان (يريد ابن
هَرَمَةَ) ؛ والآخر أحمَرُ كأنه وَحَرَةٌ على بُرودةٍ في شعره (يريد الأخوص) .
والوحرة : يَعسوب أحمَرُ ينزل الأنبار .

وقال الأخوص يهجو نفسه ويذكر حوصه :

أَقْبَحُ به من ولدٍ وَأَشَقُّجٌ مثل جَرِيِّ الكلب لم يُفَقِّحْ

(١) بطحان : واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة : العقيق ويطحان وقناة .

(٢) الأنبار ، كما في ياقوت : حدث بابل ، سميت به لأنه كان يجمع بها أنابيب الخنطة والشعير والقت
والنخيل ، وكانت الأكسرة ترزق أصحابها منها ، وكان يقال لها الأهرام ، فلما دخلتها العرب عربتها
فقال الأنبار . هذا التفسير الذي ذكره المؤلف للوحرة غريب ، إذ أجمعت كتب اللغة التي بين أيدينا
على أن الوحرة : دويبة تشبه سام أبرص ، وقال الجوهري : الوحرة بالتحريك : دويبة حمراء تلزق
بالأرض . وفي بعض النسخ : « يلزم البشار » . والبشار : جمع بثر .

(٣) هذه رواية الجاحظ في كتابه الحيوان (ج ١ ص ١٢١ طبع مصر) وقد قال : إنه هجا بها
ابنه . وأما في بعض أصول الأغاني فورد هكذا :

أقبح به من ولد وأقبح مثل جري الكلب لم يفقح

يشر سوءاً لم يقم فينبج بالباب عند حاجة المستفتح

(٤) يقال : ففتح الجرو وفتح وذلك أول ما يفتح عينه وهو صغير .

إِنْ يَرَوْا سَوْءًا لَمْ يَقُمْ فَيَنْبَحْ بِالْبَابِ عِنْدَ خَلْقِهِ الْمُسْتَبَحِ.

قال الزبير : ولم يبق للأحوص من ولده غير رجلين .

طبقة في الشعراء :

قال الزبير : وجعل محمد بن سلام الأحوص ، وابن قيس الرقيات ، ونصيباً ، وجميل بن مغتر طبقة سادسة من شعراء الإسلام ، وجعله بعد ابن قيس ، وبعد نصيب . قال أبو الفرج : والأحوص ، لولا ما وضع به نفسه من ديني الأخلاق والأفعال ، أشد تقدماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرواة ؛ وهو أسمح طبعاً ، وأسهل كلاماً ، وأصح معنى منهم ، ولشعره رونقٌ ودِّياجَةٌ صافية ، وحلاوةٌ وعذوبةٌ ألفاظٍ ليست لواحد منهم ؛ وكان قليل المروءة والدين ، هجاءً للناس ، مأثوناً فيما يروى عنه .

جلده :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني أبو عبيدة أن جماعة من أهل المدينة أخبروه :

أن السبب في جلد سليمان بن عبد الملك ، أو الوليد بن عبد الملك إياه ونفيه له أن شهوداً شهدوا عليه عنده أنه قال : إذا أخذتُ جريري لم أبال أيّ الثلاثة لقيتُ ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً ! قالوا : وانضاف إلى ذلك أن سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما خفرت يوماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ففاخرها بقصيدته التي يقول فيها :

(١) ورد في طبقات الشعراء لعمد بن سلام المذكور أن شعراء الطبقة السادسة هم : عبيد الله بن قيس الرقيات ، والأحوص ، وجميل ، ونصيب .

(٢) الجرير : الزمام ، وهذا كناية عن إطلاق سراحه . وفي الحديث أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله زمامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلوا بين جرير والجرير » أي دعوا له زمامه .

ليس جهلٌ أَتَيْتَهُ بَبْدِيعٍ

فزاده ذلك حَقّاً عليه وغيظاً حتى نفاه :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة :

أن الأحوص كان يوماً عند 'سَكِينَةَ' ، فأَذَنَ المؤذِّنُ ، فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، غرَّتْ 'سَكِينَةُ' بما سمعت ؛ فقال الأحوص :

غرَّتْ وَأَنْتَمَتْ فقلتُ ذَرِينِي ليس جهلٌ أَتَيْتَهُ بَبْدِيعٍ
فأنا ابنُ الذي حَمَتْ لحمه الدُّبُرُ قَتِيلَ اللَّحْيَانِ يومَ الرَّجِيعِ
غَسَلْتُ خَالِي الملائكةُ الأبرارُ مَيْتاً طَوْبَى لَهُ مِنْ صَرِيعِ

قال أبو زيد : وقد لعنني غرٌّ بفخرٍ لو على غير 'سَكِينَةَ' غرَّبه ! وبأبي 'سَكِينَةَ' صلى الله عليه وسلم حمتْ أباه الدُّبُرُ وغسلتْ خاله الملائكةُ .

هجاؤه لابن حزم :

أخبرني الحرَمِيُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبَيْرُ بن بكَّار قال حدثني محمد ابن يحيى عن أيوب بن عمر عن أبيه قال :

لما جاء ابنُ حزمَ عمله من قِبَلِ سُلَيْمَانَ بن عبد الملك على المدينة والحجِّ ، جاءه ابنُ أبي جَهم بن حذيفةَ وحميدُ بن عبد الرحمن بن عوف وسُرَّاقَةُ ، فدخاوا عليه ، فقالوا له : إيه يا ابنَ حزم ، ما الذي جاء بك ؟ قال : استعملني والله يا أمير المؤمنين على المدينة على رَغَمِ أنْفٍ من رَغَمِ أنْفِهِ . فقال له ابنُ أبي جَهم : يا ابنَ

(١) موافق لما في تاريخ الطبري ، وهو أبو بكر بن عبد الله بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي كما في تهذيب التهذيب .

حزم ، فإني أول من يَرْتَم من ذلك أنفه ؛ قال فقال له ابنُ حزم : صادقٌ ، والله يُحِبُّ الصَّادِقِينَ . فقال الأحوصُ :

سليانُ إذ ولّاك ربُّك حكمتنا وسلطاننا فأحكِم إذا قلتَ وأعدِلْ
يَوْمَ حَجِيجِ المسلمين ابنُ فَرَّتَنِي فَهَبْ ذاكَ حَجًّا ليس بالمتقبل

فقال ابنُ أبي عَتِيقٍ للأحوص : الحمد لله يا أحوص ، إذ لم أُحِجَّ ذلك العام بنعمة ربي وشكره ؛ قال : الحمد لله الذي صَرَفَ ذلك عنك يا ابنُ أبي بكر الصِّدِّيقِ ، فلم يُضِلَّ دينَكَ ، ولم تَغْنِ نفسَكَ ، وتَرَّ ما يُغِيظُكَ وَيَغِيظُ المسلمين معَكَ .

تعرضه للخبازين :

أخبرني الحرَميُّ قال حدثنا الزُّبَيْرُ قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه موسى بن عبد العزيز قال :

وقد الأحوص على الوليد بن عبد الملك وأمتدحه ، فأترله منزلاً ، وأمرَ بِطَبْخِهِ أن يُمالَ عليه ؛ وتزل على الوليد بن عبد الملك شُعَيْبُ بن عبد الله بن عمرو ابن العاصي ، فكان الأحوصُ يُراوِدُ وُصَفَاءَ الوليدِ خَبَازِينَ عن أنفسهم ويريدهم أن يفعلوا به ؛ وكان شُعَيْبٌ قد غضب على مولى له ونَحَّاهُ ، فلما خاف الأحوص أن يفتضح بمراودته الغلمان ، اندسَ لمولى شُعَيْبٍ ذلك ، فقال : ادخل على أمير المؤمنين فأذكر له أن شُعَيْباً أرادك عن نفسك ، ففعل المولى ؛ فالتفت الوليدُ إلى شُعَيْبٍ فقال : ما يقول هذا ؟ فقال : لكلامه غَوْرٌ يا أمير المؤمنين ، فأشدُّ به يدَكَ يَصْدُقُكَ ؛ فشدَّ عليه ، فقال : أمرني بذلك الأحوصُ . فقال قِيمَ الخبازين : أصلحك الله ، إن الأحوصُ يُراوِدُ الخبازين عن أنفسهم ؛ فأرسل به الوليدُ إلى

(١) أبو عتيق : لقب محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر .

(٢) أعنى نفسه وعناها : أنصبا وكلفها ما يشقُّ عليها .

(٣) أي في كلامه معنى خفي غير واضح .

أَبْنُ حَزْمٍ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَجْلِدَهُ مِائَةً ، وَيُصَبَّ عَلَى رَأْسِهِ زَيْتًا ، وَيُقِيمَهُ عَلَى الْبُلْسِ^(١) ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ . فَقَالَ وَهُوَ عَلَى الْبُلْسِ أَيْيَاتُهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

مَا مِنْ مُصِيبَةٍ نَكَبَتْ أَمْنِي بِهَا إِلَّا تُشَرِّفُنِي وَتَرْفَعُ^(٢) شَانِي

شعره الذي انشده حين شهر به :

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَيُّوبُ بْنُ عَمْرِو
قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ أَبِي فَرْوَةَ قَالَ :

رَأَيْتُ الْأُحْوصَ حِينَ وَقَفَهُ أَبْنُ حَزْمٍ عَلَى الْبُلْسِ فِي سَوْقِ الْمَدِينَةِ وَأَنَّهُ لَيَصِيحُ
وَيَقُولُ :

مَا مِنْ مُصِيبَةٍ نَكَبَتْ أَمْنِي بِهَا إِلَّا تُعْظِمُنِي وَتَرْفَعُ شَانِي
وَتَرْوُلُ حِينَ تَرْوُلُ عَنْ مُنْخَطِطٍ^(٣) تُخْشَى بَوَادِرُهُ عَلَى الْأَقْرَانِ
إِنِّي إِذَا خَنِي^(٤) اللَّثَامُ رَأَيْتَنِي كَالشَّمْسِ لَا تَخْنِي بِكُلِّ مَكَانٍ

قال : وهجا الأحوصُ أَبْنَ حَزْمٍ بشعره كثير ، منه :

أَقُولُ وَأُبْصِرْتُ أَبْنَ حَزْمٍ أَبْنُ فَرَّتَنِي وَوُقُوفًا لَهُ بِالْمَازَمِينِ^(٥) الْقَبَائِلُ

(١) البلس : جمع بلس كسحاب ، وهي غرائر كبار من مسوح يعمل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادي عليه . ومن دعائهم : « أُرَانِيكَ اللَّهُ عَلَى الْبُلْسِ » .

(٢) رواية أشعار الحماسة :

مَا تَعْتَرِينِي مِنْ خُطُوبٍ مَلْفَةٍ إِلَّا تُشَرِّفُنِي وَتُعْظِمُ شَانِي

وَأَوَّلَ الْأَيْيَاتِ كَمَا فِي دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ :

إِنِّي عَلَى مَا قَدْ عُلْتُ مُحَمَّدٍ أَغْنَى عَلَى الْبَغْضَاءِ وَالشَّنَانِ

(٣) ويروى : « وتُعْظِمُ » .

(٤) المنخبط : المتكبر .

(٥) في طبقات ابن سلام الجمعي : « إِنِّي إِذَا جُهِيلٌ ... الخ » .

(٦) المأزمان كما في ياقوت : جبلا مكة . قال أهل اللغة : هما مضيقتا جبلين ؛ وقيل : هو اسم موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة ، وفيه أنوال غير هذا .

تُرى فَرَّتْنِي كَانَتْ بِمَا بَلَغَ ابْنُهَا مُصَدِّقَةً لَوْ قَالَ ذَلِكَ قَائِلٌ

— أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : كُلُّ أُمَةٍ يُقَالُ لَهَا فَرَّتْنِي . وَأَخْبَرَنَا أَبُو خَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ : فَرَّتْنِي : الْأُمَةُ بِنْتُ الْأُمَةِ — قَالَ الزُّبَيْرُ : فَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ حِينَ سَمِعَ قَوْلَ الْأَحْوَصِ فِيهِ «أَبْنُ فَرَّتْنِي» لِرَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ لَهُ عِلْمٌ : أَنَحْنُ مِنْ وَلَدِ فَرَّتْنِي ؟ أَوْ تَعْرِفُهَا ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ! قَالَ : وَلَا أَنَا أَعْلَمُ وَاللَّهِ ذَلِكَ ! وَلَقَدْ عَضَّيْتُ بِهِ ، وَلَوْ كَانَتْ وَلَدَتْنِي لَمْ أَجْهَلْ ذَلِكَ .

قَالَ الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ قَالَ :

فَرَّتْنِي : أُمُّ لَهْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ بَلَقَيْنَ ، كَانُوا يَسْبُونَ بِهَا ، لَا أُدْرِي مَا أَمْرُهَا ، قَدْ طَرَحُوهَا مِنْ كِتَابِ النَّسَبِ ، وَهِيَ أُمُّ خَالِدِ بْنِتِ خَالِدِ بْنِ سِنَانِ بْنِ وَهْبِ بْنِ لَوْذَانَ السَّاعِدِيَّةِ أُمِّ بَنِي حَزْمٍ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ يَوْسُفَ بْنِ الْمَاجِشُونَ : أَنَّ الْأَحْوَصَ قَالَ لِأَبْنِ حَزْمٍ :

(١) وفَرَّتْنِي : المرأة الفاجرة والأمة . ذهب ابن جنى الى أن نونه زائدة ، وجعله سيويه رباعياً .

(٢) عضَّيْتُ : بهتني أي رماني بالزور والبهتان وقال في ما لم يكن . ويروي : «عضَّيْتُ» والمعضب : الشتم والتناول .

(٣) بلقين : حي من بني أسد كما قالوا : بلعارث وبلهجم ، وأصلها بنو القين . قال ابن الجوزي : «العرب تعتمد ذلك فيما ظهر في واحد النطق باللام ، مثل الحارث والحزرج والمعلان ، ولا يقولون ذلك فيما لم تظهر لامه ، فلا يقولون بلنجار في بني النجار لأن اللام لا تظهر في النطق بالنجار فلا تجوز العربية ولم يقل في الأنساب» .

(٤) المايجشون ذكره القاموس (في مادة مجش) بضم الجيم . وقال شارحه : «وبكسر الجيم ويفتح فهو إذا مثلك» : ثم نقل عن حاشية المواهب اللدنية أنه «بكسر الجيم وضم الشين» . وقال : «وعلى كسر الجيم وضم الشين اقتصر النووي رحمه الله في شرح مسلم والحافظ بن حجر في التقريب» . واقتصر السمعاني في الأنساب أيضاً على كسر الجيم . وهو معرب ما هو كون ، ومعناه الورد ، أو الأبيض المشرب بمحبرة ، أو لون القمر .

لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْرَى ابْنُ حَزْمِ ابْنُ قَرْتَنِي إِلَى غَايَةِ فِيهَا السِّتَامِ الْمَثَلُ
وَقَدْ قُلْتُ مَهْلًا آلَ حَزْمِ ابْنِ قَرْتَنِي فَنِي ظَلَمْنَا صَابَ مُرٍّ وَحَنْظَلُ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ . وَقَالَ أَيْضًا :

أَهْوَى أُمِّيَّةً إِنْ شَطَطَتْ وَإِنْ قَرُبَتْ يَوْمًا وَأَهْدِي لَهَا نُصْحِي وَأَشْعَارِي
وَلَوْ وَرَدَتْ عَلَيْهَا الْفَيْضُ مَا حَقَلْتُ وَلَا سَقَتْ عَطَشِي مِنْ مَائِهِ الْجَارِي
لَا تَرْتَيْنَ لِحَزْمِي رَأَيْتَ بِهِ ضَرًّا وَلَوْ أَلْقَى الْحَزْمِيُّ فِي النَّارِ
النَّارِخِينَ بِمَرَوَانٍ بِذِي خُشْبٍ وَالْمَقْجِينَ عَلَى عَثَانٍ فِي الدَّارِ
أَخْبَرَنَا الْحَزْمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّبِيرُ قَالَ حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ مَشَائِخِ الْأَنْصَارِ :

أَنَّ ابْنَ حَزْمٍ لَمَّا جَلَدَ الْأَحْوصَ وَوَقَفَهُ عَلَى الْبُلْسِ يَضْرِبُهُ جَاءَهُ بَنُو زُرَيْقٍ
فَدَفَعُوا عَنْهُ وَاحْتَمَاهُوهُ مِنْ أَعْلَى الْبُلْسِ؛ فَقَالَ فِي ذَلِكَ - قَالَ ابْنُ الرَّبِيرِ: أَنْشَدَنِيهِ
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْمَاجِشُونِ عَنْ يَوْسُفَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونِ - :

إِمَّا تُصِيبُنِي الْمَنَايَا وَهِيَ لَاحِقَةٌ وَكُلُّ جَنْبٍ لَهُ قَدْ حُمَّ مُضْطَجِعٌ
فَقَدْ جَزَيْتُ بَنِي حَزْمٍ بِظُلْمِهِمْ وَقَدْ جَزَيْتُ زُرَيْقًا بِالَّذِي صَنَعُوا
قَوْمُ أَبِي طَلْعٍ الْأَخْلَاقَ أَوْلَهُمْ فَهُمْ عَلَى ذَاكَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ طَبَعُوا

(١) المثل : السم المفقوى بالسَّلْع وهو شجر مرّ . وقال ابن سيده : وسم مثل : طال إنقاعه
وبقي . وقال الأزهري : ونرى أنه الذي أنقع فبقي وثبت .

(٢) الصاب : عصارة شجر مرّ، وقيل : هو شجر إذا اعتصر خرج منه كهينة اللبن، وربما نزلت
منه نزية (قطرة) فتقع في العين كأنها شهاب نار، وربما أضعف البصر . وممرّ من أمرّ الشيء فهو ممرّ
إذا كان مرّا .

(٣) الفيض : نهر بالبصرة .

(٤) الناخسين بمروان : يريد الطاردين لمروان والمزعجين له، يقال : نخسوا بفلان إذا نخسوا
دابته من خلفه وطردوه حتى سيروه في البلاد .

(٥) بنو زريق : خلق من الأنصار وهم بنو زريق بن عامر بن زريق الخزرجي، إليه يرجع
كل زريق ما خلا زريق بن ثعلبة طيء .

(٦) الطبع : الدنس والعيب وكل شئ في دين أو دنيا فهو طبع، وأصله من الوسخ والدنس
بنفسيان السيف، ثم استعير فصار يشبه ذلك من الأوزار والآثام وغيرها من المفاسد .

وإن أناسٌ ونوا عن كلِّ مَكْرُمَةٍ وضاق بأعْيهمُ عن وسعهم وسعوا
إني رأيتُ غداةَ السوقِ محضَرهم إذ نحن ننظر ما يُتلى ونَسْمَعُ

أخبرني الحرَميَّ قال حدثنا الرُّبَيْر قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال
حدثني غير واحد من أهل العلم :

أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جلد الأَحوص في الحَنْث^(١)، وطاف به
وغرَّبه إلى دَهْلَك^(٢) في حِمْلِهِ عُريَاناً . فقال الأَحوص وهو يُطافُ به :
ما من مصيبةٍ نكبةٍ أبلى بها

الآبيات . وزاد فيها :

إني على ما قد تَرَوْن مُحَسَّدٌ أَنِي على البَغْضاءِ والشَّنَانِ
أصبحتُ للأنصار فيا نالهم خَلْقاً وللشعراء من حَسَانِ

قال الرُّبَيْر : وما ضُرب فيه أيضاً قوله :

شَرُّ الحَرَامِيَّينَ ذو السنِّ منهمُ وخيرُ الحَرَامِيَّينَ يَعِدِلُهُ الكَلْبُ
فإن جثتَ شيخاً من حِزَامٍ وجدته من التَّوَلُّكِ والتَّقْصِيرِ ليس له قلبُ
فلو سَبَّني عونٌ إذا لسببته بشعري أو بعضُ الأولى جدُّهم كُفُّ

- عونٌ يعني عونَ بن محمد بن عليّ بن أبي طالب عليه رضوان الله . وكعب
يعني كعبَ بن لُؤي - :

(١) الحَنْث : اسم من التَخَنُّث .

(٢) دَهْلَك : اسم أعجميٍّ معرب، وهي جزيرة في بحر القلزم، في طريق المسافرين في بحر
عِيذاب إلى اليمن، بينها وبين بر اليمن نحو ثلاثين ميلاً، وهي ضيقة حرجة حارة، كان بنو أمية إذا
سخطوا على أحد نفوه إليها .

أولئك أكفأ لبيتي بيوتهم ولا تستوي الأعلاث والأقدح القضب

مع عائن :

أخبرني الحرَمي بن أبي العلاء قال حدثنا الرُّبَيْر قال حدثني محمد بن ثابت الأنصاري عن محمد بن فضالة قال :

كان الأحوص بن محمد الأنصاري قد أوسع قومه هجاء فلاحهم شراً فلم يبق له فيهم صديق ، إلا فتى من بني جَجْجِي . فلما أراد الأحوص الخروج إلى يزيد بن عبد الملك نهض الفتى في جهازه وقام بجوانحه وشيعه ؛ فلما كان بسقاية سليمان وركب الأحوص محمله ، أقبل على الفتى فقال : لا أخلف الله عليك بخير ! فقال : مه ! غفر الله لك ! قال الأحوص : لا والله ! أو أعلقها حرباً ! يعني قباء وبني عمرو بن عوف .

هجاآته :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال قال غسان بن عبد الحميد :

أقبل الأحوص حتى وقف على مَعْن بن حميد الأنصاري ، أحد بني عمرو ابن عوف بن جَجْجِي ، فقال :

رأيتك مزهواً كأن أباكُم صهيبة أمسى خير عوفٍ مرَكباً

(١) الأعلاث من الشجر : القطع المختلطة مما يقدح به من المرخ واليبس ، واحدها عِلث بالكسر . والأقدح : جمع قدح وهو المهم قبل أن يراش وينصل . والقضب : كل شجر سبطت أغصانه وطالت ، وما قطع من الأغصان للسهام أو القسي .

(٢) جَجْجِي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس وهو جد أحيعة بن الجلاح البكري : حي من الأنصار ثم من الأوس .

تَقَرُّ بِكُمْ كُوَيْ إِذَا مَا نُسِبْتُمْ وَتُنْكِرُكُمْ عَرُوبُنْ عَوْفِ بْنِ جَحْجَبِي
عَلَيْكَ بَادِنِي الْخُطْبِ إِنْ أَنْتَ نَلْتَهُ وَأَقْصِرْ فَلَا يَذْهَبُ بِكَ النَّيَّةُ مَذْهَبًا

فقام إليه بنوه ومواليه ؛ فقال : دعوا الكلب ، خلّوا عنه ، لا يمسه أحدٌ منكم ،
فانصرف . حتى إذا كان عند أحجار المراء بقباء لقيه ابنُ أبي جرير أحدُ بني
العجلان ، وكان شديداً ضابطاً ؛ فقال له الأحوص :

إِنْ بِقَوْمِ سَوْدُوكِ حَاجَةٌ إِلَى سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدٍ

فألقي ثيابه وأخذ بخلق الأحوص ، ومع الأحوص راويته ، وجاء الناس ليخلصوه ،
فحلف لئن خلّصه أحدٌ من يديه ليأخذنه وليدعن الأحوص ؛ فخنقه حتى أسترخى ،
وتركه حتى أفاق ؛ ثم قال له : كلّ مملوك لي حرّ ، لئن سِيعَ أو سِيعَتُ هذا
البيت من أحدٍ من الناس لأضربنك ضربةً بسيفي أريد بها نفسك ولو كنت
تحت أستار الكعبة . فأقبل الأحوص على راويته ، فقال : إن هذا مجنون ، ولم
يسمع هذا البيت غيرك ، فإياك أن يسمعه منك خلق .

أخبرني الحرّمي والطّوسيّ قالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي بَعْضُ
أَصْحَابِنَا :

أَنَّ الْأَحْوَصَ مَرَّ بِعَبَادِ بْنِ سَخْمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَمُحَمَّدِ بْنِ مُصْعَبِ بْنِ
الزُّبَيْرِ بِجَيْعَتِيٍّ أُمِّ مَعْبَدٍ ، وَهِيَ يَرِيدَانِ الْحِجَّ مَرِجَعَهُ مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ،
وَهُوَ عَلَى نَجِيبٍ لَهُ فَارِهِ وَرَحْلٍ فَآخِرٍ وَبِزَّةٍ مَرْتَفَعَةٍ ، فَحَدَّثَهَا أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى يَزِيدَ

(١) كُوَيْ : محلة بمكة لبني عبد الدار .

(٢) خيمة أم معبد ويقال بئر أم معبد : موضع بين مكة والمدينة نزله رسول الله صلى الله عليه
وسلم في هجرته ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، وقصته مشهورة ، قالوا : لما هاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يزل مساحلاً حتى انتهى إلى قديد فأنهى إلى خيمة متنبذة ، وذكروا الحديث ، وسمع
هاتف ينشد :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه رفيقن قالَا خيمتي أم معبد

ابن عبد الملك، فأجازه وكساه وأخدمه^(١)، فلم يرهما يهشآن لذلك، فجعل يقول: خيمتي أم معبد، عبّاد ومحمد، كأنه يرُوضُ القوافي للشعر يريد قوله. فقال له محمد بن مصعب: إني أراك في تهيئة شعر وقوافٍ وأراك تريد أن تهجونا! وكل مملوك له حرّ لئن هجوتنا بشيء إن لم أضربك بالسيف مجتهداً على نفسك. فقال الاحوص: جعلني الله فداك! إني أخاف أن تُسمع هذا في عدوّاً فيقول شعراً يهجوكم به فينخلني^(٢)، وأنا أبرئكما الساعة، كل مملوك لي حرّ إن هجوتكما بيت شعر أبداً.

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال حدثنا الزبير بن خبيب عن أبيه خبيب بن ثابت قال:

خرجنا مع محمد بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير إلى العمرة، فإنّا ليقرب قديداً إذ لحقنا الأحوص الشاعر على حمل برّحل؛ فقال: الحمد لله الذي وفّقكم لي، ما أحب أنكم غيركم، وما زلت أحرّك في آثاركم منذ رفّعتكم لي، فقد ازددت بكم غبطة. فأقبل عليه محمد، وكان صاحب جدّ يكره الباطل وأهله، فقال: لكنّا والله ما أغتبطنا بك ولا نحبّ مسيرتك، فتقدّم عنا أو تأخر؛ فقال: والله ما

(١) أخدمه: وعبه خادماً.

(٢) الاجتهاد: بذل الوسع والمجهود في طلب الأمر، وهو افتعال من الجهد بمعنى الطاقة. فلعل معنى قوله: «مجتهداً على نفسك»: بأذلا ما في وسمي وطاقتي في القضاء على نفسك.

(٣) غله القول: نسبته إليه وهو لم يقله.

(٤) كذا في المشبه للذهبي (ص ١٤٧) وفهرس الطبري.

(٥) قال ياقوت في معجمه: «قديد بالتصغير: اسم موضع قرب مكة. قال ابن الكلبي: لما رجع تبع من المدينة بعد حربه لأهلها نزل قديداً فهبت ربيع قدّت خيم أصحابه فسمي قديداً». وقال في اللسان مادة قدد: «قديد: ماء بالحجاز وهو مصغر، ورد ذكره في الحديث، قال ابن سيده: وقديد موضع وبعضهم لا يصرّفه ويجمله اسماً للبقعة».

(٦) وفّقكم لي: جعلكم تصادفوني وتلاقوني. وفي اللسان (مادة وفق): «ويقال وفّقت له ووفّقت له ووفّقت له ووفّقتني وذلك إذا صادفني ولقيني».

(٧) رفع لي الشيء: أبصرته من بعد.

رأيتُ كاليوم جواباً! قال: هو ذاك. قال: وكان محمد صاحب جد يكره الباطل وأهله، فأشفقنا مما صنع، ومعه عدة من آل الزبير، فلم يقدر أحد منهم أن يرُدَّ عليه. قال: وتقدم الأحوص، ولم يكن لي شأن غير أن أعتذر إليه. فلما هبطنا من المشلل على خيمتي أم معبد سمعتُ الأحوص يهمهم بشيء، فتفهمته فإذا هو يقول: خيمتي أم معبد، محمد، كأنه يهين القوافي؛ فأمسكتُ راحلتي حتى جاءني محمد، فقلت: إني سمعتُ هذا يهين لك القوافي، فإمّا أذنتُ لنا أن نعتذر إليه ونرضيه، وإمّا خلّيت بيننا وبينه فنضربه، فإنّ لا نصادفه في أخلي من هذا المكان؛ قال: كلا! إن سعد بن مصعب قد أخذ عليه ألا يهجو زبيراً أبداً، فإن فعل رجوتُ أن يُخزيه الله، دعه.

قال الزبير: وأما خبره مع سعد بن مصعب، فحدثني به عمي مصعب قال أخبرني يحيى بن الزبير بن عباد أو مصعب بن عثمان - شك: أيهما حدثه - قال:

كانت أمة الملك بنت حمزة بن عبد الله بن الزبير، تحت سعد بن مصعب ابن الزبير، وكان فيهم مأتم، فاتهمته بأمرأة، فغارت عليه وفضحته. فقال الأحوص يازحه:

وليس بسعد النار من ترعونه ولكن سعد النار سعد بن مصعب
ألم تر أن القوم ليلة نوحهم بقوه فألقوه على شر مركب
فا ليتني بالقي لا در دره وفي بيته مثل الغزال المرّيب

- قال: وسعد النار رجل يقال له سعد حضة، وهو الذي جدّ لزياد بن عبيد الله الحارثي الكتاب الذي في جدار المسجد، وهو آيات من القرآن أحسب أن منها

(١) المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر.

(٢) الهمهمة: الكلام الخفي، وقيل: الهمهمة: تردد الزبير في الصدر من الهم والحزن، يقال: همهم الأسد وهمهم الرجل إذا لم يبين كلامه.

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ) ؛ فلما فرغ منه قال لزياد : أَعْطِنِي أُجْرِي؛ فقال له زياد : انتظر، فإذا رأيتنا نعمل بما كتبت، فتعال فخذ أجرك - .

قال : فعلم سعد بن مصعب 'سفرة' وقال للأحوص : إذهب بنا الى سدّ عبید الله بن عمر نتغذّ عليه، ونشرب من مائه، ونستنقع فيه، فذهب معه ؛ فلما صاروا الى الماء، أمر غلمانہ أن يربطوه وأراد ضربه، وقال : ما جَزَعْتُ من هجائك إياي، ولكن ما ذِكرُكَ زَوْجِي ! فقال له : يا سعدُ إنك لتعلم أنك إن ضربتني لم أكف عن الهجاء، ولكن خيرٌ لك من ذلك أحلفُ لك بما يُرضيك ألا أهجوَك ولا أحداً من آل الرُّبَيْرِ أبداً؛ فأحلفه وتركه .

أخبرني الحرَميَّ قال حدثنا الزُّبَيْرُ قال حدثني مصعب عمي عن مصعب بن عثمان قال :

قال الأحوص لمجمع^١ بن زيد بن جارية :

وَجُمِعَتْ مِنْ أَشْيَاءِ شَتَّى خَبِيثَةٍ فَسُمِّيَتْ لِمَا جُنْتُ مِنْهَا مُجَمَّعًا

فقال له مجمع : إني لا أحسن الشعر ، ثم أخذ كُرْنَفَةً^٢ فغمسها في ماء فغاصت، ثم رفع يده عنها فطفت، فقال : هكذا والله كانت تصنعُ خالاتُكَ السَّوَاهِرُ .

مع ام ليث :

أخبرني الحرَميَّ قال وحدثنا الزُّبَيْرُ قال :

(١) مجمع بضم أوّله وفتح الجيم وتشديد الميم المكسورة . وجارية بالميم والراء والياء المتشابهة من تحت كما في تهذيب التهذيب في اسم مجمع .

(٢) الكرنافة : واحدة الكرناف وهو أصول الكرب التي تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف .

كانت امرأة يقال لها أم لَيْثُ امرأةٌ صدق^١، فكانت قد فتحت بينها وبين جارة لها من الأنصار خوخة^٢، وكانت الأنصارية من أجل أنصارية خلقت^٣، فكلّم الأُحوص^٤ أم لَيْثَ أن تدخله في بيتها بكلّم الأنصارية من الخوخة التي فتحت بينها وبينها، فأبت^٥؛ فقال : أما لا كافئتك^٦، ثم قال :

هيهات منك بنو عمرو ومسكنهم إذا تشيّت قنسرين^٧ أو حلباً
قامت تراهى وقد جدّ الرحيلُ بنا بين السقيفة والباب الذي نُقبأ^٨
إني لما نحها ودي ومتخذ^٩ بأم لَيْثَ إلى معروفها سبباً

فلما بلغت الأبيات زوج المرأة سدّ الخوخة^{١٠}؛ فأعذرت^{١١} إليه أم لَيْثَ، فأبى أن يقبل ويصدقها؛ فكانت أم لَيْثَ تدعو على الأُحوص .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني أبي قال :

ركب الأُحوص^{١٢} إلى الوليد بن عبد الملك قبل ضَرْبِ ابنِ حزم إياه^{١٣}، فلقّيه رجل من بني مخزوم يقال له محمد بن عتبة^{١٤}، فوعده أن يُعيّنه^{١٥}؛ فلما دخل على الوليد قال : وَيْحَكَ ! ما هذا الذي رُميتَ به يا أُحوص ؟ ! قال : والله يا أمير المؤمنين ، لو كان الذي رماني به ابنُ حزم من أمر الدين لأجتنبتُه^{١٦}، فكيف وهو من أكبر معاصي الله ! . فقال ابنُ عتبة : يا أمير المؤمنين ، إن من فضل ابنِ حزم وعذله كذا وكذا ، وأتني عليه ؛ فقال الأُحوص : هذا والله كما قال الشاعر :

وكنّ كذّاب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال^{١٧} على الدم

(١) إذا قلت : رجل صدق أو امرأة صدق بالإضافة كسرت الصاد، وإن نعت به فتحتها .

(٢) قنسرين : كورة بالشام بالقرب من حلب وهي أحد أجناد الشام . فتحها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في سنة سبع عشرة .

(٣) هو الفرزدق .

(٤) أحال على الدم : أقبل عليه . ومثله قول الشاعر :

فني ليس لابن العمّ كالذئب إن رأى بصاحبه يوماً دماً فهو آكله

فأما خبره في بقيّة أيام سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، فأخبرني به أبو خليفة الفضل بن الحباب الجُمحي قال حدثنا عون بن محمد بن سلام قال حدثني أبي عن حدثه عن الزُّهري ، وأخبرني به الطُّوسي والحرمي بن أبي العلاء . قالوا : حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن مصعب بن عثمان قال :

نفيه :

كان الاحوص يَنسِبُ بنساء ذواتِ أخطار من أهل المدينة ، ويتغنى في شعره معبداً ومالِك ، ويشيع ذلك في الناس ، فنهى فلم يَنْتَه ؛ فشكى إلى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسأله الكتاب فيه ؛ ففعل ذلك ؛ فكتب سليمان إلى عامله يأمره أن يضربه مائة سوط ويُقيته على البُلس للناس ، ثم يُصَيِّره إلى دَهْلَك^١ ، ففعل ذلك به ؛ فتوى هناك سلطان^٢ سليمان بن عبد الملك ؛ ثم ولي عمر بن عبد العزيز ، فكتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدحه ، فأبى أن يأذن له ؛ وكتب فيما كتب إليه به :

أيا راكباً إماً عَرَضْتَ فَيَلْعَنُ هُدَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَسَائِلِي
وَقُلْ لَأَنْبِي حَفْصٍ إِذَا مَا لَقَيْتَهُ لَقَدْ كُنْتَ نَفْعاً قَلِيلَ الْعَوَائِلِ
وَكَيْفَ تَرَى لِلْعَيْشِ طَيْباً وَلَذَّةً وَخَالَكَ أَمْسَى مُوْتَقِئاً فِي الْحَبَائِلِ !

— هذه الأبيات من رواية الزُّبير وحده ، ولم يذكرها ابنُ سلام — قال : فأُتِيَ رجالٌ من الأنصار عمر بن عبد العزيز ، فكلّموه فيه وسألوه أن يُقَدِّمَهُ ، وقالوا له : قد عرفتَ نسبه وموضعه وقديمه ، وقد أخرجَ إلى أرضِ الشِّركِ ، فنطلب

(١) دهلک : جزيرة في بحر اليمن وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة بلدة ضيقة حرجة حارة كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها .

(٢) يريد : مدة سلطانه .

إليك أن تردّه إلى حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قوميه . فقال لهم
عمر : فمن الذي يقول :

فما هو إلا أن أراها خجاءً فأبتهت حتى ما أكاد أجيبُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول :

أدورُ ولولا أن أرى أمّ جعفرٍ بأبياتكم ما دُرْتُ حيثُ أدورُ
وما كنتُ زوّاراً ولكنّ ذا الهوى إذا لم يزرْ لا بدّ أن سيّزورُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول :

كانَ لُبْنَى صَبِيرٌ غَادِيَةٌ أودُمِيَّةٌ زَيَّنَتْ بِهَا الِيبَعُ
اللهُ يَبْنِي وَبَيْنَ قِيَمِهَا يَفْرَ مَنِي بِهَا وَأَتْبَعُ

قالوا : الأحوص . قال : بل الله بين قِيَمِها وبينه . قال : فمن الذي يقول :

سَتُبْلَى لَكُمْ فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحِشَا سَرِيرَةٌ حُبٌّ يَوْمُ تَبْلَى السَّرَائِرُ

قالوا : الأحوص ؛ قال : إن الفاسق عنها يومئذٍ لمشغول ، والله لا أرُدّه ما كان لي
سلطان . قال : فكث هناك بقيّة ولاية عمر وصدرًا من ولاية يزيد بن عبد الملك .
قال : فبينما يزيد وجاريته حجابة ذات ليلة على سطح تُغَيِّيه بشعر الأحوص ، قال
لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا وعينيك ما أدري ! - قال : وقد كان
ذهب من الليل شطره - فقال : أبعثوا إلى ابن شهاب الزهري فعسى أن يكون
عنده علم من ذلك ؛ فأتي الزهري ففرع عليه بأبه فخرج مُروّعاً إلى يزيد ؛

(١) هذا البيت لعروة بن حزام المذري كما ذكره المؤلف في ترجمته ضمن شعر له وكما ذكره ابن
قتيبة في كتابه الشعر والشعراء ، وليس للأحوص .

(٢) الصبير : السحاب الأبيض الذي يُصبر بعضه فوق بعض درجاً . والغادية : السحابة تنشأ
غدوة .

(٣) كذا في الشعر والشعراء (ص ٣٣٠ طبع أوروبا) . وفي الأصول والخزانة (ح ١
ص ٢٣٣) : « سَبَقِي لها » .

فلما صعد إليه قال له يزيد : لا تُرَعْ ، لم ندُعك إلا لخير ، اجلس ، من يقول هذا الشعر ؟ قال : الأحوص بن محمد يا أمير المؤمنين ؛ قال : ما فعل ؟ قال : قد طال حبسه بدهلك ؛ قال : قد عَجِبْتُ لِعَمَرٍ كيف أغفله . ثم أمر بتخليئة سبيله ووهب له أربعمائة دينار ؛ فأقبل الزُّهري من ليلته إلى قومه من الأنصار فبشّرهم بذلك .

عتابه الخليفة :

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزُّبير بن بَكَّار قال حدثنا محمد بن إسماعيل ومحمد بن زيد الأنصاري قالا :

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة أدنى زيد بن أسلم ، وجفا الأحوص . فقال له الأحوص :

أَلَسْتُ أَبَا حَفْصٍ هَدَيْتَ مُخْبِرِي أَفِي الْحَقِّ أَنْ أَقْصَى وَيُذْنِي أَبْنُ أَسْلَمًا
فَقَالَ عُمَرُ : ذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ .

قال الزُّبير : وأنشدنيها عبد الملك بن المايشون عن يوسف بن المايشون :

وَأَظْهَرُ فِي أَكْفَانِهِ لَوْ تَكَرَّمَا	أَلَا صَلََةُ الْأَرْحَامِ أَدْنَى إِلَى التَّقَى
وَلَا الْغَيْظُ مِنِّي لَيْسَ جَلْدًا وَأَعْظَمَا	فَمَا تَرَكَ الصَّنْعُ الَّذِي قَدْ صَنَعْتَهُ
قَرَابَتَنَا كَثِيرًا أَجْدًا مُصَرَّمَا	وَكُنَّا ذَوِي قُرْبَى لَدَيْكَ فَأَصْبَحْتُ
لَوْ قَطَرَهُ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ غَيًّا	وَكُنْتُ وَمَا آمَلْتُ مِنْكَ كِبَارِقِي
لِيَالِي كَانَ الظَّنُّ غَيًّا مُرَجَّمَا	وَقَدْ كُنْتُ أَرْجَى النَّاسِ عِنْدِي مَوَدَّةً
وَمَا لَا ثَرِيًّا حِينَ أَحْمَلُ مَغْرَمَا	أَعْدُكَ حِرْزًا إِنْ جَنَيْتَ ظُلَامَةً
طَوَى الْغَيْظُ لَمْ يَفْتَحْ بِسُخْطِهِ لَهْ فَمَا	تَدَارَكَ بُعْتِي عَاتِبًا ذَا قَرَابَةٍ

(١) ندي أجْدَ : يابس لا لبن به ، ومصرَّم : منقطع اللبن .

أخبرني الحرَمي قال حدثنا الزبير بن بَكَّار قال : كتب إلي إسحاق بن إبراهيم أن أبا عُبَيْدة حدثه :

أن الأُحوص لم يزل مقيماً بدُّهْلَكَ حتى مات عمرُ بن عبد العزيز ، فدس إلى حَبَابَة فغَنَّتْ يزيدَ بأبيات له - قال أبو عُبَيْدة : أظنُّها قوله :

صوت

أَيْهَذَا الْمُخْتَبِرِ عَنْ يَزِيدٍ بِصَلَاحٍ فِدَاكَ أَهْلِي وَمَالِي
مَا أَبَالِي إِذَا يَزِيدُ بَقِيَ لِي مَنْ تَوَلَّتْ بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِي

لم يُجَلِّسه . كذا جاء في الخبر أنها غَنَّتْ به ، ولم يذكر طَرِيقَتَهُ . قال أبو عُبَيْدة : أراه عَرَضَ بَعْرِ بن عبد العزيز ولم يَقْدِرْ أن يَصْرَحَ مع بني مروان - فقال : من يقول هذا ؟ قالت : الأُحوص ، وهَوَّنتُ امرءه ، وكَلَّمْتُهُ في أمانته فَأَمَنَهُ ؛ فلما أصبح حضر فاستأذنت له ، ثم أعطاه مائة ألفِ درهم .

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح ابن حسن :

أن الأُحوص دَسَّ إلى حَبَابَة ، فغَنَّتْ يزيدَ قوله :

كَرِيمٌ قَرِيشٍ حِينَ يُنْسَبُ وَالَّذِي أَقَرَّتْ لَهُ بِالْمَلِكِ كَهَلًا وَأَمْرَدًا
وَلَيْسَ وَإِنْ أَعْطَاكَ فِي الْيَوْمِ مَا نِعْمًا إِذَا عُدْتَ مِنْ أَضْعَافٍ أَضْعَافَهُ غَدًا
أَهَانَ تِلَادَ الْمَالِ فِي الْحَمْدِ إِنَّهُ إِمَامٌ هُدًى يَجْرِي عَلَى مَا تَعَوَّدَا
تَشَرَّفَ بِحَدِّهِ مِنْ أَبِيهِ وَجَدَهُ وَقَدْ وَرَثَا بُنْيَانَ مَجْدٍ كَشِيدًا

فقال يزيد : ويلك يا حَبَابَة ! من هذا من قريش ؟ قالت : ومن يكون ! أنت هو يا أمير المؤمنين ؛ فقال : ومن قال هذا الشعر ؟ قالت : الأُحوص يمدح به

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَأَمَرَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُعْدَمَ عَلَيْهِ مِنْ دَهْلِكَ ، وَأَمَرَ لَهُ بِإِلٍ
وَكُنُوءَةٍ .

اغليفة يعجب بشعره :

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ قَالَ حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ :

دَخَلَ الْأَحْوَصُ عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ خَلِيفَةٌ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : وَاللَّهِ لَوْ
لَمْ تَمُتْ لَيْنَا بِمُجْرِمَةٍ ، وَلَا تَوَسَّلْتَ بِدَالَةٍ ، وَلَا جَدَّدْتَ لَنَا مَدْحًا ، غَيْرَ أَنَّكَ
مُقْتَصِرٌ عَلَى الْبَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ قَلَّتْهُمَا فِينَا ، لَكُنْتَ مُسْتَوْجِبًا لْجَزِيلِ الصَّلَةِ مَتَى حَيْثُ
يَقُولُ :

وَإِنِّي لَا أُسْتَحْيِيكُمْ أَنْ يَقُودَنِي إِلَى غَيْرِكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعٌ
وَأَنْ أَجْتَدِيَ لِلنَّفْعِ غَيْرَكَ مِنْهُمْ وَأَنْتَ إِمَامٌ لِلرَّعِيَّةِ مَقْنَعٌ

قَالَ : وَهَذِهِ قَصِيدَةٌ مَدَحَ بِهَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّهْرِيُّ
قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُوسَى بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ :

لَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعَثَ إِلَى الْأَحْوَصِ ، فَأَقْدِمَ عَلَيْهِ ، فَأَكْرَمَهُ وَأَجَازَهُ
بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ؛ فَلَمَّا قَدِمَ قُبَاءَ صَبَّ الْمَالُ عَلَى زِنطِعٍ وَدَعَا جَمَاعَةً مِنْ قَوْمِهِ ،
وَقَالَ : إِنِّي قَدْ عَمَلْتُ لَكُمْ طَعَامًا ؛ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ كَشَفَ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْمَالِ ،
وَقَالَ : (أَفْسَحُوا هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) .

قَالَ الرَّبِيعُ : وَقَالَ فِي يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يَدْحُهُ حِينَئِذٍ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

(١) كَذَا فِي الْأُمَالِي لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَالِي (ج ١ ص ٦٩ طبع دار الكتب المصرية) . وَفِي الْأَصُولِ :
« وَلَمْ تَضْرِبْنَا بِدَالَةٍ وَلَمْ تَجِدْ لَنَا مَدِيحَةً ... النح » .

(٢) رَجُلٌ مَقْنَعٌ : يُقْنَعُ بِهِ وَيَرْضَى بِرَأْيِهِ وَقَضَائِهِ .

صَرَمَتْ حَبْلَكَ الْقَدَاةَ نَوَارُ^١ إِنْ صَرَمًا لِكُلِّ حَبْلٍ قُصَارُ^١

وهي طويلة ، يقول فيها :

مَنْ يَكُنْ سَائِلًا فَإِنَّ يَزِيدًا مَلِكٌ مِنْ عَطَائِهِ الْإِكْثَارُ^١
عَمٌّ مَعْرُوفُهُ فَعَرَّ بِهِ الدِّينُ وَذَاتُ لُفْلُكِهِ الْكُفَّارُ^١
وَأَقَامَ الصِّرَاطَ فَأَبْتَهَجَ الْحَقُّ مَنِيرًا كَمَا أَنَارَ النَّهَارُ^١

ومن هذه القصيدة بيتان يُغْنِي فِيهِمَا ، وهما :

صوت

بَشْرٌ^١ لَوْ يَدِبُ ذَرْءٌ عَلَيْهِ كَانَ فِيهِ مِنْ مَشْيِهِ آثَارُ^١
إِنْ أَرَوَى إِذَا تَذَكَّرَ أَرَوَى قَلْبُهُ كَادَ قَلْبُهُ يُسْتَطَارُ^١

غَنَّتْ فِيهِ عَرِيبُ^١ لَحْنًا مِنْ الثَّقِيلِ الْاَوَّلِ بِالْبَنْصَرِ^١ ، وَذَكَرَ ابْنُ الْمَكِيِّ أَنَّهُ
لَجْدَةٌ يَحْيَى .

كيدته لابن حزم :

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مَصْعَبٌ عَنْ مَصْعَبِ بْنِ
عَثْمَانَ قَالَ :

حَجَّ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَتَرَوَّجَ بِنْتُ عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنْتُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَصْدَقَهَا مَا لَا كَثِيرًا ؛ فَكَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ
أَبْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ : إِنَّهُ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ تَرَوَّجَ

(١) القصار : الغاية .

(٢) ويروى : « فانتهج » بالنون بدل الباء ، وعلى هذه الرواية يكون الفعل مبنياً للمفعول .

بنتَ عَوْن بن محمد بن علي بن أبي طالب وأصدقها مالا كثيرا ، ولا أراه فعلَ ذلك إلا وهو يراها خيرا منه ، قَبَّحَ اللهُ رأيَه ! فإذا جاءك كتابي هذا فادعُ عَوْنًا فأقبِض المَالَ منه ؛ فإن لم يدفعه اليك فأضربه بالسَّياط حتى تستوفيه منه ثم أفسَحْ نِكَاحَه . فأرسل أبو بكر بن محمد بن عمرو إلى عَوْن بن محمد وطالبه بالمال ؛ فقال له : ليس عندي شيء ، وقد فرَّقته ؛ فقال له أبو بكر : إن أمير المؤمنين أمرني إن لم تدفعه إليَّ كلَّه أن أضربك بالسَّياط ثم لا أرفعها عنك حتى أستوفيه منك ؛ فصاح به يزيد : تعالَ إليَّ ، فجاءه ، فقال له فيا بينه وبينه : كأنك خشيتَ أن أسلمك اليه ، أدفع اليه المَالَ ولا تعرض له نفسك ، فإنه إن دفعه إليَّ ردَّته عليك وإن لم ردَّه عليَّ أخلفته عليك ، فعَلَّ : فلما ولي يزيدُ بن عبد الملك ، كتب في أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وفي الأحوص ، فحِيلَا اليه ، لما بين أبي بكر والأحوص من العداوة ؛ وكان أبو بكر قد ضرب الأحوصَ وغرَّبه إلى دَهْلَك وأبو بكر مع عمر بن عبد العزيز ، وعمرُ إذ ذاك على المدينة . فلما صارَ بِيَاب يزيد أذن للأحوص ، فرفع أبو بكر يديه يدعو ، فلم يخفضها حتى خرج الغلمان بالأحوص مُلَبَّيًّا مكسورَ الأنف ، وإذا هو لما دخل على يزيد قال له : أصلحك الله ، هذا ابنُ حزم الذي سَفَّه رأيك وردَّ نِكَاحك ؛ فقال يزيد : كذَّبت ! عليك لعنةُ الله وعلى من يقول ذلك ! أكسروا أنفه ، وأمر به فأخرج مُلَبَّيًّا .

أخبرني الحرَمي قال حدثنا الربيع قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو الجُمحي قال :

هو أدبي :

كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجُمحي قد اتَّخَذَ بيتًا فجعل

(١) ملبيًا : مأخوذاً بتلايبه وهو أن تجتمع ثيابه عند صدره ولحرقه ثم يمرّ منها .

فيه شطرنجاتٍ ونَزْدَاتٍ وقرقاتٍ^(١) ودفاترٍ فيها من كلِّ علمٍ ، وجعل في الجدار
أوتاداً ، فمن جاء علّق ثيابه على وتدٍ منها ، ثم جرّ دفتراً فقرأه ، أو بعض ما
يلعب به فلبّ به مع بعضهم . قال : فإنَّ عبد الحكم يوماً لني المسجد الحرام
إذا فتى داخل من باب الحنّاطين ، باب بني جُمَح ، عليه ثوبان مُعَصَّران مَدْلُوكان
وعلى أذنه رِجْلان رَدْع^(٢) وعليه رَدْع^(٣) الخلق ، فأقبل يشقّ الناسَ حتى جلس
إلى عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله ، فجعل من رآه يقول : ماذا صَبَّ عليه
من هذا ! ألم يجد أحداً يجلس إليه غيره ! ويقول بعضهم : فأني شيء يقول له عبد
الحكم ، هو أكرمُ من أن يجِبَهَ من يقعد إليه . فتحدّث إليه ساعة ثم أهوى
فشبّك يده في يد عبد الحكم وقام يشقّ المسجدَ حتى خرج من باب الحنّاطين
- قال عبد الحكم : فقلتُ في نفسي : ماذا سلّط الله عليّ منك ، رأيي معك
نصفُ الناس في المسجد ونصفُهم في الحنّاطين - حتى دخل مع عبد الحكم بيته ،
فعلّق رداءه على وتدٍ وحلّ أزراره وأجترّ الشّطرنج وقال : من يلعب ؟ فبينما هو
كذلك إذ دخل الأبحرُ المغني ، فقال له : أيّ زنديقٍ ما جاء بك إلى ها هنا !
وجعل يشتمه ويمارحه ؛ فقال له عبد الحكم : أنشتم رجلاً في منزلي ! فقال :
أعرفه ؟ هذا الأحوص ؛ فأعنتقه عبدُ الحكم وحيّاه ، وقال له : أمّا إذ
كنتَ الأحوصَ فقد هان عليّ ما فعلت .

أخبرني الطوسي والحرمي قالوا حدّثنا الرُّبَيْرُ بن بكّار قال حدّثني حميد بن
عبد العزيز عن أبيه قال :

لما قدِم عبد الملك بن مروان حاجاً سنةَ خمس وسبعين ، وذلك بعد ما أجتبع

(١) النردات : جمع نرد وهو ما يعرف اليوم «بالطاولة» . والقرقات : جمع فرق وهي لعبة
للصبيان يخطون بها أربعة وعشرين خطاً مربعات كل مربع منها داخل الآخر ويصفون بين تلك
المربعات حصيات صغيرة على طريقة مخصوصة .

(٢) الرَدْع : كل ما ملأ الكف من الثبات .

(٣) الرَدْع : الطلح بالزعران . والخلق : ضرب من الطيب ، وقيل : الزعفران .

الناس عليه بعامين، جلس على المنبر فشتم أهل المدينة؟ ووبَّخهم، ثم قال: إني والله يا أهل المدينة قد بلوتكم فوجدتكم تنفسون القليل وتحسدون على الكثير، وما وجدت لكم مثلاً إلا ما قال مُحَنَّثُكُمْ وأخوكم الأحوص:

وكم نزلتُ بي من خطوب مهتة خذلتُم عليها ثم لم اتَّخُشِعْ
فأدبر عني شرُّها لم أبل بها ولم أدَّهْكُم في كَرِبِها المتطَّلِعِ

فقام إليه نوفل بن مُسَارِقٍ فقال: يا أمير المؤمنين، أقرَرنا بالذنب وطلبنا المَعْدِرَةَ، فعدُّ بجلتك، فذلك ما يُشِيهنا منك ويُشِيهك منا، فقد قال من ذكَّرتَ من بعد بيتيه الأولين:

وإني لِمُسْتَأْنٍ وَمُنْتَظَرٍ بكم وإن لم تقولوا في الملمات دَعْ دَعْ
أؤملُ منكم أن تروا غير رأيكم وشيكاً وكياً تترعوا خيراً منزع

أخبرني الحرَامي والطُّوسِيّ قالا حدثنا الزُّبَيْرُ قال حدثني محمد بن الضحَّاك عن المنذر بن عبد الله الحرَامي:

أن عِراكَ بن مالك كان من أشدَّ أصحابِ عمرو بن عبد العزيز على بني مروان في أنتراع ما حازوا من الفَيءِ والمظالم من أيديهم؛ فلما ولي يزيد بن عبد الملك ولي عبد الواحد بن عبد الله النَّصْرِيّ المدينة، فقرب عِراكَ بن مالك وقال: صاحبُ الرجل الصالح، وكان لا يقطع أمراً دونهُ، وكان يجلس معه على سريره.

(١) أبل: أصله أبالي، فحذف آخره للجازم ثم حذفت حركة اللام تخفيفاً كما تحذف نون يكون بعد الجازم، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين.

(٢) هذه كلمة يقال للعائر، ومعناها: دَع العنار وقم وانتعش واسلم، وقد جعل اسمها كالكلية وتعرب؛ قال الشاعر:

لحي الله قوماً لم يقولوا لعائر ولا لابن عم ناله العثر دَعْدَعَا

(٣) هو عِراكَ بن مالك الغفاري التابعي، مات في ولاية يزيد بن عبد الملك.

(٤) موافق لما في الخلاصة (ص ٢٤٧) وتهذيب التهذيب (ج ٢ ص ٤٣٦) والأنساب السمعاني.

فبينما هو معه إذ أتاه كتابُ يزيد بن عبد الملك : أن أبعث مع عراك بن مالك حرسياً حتى يُنزله أرضَ دَهْلَكَ وُخْذُ من عراكِ نَحْوَلَتَه . فقال لَحْرَسِيَّ بين يديه وعراكُ معه على السرير : خُذْ بيدِ عراكِ فَأَبْتَعَ من ماله راحلةً ثم توجه به نحوَ دَهْلَكَ حتى تُقَرَّه فيها؛ ففعل ذلك الحرسِيَّ . قال : وأقدمَ الأحوصُ؛ فُدَحِه الأحوصُ؛ فأكرمَه وأعطاه . قال : فأهلُ دَهْلَكِ يَأْتُرُونَ الشعرَ عن الأحوصِ، والفقهُ عن عراكِ بن مالك .

أخبرني أبو خَلِيفَةَ الْفَضْلُ بنُ الْحَبَابِ عن محمد بن سَلَامٍ عن أبي الْغَرَّافِ عن
يُثْقَ به قال :

بعث يزيد بن عبد الملك حين قُتِلَ يزيد بن المهلب في الشعراء، فأمر بهجاء يزيد بن المهلب، منهم الفرزدق وكثير والأحوص؛ فقال الفرزدق : لقد أمتدحتُ بني المهلب بمدائح ما أمتدحتُ بمثلاً أحداً، وإنه لقبيحٌ بمثلي أن يكذب نفسه على كبر السن، فليُغْفِرني أميرُ المؤمنين؛ قال : فأعفاه . وقال كثير : إني أكره أن أعرض نفسي لشعراء أهل العراق إن هجوتُ بني المهلب . وأما الأحوصُ فإنه هجأهم . ثم بعث به يزيد بن عبد الملك إلى الجراح بن عبد الله الحكمي وهو بأذربيجان، وقد كان بلغ الجراح هجاء الأحوص بني المهلب، فبعث إليه يزيقاً من خمر فأدخل منزلاً الأحوص، ثم بعث إليه خيلاً فدخلت منزله فصبوا الخمرَ على رأسه ثم أخرجوه على رؤوس الناس فأتوا به الجراح، فأمر بخلق رأسه وحيته، وضربه الحدة بين أوجه الرجال، وهو يقول : ليس هكذا تُضْرَبُ الحدود؛ فجعل الجراح يقول : أجل! ولكن لما تعلم؛ ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يعتذر فأغضى له عليها .

قال أبو الفرج الأصبهاني : وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادةً للقَضِّ منه في شعره، ولكننا ذكرنا من كل ما يُؤثر عنه ما تُعرَف به حاله من تقدم.

وتأخر، وفضيلة ونقص؛ فأما تفضيله وتقدمه في الشعر فمُتَعَلِّمٌ مشهورٌ، وشعره يُنْبِئُ عن نفسه ويدلّ على فضله فيه وتقدمه وحسن روثقه وتهذيبه وصفائه.

آراء الشعراء فيه :

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء والطوسيّ قالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ جُنْدَبٍ الْهَذَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا شَيْخٌ لَنَا مِنْ هَذِيلٍ كَانَ خَالًا لِلْفَرَزْدَقِ مِنْ بَعْضِ أَطْرَافِهِ قَالَ :

سمعت بالفردق وجرير على باب الحجاج، فقلت : لو تعرّضتُ ابنَ أُخْتِنَا !
فَأَمْتَطَيْتُ إِلَيْهِ بَعِيرًا، حَتَّى وَجَدْتُهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُصَا، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا شِيعَةٌ،
فَكُنْتُ فِي شِيعَةِ الْفَرَزْدَقِ؛ فَقَامَ الْآذِنُ يَوْمًا فَقَالَ : أَيْنَ جَرِيرٌ ؟ فَقَالَ جَرِيرٌ : هَذَا
أَبُو فِرَاسٍ؛ فَأَظْهَرْتُ شِيعَتَهُ لَوَمِّهِ وَأَسْرَتَهُ؛ فَقَالَ الْآذِنُ : أَيْنَ الْفَرَزْدَقُ ؟ فَقَامَ
فَدَخَلَ؛ فَقَالُوا لَجَرِيرٍ : أَتَنَاوَلْتَهُ وَتَهَاجَيْتَهُ وَتَشَاحَصْتَهُ، ثُمَّ تَبَدَّيْ عَلَيْهِ فَتَأَبَى وَتَبَدَّيْهِ ؟!
قَضَيْتَ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ ! فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّهُ تَزَرُّ الْقَوْلَ، وَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ يَنْقُدَ مَا عِنْدَهُ
وَمَا قَالَ فِيهِ فَيُفَاخِرَهُ وَيَرْفَعَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، فَا جِثْتُ بِهِ بَعْدُ حُمِدْتُ عَلَيْهِ وَأَسْتُحْسِنُ؛
فَقَالَ قَائِلُهُمْ : لَقَدْ نَظَرْتَ نَظْرًا بَعِيدًا . قَالَ : فَمَا كَسَبُوا أَنْ خَرَجَ الْآذِنُ فَصَاحَ :
أَيْنَ جَرِيرٌ ؟ فَقَامَ جَرِيرٌ فَدَخَلَ؛ قَالَ : فَدَخَلْتُ، فَإِذَا مَا مَدَحَهُ بِهِ الْفَرَزْدَقُ قَدْ نَقَدَ
وَإِذَا هُوَ يَقُولُ :

أَيْنَ الَّذِينَ بِهِمْ تُسَارِمِي دَارِمًا أَمْ مَنْ إِلَى سَلَفِي طَهِيَّةٌ تَجْعَلُ

(١) وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون .

(٢) يخلصا : يصلا ، يقال : خلس فلان إلى كذا إذا وصل إليه .

(٣) لم ينشب : لم يلبث ، وهذا اللفظ عند العرب عبارة عن السرعة وأصله من نشب العظم في الحلق والصيد في الحباله أي لم يعلق به شيء يمتعه عن ذلك .

(٤) دارم : اسم قبيلة .

(٥) موافق لما في النقائض (ص ١٨٣) . وطهية : بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، كانت عند مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد ، فولدت له أبا سود وعوفًا وجشيشًا ، فقلبت على بنيتها فنسبوا إليها .

قال : وعمامته على رأسه مثل المنسف^١، فصحت من ورائه :

هذا ابنُ يوسفَ فأعلموا وتفهّموا برح الخفاء فليس حين تناجي
من سدّ مُطْلَعِ التّفاقِ عليكم أم من يَصُولُ كصوله الحُجّاجِ
أم من يَغَارُ على النساءِ حفيظةً إذ لا يَثِقْنَ بغيره الأزواجِ
قل للجان إذا تأخر سرُّجه هل أنت من شركِ المنيّةِ ناجي

قال : وما تشبّيهما ؟ وطرب؛ فقال جرير :

لَجّ الهوى بفؤادك الملّجّاج^٢ فأحسّ بتوضّحِ باكرِ الأحْداجِ

وأمرّها، أو قال : أمضاها؛ فقال : أعطوه كذا وكذا، فأستقلت ذلك . فقال
الهُذَلِيّ : وكان جرير عربياً قرَوياً، فقال للحجّاج : قد أمر لي الأمير بما لم يفهم
عنه، فلو دعا كاتباً وكتب بما أمر به الأمير ! فدعا كاتباً واحتاط فيه بأكثر من
ضعفه، وأعطى الفرزدق أيضاً . قال الهذليّ : خفت الفرزدق فأمر لي بستين ديناراً
وعبد، ودخلت على رواته فوجدتهم يُعَدِّلُون ما أنحرف من شعره، فأخذت من
شعره ما أردت، ثم قلت له : يا أبا فراس، من أشعر الناس ؟ قال : أشعر الناس
بعدي ابنُ المِراغة . قلت : فمن أنسب الناس ؟ قال الذي يقول :

لي ليلتان فليّةٌ معسولةٌ ألقى الحبيبَ بها بنجمِ الأسعدِ
ومريجةٌ هَمِي عليّ كأنني حتى الصباح مُعلّقٌ بالفرقدِ

(١) المنسف : الفربال الكبير .

(٢) المطلع : المأتى : تقول : من أين مطلع هذا الأمر أي من أين مأثاه .

(٣) الملّجّاج : اللجوج ، وقد ورد هذا البيت في الأمالي (ج ٣ ص ٤٣ طبع دار الكتب المصرية)
وديوّانه هكذا :

هاج الهوى لفؤادك المهتّاج فانظر بتوضّحِ باكرِ الأحْداجِ
وتوضّح : موضع معروف في بلاد بني يربوع . والأحْداج : جمع حِدْج وهو مركب من مراكب
النساء نحو المودج والمخفة . يريد ، على هذه الرواية ، هاج باكرُ الأحْداجِ الهوى لفؤادك فارم بطرفك
نحو توضّح .

(٤) مريجة : من أراح الإبل إذا ردها إلى المراح من العشي ، والمراد أنها تسوق إليه .

قلت : ذاك الأحوص ؛ قال : ذاك هو . قال الهذلي : ثم أتيت جريراً فجعلت أستقل عنده ما أعطاني صاحبي أستخرج به منه ؛ فقال : كم أعطاك ابن أختك ؟ فأخبرته ؛ فقال : ولك مثله ، فأعطاني ستين ديناراً وعبداً . قال : وجئت رواته وهم يقيمون ما انحرف من شعره وما فيه من السناد ، فأخذت منه ما أردت ، ثم قلت : يا أبا حزرّة ، من أنسب الناس ؟ قال الذي يقول :

يا ليت شعري عن كلفت به من خشم إذ نأيت ما صنعوا
قومٌ يحلون بالسدير وبالبحيرة منهم مرأى ومستمع
أن شطت الدار عن ديارهم أأمسكوا بالوصال أم قطعوا
بل هم على خير ما عهدت وما ذلك إلا التأميل والطمع

قلت : ومن هو ؟ قال : الأحوص ؛ فأجتمعا على أن الأحوص أنسب الناس .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

منها الأبيات التي يقول فيها الأحوص :

لي ليلتان فليلة معسولة

وأول ما يُغنى به فيها :

صوت

يا للرجال لو جدد المتجدد ولما تؤمل من عقيلة في غد
ترجو مواعد بعث آدم دونها كانت خبالاً للفؤاد المقصد
هل تذكرين عقيل أو أنساكي بعدي تقلب ذا الرمان المفسد

(١) السناد : كل عيب يوجد في القافية قبل الروي ، وفسره ابن سيده بأنه اغتالفة بين الحركات التي تلي الأرداف في الروي .

(٢) السدير : نهر بالحيرة ، وقيل : السدير : قصر في الحيرة من منازل آل المنذر .

يومي وَيَوْمَكَ بِالْعَيْقِ إِذِ الْهَوَى
لِي لَيْلَتَانِ فَلَيلةٌ مَعْسُولَةٌ أَلْقَى الْحَبِيبَ بِهَا بَنَجْمَ الْأَسْعَدِ
وَمَرِيحَةَ هَمِي عَلِيَّ كَأَنِّي حَتَّى الصَّبَاحِ مَعْلَقٌ بِالْفَرْقَدِ

- عَرَوْضُهُ مِنَ الْكَامِلِ . يُقَالُ : يَا لِلرَّجَالِ وَيَا لِلرَّجَالِ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ .
وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحَ لِمَا طُعِنَ : يَا اللَّهُ يَا لِلْمُسْلِمِينَ . وَقَوْلُهُ فِي
غَدَ : يَرِيدُ فِيمَا بَعْدُ وَفِي بَاقِي الدَّهْرِ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : (سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنْ أَلْكَذَّابُ
الْأَشْرِ) . وَالْحَبْلُ وَالْحَبَالُ : النِّقْصَانُ مِنَ الشَّيْءِ . وَالْحَبْلُ : أَصْلُهُ مَاخُذٌ مِنَ
النِّقْصِ لِأَنَّهُ نَاقِصُ الْعَقْلِ . وَالْمَعْسُولَةُ : الْحُلُوفَةُ الْمُشْتَهَاةُ - .

الشعر للأحوص . والغناء في البيت الأول والثاني لما لك خفيف رمل بالبنصر
عن الهشامي وحَبَش . وفي الثالث والرابع لسليان أخي بَابُوِيَه ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى
عن عمرو . وفيهما وفي الخامس والسادس لحنٌ لَأَبْنِ سُرَيْجٍ ذَكَرَهُ يُونُسُ وَلَمْ
يُحِيسْهُ . وَذَكَرَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ لَمَعْبَدٍ فِي الْآيَاتِ كُلِّهَا لَحْنًا وَأَنَّهُ مِنْ
صَحِيحِ غَنَائِهِ ، وَلَمْ يُحِيسْهُ .

العناية بشعره :

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عَبَّادَةَ قَالَ :

بَلَّغَنِي أَنَّ أَبْنَى الْأَحْوَصِ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّاعِرَ دَخَلَ عَلَى أَمْرَأَةٍ شَرِيفَةٍ ، وَأَخْبَرَنِي
الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ
عَنْبَسَةَ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِي قَالَ أَخْبَرَنِي أَشْعَبُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ :

حَضَرَتْ أَمْرَأَةٌ شَرِيفَةٌ وَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبْنَى الْأَحْوَصِ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّاعِرُ ، فَقَالَتْ لَهُ :
أَتُرَوِي قَوْلَ أَيْيِكَ :

(١) لَامُ الْإِسْتِفَاةِ تَفْتَحُ مَعَ الْمُسْتَفَاةِ وَتُكْسَرُ مَعَ الْمُسْتَفَاةِ لِأَجْلِهَا ، فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَى ضَمِيرٍ ، مِثْلُ
يَا لَكَ ، فَتَحَتْ دَائِمًا ، وَكُسِرَتْ مَعَ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ ، وَاحْتَمَلَ الْكَلَامُ حِينَئِذٍ الْأَمْرَيْنِ .

لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ ألقى الحبيبَ بها بنجمَ الأسعدِ
ومريجةٌ همي عليّ كأنني حتى الصباحِ معلقٌ بالفرقدِ

قال : نعم ؛ قالت : أتدري أي الليلتين التي يبيت فيها معلقاً بالفرقد ؟ قال : لا والله ؛ قالت : هي ليلة أمك التي يبيت معها فيها . قال إبراهيم في خبره : فقلت لأشعب : يا أبا العلاء ، فأَيَ ليلتيه المعسولة ؟ فقال :

سُبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيك بالأخبار مَنْ لم تُرَوِّدِ
هي ليلة الإسراف ، ولا تسأل عما بعدها .

أخبرني عبد العزيز بن بنت الماجشون قال :

أنشد ابنُ جندبٍ قولَ الأحوص :

لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ ألقى الحبيبَ بها بنجمَ الأسعدِ
ومريجةٌ همي عليّ كأنني حتى الصباحِ معلقٌ بالفرقدِ

فقال : أما إن الله يعلم أن الليلةَ المريجةَ همي لألذَّ الليلتين عندي . قال الحرَميَّ ابنُ أبي العلاء : وذلك لكلفه بالغزل والشوق والحنين وفتني اللقاء .

معشوقة الأحوص :

ولالأحوص مع عقيقة هذه أخبارٌ قد ذُكرت في مواضعٍ آخر . وعقيقة امرأةٌ من ولد عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه . وقد ذكر الزُّبير عن ابن بنت الماجشون عن خاله أن عقيقة هذه هي سُكينة بنت الحسين عليها السلام ، كُنِيَ عنها بعقيقة .

أخبرني الحرَميَّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي :

أن إنساناً أنشد عند إبراهيم بن هشام وهو والي المدينة قولَ الأحوص :

إِذْ أَنْتِ فِينَا لَمَنْ يَنْهَاكِ عَاصِيَةٌ وَإِذْ أُجِرَ الْيَكَمُ سَادِرًا رَسَنِي

فوثب أبو عبيدة بن عمار بن ياسر قائماً ثم أرخى رداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويجري حتى بلغ العرض ثم رجع . فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس : ما شأنك ؟ فقال : أياها الأمير ، إني سمعتُ هذا البيت مرة فأعجبني ، خلفت لا أسمعه إلا جَرَرْتُ رَسَنِي .

نسبة هذا البيت وما غني فيه من الشعر

صوت

سَقِيًّا لِرَبْعِكَ مِنْ رَبْعٍ بَذِي سَلَمٍ وَلِلرَّيْمَانِ بِهِ إِذْ ذَاكَ مِنْ زَمَنٍ
إِذْ أَنْتِ فِينَا لَمَنْ يَنْهَاكِ عَاصِيَةٌ وَإِذْ أُجِرَ الْيَكَمُ سَادِرًا رَسَنِي

عروضه من البسيط . غنى ابن سريج في هذين البيتين لحناً من الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو . وذكر إسحاق فيه لحناً من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر حبش أنه للغريض .

تفضيل حماد له :

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن سالم بن أبي السَّحَاءِ وكان صاحب حماد الراوية :

أَنْ حَمَادًا كَانَ يُقَدِّمُ الْأَحْوَصَ فِي النَّسِيبِ .

(١) ويروي : «يهواك» .

(٢) العرض : الوادي فيه زروع ونخل ، يقال : أخضبت أعراس المدينة وهي قراها التي في أوديتها ، ويراد به هنا مكان بعينه .

أخبرني الحرمي قال حدثنا الربيع قال حدثنا عمر بن أبي سليمان عن يوسف
ابن أبي سليمان بن عذبة قال :

هجا الأحوص رجلاً من الأنصار من بني حرام يقال له ابن بشير ، وكان
كثير المال ، فغضب من ذلك ، فخرج حتى قدم على الفرزدق بالبصرة وأهدى إليه
والطفه ، فقبل منه ؛ ثم جلسا يتحدثان ، فقال الفرزدق : بمن أنت ؟ قال : من
الأنصار ؛ قال : ما أقدمك ؟ قال : جئت مستجيراً بالله عز وجل ثم بك من
رجله هجاني ؛ قال : قد أبارك اللهُ منه وكفاك مؤنته ؛ فأين أنت عن الأحوص ؟
قال : هو الذي هجاني ؛ فأطرق ساعة ثم قال : أليس هو الذي يقول :

ألا كف برسم الدار فاستنطق الرثما فقد هاج أخزاني وذكرني نعتاً

قال بلى ؛ قال : فلا والله لا أهجو رجلاً هذا شعره . فخرج ابن بشير فأشترى
أفضل من الشراء الأول من الهدايا ، فقدم بها على جرير ؛ فأخذها وقال له : ما
أقدمك ؟ قال : جئت مستجيراً بالله وبك من رجل هجاني ؛ فقال : قد أبارك
الله عز وجل منه وكفاك ، أين أنت عن ابن عمك الأحوص بن محمد ؟ قال : هو
الذي هجاني ؛ قال : فأطرق ساعة ثم قال : أليس هو الذي يقول :

تمشي بشتمي في أكاريس مالِك تُشيدُ به كالكلب إذ ينبج النجبا
فما أنا بالمخسوس في جذم مالِك ولا بالمسئى ثم يلترم الإسما
ولكن بيتي إن سألت وجدته توسط منها العز والحسب الضخما

قال : بلى والله ؛ قال : فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره . قال : فأشترى أفضل
من تلك الهدايا وقدم على الأحوص فأهداها إليه وصالحه .

(١) أطفه : أكرمه وبره بطرف التحف ، الاسم « اللطف » بالتحريك .

(٢) ورد في بعض الأصول « نعمي » بالياء في آخره ، « بنعم » « ونعمي » .

(٣) أكاريس : جمع الجمع ليكرس وهو الجماعة من الناس .

(٤) الجنم : الأصل .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

أَلَا قَفْ بِرَسْمِ الدَّارِ فَاسْتَنْطِقِ الرَّسْمَا فَقَدْ هَاجَ أَخْرَانِي وَذَكَرَنِي نُعْمَى
فَبِتُّ كَأَنِّي شَارِبٌ مِنْ مُدَامَةٍ إِذَا أَذْهَبَتْ هُمَا أَتَّاحَتْ لَهُ هُمَا

غَنَاهُ إِبرَاهِيمُ الموصليّ خَفِيفَ رَمَلِهِ بِالوُسْطَى عَنْ الهشاميّ . وَذَكَرَ عبد الله
أَبْنُ العَبَّاسِ الرَّبِيعِي أَنَّهُ لَهُ .

أَخْبَرَنِي الحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عبد الملك بن عبد
العزيز قَالَ :

قَالَ لِي أَبُو السَّائِبِ التَّمِيمِيُّ : أَنَشَدَنِي لِلأَحْوَصِ ، فَأَنشَدْتُهُ قَوْلَهُ :

قَالَتْ وَقُلْتُ تَحْرَجِي وَصَلِي حَبْلٌ أَمْرِي بِوَصَالِكُمْ صَبِي
وَإِصْلٌ إِذَا بَغَيْ قُلْتُ لَهَا الْقَدَرُ شَيْءٌ لَيْسَ مِنْ ضَرْبِي

صوت

ثَنَّتَانِ لَا أَدْنُو لَوَصْلِهِمَا عِرسُ الخَلِيلِ وَجَارَةُ الجَنْبِ (١)
أَمَّا الخَلِيلُ فَلَسْتُ فَارِجَهُ وَالْجَارُ أَوْصَانِي بِهِ رَبِّي
عُوجُوا كَذَا نَذَرْتُ لَغَايَةِ بَعْضَ الحَدِيثِ مَطِيئِكُمْ صَحْبِي
وَنَقُلْ لَهَا فِيمَ الصَّدُودُ وَلَمْ نُذْنِبْ بَلْ أَنْتِ بَدَأْتَ بِالذَّنْبِ
إِنْ تُقْبَلِي نُقْبَلْ وَنَنْزَلْكُمْ مِنْأَ بَدَارِ السَّهْلِ وَالرُّحْبِ
أَوْ تُدْبِرِي تَكْذُرْ مَعِيشَتَنَا وَتُصَدِّعِي مَتَلَاثِمَ الشَّعْبِ

(١) جَارُ الجَنْبِ : اللّازِقُ بِكَ إِلَى جَنْبِكَ .

- غنى في «ثنتان لا أدنو» والذي بعده ابن جامع ثقيلًا أول بالوسطى .
وغنى في «عوجوا كذا نذكر لغانية» والأبيات التي بعده ابن محرز لحناً من
القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلقاً في مجرى البنصر - قال : فأقبل عليّ أبو
السائب ، فقال : يا ابن أخي ، هذا والله المحبُّ عيناً لا الذي يقول :

وكننت إذا خليلٌ رام صرمني وجدتُ ورايَ مُنفَسِحاً عريضاً

اذهب فلا صَحَبَكَ اللهُ ولا وسعَ عليك (يعني قائلَ هذا البيت) .

انساب الشعراء :

أخبرني الحرمي قال حدثني الربيع قال حدثنا خالد بن وضاح قال حدثني
عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحي قال :

حملت ديناً بعسكر المهدي ، فركب المهدي بين أبي عبيد الله وعمر بن
بَزِيع ، وأنا وراءه في موكبه على برذونٍ قَطُوفٍ ؛ فقال : ما أنسبُ بيتَ قالته
العربُ ؟ فقال له أبو عبيد الله : قولُ امرئ القيس :

وما ذَرَفْتُ عَيْنَكَ إِلَّا لَتَضْرِي بِسَهْنِكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلٍ

فقال : هذا أعرايُّ قَحَّ . فقال عمر بن بزيع : قولُ كُثَيْبٍ يا أمير المؤمنين :

أريد لأنسى ذكراً فكأنما تَمَثَّلُ لي ليلي بكل سبيل

فقال : ما هذا بشيء ، وما له يريد أن ينسى ذكرها حتى تَمَثَّلَ له . فقلت : عندي
حاجتُك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك ؛ قال : أَلَحَقُ بي ؛ قلت : لا خَاقَ بي ،
ليس ذلك في دأبتي ؛ قال : احملوه على دابة . قلت : هذا أول الفتح ؛ فحملت
على دابة ، فَلَحِقْتُ ؛ فقال : ما عندك ؟ فقلت : قولُ الأحوص :

إذا قلتُ إني مُشْتَفِرٌ بِلِقَائِهَا فحَمَّ التَّلَاقِي بَيْنَنَا زَادَنِي سُقْمًا
فَقَالَ : أَحْسَنُ وَاللَّهِ ، أَقْضُوا عَنْهُ دَيْنَهُ ، فَقَضَيْتُ عَنِّْي دَيْنِي .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها الشعر الذي هو :

أريد لِأَنسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ

صوت

أَلَا حَيِّيًا لَيْلَى أَجْدَى رَحِيلِي وَأَذَنَ أَصْحَابِي غَدًا يَقُولِ
وَلَمْ أَرِ مِنْ لَيْلَى نَوَالًا أَعْدَمَ أَلَا رَبَّمَا طَالِبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ
أريد لِأَنسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ
وَلَيْسَ خَلِيلِي بِالْمَلُولِ وَلَا الَّذِي إِذَا غَبْتُ عَنْهُ بِاعْنِي بِجَلِيلِ
وَلَكِنْ خَلِيلِي مِنْ يَدُومِ وَصَالِهِ وَيَحْفَظُ سِرِّي عِنْدَ كُلِّ دَخِيلِ

عروضه من الطويل . الشعر لكثير . والغناء في الثلاثة الأبيات الأول لإبراهيم ،
ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . ولأبنة إسحاق في :

وليس خليلي بالملول ولا الذي

ثقل آخر بالوسطى .

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام ، وأخبرني الحرمي قال حدثنا
الزبير عن محمد بن سلام قال :

كان لكثير في النسيب حظًا وافرًا ، وجميلٌ مُقدم عليه وعلى أصحاب النسيب
جميعاً ، ولكثير من فنون الشعر ما ليس بجميل ، وكان كثيرَ راوٍ جميل ، وكان جميل

صادق الصَّابَةِ والعشَقْ، ولم يكن كَثِيرَ بَعِاشِقْ، وكان يَتَقَوَّلُ . قال : وكان
الناس يستحسنون بيتَ كَثِيرٍ في النَّسَبِ :

أريد لأنسى ذكْرَهَا فكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لي لَيْلى بِكَلِّ سَبِيلِ

قال : وقد رأيت من يَفْضِلُ عليه بيتَ جميل :

خَلِيلِي فَمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتَا قَتِيلًا بِكِي مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبِيلِي

قرأت في كتابٍ منسوبٍ إلى أحمد بن يحيى البَلَّاذُريّ : وذكر إسحاق بن
إبراهيم الموصليّ أن عبد الله بن مُصْعَبِ الزُّبَيْرِيّ كان يوماً يذكر شعرَ كَثِيرٍ
ويصف تفضيلَ أهل الحجاز إِيَّاهُ ، إلى أن أنتهى إلى هذا البيت : قال إسحاق :
فقلت له : إن الناس يَعيِّبون عليه هذا المعنى ويقولون : ما له يريد أن ينساها ؛
فتبسّم ابنُ مُصْعَبِ ثم قال : إنكم يا أهلَ العراق لتقولون ذلك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شُبَّة قال حدثني
أبو يحيى الزُّهريّ قال حدثني الهزْبريّ قال :

قيل لكثِيرٌ ؛ ما أنسبُ بيتَ قلته ؟ قال : الناس يقولون :

أريد لأنسى ذكْرَهَا فكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لي لَيْلى بِكَلِّ سَبِيلِ

وأنسبُ عندي منه قولي :

وَقُلْ أُمُّ عَمْرٍو دَاوَاهُ وَشَفَاؤُهُ لَدَيْهَا وَرِيَّاءُ إِلَيْهِ طَيْبٌ^١

وقد قيل : إن بعض هذه الأبيات للمتوكِّل اللِّثِي .

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدثنا الزُّبَيْر قال حدثني عثمان - قال الحَرَمِيّ : أحسبه
ابن عبد الرحمن الحَرَمِيّ - قال حدثنا إبراهيم بن أبي عبد الله قال :

(١) ويروى : لديها ورياءها الشفاء من الخبل

قيل لمحرز بن جعفر : أنت صاحب شعر، وذاك تلزم الأنصار، وليس هناك منه شيء؛ قال: بلى والله، إن هناك للشعر عين الشعر، وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبهم الأحوص الذي يقول :

يقولون لو ماتت لقد غاض حبه وذلك حين الفاجعات وحيني
لمرؤك إني إن تحمّ وفاتها بضجة من يبقى لغير ضنين

وهو الذي يقول :

وإني لمكرام لسادات مالك وإني لنوكي مالك لسبب
وإني على الحلم الذي من سجيئي لحمل أضغان لمن يطلب

مرض موته :

أخبرني الحرّميّ قال حدثني الزبير قال حدثني عمي مصعب قال حدثني يحيى ابن الزبير بن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، قال الزبير وحدثني علي بن صالح عن عامر بن صالح :

أن الأحوص قال في مرضه الذي مات فيه، وقال عامر بن صالح : حين هرب من عبد الواحد النصريّ إلى البصرة :

يا بشر يا ربّ محزونٍ بتصرّعنا وشامتٍ جذلٍ ما مسّه الحزن
وما شتاتُ أمرى إن مات صاحبه وقد يرى أنه بالموت مرتّهن
يا بشر هبّي فإن النوم أرقه نأيٌ مُشّتٌ وأرضٌ غيرُها الوطن

ذكر الدلال وقصته حين خصى ومن خصى معه

والسبب في ذلك وسائر أخباره

الدلال اسمه نافع، وكنيته أبو زيد، وهو مدني مولى بني فهم.

وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خردادبه قال :

قال إسحاق : لم يكن في الخنثيين أحسن وجهاً ولا أنظف ثوباً ولا أظرف من الدلال . قال : وهو أحد من خصاه ابن حزم ، فلما فعل ذلك به قال : الآن تم الخنث .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزبيري قال :

الدلال مولى عائشة بنت سعيد بن العاص .

ظرفه ونوادره :

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزبيري قال :

كان الدلال من أهل المدينة ، ولم يكن أهلها يعدّون في الظرفاء وأصحاب

(١) كذا في شرح القاموس (مادة دل) ونهاية الأرب (ج ٤ ص ٣١٥) . وفي بعض النسخ : « نافع » . وفي سائرهما : « نافع » .

(٢) كذا في شرح القاموس ونهاية الأرب . وفي جميع الأصول : « أبو يزيد » .

النوادر من المختارين بها إلا ثلاثة: «طويس»، والدلال، وهنب؛ فكان هنب أقدمهم، والدلال أصغرهم. ولم يكن بعد طويس أظرف من الدلال ولا أكثر ملحاً.

قال إسحاق: وحدثني هشام بن المرقية عن جرير، وكانا ندين مدينتين، قال: ما ذكرت الدلال قط إلا ضحكت لكثرة نوادره. قال: وكان تزور الحديث، فإذا تكلم أضحك التلكي، وكان ضاحك السن، وصنعتة تزور جيدة، ولم يكن يغني إلا غناء مضعفاً، يعني كثير العمل.

قال إسحاق: وحدثني أيوب بن عباية قال:

شهدت أهل المدينة إذا ذكروا الدلال وأحاديثه، طولوا رقابهم وفخروا به، فعلت أن ذلك لفضيلة كانت فيه.

قال وحدثني ابن جابع عن يونس قال:

كان الدلال مبتلى بالنساء والكون معهن، وكان يطلب فلا يُقدّر عليه، وكان بديع الغناء صحيحه حسن الجرم.

لقبه:

قال إسحاق وحدثني الزبير قال:

إنما لُقّب بالدلال لشكله وحسن دله وظرفه وحلاوة منطقته وحسن وجهه

(١) في شرح القاموس (مادة هنب) أن النبي صلى الله عليه وسلم نفى عننيتين أحدهما «هيت» والآخر «ماتع»، قال إنما هو «هنب» فصاحبه أصحاب الحديث. وقال الأزهري: رواء النافعي وغيره «هيت» وأغلته صواباً. وقد ورد في المتن «هيت».

(٢) الجرم. الصوت أو جهارته. وفي نهاية الأرب (ج ٤ ص ٢١٦): «الجرم». والجرم: وضع الحروف مواضعها في بيان ومهل.

وإشارته . وكان مشغولاً بمخالطة النساء ووصفهن للرجال . وكان من أراد خطبة امرأة سألها عنها وغيرها ، فلا يزال يصف له النساء واحدة فواحدة حتى ينتهي إلى وصف ما يُعجبه ؛ ثم يتوسط بينه وبين من يُعجبه منهن حتى يتزوجها ؛ فكان يُشغل كل من جالسه عن الغناء بتلك الأحاديث كراهة منه للغناء .

سبب الغشاء :

قال إسحاق وحدثني مصعب الزبيري قال :

أنا أعلم خلق الله بالسبب الذي من أجله خُصي الدلال ، وذلك أنه كان القادمُ يقدّم المدينة ، فيسأل عن المرأة يتزوجها فيدلّ على الدلال ؛ فإذا جاءه قال له : صف لي من تعرف من النساء للتزويج ، فلا يزال يصف له واحدة بعد واحدة حتى ينتهي إلى ما يوافق هواه ؛ فيقول : كيف لي بهذه ؟ فيقول : مهرها كذا وكذا ؛ فإذا رضي بذلك أتاه الدلال ، فقال لها : إني قد أصبت لك رجلاً من حاله وقصته وهيئته ويساره ولا عهد له بالنساء ، وإنما قديم بلدنا آنفاً ؛ فلا يزال بذلك يشوقها ويحركها حتى تُطيعه ؛ فيأتي الرجل فيعلمه أنه قد أحكم له ما أراد . فإذا سوي الأمر وتزوجته المرأة ، قال لها : قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك ، والليلة موعده ، وأنت مغتلمة شقيقة جامّة ، فساعة يدخل عليك قد دفت عليه مثل سبل العرم ، فيغذرك ولا يعاودك ، وتكونين من أشأم النساء على نفسك وغيرك ؛ فتقول : فكيف أصنع ؟ فيقول : أنت أعلم بدواء حرك ودائه وما يسكن غلظتك ؛ فتقول : أنت أعرف ؛ فيقول : ما أجد له شيئاً أشنى من النيك ، فيقول لها : إن لم تخافي الفضيحة فأبعثي إلى بعض الزنوج حتى يقضي بعض وطرِكَ ويكف عادية حرك ؛ فتقول له : ويلك ! ولا كل هذا ! فلا تزال المحاورة بينهما حتى يقول لها :

(١) في بعض النسخ : « مشغولاً » بالعين المهملة ، وكلاهما بمعنى واحد . وقد قرئ بها في قوله تعالى (قد شغلها حباً) .

(٢) يقال : جم الفرس وغيره إذا ترك الضراب فتجمع ماؤه .

فكما جاء عليّ أقوم، فأخفّك وأنا والله إلى التّخفيف أخرج؛ فتفرّج المرأة فتقول: هذا أمر مستور، فينيّكها؛ حتى إذا قضى لذته منها، قال لها: أمّا أنت فقد استرحت وأمنت العيب وبقيت أنا؛ ثمّ يجيء إلى الزوج، فيقول له: قد واعدتها أن تدخل عليك الليلة، وأنت رجل عزّب، ونساء المدينة خاصّة يُردن المطاولة في الجماع، وكأني بك كما تدخله عليها تفرغ وتقوم، فتبغضك وتمتلك ولا تعاودك بعدها ولو أعطيتها الدنيا، ولا تنظر في وجهك بعدها؛ فلا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوته، فيقول له: كيف أعمل؟ قال: تطلب زنجية فتنيكها مرتين أو ثلاثاً حتى تسكن غلّمتك، فإذا دخلت الليلة إلى أهلك لم تجد أمرك إلاّ جميلاً؛ فيقول له ذلك: أعود بالله من هذه الحال، أزيّناً وزنجية! لا والله لا أفعل! فإذا أكثر محاورته قال له: فكما جاء عليّ لم فنكني أنا حتى تسكن غلّمتك وشبّكتك؛ فيفرّج فينيكه مرة أو مرتين؛ فيقول له: قد استوى أمرك الآن وطابت نفسك، وتدخل على زوجتك فتنيكها نيكاً يملؤها سروراً ولذة؛ فينيك المرأة قبل زوجها، وينيكه الرجل قبل امرأته؛ فكان ذلك دأبه، إلى أن بلغ خبره سليمان بن عبد الملك، وكان غيوراً شديد الغيرة، فكتب بأن يُخصي هو وسائر الخنثين بالمدينة ومكة، وقال: إن هؤلاء يدخون على نساء قريش ويُفسدونهن؛ فورد الكتاب على ابن خزم غصاهم. هذه رواية إسحاق عن الزُّبيري. والسبب في هذا أيضاً مختلف فيه، وليس كلُّ الرواة يروون ذلك كما رواه مصعب.

فما روي من أمرهم ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري - وهذا الخبر أصح ما روي في ذلك إسناداً - قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة عن معن ابن عيسى، هكذا رواه الجوهري، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر ابن شبة قال حدثني أبو غسان قال: قال ابن جناح حدثني معن بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه وعن محمد بن معن الغفاري قال:

كان سبب ما خصي له الخنثون بالمدينة أن سليمان بن عبد الملك كان في ناحية

له يَسْمُرُ لَيْلَةً عَلَى ظَهْر سَطْحٍ، فَتَفَرَّقَ عَنْهُ جَلَسَاؤُهُ، فَدَعَا بَوْضُوهُ خِجَامَاتٍ بِهِ جَارِيَةً لَهُ، فَبَيْنَا هِيَ تَصُبُّ عَلَيْهِ إِذْ أَوْمَأَ بِيَدِهِ وَأَشَارَ بِهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَلَمْ تَصُبْ عَلَيْهِ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا هِيَ مُصْفِيَةٌ بِسَمْعِهَا إِلَى نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ، وَإِذَا صَوْتُ رَجُلٍ يَغْنِي، فَأَنْصَتَ لَهُ حَتَّى سَمِعَ جَمِيعَ مَا تَغْنَى بِهِ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَذِنَ لِلنَّاسِ، ثُمَّ أَجْرَى ذِكْرَ الْغِنَاءِ فَلَيْتَ فِيهِ حَتَّى ظَنَّ الْقَوْمُ أَنَّهُ يَشْتَهِيهِ وَيُرِيدُهُ، فَأَقَاضُوا فِيهِ بِاللَّسْهِيلِ وَذَكَرَ مِنْ كَانَ يَسْمَعُهُ؛ فَقَالَ سَلِيَانُ: فَهَلْ بَقِيَ أَحَدٌ يُسْمَعُ مِنْهُ الْغِنَاءُ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: عِنْدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلَانِ مِنَ أَهْلِ أَيْلَةِ مُجِيدَانَ مُحْكِمَانِ؛ قَالَ: وَأَيْنَ مِثْلُكَ؟ فَأَوْمَأَ إِلَى النَّاحِيَةِ الَّتِي كَانَ الْغِنَاءُ مِنْهَا؛ قَالَ: فَأَبْعَثَ إِلَيْهِمَا، فَفَعَلَ؛ فَوَجَدَ الرَّسُولَ أَحَدَهُمَا، فَأَدْخَلَهُ عَلَى سَلِيَانِ؛ فَقَالَ: مَا أَسْمُكَ؟ قَالَ: سُمَيْرُ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْغِنَاءِ، فَأَعْتَرَفَ بِهِ؛ فَقَالَ: مَتَى عَهْدُكَ بِهِ؟ قَالَ: اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ؛ قَالَ: وَأَيْنَ كُنْتَ؟ فَأَشَارَ إِلَى النَّاحِيَةِ الَّتِي سَمِعَ سَلِيَانُ مِنْهَا الْغِنَاءَ؛ قَالَ: فَمَا غَنَيْتَ بِهِ؟ فَأَخْبَرَهُ الشَّعْرَ الَّذِي سَمِعَهُ سَلِيَانُ؛ فَأَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ: هَذَرُ الْجَمْلُ فَضِيعَتِ النَّاقَةُ، وَنَبَّ التَّيْسُ فَشَكِرْتَ الشَّاةُ، وَهَذَرُ الْحِمَامُ فَرَأَفْتَ الْحَمَامَةَ، وَغَنَى الرَّجُلُ فَطَرِبَتِ الْمَرْأَةُ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَخُصِيَ. وَسَأَلَ عَنِ الْغِنَاءِ أَيْنَ أَصْلُهُ؟ فَقِيلَ: بِالْمَدِينَةِ فِي الْخَثْنَيْنِ، وَهُمْ أَثَمَّتُهُ وَالْحَذَّاقُ فِيهِ. فَكُتِبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَيْهَا، أَنْ أَخْصِرَ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْخَثْنَيْنِ الْمَغْنَيْنِ - فَرَحِمَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ أَخْبَرَنِي بَعْضُ الْكُتَّابِ قَالَ: قَرَأْتُ كِتَابَ سَلِيَانِ فِي الدِّيَّانِ، فَرَأَيْتُ عَلَى الْحَاءِ نَقْطَةَ كَسْمَةِ الْعَجْوَةِ؛ قَالَ: وَمَنْ لَا يَعْلَمُ يَقُولُ: إِنَّهُ صَخْفُ الْقَارِي، وَكَانَتْ أَخْصِرَ - قَالَ: فَتَتَّبِعُهُمْ أَبْنُ حَزْمٍ فَخُصِيَ مِنْهُمْ تِسْعَةٌ؛

(١) ضَبَعَتِ النَّاقَةُ: اشْتَهَتْ الْفَعْلَ. وَنَبَّ التَّيْسُ: صَاحَ عِنْدَ الْهِجَابِ. وَشَكَرَتِ الشَّاةُ: امْتَلَأَ ضَرْعُهَا وَيَكْنَى بِذَلِكَ عَنْ حَنِيتِهَا.

(٢) وَيُرْوَى: «هَدَل»، وَالْهَدِيلُ: كَالْهَدِيرِ، وَقِيلَ صَوْتُ الذَّكَرِ خَاصَةً.

(٣) زَاغَتِ الْحَمَامَةُ: تَبَخَّرَتْ فِي مَشِيَّتِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ تَأَثُّرَةً جَنَاحِيهَا وَذَنَابُهَا.

(٤) ذَكَرَ الْجَاهِظُ فِي كِتَابِ الْحَيَوَانَ (ج ١ ص ٥٥ طبع مصر): أَنَّ الَّذِي أَمَرَ بِخَفَاءِ الْخَثْنَيْنِ هُوَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَنَّ الَّذِي تَوَلَّى ذَلِكَ هُوَ عُمَانُ بْنُ حَيَّانَ وَالْمَدِينَةُ، ثُمَّ سَاقَ بَعْدَ ذَلِكَ طَرَفًا مِنَ الْقِصَّةِ.

فمنهم الدلال، وطريف، وحبيب نومة الضحى. وقال بعضهم حين خُصِيَ: سَلِمَ
الخاتنُ والمختون. وهذا كلام يقوله الصبي إذا خُتَنَ.

قال: فزعم ابن أبي ثابت الأعرج قال أخبرني حماد بن نسيط الحسني قال:
أقبلنا من مكة ومعنا بدراؤس وهو الذي ختنهم، وكان غلامه قد أعانه على
خصائهم، فزلنا على حبيب نومة الضحى، فأحتفل لنا وأكرمنا؛ فقال له ثابت:
من أنت؟ قال: يا بن أخي أتجهلني وأنت وليت ختاني! أو قال: وأنت ختنتي؛
قال: واسوءتاه! وآتهم أنت؟ قال: أنا حبيب؛ فأجتنبت طعامه وخفت أن
يسُتني. قال: وجعلت إحبة الدلال بعد سنة أو سنتين تتناثر. وأما ابن الكلبي
فإنه ذكر عن أبي مسكين ولقيط أن أيتن كتب بإحصاء من في المدينة من المختنين
ليعرفهم، فيوفد عليه من يختاره للوفادة؛ فظن أنه يريد الإحصاء لخصائهم.

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن سلام قال
حدثني ابن جعدبة، ونسخت أنا من كتاب أحمد بن الحارث الحرّاز عن المديني
عن ابن جعدبة واللفظ له:

أن الذي هاج سليمان بن عبد الملك على ما صنعه بمن كان بالمدينة من المختنين،
أنه كان مستلقياً على فراشه في الليل، وجارية له إلى جنبه، وعليها غلالة ورداء
مُصْفَران، وعليها وشاحان من ذهب، وفي عنقها فصلان من لؤلؤ، وزبرجد
وياقوت، وكان سليمان بها مشغولاً، وفي عسكره رجل يقال له سَمِير الأيلي يُغني،
فلم يفكر سليمان في غنائه شغلاً بها وإقبالاً عليها، وهي لاهية عنه لا تُجيبه
مُصْنِية إلى الرجل، حتى طال ذلك عليه، فحول وجهه عنها مُغَضِّباً، ثم عاد إلى ما
كان مشغولاً عن فهمه بها، فسمع سَمِيرًا يُغني بأحسن صوت وأطيب نغمة:

(١) لم يتقدم ثابت هذا ذكر في الكلام ولله غلام الختان.

صوت

محجوبة سَمِعْتُ صَوْتِي فَأَرَقَهَا من آخر الليل حتى شَقَّهَا السَّهَرُ
تَدْنِي عَلَى جِيدِهَا ثِنْيِي مُعَصَّرَةً وأَخْلِيْ مِنْهَا عَلَى لَبَّاتِهَا خَصِرُ
فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مَا يَدْرِي مُضَاجِعُهَا أَوْجُهَهَا عِنْدَهُ أَبْهَى أَمِ الْقَمَرُ

ويروى :

أَوْجُهَهَا مَا يَرَى أَمِ وَجْهَهَا الْقَمَرُ
لَوْ خَلَيْتُ لَمَشَّتْ نَحْوِي عَلَى قَدَمٍ تَكَادُ مِنْ رِقَّةٍ لِلشَّيْ تَنْفَطِرُ

- الغناء لُسَيْرِ الْأَيْلِي رَمَلٌ مَطْلُوقٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ حَبَشٍ . وأخبرني ذُكَاءُ وَجْهَ
الرُّزَّةِ أَنَّهُ سَمِعَ فِيهِ لَحْنًا لِلدَّلَالِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ - فلم يشكك سليمانُ أن الذي
بها لما سمعتُ، وأنها تهوى مُبِيرًا؛ فَوَجَّهَ مِنْ وَقْتِهِ مَنْ أَحْضَرَهُ وَحَبَسَهُ، ودعا لها
بِسَيْفٍ وَنَطْعٍ، وقال: وَاللَّهِ لَتَضْدُقَنِي أَوْ لَا ضَرْبَ بَنٍّ عَنْقَكَ! قالت: سَلْنِي عَمَّا تَرِيدُ؛
قال: أَخْبِرْنِي عَمَّا بَيْنَكَ وَبَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ؛ قالت: وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُهُ وَلَا رَأْيَتُهُ قَطُّ،
وَأَنَا جَارِيَةٌ مَنَشْنِي الْحِجَازُ، وَمِنْ هُنَاكَ حَمِلْتُ إِلَيْكَ، ووالله ما أعرف بهذه البلاد
أحدًا سِوَاكَ؛ فَرَقَّ لَهَا وَأَحْضَرَ الرَّجُلَ فَسَأَلَهُ، وَتَلَطَّفَ لَهُ فِي الْمَسْئَلَةِ، فلم يجد بينه
وبينها سبيلًا، ولم تَطْبُ نَفْسُهُ بِتَخْلِيَتِهِ سِوِيًّا خَفَاصًا؛ وَكُتِبَ فِي الْمُخْتَمَيْنِ بِمِثْلِ ذَلِكَ.
هذه الرواية الصحيحة .

الأسف العام للخصاء :

وقد أخبرني الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي
عَمِّي قَالَ :

(١) ويروى : « حتى طَلَّهَا السَّحَرُ » . وفي المحاسن والأضداد ص ٢٩٣ : « لما بلَّها السَّحَرُ » .

(٢) سَوِيًّا : كَامِلًا .

قيل للوليد بن عبد الملك : إن نساء قريش يدخل عليهن الخنثون بالمدينة ،
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل عليكن هؤلاء » ؛ فكتب
إلى ابن خزم الأنصاري أن أخصهم ، فخصاهم . فرأى ابن أبي عتيق فقال : أخصيتم
الدلال ؟ أما والله لقد كان يُحسن :

لَمَنْ رُبِعَ بذات الجِلْدِشْ أُمْسَى دَارِسًا خَلَقًا
تَأْبَدُ بعد ساكنه فأصبح أهله فِرَقًا
وَقَفْتُ به أسائله ومَرَّتْ عِيْسُهُمْ حِرَقًا

ثم ذهب ثم رجع ، فقال : إنما أعني خفيفه لست أعني ثقيله .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الواقدي عن ابن الماجشون :

أن خليفة صاحب الشرطة لما خَصِيَ الخنثون مرًا بأبيه الماجشون وهو في
حلقته ، فصاح به : تعال ، فجاؤا ؛ فقال : أخصيتم الدلال ؟ قال : نعم ؛ قال : أما إنه
كان يُجيد :

لَمَنْ رُبِعَ بذات الجِلْدِشْ أُمْسَى دَارِسًا خَلَقًا

ثم مضى غير بعيد فردّه ، ثم قال : أستغفر الله إنما أعني هزجه لا ثقيله .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني حمزة التوفلي قال :

صلى الدلالُ الخنث إلى جانبي في المسجد ، فصرطَ صُرْطَةً هائلة سمعها من
في المسجد ، فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد ، وهو يقول في سجوده رافعاً بذلك صوته :

(١) تأبد : توحش .

(٢) حرقا : جماعات .

(٣) في الأصول : « مرّ بابن الماجشون » وهو تحريف ، إذ الذي كان يعجبه الدلال ويستحسن
غناؤه ويدنيه ويقربه هو الماجشون لا آبنه ، وآبن الماجشون هذا لم ير الدلال ، وإنما تحدث إليه
عنه أبوه .

سَبَّحَ لَكَ أَعْلَايَ وَأَسْفَلِي ؛ فلم يبق في المسجد أحدٌ إلا قَتَنَ وقطع صلاته بالضحك

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن المدائني عن أشياخه :

أن عبد الله بن جعفر قال لصديق له : لو غَنَّتْكَ جاريتي فلانة .

لمن رُبِعٌ بذات الجليش أمسى دارساً خَلَقًا

لما أدركت ذَكَاتَكَ ؛ فقال : 'جَعِلْتُ فِدَاكَ' ، قد وَجَّبتُ جُنُوبَهَا فكلَّوا مِنْهَا
وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ؛ فقال عبد الله : يا غلام ، 'مَرُ' فلانة أن تَخْرُجَ ، فخرَّجت
مَعَهَا عودُهَا ؛ فقال عبد الله : إن هذا الشيخ يكره السَّمَاعَ ؛ فقالت : وَنِجْه ! لو
كره الطعامَ والشرابَ كانَ أَقْرَبَ إلى الصواب ! فقال الشيخ : فكيف ذاك وبِهَا
الحياة ! فقالت : إِنِّهَا رَبِّمَا قَتَلَا وهذا لا يقتل . فقال عبد الله غَنِّي :

لمن رُبِعٌ بذات الجليش أمسى دارساً خَلَقًا

فَغَنَّتْ ، فجعل الشيخ يَصْفَقُ ويرْقُصُ ويقول :

هذا أَوَانُ الشَّدْرِ فَأَسْتَدِي زَيْمٌ

ويحرك رأسه ويدور حتى وقع مغشياً عليه ، وعبد الله بن جعفر يضحك منه .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال :
مرَّ القَمر بن يزيد بن عبد الملك حاجاً ، فغَنَّاهُ الدَّلَالُ :

(١) كل مذبوح ذكاة؛ قال الله تعالى : (وما أكل السبع إلا ما ذكيت) أي إلا ما أدركتم
ذكاته ، والتذكية : أن تدرك الشاة وغيرها وفيها بقية تشخب معها الأوداج وتضطرب اضطراب
المذبوح ؛ والمعنى أنها تلهيه بفنائها عن ذبح ذكاته فتتوت ولا ينتفع بها .

بانت سعادُ وأمسى جبلها أنصرما واحتلت الغمرُ فالأجراعُ من إضما

فقال له الغمر : أحسنتَ والله ، وغلبتَ فيه ابنُ سُريج ؛ فقال له الدلال : نعمةُ
الله عليّ فيه أعظمُ من ذلك ؛ قال : وما هي ؟ قال : السُّمعة ، لا يسمعه أحدٌ إلا
علم أنه غناء مخنثٌ حقاً .

نسبة هذا الصوت :

صوت

بانت سعادُ وأمسى جبلها أنصرما واحتلت الغمرُ فالأجراعُ من إضما
إحدى بليّ وما هام الفؤادُ بها إلا السفاهة وإلا ذُكوةٌ حلماً
هلاً سألت بني ذبيانَ ما حَسبي إذا الدُخانُ تَغشى الأشمطَ البرما

الشعر للنابعة الذبياني . والغناء للدلال خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى عن

- (١) « الغور » . والغمر : الماء الكثير أو بئر قديمة بمكة أو موضع بينه وبينها يومان .
(٢) الأجراع : جمع جرع وهو مفرد أو جمع جرعة وهي الرملة الطيبة المنبت لا وعرثة فيها .
(٣) إضم : واد يجبل تهامة هو الوادي الذي فيه المدينة . وقد ورد هذا البيت في ديوان النابعة
الذبياني هكذا :

بانت سعادُ وأمسى جبلها انجذما واحتلت الشرعُ فالأجزاء من إضما
وشرع : قرية على شرقي ذرةٍ فيها مزارع ونخيل على عيون ، وواديها يقال له رخيم . والأجزاء :
جمع جزع بالكسر - وقال أبو عبيدة : اللائق به أن يكون مفتوحاً - : منعطف الوادي . وفي
الناج (مادة أضم) :

واحتلت الشرع فالحنتين من إضما

والحبت : المنع من بطون الأرض .

(٤) بليّ كفني : قبيلة من قضاة . والسفاهة : الطليش وخفة الحلم . والذكرة (بالكسر والضم) :
نقيض النسيان .

(٥) تغشى : تلبس . والأشمط : الذي خالطه الشيب . وخس الأشمط لانه أجزع للبرد من الشاب
فهو يتغشى النار قبله . والبرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر .

الهشامي . وفيه خفيفٌ ثقيلٌ بالبصرة لمعبد عن عمرو بن بانه . وفيه لابن سريج
ثقلٌ أولٌ بالبصرة عن حبش . وفيه لنشيط ثاني ثقيلٌ بالبصرة عنه . وذكر
الهشامي أن لحن معبد ثقيلٌ أولٌ ، وذكر حماد أنه للغريض . وفيه لجميلة ودحمان
لحنان ، ويقال : إنها جميعاً من الثقيل الأول .

احتكم اليه شيعي ومرجئي :

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حماد بن إسحاق إجازة عن أبيه عن
المدائني قال :

إختصم شيعيٌ ومرجئيٌ ، فجلا بينهما أولٌ من يطلع ، فطلع الدلال ؛ فقال
له : أبا زيد ، أيهما خيرٌ : الشيعي أم المرجئي ؟ فقال : لا أدري إلا أن أعلاي
شيعي وأسفلي مرجئي !

هربه الى مكة :

قال إسحاق قال المدائني وأخبرني أبو مسكين عن فليح بن سليمان قال :

كان الدلال ملازماً لأمّ سعيد الأسلمية وبنت ليحيى بن الحكم بن أبي
العاصي ، وكانتا من أئجنر النساء ، كانتا تخرجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما
حتى تبدوا خلأخيلهما ؛ فقال معاوية لمروان بن الحكم : إكفني بنت أخيك ؛
فقال : أفعل ؛ فاستأزرها ، وأمر ببئر خفرت في طريقها ، وغطيت بحصير ، فلما
مشت عليه سقطت في البئر فكانت قبرها . وطلب الدلال فهدب إلى مكة ؛
فقال له نساء أهل مكة : قتلن نساء أهل المدينة وجئت لتقتلنا ! فقال : والله

(١) المرجئة : جماعة كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد ، وكانوا يقولون : لا يضر مع
الائمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وهم فرق أربع : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ،
ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة .

ما قتلهنّ إلا الحُكّاك ؛ فقلن : اغرب أخراك الله ، ولا أدنى بك دارا ، ولا
أذانا بك ؛ قال : فمن لَكُنْ بعدي يدلّ على دائكُنْ ويعلم موضع شقائقكُنْ ؟
والله ما زنيت قطّ ولا زُنّي بي ، وإني لأشتهي ما تشتهي نساؤكم ورجالكم .

قال إسحاق وحدثني الواقدي عن ابن الماجشون قال :

كان أبي يُعجبه الدّلال ويستحسن غناؤه ويُدنيه ويقربّه ، ولم أره أنا ، فسمعتُ
أبي يقول : غنّاني الدّلال يوماً بشعر مجنون بني عامر ، فلقد خفتُ الفتنة على نفسي ؛
فقلت : يا أبت ، وأيّ شعر تغنّي ؟ قال قوله :

صوت

عسى الله أن يُجري المودةَ بيننا ويوصلَ جلاً منكمُ بجبالياً
فكم من خليلي جفوة قد تقاطعا على الدهر لما أن أطلاا التّلاقياً
وإني لني كُربٍ وأنتِ خليةٌ لقد فارقتُ في الوصف حالكِ حالياً
عبتُ فما أعتبتني بمودةٍ ورمتُ فما أسعفتني بسؤالياً

الغناء في هذا الشعر للغريز ثقيلٌ أول بالوسطى ، ولا أعرف فيه لحناً غيره .
وذكر حماد في أخبار الدّلال أنه للدّلال ، ولم يحسّه .

قال إسحاق وحدثني الواقدي عن عثمان بن إبراهيم الخاطبي قال :

قديمُ مَخْنَث من مكة يقال له مَخْنَة ، جاء إلى الدّلال فقال : يا أبا زيد ، دُلّني
على بعض مَخْنَثي أهل المدينة أكايده وأمازحه ثم أجاذبه ؛ قال : قد وجدته لك
= وكان خُثيمُ بن عِراك بن مالك صاحبُ شرطة زياد بن عبيد الله الحارثي

(١) يوافق ما جاء في تهذيب التهذيب وطبقات ابن سعد (ج ٥ ص ١٨٧) وتقريب التهذيب
وشرح القاموس .

(٢) موافق لما في الطبري (قسم ٢ ص ١٤٦٨ طبع أوروبا) وابن الأثير (ج ٥ ص ٣٤٥)
طبع أوروبا .

جاره ، وقد خرج في ذلك الوقت ليصلي في المسجد - فأومأ إلى خُثيم فقال :
 ألحقه في المسجد فإنه يقوم فيه فيصلي ليرائي الناس ، فإنك ستظفر بما تريد منه ؛
 فدخل المسجد وجلس إلى جنب ابن عراق ، فقال : عجلي بصلاتك لا صلى الله
 عليك ؛ فقال خُثيم : سبحان الله ؛ فقال الخنث : سبحت في جامعة قراصة ،
 انصرفي حتى أتحدث معك ؛ فأنصرف خُثيم من صلاته ، ودعا بالشرط والسيطر
 فقال : خذوه ، فأخذوه فضربه مائة وجبهه .

أضحك الناس في الصلاة :

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال :

صلى الدلال يوماً خلف الإمام بمكة فقرأ : (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ؛ فقال الدلال : لا أدري والله ! فضحك أكثر الناس وقطعوا
 الصلاة ؛ فلما قضى الوالي صلاته دعا به ، وقال له : ويلك ! ألا تدع هذا المجون
 السفه ! فقال له : قد كان عندي أنك تعبد الله ، فلما سمعتك تستفهم ، ظننت أنك
 قد تشككت في ربك فثبتت ؛ فقال له : أنا شككت في ربي وأنت ثبتتني !
 إذهب لعنك الله ! ولا تعاود فأبالغ والله في عقوبتك ! .

قال إسحاق وحدثني الواقدي عن عثمان بن إبراهيم قال :

سأل رجل الدلال أن يزوجه امرأة فزوجته ، فلما أعطها صداقها وجاء بها
 إليه فدخلت عليه ، قام إليها فواقعها ، فضرطت قبل أن يوطأها ، فكسل عنها الرجل
 ومقتها وأمر بها فأخرجت وبعث إلى الدلال ، فعرّفه ما جرى عليه ؛ فقال له الدلال :
 فديتُك هذا كله من غرة نفسها ؛ قال : دعني منك ، فإني قد أبغضتها ، فأردد
 عليّ دراهمي ، فردّ بعضها ؛ فقال له : لم رددت بعضها وقد خرجت كما دخلت ؟

(١) ولعلها « فباس في المسجد » .

(٢) الجامعة : الغل لأنها تجمع اليدين الى العنق .

قال : للروعة التي أدخلتها على أسيها ، فضحك وقال له : اذهب فأنت أقضى الناس وأفقههم .

سكرو مع فتية :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن سلام عن أبيه ، قال وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه :

أن الدلال خرج يوماً مع فتية من قریش في نزهة لهم ، وكان معهم غلام جميل الوجه ، فأعجبه ؛ وعلم القوم بذلك ، فقالوا : قد ظفروا به بقيّة يومنا ، وكان لا يصبر في مجلس حتى ينقضي ، وينصرف عنه استثقلاً لمحادثة الرجال ومحبة في محادثة النساء ؛ فعمزوا الغلام عليه ؛ وفطن لذلك فغضب ، وقام لينصرف ؛ فأقسم الغلام عليه والقوم جميعاً فجلس ؛ وكان معهم شراب فشرّبوا ، وسقّوه وحملوا عليه لئلا يبرح ، ثم سألوه أن يغنيهم فغنّاهم :

صوت

زُبَيْرِيَّةٌ بِالْعَرَجِ مِنْهَا مَنَازِلُ وَبِالْحَيْفِ مِنْ أَدْنَى مَنَازِلِهَا رَسْمٌ
أَسْأَلُ عَنْهَا كُلَّ رَكْبٍ لَقِيَتْهُ وَمَا لِي بِهَا مِنْ بَعْدِ مَكَّنَتِنَا عِلْمٌ
أَيَا صَاحِبَ الْحَيَاتِ مِنْ بَطْنِ أَرْنَدٍ إِلَى النَّخْلِ مِنْ وَدَّانَ مَا فَعَلْتُ نَعْمُ
فَإِنْ تَكْ حَرْبٌ بَيْنَ قَوْمِي وَقَوْمِهَا فَإِنِّي لَهَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ سَلَمُ

(١) ويروى : «وبالحيف من أعلى منازلها رسم» .

(٢) أرنند : اسم وادي بين مكة والمدينة في وادي الأبواء . وودّان : قرية جامعة من نواحي الفرع ، بينها وبين همرشي ستة أميال ؛ وبينها وبين الأبواء نحو ثمانية أميال . ويروى «أربد» وهي قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب .

(٣) النازلة : العداوة والشحناء ، مشتقة من النار .

ذكر يحيى المكّي وعمرو بن بانه أن الغناء في هذا الشعر لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى، وذكر غيرهما أنه للدلال. وفيه لخارق رمل. وذكر إسحاق هذا اللحن في طريقة الثقل الثاني ولم ينسبه إلى أحد - قال: فاستطير القوم فرحاً وسروراً وعلا نعيمهم؛ فنذر بهم السلطان، وتعادت الأشراف، فأحسوا بالطلب فهربوا؛ وبقى الغلام والدلال ما يطيقان براحاً من السكر؛ فأخذوا فأقي بها أمير المدينة؛ فقال للدلال: يا فاسق؛ فقال له: من فلك إلى السماء؛ قال: جئوا فكّه؛ قال: وعنقه أيضاً. قال: يا عدو الله، أما وسعك بيتك حتى خرجت بهذا الغلام إلى الصحراء تفسق به! فقال: لو علمت أنك تغار علينا وتشتهي أن نفسق سرّاً ما خرجت من بيتي؛ قال: جردوه وأضربوه حدّاً؛ قال: وما ينفعك من ذلك! وأنا والله أضرب في كل يوم حدوداً؛ قال: ومن يتولّى ذلك منك؟ قال: أئور المسلمين؛ قال: ابطحوه على وجهه واجلسوا على ظهره؛ قال: أحسب أن الأمير قد اشتهى أن يرى كيف أفك. قال: أقيموه لعنه الله وأشهروه في المدينة مع الغلام؛ فأخرجوا يُدار بها في السكك. فقيل له: ما هذا يا دلال؟ قال: اشتهى الأمير أن يجمع بين الرأسين، فجمع بيني وبين هذا الغلام ونادى علينا، ولو قيل له الآن: إنك قواد غضب! فبلغ قوله الوالي فقال: خلّوا سبيلهما، لعنة الله عليهما.

شهادة معبد فيه:

قال إسحاق في خبره خاصّة - ولم يذكره أيوب - فحدثني أبي عن ابن جامع عن سباط قال:

(١) نذر: علم.

(٢) تعادت: من العدو وهو سرعة الجري.

(٣) جنّوا: اضربوا، يقال: وجأ عنقه يوجّسه وربما قيل: يجأ (وزان يضع) والأمر هنا جاء على هذا التصريف.

سمعت يونس يقول قال لي مَعْبِد : ما ذكرتُ غناء الدُّلَال في هذا الشعر :

زُبَيْرِيَّةٌ بِالْعَرَجِ مِنْهَا مَنَازِلُ

إِلَّا جَدَّدَ لِي سُرُورًا، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ سَبَقْتُهُ إِلَيْهِ لِحُسْنِهِ عِنْدِي . قال يونس :
فقلت له : ما بلغَ من حُسْنِهِ عِنْدَكَ ؟ قال : يكفيك أني لم أسمع أحسنَ منه قط .

الْمُحَنَّثُونَ :

أخبرني الحسين عن حمَّاد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان
قال :

كان بالمدينة عُرْسٌ ، فَاتَّفَقَ فِيهِ الدُّلَالُ وَطُورِيسُ وَالْوَلِيدُ الْمُحَنَّثُ ، فَدَخَلَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُمَا قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَجْلَسَ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ هَؤُلَاءِ ؛
فَقَالَ لَهُ طُورِيسُ : قَدْ عَلِمْتَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ نِكَايَتِي فِيكَ وَأَنْ جَرَحِي إِيَّاكَ لَمْ
يَنْدَمِلْ - يَعْنِي خَبَرَهُ مَعَهُ بِحُضْرَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَذَكَرَهُ لَعَنَتَهُ الْفَارِغَةَ -
فَارْبَحَ نَفْسَكَ وَأَقْبَلَ عَلَى شَأْنِكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا قِيَامَ لَكَ بَيْنَ يَفْهَمِكَ فَهْمِي . وَقَالَ لَهُ
الدُّلَالُ : يَا أَخَا الْأَنْصَارِ إِنْ أَبَا عَبْدَ النَّعِيمِ أَعْلَمُ بِكَ مِنِّي ، وَسَأَعْلَمُكَ بَعْضَ مَا أَعْلَمُ
بِهِ . ثُمَّ أُنْذِفَ وَنَقَرَ بِالْأُذُنِ ، وَكَلَّمَهُمْ يَنْقُرُ بِدُفِّهِ مَعَهُ ، فَتَغَنَّى :

صوت

أَتَهْجُرُ يَا إِنْسَانُ مِنْ أَنْتَ عَاشِقُهُ وَمِنْ أَنْتَ مُشْتَاقُ إِلَيْهِ وَشَائِقُهُ^(١)
وَرِيمُ أَحْمَرَ الْمُقْلَتَيْنِ مُوَشَّحُ زَرَابِيهِ^(٢) مَبْشُوثُهُ^(٣) وَغَارِقُهُ^(٤)
تَرَى الرِّقْمَ^(٥) وَالْدِّيْبَاجَ فِي بَيْتِهِ مَعًا كَمَا زَيْنَ الرُّوضِ الْأَنْثِقَ^(٦) حَدَائِقُهُ

(١) و يروى : « و وامقه » .

(٢) الزرابي : البسط . وقيل : كل ما بسط وآتكم عليه . والنارق : الوسائد .

(٣) الرقم : ضرب مخفط من الوشي أو الخرز أو البرود .

(٤) و يروى : « الروض الأنث » والآنث : الكثير ، العظيم .

وَسِرْبُ ظِلَاءٍ تَرْتَمِي جَانِبَ الرِّجْلِ إِلَى الْجَوِّ فَالْحَبَّتَيْنِ بَيْضُ عَقَائِقُهُ^٢
وَمَا مِنْ حِمَى فِي النَّاسِ إِلَّا لَنَا حِمَى وَإِلَّا لَنَا غَرْبِيَّةٌ وَمِشَارِقُهُ

فَأَسْتَضْحَكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ غَفِّرَا، وَجَلَسَ.

لَحْنُ الدَّلَالِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ هَزَجٌ بِالْبِنْصَرِ عَنْ يَحْيَى الْمَكِّيِّ وَحَمَّادٍ.

استدعاء الخليفة له :

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَمْعِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ
ابْنِ عُمَانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ : سَمِعْتُ عُمَى عُتْبَةَ يَقُولُ حَدَّثَنِي
مَوْلَى لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ :

كَانَ الدَّلَالُ ظَرِيفًا جَمِيلًا حَسَنَ الْبَيَانِ، مِنْ أَحْضَرَ النَّاسِ جَوَابًا وَأَحْبَبَهُمْ؛
وَكَانَ سَلِيانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ رَقَّ لَهُ حِينَ خُصِّيَ غَلَطًا، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَوْلَى لَهُ وَقَالَ
لَهُ : جِئْتَنِي بِهِ سِرًّا، وَكَانَتْ تَبْلُغُهُ نَوَادِرُهُ وَطِيبُهُ، وَحَذَّرَ رَسُولُهُ أَنْ يَعْلَمَ بِذَلِكَ
أَحَدٌ؛ فَتَفَقَّدَ الْمَوْلَى إِلَيْهِ وَأَعْلَمَهُ مَا أَمَرَهُ بِهِ، وَأَمَرَهُ بِالْكَمْتَانِ وَحَذَّرَهُ أَنْ يَقِفَ عَلَى
مَقْصَدِهِ أَحَدٌ، فَفَعَلَ، وَخَرَجَ بِهِ إِلَى الشَّامِ؛ فَلَمَّا قَدِمَ أَتَاهُ الْمَوْلَى مَنَزَلَهُ وَأَعْلَمَ سَلِيانَ
بِمَكَانِهِ؛ فَدَعَا بِهِ لَيْلًا؛ فَقَالَ : وَيْلَكَ مَا خَبْرُكَ؟ فَقَالَ : 'جِئْتُ مِنْ الْقُبُلِ مَرَّةً
أُخْرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَهَلْ تَرِيدُ أَنْ تَجِبَنِي الْمَرَّةَ مِنَ الدُّبُرِ؟! فَضِجِكَ وَقَالَ :
اعْزُبْ أَخْرَاكَ اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ : غِنٍ؛ فَقَالَ : لَا أَحْسَنَ إِلَّا بِالْدَفِّ؛ فَأَمَرَ فَأُتِيَ لَهُ
بِدَفٍّ، فَغَنَى فِي شَعْرِ الْعَرَجِيِّ :

أَنِّي رَسَمْتُ دَارَ دَمْعِكَ الْمُتَحَدِّرُ سَفَاها وَمَا أَسْتَنْطَاقُ مَا لَيْسَ يُخْبِرُ
تَغْيِيرَ ذَاكَ الرَّبْعِ مِنْ بَعْدِ جِدَّةٍ وَكُلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً مُتَغَيِّرُ

(١) الجوّ والحبّتان : كلاهما موضع .

(٢) الأقرب أن يكون « بَيْضُ عَقَائِقِهِ » مرتبطاً بالموضع الذي قبله ، وأن يكون المراد
بالمعاقق : النّهاء (جمع نهي بالكسر) والغدران في الإخاديد المنعقة (العميقة) .

لأَسْمَاءِ إِذْ قَلْبِي بِأَسْمَاءٍ مُغْرَمٌ وَمَا ذَكَرْتُ أَسْمَاءَ الْجَمِيلَةِ مُهَجَّرٌ
وَمَشَى ثَلَاثَ بَعْدَ هَذِهِ كَوَاعِبِ كَمَثَلِ الدُّمَى بَلْ هُنَّ مِنْ ذَلِكَ أَنْضَرُ
فَسَلَّمَن تَسْلِيماً خَفِياً وَسَقَطْتُ مَصَاعِبَةً ظَلَعُ مِنَ السَّيْرِ حُسْرُ
لَهَا أَرْجٌ مِنْ زَاهِرِ الْبَقْلِ وَالْثَرَى وَبُرْدٌ إِذَا مَا بَاشَرَ الْجِلْدَ يَخْصُرُ^(١)
فَقَالَتْ لِتَرْبِيهَا الْغَدَاةَ تَبْعِيًّا بَعِينَ وَلَا تَسْتَبْعِدَا حِينَ أَبْصُرُ
وَلَا تُظْهِرَا بُرْدَيْكُمَا وَعَلَيْكُمَا كَسَاءُ أَنْ مِنْ خَزَرٍ بِنَفْسٍ وَأَخْضَرُ
فَعَدَى فَمَا هَذَا الْعَتَابُ بِنَافِعِ هَوَايَ وَلَا مَرْجِيهِ الْهَوَى حِينَ يُقْصِرُ

فقال له سليمان : حق لك يا دلال أن يقال لك الدلال ! أحسنت وأجملت فوائده
ما أدري أي أمريك أعجب : أسرع جوابك وجودة فهمك أم حسن غنائك ،
بل جميعاً عجب ! وأمر له بصلة سنية ؛ فأقام عنده شهراً يشرب على غنائه ، ثم
سرحه إلى الحجاز مكرماً .

قصته مع قائد :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال :

حج هشام بن عبد الملك ، فلما قدم المدينة نزل رجل من أشرف أهل الشام
وقوادهم بجانب دار الدلال ، فكان الشامي يسمع غناء الدلال ويصغي إليه ويصعد
فوق السطح ليقرب من الصوت ؛ ثم بعث إلى الدلال : إماً أن تزورنا وإما

(١) الهدى : الهزيع من الليل ، وقيل : من أوله إلى ثلثه وذلك ابتداء سكونه .

(٢) مصاعبة : جمع مصعب وهو الفعل الذي تركه فلم تركه ولم يمه حبل حتى صار صعباً .

(٣) يخصر : يبرد .

(٤) تبقي بعين أي انتظروا بمرأى مني ، يقال : بقاء وبقاء وأبقاء وبقاء كله بمعنى انتظروا .
ويروى : « قالت لتربيتها فديت تبقي بعين ... » . وأيضاً : « قالت لتربيتها الغداة تبقي لعين ... » .

(٥) ويروى : « بنفس » .

أن تزورك؛ فبعث إليه الدلال : بل تزورنا ، فتهياً الشامي ومضى إليه ، وكان للشامي غلمان رُوقة^(١) ، فضى معه بعلامين منهم كأنهما دُرَّتَان؛ فغنَّاه الدلال :

قد كنتُ آمُلُ فيكمُ أملاً والمرء ليس بمُدركٍ أمله
حتى بدا لي منكمُ خُلفٌ فزجرتُ قلبي عن هوى جهلة^(٢)
ليس الفتى بمخلدٍ أبداً حقاً وليس بفائتٍ أجله
حيَّ العمودَ ومن بعثوته^(٣) وقفاً العمودَ وإن جلا أهله^(٤)

قال : فأستحسن الشامي غناءه ، وقال له : زدني؛ فقال : أو ما يكفيك ما سمعت ؟
قال : لا والله ما يكفيني؛ قال : فإن لي اليك حاجة ؛ قال : وما هي ؟ قال :
تبيعني أحدَ هذين الغلامين أو كليهما ؛ قال : اختر أيهما شئت ؛ فأختار أحدهما ؛
فقال الشامي : هو لك ، فقبله الدلال ، ثم غنَّاه :

دعني دواعٍ من أرياً فهيجتُ هوى كان قدماً من فؤادٍ طروبٍ
لعلَّ زماناً قد مضى أن يعود لي فتغفرَ أروى عند ذاك ذنوبي
سبَّني أرياً يوم نغفُ مُحسِرٍ^(٥) بوجهٍ جميلٍ للقابِ سَلوبٍ

فقال له الشامي : أحسنت ! ثم قال له : أيها الرجل الجميل ، إن لي اليك حاجة ؛
قال : وما هي ؟ قال : أريد وصيفةً وُلدت في حجرٍ صالح ، ونشأت في خير ،
جميلة الوجه مجدولة ، وضيئة ، جعدة^(٦) ، في بياض مُشرَبة^(٧) حمرة ، حسنة القامة ،

(١) الروقة : الحسان ، يقال : غلمان روقة وجارية روقة .

(٢) ويروى : فزجرت قلبي فارعوى جهلة .

(٣) العقوة : الساحة .

(٤) كذا في جميع الأصول ، ولا يخفى ما فيه من عيوب الشعر .

(٥) النغف : المرتفع من الأرض في اعتراض . وقيل : ما انحدر عن السفح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط . وعسر : موضع بين مكة وعرفة ، وقيل : بين منى وعرفة ، وقيل : بين منى والمزدلفة .

(٦) الجعدة : التي في شعرها جمودة .

سَبْطَةُ^(١)، أَسِيلَةُ الْحَدَّ، عَذْبَةُ اللِّسَانِ، لَهَا شَكْلٌ وَدَلٌّ، تَمَلَّأُ الْعَيْنَ وَالنَّفْسَ. فَقَالَ لَهُ الدَّلَالُ: قَدْ أَصَبْتُهَا لَكَ، فَمَا لِي عَلَيْكَ إِنْ دَلَّلْتُكَ؟ قَالَ: غَلَامِي هَذَا؛ قَالَ: إِذَا رَأَيْتَهَا وَقِيلَتْهَا فَالْغَلَامَ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ؛ فَأَتَى أَمْرَأَةً كَتَبَتْ عَنْ أَسْمَاءَ، فَقَالَ لَهَا: جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنَّهُ تَزَلُ بِقُرْبِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ قَوَادِ هِشَامَ لَهُ ظَرْفٌ وَسَخَاءٌ، وَجَاءَنِي زَائِرًا فَأَكْرَمْتُهُ، وَرَأَيْتُ مَعَهُ غَلَامَيْنِ كَأَنَّهُمَا الشَّمْسُ الطَّالِعَةُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ وَالْكَوَاكِبُ الرَّاهِرَةُ؛ مَا وَقَعْتُ عَيْنِي عَلَى مِثْلِهَا وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي بِوصفِهَا، فَوَهَبَ لِي أَحَدَهُمَا وَالْآخَرَ عَنْدَهُ؛ وَإِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَيَّ فَتَنَفَّسِي خَارِجَةً. قَالَتْ: فَتَرِيدُ مَاذَا؟ قَالَ: طَلَبْتُ مَنِي وَصِيفَةً يَشْتَرِيهَا عَلَى صِفَةٍ لَا أَعْلَمُهَا فِي أَحَدٍ إِلَّا فِي فَلَانَةٍ بِنْتِكَ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تُرِيَهَا لِي؟ قَالَتْ: وَكَيْفَ لَكَ بِأَنْ يَدْفَعَ الْغَلَامَ إِلَيْكَ إِذَا رَأَاهَا؟ قَالَ: فَإِنِّي قَدْ شَرَطْتُ عَلَيْهِ ذَلِكَ عِنْدَ النَّظَرِ لَا عِنْدَ الْبَيْعِ، قَالَتْ: فَشَأْنُكَ وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ بِذَلِكَ. فَضَى الدَّلَالُ خِجَاءَ الشَّامِيِّ مَعَهُ؛ فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَرْأَةِ أَدْخَلَتْهُ، فَإِذَا هُوَ بِحِجَلَةٍ^(٢) وَفِيهَا أَمْرَأَةٌ عَلَى سَرِيرٍ مُشْرِفٍ بِرُزَّةٍ^(٣) حَمِيلَةٍ، فَوَضَعَ لَهُ كُرْسِيًّا جَلَسَ؛ فَقَالَتْ لَهُ: أَمِنْ الْعَرَبِ أَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَتْ: مَنْ أَتَيْهِمْ؟ قَالَ: مِنْ خُرَاعَةٍ؛ قَالَتْ: مَرْجَبًا بِكَ وَأَهْلًا، أَيُّ شَيْءٍ طَلَبْتَ؟ فَوَصَفَ الصِّفَةَ؛ فَقَالَتْ: أَصَبْتُهَا، وَأَصَفْتُ^(٤) إِلَى جَارِيَةٍ لَهَا فَدَخَلَتْ فَكَشَتْ هُنَيْهَةً^(٥) ثُمَّ خَرَجَتْ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهَا الْمَرْأَةُ فَقَالَتْ لَهَا: أَيُّ حَبِيبَتِي، أَخْرَجْتِي؛ فَخَرَجَتْ وَصِيفَةً^(٦) مَا رَأَى الرَّأُوْنَ مِثْلَهَا؛ فَقَالَتْ لَهَا: أَقْبِلِي فَأَقْبَلْتُ، ثُمَّ قَالَتْ لَهَا: أَدِيرِي، فَأَدِيرْتُ تَمَلَّأُ الْعَيْنَ وَالنَّفْسَ؛ فَمَا بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ. فَقَالَتْ: أَتُحِبُّ أَنْ نُؤْزِرَهَا^(٧) لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَتْ: أَيُّ حَبِيبَتِي أَتَزِيرِي، فَضَمَّهَا الْإِزَارُ^(٨) وَظَهَرَتْ مُحَاسِنُهَا الْخَفِيَّةُ وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى عَجِيزَتِهَا وَصَدْرُهَا، ثُمَّ قَالَتْ: أَتُحِبُّ أَنْ تُجَرِّدَهَا^(٩) لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَتْ: أَيُّ حَبِيبَتِي وَضَحِي؛ فَأَلْقَتْ إِزَارَهَا فَإِذَا أَحْسَنُ خَلَقَ اللَّهُ

(١) يقال: غلام سبط الجسم أي حسن القدر لطيفه. وفي بعض النسخ: «شائلة» أي حسنة القوام في اعتدال.

(٢) الحجلة: بيت يزين بالتياب والامرأة والستور.

(٣) أي مالت إليها برأسها.

كأنها سبيكة . فقالت : يا أخا أهل الشام كيف رأيت ؟ قال : مُنية المتمني ؛ قال : بكم تقولين ؟ قالت : ليس يومُ النظر يومَ البيع ، ولكن تعود غداً حتى نُبَايعَكَ ولا تنصرف إلا على الرضا ، فانصرف من عندها ؛ فقال له الدلال : أَرْضَيْتَ ؟ قال : نعم ، ما كنت أحسب أن مثل هذه في الدنيا ، فإن الصفة لتُضَرُّ دونها ؛ ثم دفع إليه الغلام الثاني . فلما كان من الغد قال له الشامي : امض بنا فصيلاً حتى قرعنا الباب ؛ فأذن لهما ، فدخلوا وسَلِمَا ، وَرَحَّبَتِ الْمَرْأَةُ بهما ثم قالت للشامي : أعطنا ما تبذل ؛ قال : ما لها عندي ثمنٌ إلا وهي أكبرُ منه ، فقولي يا أمة الله ؛ فقالت : بل قل ، فإننا لم نُوطِئَكَ أعقابنا ونحن زريدٌ خلافاً وأنت لها رضا ؛ قال : ثلاثة آلاف دينار ؛ فقالت : والله لقبلتُ من هذه خيرٌ من ثلاثة آلاف دينار ؛ قال : بأربعة آلاف دينار ؛ قالت : غفر الله لك ! أعطنا أيها الرجل ؛ قال : والله ما معي غيرها - ولو كان لزدتك - إلا رقيقٌ ودوابٌ وخُرْتُ أَحْمَلُهُ اليك ؛ قالت : ما أراك إلا صادقاً ، أتدري من هذه ؟ قال : تُخْبِرُنِي ، قالت : هذه ابنتي فلانة بنت فلان وأنا فلانة بنت فلان ، وقد كنت أردت أن أعرضَ عليك وصيفةً عندي ، فأحببتُ إذا رأيتُ غداً غُلَظَ أَهْلَ الشَّامِ وجفاءهم ذكرتُ ابنتي فعلتُ أنكم في غير شيء ، ثمُ راشداً . فقال للدلال : خدعتني ! قال : أو لا تَرْضَى أَنْ تَرَى ما رأيتَ من مثلها وتَهَبَ مائةَ غلامٍ مثلَ غلامك ؟ ! قال : أما هذا فنعم ، وخرجا من عندها .

نسبة ما عرفت نسبته من الغناء المذكور في هذا الخبر

صوت

قد كنتُ أَمَلُ فيكمُ أَمَلًا والمرء ليس بمُدْرِكٍ أَمَلَةٍ
حتى بدا لي منكم خُلفٌ فزجرتُ قلبي عن هَوَى جَهْلَةٍ

(١) الحرثي : متاع البيت وأثاثه ، وهو أيضاً أردأ المتاع .

الشعر للثغيرة بن عمرو بن عثمان . والغناء للدلال ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الاول بالينصر في مجراها ؛ وجدته في بعض كتب إسحاق بخط يده هكذا . وذكر علي بن يحيى المنجم أن هذا اللحن في هذه الطريقة لابن سريج ، وأن لحن الدلال خفيف ثقيل نشيد . وذكر أحمد بن المكي أن لحن الدلال ثاني ثقيل بالوسطى ، ولحن ابن سريج ثقيل أول . وفيه لمتيم وعريب خفيفاً ثقيل ، المطلق المسجج منها لعريب .

ومنها :

صوت

دعشتي دواعٍ من أرياً فهيئتُ هوى كان قدماً من فؤادٍ طروب
سبتني أرياً يوم تغفر محير بوجه صبيح للقلوب سلوب
لعل زماناً قد مضى أن يعود لي وتغير أروى عند ذاك ذنوبي

الغناء للدلال خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها من رواية حماد عن أبيه ؛ وذكر يحيى المكي أنه لابن سريج .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي قبيصة قال :

جاء الدلال يوماً الى منزل نائلة بنت عمارة الكلبي ، وكانت عند معاوية فطلعتها ، ففرع الباب فلم يفتح له ؛ فغنى في شعر مجنون بني عامر ونقر بدقه :

خلي لا والله ما أملك البكا إذا علم من أرض لتي بداليا
خلي إن بانوا بلي فهيتا لي التعش والأكفان واستغفرا ليا

فخرج حشماً فزجروه وقالوا : تفتح عن الباب . وسيمت الجلبة ، فقالت : ما هذه الضجة بالباب ؟ فقالوا : الدلال ؛ فقالت : ائذنوا له . فلما دخل عليها شق ثيابه

وطرح التراب على رأسه وصاح بويله وحربه؛ فقالت له : الويلُ وويلك ! ما دهاك ؟ وما أمرك ؟ قال : ضربني حشمتك ؛ قالت : ولم ؟ قال : غنيتُ صوتاً أريد أن أسمعك إياه لأدخل اليك ؛ فقالت : أف لهم وتف ! نحن نبليغ لك ما تحب ونحسن تأديتهم ؛ يا جارية هاتي ثياباً مقطوعة ؛ فلما طرحت عليه جالس ؛ فقالت : ما حاجتك ؟ قال : لا أسألك حاجة حتى أغتنيك ؛ قالت : فذاك اليك ؛ فاندفع يغني شعر جميل :

إرحمني فقد بليتُ فحسبي بعضُ ذا الداءِ يا بُشينةُ حسبي
لامني فيك يا بُشينةُ صَحبي لا تلوُموا قد أقرح الحبُّ قلبي
زعم الناسُ أن دائيَ طِبي أنتِ واللهِ يا بُشينةُ طِبي

ثم جلس ، فقال : هل من طعام ؟ قالت : عليّ بالمائدة ؛ فأتي بها كأنها كانت مُهيأةً عليها أنواعُ الأطعمة ، فأكل . ثم قال : هل من شراب ؟ قالت : أمأً نبيدٌ فلا ، ولكن غيره . فأتي بأنواع الأشربة فشرب من جميعها . ثم قال : هل من فاكهة ؟ فأتي بأنواع الفواكه فتفكَّه . ثم قال : حاجتي خمسة آلاف درهم ، وخمسُ حُلل من حلل معاوية ، وخمسُ حلل من حلل حبيب بن مسلمة ، وخمسُ حلل من حلل الثَّعْبان بن بشير ؛ فقالت : وما أردتَ بهذا ؟ قال : هو ذاك والله ما أرضى ببعض دون بعض ، فإمَّا الحاجة وإمَّا الرد ؛ فدعت له بما سأل ؛ فقبضه وقام . فلما توسَّط الدارَ غنى ونقر بدقه :

ليت شعري أجفوةٌ أم دلالٌ أم عدوٌّ أتي بُشينةُ بعدي
فمُرِّني أطفئك في كل أمرٍ أنتِ واللهِ أوجهُ الناسِ عندي

وكانت نائلةً عند معاوية ، فقال لفاحشة بنت قُرَظَةَ : اذهبي فأنظري إليها ،

(١) ويروى : أنت والله يا حبيبتك طلي

(٢) يوافق ما في الطبري (قسم أول ص ١٨٨٩ طبع أوروبا) .

فذهبت فنظرت إليها؛ فقالت له : ما رأيتُ مثلاً، ولكنني رأيت تحت سُرَّتِها
خالاً ليوضعن منه رأسُ زوجها في حجرها؛ فطلقها معاوية، فتزوجها بعده رجلان:
أحدهما حبيب بن مسلمة، والآخر الثعمان بن بشير؛ فقتل أحدهما فوضع رأسه
في حجرها.

نسبة ما في هذا الخبر من الاغاني

صوت

خليلي لا والله ما أملك البكا إذا علم من أرض ليلى بداليا
خليلي إن بانوا بليلى فهيتا لي النعش والأكفان وأستغفرا لي
أمضوبة ليلى على أن أزورها ومثخذ ذنباً لها أن ترانيا
خليلي لا والله ما أملك الذي قضى الله في ليلى ولا ما قضى لي
قضاها لغيري وأبتلاني بحبها فهلاً بشيء غير ليلى أبتلانياً

الشعر للمجنون . والغناء لابن محرز ثاني ثقل بإطلاق الوتر في مجرى البصر
عن إسحاق . وذكر الهشامي أن فيه لحناً لمعبد ثقيلاً أول لا يشك فيه؛ قال: وقد قال
قوم: إنه منحول يحيى المكي . وفيه لإبراهيم خفيف ثقل عن الهشامي أيضاً .
وفيه ليحيى المكي رمل من رواية ابنه أحمد . وفيه خفيف رمل عن أحمد بن
عبيد لا يعرف صانعه .

ومنها :

صوت

ليت شعري أجفوة أم دلال أم عدو أتى بثينة بعدي

فَمُرِينِي أَطْعَمَكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ أَنْتَ وَاللَّهُ أَوْجَهُ النَّاسِ عِنْدِي

الشعر لجميل . والغناء لأبن مُحَرِّزٍ خفيفٌ ثقيلٌ بالسبابة في مجرى البنصر
عن إسحاق . وفيه لَعْلَوِيَّةٌ خفيفٌ ثقيلٌ آخر . وذكر عمرو بن بانة أن فيه خفيف
ثقيلٌ بالوُسْطَى لمبعد . وذكر إسحاق أن فيه رملاً بالبنصر في مجراها ولم ينسبه
إلى أحد ، وذكر الهشامي أنه لمالك . وفيه مُتَمِّمٌ خفيفٌ رَمَلٌ . وفيه لعريبٌ
ثقيلٌ أولٌ . وذكر حبشٌ أن فيه للغريض ثقيلاً أولٌ بالبنصر . ولمبعد فيه ثقيلٌ
أولٌ بالوُسْطَى . وذكر ابنُ المكي أن فيه خفيفٌ ثقيلٌ لمالك وَعَلَوِيَّةٌ .

غنى في زفاف :

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ عَوَانَةَ بْنِ
الْحَكَمِ قَالَ :

لَمَّا أَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِهْدَاءَ بِنْتِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ ، كَانَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ عِنْدَهُ ،
خَفَاهُ الدَّلَالُ مُتَعَرِّضاً فَاسْتَأْذَنَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ جَعْفَرٍ : لَقَدْ جِئْتَنَا يَا دَلَالُ فِي وَقْتٍ
حَاجَتُنَا إِلَيْكَ ؛ قَالَ : ذَلِكَ قَصْدْتُ ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : غَنِّنَا ؛ فَقَالَ ابْنُ
جَعْفَرٍ : لَيْسَ وَقْتُ ذَلِكَ ، نَحْنُ فِي شُغْلٍ عَنْ هَذَا ؛ فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : وَرَبِّ
الْكُعْبَةِ لِيُغَنِّيَنَّ ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ جَعْفَرٍ : هَاتِ ، فَغَنَّى وَنَقَرَ بِالْأُفِّ - وَالْهُوَادِجُ
وَالرَّوَاهِلُ قَدْ هَيَّئْتُ ، وَصُيِّرَتْ بِنْتُ ابْنِ جَعْفَرٍ فِيهَا مَعَ جَوَارِيهَا وَالْمَشِيعِينَ لَهَا - :

يَا صَاحِبَ لَوْ كُنْتُ عَالِماً خَبِيراً بِنَا يَلَاقِي الْمَحَبُّ لَمْ تَلْمُهُ

(١) الإهداء : الزفاف .

(٢) لم تلمه ، أصل ميمه الإسكان فنقلت إليه ضمة الهاء كقوله :

عجبت والذهر كثير عجبه من عنزي سبني لم أضربه

نقل ضمة الهاء إلى الباء .

لا ذنبَ لي في مُقَرَّطٍ حسنٍ أعجبني دَلَّهُ ومُبْتَسَمُهُ
شيمته البخلُ واليَعَادُ لنا يا حَبْدًا هُوَ وَحَبْدًا شِيمُهُ
مُضَمَّخٌ بِالْعَبِيرِ عَارِضُهُ طُوبَى لِمَنْ شِمَهُ وَمَنْ لَشِمُهُ

— قال : ولأَبْنُ مُحَرِّزٍ في هذا الشعر لحنٌ أجود من لحن الدُّلال — فطربَ أَبْنُ جَعْفَرٍ وَأَبْنُ أَلِيِّ عَتِيقٍ ؛ وقال له أَبْنُ جَعْفَرٍ : زِدْنِي وطربَ ؛ فأعاد اللحن ثلاثاً ثم غنَّى :

بكر العواذِلُ في الصبا حَ يَلْمَنَنِي وَالْوُهِتَةُ
وَيَقْلُنْ شَيْبٌ قَدْ عَلَا لَكَ وَقَدْ كَبُرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ

ومضتْ بنتُ أَبْنِ جَعْفَرٍ فَاتَّبَعَهَا يُغَنِّيَهَا بهذا الشعر . ولعبد آل الهذليّ فيه لحنٌ وهو أحسنُّها :

إن الخليطُ أجَدَ فَأَحْتَمَلَا وأَرَادَ غِيظُكَ بِالَّذِي فَعَلَا
فَوَقَفْتُ أَنْظُرَ بَعْضَ شَأْنِهِمْ وَالنَّفْسُ مِمَّا تَأْمَلُ الْأَمَلَا
وَإِذَا الْيَغَالُ تُشَدُّ صَافِنَةً وَإِذَا الْحُدَاةُ قَدْ أَرْزَمُوا الرِّحَالَا
فَهَنَّاكَ كَادَ الشُّوقُ يَقْتُلُنِي لَوْ أَنَّ شَوْقًا قَبْلَهُ قَتَلَا

فَدَمِعَتْ عَيْنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وقال للدُّلال : حسبك فقد أوجعت قلبي ، وقال لهم : امضوا في حفظ الله على خير طائر وأمين نقيبة .

(١) المقرط : المنحلي بالقرط . وروى : « مقرطق » . والمقرطق : لابس المقرطق وهو قباء ذو طاق واحد .

(٢) لثمه ، أصل ميمه الفتح فنقلت اليه ضمة الهاء بعده على لغة لحم ، لأنهم يميزون في الوقف نقل حركة الحرف الأخير الى المتحرك قبله كقوله : « من يأتمر بالخير فيما قصده » .

(٣) تشد : تهبأ عليها الرحال ، والشافق من الخيل ونحوه : القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

بكرَ العواذلُ في الصَّبا ح يَلْمُنَنِي وَالْوَهَّهَ
وَيَقْلُنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا ك وقد كبرتَ فقلتُ إِنَّهُ
لا بدَّ من شَيْبٍ فَدَعْنِ وَلَا تُطْلِنَ مَلَامَكُنَّ
يَمِشِينَ كالبقرِ التَّقَا ل عمدن نحو مُرَاحِنَهُ
يَحْفَنِينَ فِي الْمَشَى الْقَرِيبِ إِذَا يُرْدَن صَدِيقُهُنَّ

الشعر لأبن قيس الرقيات . والغناء . لأبن مسجح خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالسبابة
في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ثقيلٌ أولٌ للغريض عن الهشامي . وفيه خفيفٌ
ثقيلٌ آخرٌ بالوسطى ليعقوب بن هبَّار عن الهشامي ودنانير ، وذكر حبش أنه
ليعقوب .

ومنها :

صوت

إن الخليط أجد فاحتملا وأراد غيظك بالذي فعلا

الآيات الأربعة .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء . للغريض ثقيلٌ أولٌ بالسبابة عن يحيى
المكي . وفيه ليحيى أيضاً ثقيلٌ أولٌ بالوسطى من رواية أحمد ابنه ، وذكر حبش
أن هذا اللحن لبسباسة بنت مَعْبِد .

(١) المراح : مأوى الإبل والبقر والغنم .

الحانه :

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثَّقَنِي قال :

كان للدُّلال صوت يُغني به ويُجيده ، وكان عمر بن أبي ربيعة سألَه الغناء فيه
وأعطاه مائة دينار ففعل ، وهو قول عمر :

صوت

ألم تسألِ الأطلالَ والمُترَبَّعَا ببطنِ حُلَيَّاتِ دوارِسَ بَلَقَعَا
إلى السَّرحِ من وادي المَعَمَّسِ بَدَلَتْ مَعَالَهُ وَبَلَا وَنَكَبَاءَ زَعَزَعَا
وقرَّبَ أسبابَ الهوى لِمَتِّمْ يَقيسُ ذراعاً كلَّما قَسَنَ إصْبَعَا
فقلتُ لَطَرِيحٍ في الحسنِ إِنَّمَا ضَرَرَتْ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعاً فَتَنْفَعَا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض فيه لحنان : أحدهما في الأول والثاني من الأبيات ثقیلٌ أول بالنصر عن عمرو ، والآخِرُ في الثالث والرابع ثاني ثقیل بالنصر . وفي هذين البيتين الآخرين لأبن سُرَيج ثقیلٌ أول بالسبابة في مجرى النصر عن إسحاق . وفي الأول والثاني للهُذَلِي خفيفٌ ثقیلٌ أول بالوسطى عن عمرو . وفيها لأبن جامع رَمَلٌ بالوسطى عنه أيضاً . وقال يونس : لملك فيه لحنانٍ ولمعبد لحنٌ واحد .

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال حدثني هشام بن المُرِّيَّة قال :

كنّا نعرف للدُّلال صوتين عَجِيبَيْن ، وكان جرير يغني بهما فأعجبُ من حسنهما ،
فأخذتهما عنه وأنا أغني بهما ؛ فأما أحدهما فإنه يُفرح القلب ، والآخِرُ يُرَقصُ
كلُّ من سمعه ؛ فأما الذي يفرح القلبَ فلا ابن سُرَيج فيه أيضاً لحنٌ حسنٌ وهو :

ولقد جرى لك يوم سَرْحَةٍ مالِكُ
أحوى القوادِمَ بالبِياضِ مُلَمَّعُ
الحُبُّ أبغضه إليّ أَقْلُهُ
بانت عُوَيْمَةُ فالفؤادُ قَرِيحُ
مما تَعَيَّفَ سَانِحُ وَبَرِيحُ
قَلِقُ الْمَوَاقِعِ بالفراقِ يَصِيحُ
صَرَخَ بِذاك فَرَاخِي التَّصْرِيحُ
ودموعُ عَيْنِكَ فِي الرِّدَاءِ سُفوحُ

والآخر :

كلما أبصرتُ وجهاً حسناً قلتُ خَلِيلِي
فإذا ما لم يَكُنْهُ صَحْتُ وَيْلِي وَعَوِيلِي
فصلي جبلَ مُحَبٍّ لَكُمْ جِدِّ وَوُضُولِ
وأنظري لا تَحْذُلِيهِ إِنَّهُ غَيْرُ خَذُولِ

نسبة هذين الصوتين

للدلال في الشعر الأول الذي أوّله :

ولقد جرى لك يوم سَرْحَةٍ مالِكُ

خفيفٌ ثَقِيلُهُ بالوسطى . وفيه لَأَبْنُ سُرَيْجٍ ثَقِيلُ أَوَّلُ عن الهشامي . وقال
حَبَشُ : إن للدلال فيه لَحْنَيْنِ خَفِيفٌ ثَقِيلُهُ أَوَّلُ وَخَفِيفٌ رَمَلُهُ . وأَوَّلُ خَفِيفُ
الرَّمَلُ :

بانت عُوَيْمَةُ فالفؤادُ قَرِيحُ

وذكر أن لحن أَبْنِ سُرَيْجٍ ثاني ثَقِيلٌ ، وأن لَأَبْنِ مَسْجَحٍ فيه أيضاً خَفِيفٌ ثَقِيلٌ .

والصوت الثاني الذي أوّله :

كلما أبصرتُ وجهاً حسناً قلتُ خَلِيلِي

(١) ويروى : « سَرْحَةٌ رَائِعَةٌ » .

(٢) ويروى : « عُوَيْمَةُ » .

الفناء فيه لَعَطْرٌ خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى عن حبش ، ويقال إنه للدلال . وفيه
ليونس خفيفٌ رمل . وفيه لإبراهيم الموصلي خفيفٌ ثقيلٌ أول بالبنصر عن عمرو .

شراب وعريضة :

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله الزبيدي قال :

كان الدلال لا يشرب النبيذ ، فخرج مع قوم إلى متنزّه لهم ومعهم نبيذ ،
فشربوا ولم يشرب منه ، وسقوه عسلاً مجذوحاً ، وكان كلّمًا تغافل صيروا في
شرابه النبيذ فلا يُنكره ، وكثر ذلك حتى سكر وطرب ، وقال : اسقوني من
شرابكم ، فسقوه حتى ثمل ، وغنّاهم في شعر الأحوص :

طاف الخيال وطاف الهم فاعتكرا عند الفراش فبات الهم مُحْتَضِراً
أراقب النجم كالحيوان مُرْتَقِياً وقَلَصَ النومُ عن عيني فأنشراً
من لوعة أورت قرحاً على كبدي يوماً فأصبح منها القلب مُنْقَطِراً
ومن يبت مضيراً همّاً كما ضمنت مني الضّاع يبت مُسْتَبِطِناً غيَراً

فأستحسنه القوم وطربوا وشربوا . ثم غنّاهم :

طربت وهاجك من تدكير ومن لست من حبه تعتذر
فإن نلت منها الذي أرتجي فذاك لعمري الذي أظن
وإلا صبرت فلا مُفجِشاً عليها يسوء ولا مُبتهّر

(١) المجدوح : الغلو ط .

(٢) وروى :

طاف الخيال وطال الليل فاعتكرا عند الفراش فآب الهم محضراً
واعتكرا الليل : اشتد سواده ، واعتكرا أيضاً : اختلط . ومحضراً : حاضراً ، يقال : حضر
الهم واحتضر .

(٣) الابتهاج : قول الكذب والхلف عليه . وروى : « منتهر » بالنون .

— لحن الدلال في هذا الشعر خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالبنصر عن حبش . قال : وذكر قومٌ أنه للغريض —

قال : وسكر حتى خلع ثيابه ونام عرياناً ، فغطاه القوم بثيابهم وحملاه إلى منزله ليلاً فنوموه وانصرفوا عنه ، فأصبح وقد تقيأ ولوث ثيابه بقيئه ، فأنكر نفسه وحلف ألا يُغني أبداً ولا يُعاشر من يشرب النبيذ ، فوفى بذلك إلى أن مات . وكان يجالس المشيخة والأشراف فيفيض معهم في أخبار الناس وأيامهم حتى قضى نحبه .

إنقضت أخبار الدلال .

ومما في شعر الاحوص من المائة المختارة

صوت

من المائة المختارة

يا دين قليلك منها لست ذاكرها إلا ترقرق ماء العين أو دمعا
أدعو إلى هجرها قلبي فينبغي حتى إذا قلت هذا صادق نزعا
لا أستطيع نزوعاً عن محبتها أو يصنع الحب في فوق الذي صنعا
كم من دنيء لها قد صرت أتبعه ولو سلا القلب عنها صار لي تبعا
وزادني كلفاً في الحب أن منعت وحب شيء إلى الإنسان ما منعا

(١) المراد بالدين هنا الداء ، قال الشاعر :

يا دين قلبك من سلمى وقد دينا

قال المفضل : معناه يا داء قلبك القديم . وقال الأحياني : المعنى يا عادة قلبك .

(٢) الدني : الخسيس الحقير .

(٣) يحتمل أن يكون « منعت » مبنياً للفاعل أو للمفعول .

(٤) أورد النحويون هذا البيت شاهداً على أن « حب » أفعل تفضيل حذفته همزته مثل خير وشر ، إلا أن الحذف فيهما هو الكثير والحذف في أحب قليل . وفي اللسان (مادة حب) : « وأنشد الفراء :

وزاده كلفاً في الحب أن منعت وحب شيئاً إلى الإنسان ما منعا

قال : وموضع « ما » رفع ، أراد حُبُّ فأدغم .

الشعر للأحوص . والغناء ليحيى بن وإصل المكي ، وهو رجلٌ قليلُ الصَّنعة غير مشهور ولا وجدتُ له خبراً فأذكره . ولحنه المختار ثقيلٌ أولٌ بالوسطى في مجراها عن إسحاق . وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يحبس .

عجوبة الأحوص :

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الرُّبَيْر بن بكّار قال حدثنا مطرف ابن عبد الله المدنيّ قال حدثني أبي عن جدي قال :

بينما أطوف في البيت ومعى أبي ، إذ أنا بعجوزٍ كبيرة يضرب أحد لحيّتها الآخر ، فقال لي أبي : أتعرف هذه ؟ قلت : لا ، ومن هي ؟ قال : هذه التي يقول فيها الأحوص :

يا سَلَمُ ليت لساناً تنطقين به قبلَ الذي نالني من حَبِكمُ قِطْعاً
يلومني فيك أقوامٌ أجالسهم فما أبالي أطارَ اللّومُ أم وقّعاً
أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني حتى إذا قلتُ هذا صادقٌ ترعاً

قال : فقلت له : يا أبت ، ما أرى أنه كان في هذه خيرٌ قط ؛ فضحك ثم قال : يا بُني ، هكذا يصنع الدهرُ بأهله .

حدثنا به وكيع قال حدثنا ابن أبي سَعْد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا أبو خويلد مطرف بن عبد الله المدنيّ عن أبيه ، ولم يقل عن جده ، وذكر الخبر مثل الذي قبله .

صوت

من المائة المختارة

كالبيض بالأدحي يلمع في الضحى فالحسنُ حسنٌ والنعمُ نعمٌ

حَلِينٌ مِنْ دُرِّ الْبَحْرِ كَأَنَّهُ فَوْقَ النُّجُومِ إِذَا يَلُوحُ نَجْمٌ

الأدحي: المواضع التي يبيض فيها النعام، وأحدثها أدحجة وذكر أبو عمرو الشيباني أن الأدحي البَيضُ نفسه. ويقال فيه أدحي وأداح أيضاً.

الشعر لطريق بن إسماعيل الثَّقَفِي. والغناء لأبي سعيد مولى فائد، ولحنه المختار من الثقل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه للهذلي خفيف ثقيل من رواية الهشامي. وقد سمعنا من يغني فيه لحناً من خفيف الرمل، ولست أعرف لمن هو.

(١) ويروى: «حَلِينٌ مَرَجَانُ الْبَحْرِ».

(٢) ظاهر كلام المؤلف في تفسير الأدحي أنه جمع، والذي في لسان العرب والقاموس وشرحه: أن الأدحي والأدحية (بضم الهمزة فيها وكسرها) والأدحوة: مبيض النعام في الرمل، وجمع الكل: الأداحي، ومثلها مدحى (وزان مسمى).

ذكر طريق وأخباره ونسبه

هو - فيا أخبرني به محمد بن الحسن بن دُرَيْد عن عمه عن أبْن الكلبي في كتاب النسب إجازة ، وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبي أيوب المديني عن أبْن عائشة ومحمد بن سَلَام ومُصعب الرُّثَيري قال : - طَرِيح بن إسماعيل بن عُبَيْد بن أَسِيد بن إِلاج بن أبي سَلَمَة بن عبد الغزى بن عَتَرَة بن عَوْف بن قَسِي - وهو ثَقِيف - بن مُنْبَه بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصْفَة أبْن قيس بن عيلان بن مُضَر .

الغلاف في نسبه :

قال أبْن الكلبي : ومن النسَّابين من يذكر أن ثَقِيفاً هو قَسِي بن مُنْبَه بن النُبَيْت بن منصور بن يَقْدُم بن أَفْصَى بن دُعْمَى بن إِيَاد بن زَرَار . ويقال : إن ثَقِيفاً كان عبداً لأبي رِغَال ، وكان أصله من قوم نجوداً من ثمود ، فأنتمى بعد ذلك إلى قيس . وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرّم وجهه : أنه مرّ بثَقِيف ، فتغامزوا به ؛ فرجع إليهم فقال لهم : يا عبيد أبي رِغَال ، إنما كان أبوك عبداً له فهِرَبَ منه ، فَثَقَّفَهُ بعد ذلك ، ثم أنتمى إلى قيس .

وقال الحُجَّاج في خطبة خطبها بالكوفة : بلغني أنكم تقولون إن ثَقِيفاً من بَقِيَّةِ ثمود ، ويلكم ! وهل نجا من ثمودَ إلا خيارُهم ومن آمن بصالح فبقِيَ معه عليه السلام ! . ثم قال : قال الله تعالى : (وَثمودَ قَماً أَتَقَى) . فبلغ ذلك الحسن

البصري، فتضاحك ثم قال: حَكَمَ لِكَعٍ لِنَفْسِهِ، إِنَّمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (فَأُتِيَ) أَي لَمْ يُبَيِّهْهُم بَلْ أَهْلَكَهُمْ. فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى الْحَجَّاجِ فَطَلَبَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ حَتَّى هَلَكَ الْحَجَّاجُ. وَهَذَا كَانَ سَبَبَ تَوَارِيهِ مِنْهُ. ذَكَرَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنِ الْحَسَنِ.

وكان حماد الرواية يذكر أن أبا رغال أبو ثقيف كليها، وأنه من بقة ثمود، وأنه كان ملكاً بالطائف، فكان يظلم رعيته، فرأى امرأة ترضع صبياً يتيماً بلبن عثر لها، فأخذها منها، وكانت سنة مجدية؛ فبقي الصبي بلا مرضعة فمات، فرماه الله بقارعة فأهلكه، فرجعت العرب بقبره، وهو بين مكة والطائف. وقيل: بل كان قائد الفيل ودليل الحلبشة لما غزوا الكعبة، فهلك فيمن هلك منهم، فدُفن بين مكة والطائف، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم بقبره، فأمر برحمة فرجهم، فكان ذلك سنة.

قال ابن الكلبي وأخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال:

كان ثقيف والنخع من إباد، فثقيف قسي بن منبه بن النبيت بن يقدم بن أفصى بن دُعيمي بن إباد. والنخع ابن عمرو بن الطمنان بن عبد مناة بن يقدم ابن أفصى، فخرجا ومعهما عثر لها لبنون يشربان لبنها، فعرض لها مصدق للملك

(١) الموضع: المرأة لها ولد ترضعه ولا تلحقها التاء اكتفاء بتأنيها في المعنى لأنها خاصة بالإناث كما في طالق. فإذا أُلغيت الصيغة ليسيا فهي مرضعة (بالهاء). قال أبو زيد في قوله تعالى: (تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ) هي التي ترضع وليسيا في ولدها.

(٢) هو أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب ويقال له باذان أو باذام، وهو الذي يروي عنه ابن الكلبي ويروي عن ابن عباس. (راجع تهذيب التهذيب).

(٣) في صبح الاعشى (ج ١ ص ٣٢٧) وأنساب السمعاني في الكلام على النخع: «النخع واسمه جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج». وفي كتاب الاشتقاق لابن دريد: «فن بني علة النخع قبيلة وأخوه جسر». وفي كتاب المعارف لابن قتيبة: «فولد علة عمرا فولد عمرو جسرا وكعبا. فأما جسر فهو أبو النخع بن جسر بن عمرو».

(٤) المصدق: عامل الزكاة الذي يأخذها من أربابها.

اليسن فأراد أخذها؛ فقالا له : إنما نعيش بدريها، فأبى أن يدعها، فرماه أحدهما فقتله . ثم قال لصاحبه : إنه لا يحملني وإياك أرض . فأما التَّحَنُّ فمضى الى بَيْشَةَ فأقام بها وتزل القسي موضعاً قريباً من الطائف؛ فرأى جارية ترعى غنماً لعامر بن الظَّرب العدواني، فطمع فيها، وقال : أقتل الجارية ثم أحوي الغنم؛ فأنكرت الجارية منظره، فقالت له : إني أراك تريد قتلي وأخذ الغنم، وهذا شيء. إن فعلته قُتِلت وأخذت الغنم منك، وأظنك غريباً جائعاً، فدلتته على مولاها؛ فأتاه وأستجار به فزوجه بنته، وأقام بالطائف، فقبل : لله دره ما أثقفه حين ثَقِفَ عامراً فأجاره . وكان قد مرَّ بيهودية بوادي القرى حين قُتِل المصدق، فأعطته قُضبان كرم، فغرسها بالطائف فأطعمته ونفعته .

قال ابن الكلبي في خبر طويل ذكره : كان قيسي مقيماً باليسن، فضاقت عليه موضعه ونبا به، فأتى الطائف - وهو يومئذ منازل فهم وعدوان أبني عمرو بن قيس بن عيلان - فانتهى الى الظَّرب العدواني، وهو أبو عامر بن الظَّرب، فوجده نائماً تحت شجرة، فأيقظه، وقال : من أنت ؟ قال : أنا الظَّرب؛ قال : عليَّ أليَّة إن لم أقتلك أو تحالفني وتزوجني أبنتك ففعل؛ وأنصرف الظَّرب وقيسي معه، فلقبه أبنته عامر بن الظَّرب، فقال : من هذا معك يا أبت ؟ فقص قصته؛ قال عامر : لله أبوه ! لقد ثَقِفَ أمره ؛ فسَمِي يومئذ ثَقِيفاً . قال : وعبر الظرب ترويحاً قسيّاً، وقيل : زوّجت عبداً؛ فسار الى الكهّان يسألهم، فانتهى الى شقّ ابن صعب البجلي وكان أقربهم منه، فلما أنتهى إليه قال : إنا قد جئناك في أمر

(١) بيشة : قرية باليمن .

(٢) وادي القرى : واد بين المدينة والشام كثير القرى، فتحه النبي صلى الله عليه وسلم عنوة سنة سبع من الهجرة، ثم صالح أهله على الجزية .

(٣) قال في المصباح : «وعيرته كذا وعيرته به : قبخته عليه ونسبته إليه، يتعدى بنفسه وبالبا؛ قال المرزوقي في شرح الحماسة : واختار أن يتعدى بنفسه؛ قال الشاعر :

أعيرتنا ألباسها ولحومها وذلك عار يابن ربيعة ظاهر»

(٤) يوافق ما في الطبري (قسم ١ ص ٩١١ - ٩١٤) .

فما هو؟ قال: جنتم في قسي، وقسي عبد إباد، أبق ليلة الواد، في وج ذات
الانداد، فولى سعداً ليفاد، ثم لوى بغير معاد، (يعني سعد بن قيس بن عيلان بن
مضر). قال: ثم توجه الى سطيح الذئبي (حي من غسان، ويقال: إنهم حي
من قضاة نزول في غسان)، فقال: إنا جنناك في أمر فافا هو؟ قال: جنتم في
قسي، وقسي من ولد ثمود القديم، ولدته أمه بصحراء بريم، فالتقطه إباد وهو
عديم، فاستعبده وهو مليم. فرجع الظرب وهو لا يدري ما يصنع في أمره، وقد
وكد عليه في الحلف والتزويج، وكانوا على كفرهم يؤفون بالقول. فلهذا يقول من
قال: إن ثقيفاً من ثمود، لأن إباداً من ثمود.

قال: وقد قيل: إن حرباً كانت بين إباد وبين قيس، وكان رئيسهم عامر
ابن الظرب، فظفرت بهم قيس، فنفتهم الى ثمود وأنكروا أن يكونوا
من زرار.

قال: وقال عامر بن الظرب في ذلك:

قالت إبادُ قد رأينا نسباً في أبنِي زرارٍ ورأينا غلباً
سيرِي إبادُ قد رأينا عَجَباً لا أصلُكم منّا فسامي الطلبِ
دارَ ثمود إذ رأيتِ السَّيِّأَ

قال: وقد روي عن الأعمش أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه،
قال على المنبر بالكوفة وذكر ثقيفاً: لقد هممت أن أضع على ثقيف الجزية؛
لأن ثقيفاً كان عبداً لصالح نبي الله عليه السلام وإنه سرّحه الى عامل له على

(١) وج: اسم واد بالطائف.

(٢) ليفاد: ليطلق، وأصله: ليفادي من المفاداة، حذف منه الحرف الاخير لالتزام السجع.

(٣) بريم: موضع بنجد وواد بالحجاز قرب مكة، وفي بعض النسخ: «تريم» بالتاء المثناة من فوق. وتريم: إحدى مدينتي حضرموت والمدينة الأخرى شيبام.

(٤) ألام الرجل: فعل ما يلام عليه.

الصَّدَقَة، فبعث العامل معه بها، فهرَّب وأستوطن الحَرَمَ، وإنَّ أولى الناس بصالح محمد صلى الله عليه وسلم، وإني أشهدكم أني قد رددتهم إلى الرِّقِّ.

قال: وبلغنا أنَّ ابنَ عباس قال، وذُكِرَ عنده ثَقِيفٌ، فقال: هو قَسِيٌّ بنُ مُنْبِيهٍ، وكان عبداً لأمراة صالح نبي الله صلى الله عليه وسلم، وهي الهَيْجَانَةُ بنت سَعْدٍ، فوهبته لصالح، وإنه سرَّحه إلى عاملٍ له على الصَّدَقَة؛ ثم ذكر باقي خبره مثلاً ما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وقال فيه: إنه مرَّ برجل معه غنمٌ ومعه ابن له صغير ماتت أمه فهو يَرْضَع من شاةٍ ليست في الغنم لَبُونٌ غيرها، فأخذ الشاةَ، فناشده الله، وأعطاه عشرةً فأبى، فأعطاه جميعَ الغنم فأبى؛ فلما رأى ذلك تَنَحَّى، ثم نَثَلَ كَنَانَتَهُ فرماه ففَلَقَ قلبه؛ ففعل له: قتلت رسول رسول الله صالح. فأتى صالحاً فقصَّ عليه قصَّته؛ فقال: أبعدَه الله! فقد كنتُ أنتظر هذا منه؛ فرُجِمَ قبره، فألى اليوم والليلة يَرجَم، وهو أبو رِغال.

قال وبلغنا عن عبد الله بن عباس أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنصرف من الطائف مرَّ بقبر أبي رِغال، فقال: «هذا قبر أبي رِغال وهو أبو ثَقِيف كان في الحَرَم ففتمه الله عزَّ وجلَّ فلما خرج منه رماه الله وفيه عمودٌ من ذهب؛ فأبتدره المسلمون فأخرجوه».

قال: وروى عمرو بن عُبيد عن الحسن أنه سُئِلَ عن جُرْهُم: هل بقي منهم أحدٌ؟ قال: ما أدري، غير أنهم لم يبقَ من ثُودٍ إلا ثَقِيف في قيس عَيْلان، وبنو لَجَأ في طَيِّ، والطفَاوة في بني أعصر.

قال عمرو بن عُبيد وقال الحسن: ذُكِرَت القبائلُ عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «قبائلٌ تَنَتَمِي إلى العرب وليسوا من العرب جُمُوعٌ من تُبَعٍّ وجُرْهُم من عاد وثَقِيفٌ من ثُودٍ».

قال : ورؤيَ عن قتادة أن رجلين جاءا الى عمران بن حصين فقال لهما :
 من أنتم؟ قالا : من ثقيف؛ فقال لهما : أترُمان أن ثقيفاً من إباد؟ قالا : نعم ؛
 قال : فإن إبادا من ثمود؛ فشق ذلك عليهما؛ فقال لهم : أساءكما قولي ؟ قالا : نعم
 والله ؛ قال : فإن الله أنجى من ثمود صالحاً والذين آمنوا معه ، فأنتم إن شاء الله
 من ذرية من آمن وإن كان أبو رغال قد أتى ما بلغكما . قال له : فما أسم أبي
 رغال ، فإن الناس قد اختلفوا علينا في اسمه ؟ قال : قسي بن منبه .

قال ورؤي الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله
 واليوم الآخر فلا يحب ثقيفاً ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبغض
 الأنصار » .

قال : وبلغنا عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « بنو هاشم والأنصار
 حلفان وبنو أمية وثقيف حلفان » .

قال : وفي ثقيف يقول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه :

إذا التقي فآخركم فقولوا هلم نعد شأن أبي رغال
 أبوك أحب الآباء قدماً وأنتم مشبهوه على مثال
 عبيد الغرر أورثهم بنيه وولى عنهم أخرى الليالي

(١) ورد هذا الشطر في ديوان حسان (ص ٣٦ طبع ليدن) : وأولاد الحيث على مثال

(٢) كذا في ديوان حسان . وفي جميع الأصول : « أورثه » . وورد البيت في ديوان حسان
 ضمن بيتين هما :

عبيد الغرر أورثهم بنيه وآلى لا يبيعهم جمال
 وما لكرامة حبسوا ولكن أراد هوائهم أخرى الليالي

والغرر : أبو قبيلة من تميم وهو سعد بن زيد مناة بن تميم .

أم طريح ونسبها :

وأم طريح بنت عبد الله بن سباع بن عبد العزى بن نضلة بن غبشان من خزاعة، وهم حلفاء بني زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . وسباع ابن عبد العزى هو الذي قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد؛ ولما برز إليه سباع قال له حمزة : هلم إليّ يا ابن مقطعة البظور - وكانت أمه تفعل ذلك وتقبل نساء قريش بمكة - فتحمي وحشي لقوله وغضب لسباع، فرمى حمزة بحويته فقتله - رحمة الله عليه - وقد كتب ذلك في خبر غزاة أحد في بعض هذا الكتاب .

كنيته :

ويكنى طريح أبا الصلت، كني بذلك لابن كان له اسمه صلت . وله يقول :

يا صلت إن أباك رهن منية مكتوبة لا بد أن يلقاها
سلفت سوا الفها بأنفس من مضي وكذلك يتبع باقياً آخرها
والدهر يوشك أن يفرق ربه بالموت أو رحله نثت نواها
لا بد بينكما قسمة دعوة أو تستجيب لدعوة تدعها

(١) موافق لما في السيرة (ص ٦١١ طبع أوروبا) . وفي سائر الأصول : « غبشان بن خزاعة » وهو تحريف، لأن غبشان هو ابن سليم بن ملكان بن أضي بن خزاعة كما في السيرة .

(٢) قبل نساء قريش : تنلقى أولادهن عند الولادة، وهي القابلة .

(٣) يدل ما في صحيح البخاري على أن قتل وحشي لحمزة إنما كان بتحريض مولاة جبير بن مطعم، وذلك أن حمزة كان قتل بيد طعيمة بن عدي بن الحيار عم جبير، فقال جبير لوحشي : إن قتلت حمزة بعني فأنت حر؛ فلما بارز حمزة سباعا وقتله كان وحشي متربصاً له تحت صخرة، فلما دنا منه رماه بحويته فأرداه .

(٤) وروى : « سوابقها » .

وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال أخبرني أبو الحسن الكاتب: أن أمّ الصلت بن طريح ماتت وهو صغير ، فطرحه طريح إلى أخواله بعد موت أمه . وفيه يقول :

بات الخيال من الصلّيت مؤرقي يفري السّراة مع الرّباب الملتق
ما راعني إلا بياض وجنيه تحت الدّجّة كالسّراج المشرق

مع الوليد الاموي :

ونشأ طريح في دولة بني أمية ، وأستفرغ شعره في الوليد بن يزيد ، وأدرك دولة بني العباس ، ومات في أيام المهدي^(١) ؛ وكان الوليد له مكرماً مقدماً ، لأنقطاعه اليه ولخزولته في ثقيف .

فأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أحمد بن حماد بن الجليل عن العثبي عن سهم بن عبد الحميد قال أخبرني طريح بن إسماعيل الثقفي قال :

«خصّصت بالوليد بن يزيد حتى صرت أخاه معه ؛ فقلت له ذات يوم وأنا معه في مشربة^(٢) : يا أمير المؤمنين ، خالك يحب أن تعلم شيئاً من خلقه ؛ قال : وما هو ؟ قلت : لم أشرب شراباً قطّ بمزوّجاً إلا من لبن أو عسل ؛ قال : قد عرفت ذلك ولم يُباعدك من قلبي . قال : ودخلت يوماً اليه وعنده الأمويون فقال لي : إليّ يا خالي ، وأقعدني الى جانبه ، ثم أتى بشارب فشرب ، ثم ناولني

(١) المثلث : البال ، يقال : لثق الطائر اذا ابتل ريشه ، وألقه غيره اذا بلته .

(٢) الدجّة : الظلام .

(٣) ويروى : « في أيام الهادي » .

(٤) المشربة (بضم الراء وفتحها) : الغرفة . ويروى : « ونحن في مشربة » والمشرقة (مثلثة الراء) : موضع القعود في الشمس بالشتاء .

الْقَدَحَ ؛ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَعْلَمْتُكَ رَأْيِي فِي الشَّرَابِ ؛ قَالَ : لَيْسَ لَذَلِكَ
أَعْطَيْتُكَ ، إِنَّمَا دَفَعْتَهُ إِلَيْكَ لِتَتَنَاوَلَهُ الْغَلَامُ ، وَغَضِبَ ؛ فَرَفَعَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ كَأَنَّهُ
صَاعِقَةٌ نَزَلَتْ عَلَى الْجَوَانِ ؛ فَذَهَبْتُ أَقُومُ ، فَقَالَ : اقْعُدْ ! فَلَمَّا خَلَا الْبَيْتُ أَفْتَرَى
عَلَيَّ ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا عَاضُ كَذَا وَكَذَا ! أَرَدْتُ أَنْ تَفْضَحَنِي ، وَلَوْلَا أَنَّكَ خَالِي
لَضَرَبْتُكَ أَلْفَ سَوْطٍ ! ثُمَّ نَهَى الْحَاجِبَ عَنْ إِدْخَالِي ، وَقَطَعَ عَنِّي أَرْزَاقِي ؛ فَكَشْتُ
مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا مَتَنَكِرًا ، فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنَا أَقُولُ :

يَا بَنَ الْخِلَافِ مَا لِي بَعْدَ تَقَرُّبَةٍ	إِلَيْكَ أَقْصَى وَفِي حَالِيكَ لِي عَجَبٌ
مَا لِي أَذَادُ وَأَقْصَى حِينَ أَقْصِدُكُمْ	كَأَنَّ تَوَقِّيَ مِنْ ذِي الْعُرَةِ الْجَرْبُ
كَأَنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ	إِلَّا وَلَا خُلَّةٌ تُرْعَى وَلَا نَسَبٌ
لَوْ كَانَ بِالْوَدِّ يُدْنِي مِنْكَ أَزْلَفَنِي	بِقُرْبِكَ الْوَدُّ وَالْإِشْفَاقُ وَالْحَدَبُ
وَكُنْتُ دُونَ رِجَالٍ قَدْ جَعَلْتَهُمْ	دُونِي إِذَا مَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا قَطْبُوا
إِنْ يَسْمَعُوا الْخَيْرَ يُخَفُّوهُ وَإِنْ سَمِعُوا	شَرًّا أَذَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَّبُوا
رَأَوْا صُدُودَكَ عَنِّي فِي اللَّقَاءِ فَقَدْ	تَحَدَّثُوا أَنْ حَبْلِي مِنْكَ مُنْقَضِبٌ
فَذُو الثَّمَانَةِ مَسْرُورٌ بَهِيضَتَنَا	وَذُو النَّصِيحَةِ وَالْإِشْفَاقِ مَكْتَنِبٌ

قَالَ : فَتَبَسَّمْتُ وَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ ، وَرَجَعْتُ إِلَيْهِ وَقَالَ : إِلَيْكَ أَنْ تُعَاوِدَ . وَتَمَّامُ
هَذِهِ الْقَصِيدَةُ :

أَيْنَ الذِّمَامَةُ وَالْحَقُّ الَّذِي نَزَلَتْ بِحِفْظِهِ وَبِتَعْظِيمِهِ لَهُ الْكُتُبُ
وَحَوَاكِي الشِّعْرِ أَصْفِيهِ وَأَنْظِمُهُ نَظْمَ الْقَلَانِدِ فِيهَا الدَّرُّ وَالذَّهَبُ

(١) أَذَادُ : أَمْنَعُ وَأَدْفَعُ .

(٢) فِي رِوَايَةٍ : « وَأَرْمِي » . وَفِي أُخْرَى : « وَأَنْهَى » .

(٣) الْعُرَةُ : الْجَرْبُ .

(٤) إِلٌ : عَهْدٌ . وَخُلَّةٌ : صَدَاقَةٌ .

(٥) قَطْبُ الرَّجُلِ (مِنْ بَابِ نَصَرَ) : زَوْجِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَكُلِّهِ .

وإن سُخْطَكَ شَيْءٌ لَمْ أَتَاجِرْ بِهِ
 لَكِنْ أَتَاكَ بِقَوْلٍ كَاذِبٍ أَتَمُّ
 وَمَا عَهْدُكَ فَيَا زَلَّ تَقْطَعْ ذَا
 وَلَا تَوَجَّعْ مِنْ حَقٍّ تَحْتَلُّهُ
 فَقَدْ تَقَرَّبْتُ جَهْدًا مِنْ رِضَاكَ بَمَا
 فَعِيرَ دَفْعِكَ حَقِّي وَأَرْتَفَا ضُكَّ لِي
 أَمْشَيْتُ بَيْنَ أَقْوَامٍ صَدُورُهُمْ
 قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَدْ جَلَّاتُ إِلَى
 إِنَّ الَّتِي صُنَّتْهَا عَنْ مَعَشَرٍ طَلَبُوا
 أَخْلَصْتُهَا لَكَ إِخْلَاصَ أَمْرِي عِلْمُ
 أَصْبَحْتَ تَدْفَعُهَا مِنِّي وَأَعْطَيْتُهَا
 فَإِنْ وَصَلْتَ فَأَهْلُ الْعُرْفِ أَنْتَ وَإِنْ
 إِنِّي كَرِيمٌ كَرَامِهِ عِشْتُ فِي أَدَبٍ
 قَدْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْعُسْرَ مَنْقُطَعٌ
 فَأَلْهَمَ حُبْسٌ فِي الْحَقِّ مُرْتَهِنٌ
 وَمَا عَلَى جَارِهِمْ إِلَّا يَكُونُ لَهُ
 لَا يَفْرَحُونَ إِذَا مَا الدَّهْرُ طَاوَعَهُمْ
 فَارَقَتْ قَوْمِي فَلَمْ أَعْتَضْ بِهِمْ عِوَضًا
 نَفْسِي وَلَمْ يَكْ مَا كُنْتُ أَكْتَسِبُ
 قَوْمٌ بَعَوْنِي فَنَالُوا فِي مَا طَلَبُوا
 قُرْبِي وَلَا تَدْفَعُ الْحَقَّ الَّذِي يَجِبُ
 وَلَا تَتَّبِعْ بِالتَّكْدِيرِ مَا تَهَبُ
 كَانَتْ تُنَالُ بِهِ مِنْ مِثْلِكَ الْقُرْبُ
 وَطَيْتُكَ الْكَشْحَ عَنِّي كُنْتُ أَحْتَسِبُ
 عَلَيَّ فَيْكَ إِلَى الْأَذْقَانِ تَلْتَهَبُ
 حِرْزٌ وَإِلَّا يَضُرُّونِي وَإِنْ أَلْبُوا
 مِنِّي إِلَيَّ الَّذِي لَمْ يُنْجِحِ الطَّلَبُ
 الْأَقْوَامُ أَنْ لَيْسَ إِلَّا فَيْكَ يَرْتَعِبُ
 عَلَيْكَ وَهِيَ لِمَنْ يُجِبِي بِهَا رَغْبُ
 تَدْفَعُ يَدِيَّ فَيُفِي بَقِيَا وَمُنْقَلَبُ
 نَنِي الْعَيُوبَ وَمَلِكُ الشَّيْئَةِ الْأَدَبُ
 يَوْمًا وَأَنْ الْغِنَى لَا بَدَّ مُنْقَلَبُ
 مِثْلُ الْغَنَائِمِ تُحْوِي ثُمَّ تُنْتَهَبُ
 إِذَا تَكَنَّفَهُ أَيْبَاتُهُمْ نَشَبُ
 يَوْمًا يُنْسَرُ وَلَا يَشْكُونُ إِنْ نُكِبُوا
 وَالْدَّهْرُ يُجَدِّثُ أَحْدَاثًا لَهَا نُوبُ

وأما المدائني فقال: كان الوليد بن يزيد يُكْرَمُ طَرِيحًا، وكانت له منه منزلة قريية ومكانة، وكان يُدْنِي مجلسه، وجعله أولَ داخل وآخرَ خارج، ولم

(١) ألبوا: تجموا.

(٢) وروى: «عني».

(٣) ملك الشيعة: قوامها ومعظمها.

(٤) حبس (بضمين): محبوس.

يكن يُصدر إلا عن رأيه ؛ فاستفرغ مديحه كله وعامة شعره فيه ، فحسده ناس
من أهل بيت الوليد ؛ وقدم حماد الراوية على التفتة الشام ، فشكوا ذلك اليه ،
وقالوا : والله لقد ذهب طريح بالأمير ، فما نالنا منه ليل ولا نهار ؛ فقال حماد :
ابغوني من يُنشد الأمير بيتين من شعر ، فأسقط منزلته ؛ فطلبوا إلى الخصي
الذي كان يقوم على رأس الوليد ، وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن يُنشد هما
الأمير في خلوة ، فإذا سأل من قول من ذا ؟ قال : من قول طريح ؛ فأجابهم
الخصي إلى ذلك ، وعلموه البيتين . فلما كان ذات يوم دخل طريح على الوليد
وفتح الباب وأذن للناس جلسوا طويلاً ثم نهضوا ، وبقي طريح مع الوليد وهو
ولي عهد ، ثم دعا بغدائه فتغدياً جميعاً ، ثم إن طريحاً خرج وركب إلى منزله ،
وترك الوليد في مجلسه ليس معه أحد ، فاستلقى على فراشه ؛ وأغتم الخصي خلوته
فاندفع ينشد :

سيري ركابي إلى من تسعدين به فقد أقت بدار الهون ما صلحاً
سيري إلى سيد سحر ثلاثه ضخم الدسيعة قرم يحمل المدحاً

فأصغى الوليد إلى الخصي بسعه وأعاد الخصي غير مرة ؛ ثم قال الوليد : ويحك
يا غلام ! من قول من هذا ؟ قال : من قول طريح ؛ فغضب الوليد حتى أمتلاً
غيظاً ، ثم قال : والها على أم لم تلدني ! قد جعلته أول داخل وآخر خارج ، ثم
يزعم أن هشاماً يحمل المدح ولا أحملها ! . ثم قال : علي بالحاجب ، فأتاه ؛ فقال :
لا أعلم ما أذنت لطريح ولا رأيته على وجه الأرض ، فإن حاولك فأخطفه
بالسيف . فلما كان العشي وصليت العصر ، جاء طريح للساعة التي كان يؤذن له
فيها ، فدنا من الباب ليدخل ؛ فقال له الحاجب : ورائك ! فقال : ما لك ! هل دخل
على ولي العهد أحدٌ بعدي ؟ قال : لا ! ولكن ساعة ولّيت من عنده دعاني فأمرني
ألا آذن لك ، وإن حاولتني في ذلك خطفتك بالسيف ؛ فقال : لك عشرة

(١) التفتة : الحين والزمان .

(٢) الدسيعة : العطية الجزيلة ، وتقال الدسيعة أيضاً للجنة الواسعة ، والمائدة الكريمة .

آلاف وأذن لي في الدخول عليه ؛ فقال له الحاجب : والله لو أعطيتني خراج العراق ما أذنت لك في ذلك ، وليس لك من خير في الدخول عليه فأرجع ؛ قال : ويحك ! هل تعلم من ذهاني عنده ؟ قال الحاجب : لا والله ؛ لقد دخلت عليه وما عنده أحد ، ولكن الله يحدث ما يشاء في الليل والنهار . قال : فرجع طريح وأقام بباب الوليد سنة لا يخلص اليه ولا يقدر على الدخول عليه ، وأراد الرجوع إلى بلده وقومه ، فقال : والله إن هذا لعجز بي أن أرجع من غير أن ألقى ولي العهد فأعلم من ذهاني عنده ؛ ورأى أناساً كانوا له أعداء قد فرحوا بما كان من أمره ، فكانوا يدخلون على الوليد ويحدثونه ويصدرون عن رأيهم ؛ فلم يزل يلفظ بالحاجب ويمتبه ، حتى قال له الحاجب : أما إذ أطلت المقام فإني أكره أن تنصرف على حالك هذه ، ولكن الأمير إذا كان يوم كذا وكذا دخل الحام ، ثم أمر بسريره فأبرز ، وليس عليه يومئذ حجاب ، فإذا كان ذلك اليوم أعلمتك فتكون قد دخلت عليه وظفرت بحاجتك وأكون أنا على حال عذر . فلما كان ذلك اليوم ، دخل الحام وأمر بسريره فأبرز وجلس عليه ، وأذن للناس فدخلوا عليه ، والوليد ينظر إلى من أقبل ، وبعث الحاجب إلى طريح ، فأقبل وقد تتام الناس ؛ فلما نظر الوليد اليه من بعيد صرف عنه وجهه ، وأستحيا أن يردّه من بين الناس ؛ فدنا فسلم فلم يردّه عليه السلام . فقال طريح يستعطفه ويتضرع اليه :

نام الحلي من الهوم وبات لي ليل أكابده وهم مضلع
وسهرت لا أسري ولا في لذّة أرقى وأغفل ما لقيت الهجع
أبغى وجوه خارجي من شهمة أزممت عليّ وسدّ منها المطلع
جزعاً لمعتبة الوليد ولم أكن من قبل ذلك من الحوادث أجزع
يأبن الخلائف إن سخطك لأمرى أمسيت عصمتة بلاه مفع

(١) في أساس البلاغة : « وأنا أطف بفلان إذا أريته مودة ورقاً في المعاملة » وفي اللسان : « يقال : لطف به وله بالفتح يلفظ لطفاً إذا رفق به ... » .

فَلَا تَرَعَنَّ عَنِ الَّذِي لَمْ تَهْوَهُ إِنْ كَانَ لِي وَرَأَيْتُ ذَلِكَ مَتَرَعُ
فَأَعْطِفْ فِدَاكَ أَيْ عَلَيَّ تَوْسَعًا وَفَضِيلَةً فَعَلَى الْفَضِيلَةِ تَتَّبَعُ
فَلَقَدْ كَفَاكَ وَزَادَ مَا قَدْ نَالَنِي إِنْ كُنْتُ لِي بِبِلَاءٍ ضَرٌّ تَقْنَعُ
سِمَةً لَذَاكَ عَلَيَّ جِسْمٌ شَاخِبٌ بَادِرٌ تَحْسُرُهُ وَلَوْ أَنَّ أَسْفَعُ
إِنْ كُنْتُ فِي ذَنْبٍ عَتَبْتَ فَإِنِّي عَمَّا كَرِهْتَ لِنَازَعٍ مَتَضَرَّعُ
وَيَنْسُتُ مِنْكَ فَكُلُّ عُسْرٍ بَاسِطٌ كَفًّا إِلَيَّ وَكُلَّ يَسْرٍ أَقْطَعُ
مَنْ بَعْدَ أَخْذِي مِنْ حِبَالِكَ بِالَّذِي قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ لَا يُقْطَعُ
فَارُبُّ صَنِيعِكَ لِي فَإِنْ بَاعَيْنِ لِلْكَاشِحِينَ وَتَمَجِّعِهِمْ مَا تَصْنَعُ
أَدْفَعْتَنِي حَتَّى أَتَقَطَّعْتُ وَسُدِدْتُ عَنِّي الْوَجُوهُ وَلَمْ يَكُنْ لِي مَدْفَعُ
وَرُجِيتُ وَأُتْقِيتُ يَدَايَ وَقِيلَ قَدْ أَمْسَى يَضُرُّ إِذَا أَحَبَّ وَيَنْفَعُ
وَدَخَلْتُ فِي حَرَمِ الدِّمَامِ وَحَاطَنِي خَفَرُ أَخَذْتُ بِهِ وَعَهْدُ مُوَلِّعُ
أَفْهَادِمُ مَا قَدْ بَنَيْتَ وَخَافِضُ شَرَفِي وَأَنْتَ لَغَيْرِ ذَلِكَ أَوْسَعُ
أَفَلَا خَشِيتَ سَحَابَاتِ قَوْمٍ فَتَهُمُ سَبَقًا وَأَنْفُسُهُمْ عَلَيْكَ تَقْطَعُ
وَفَضَلْتَ فِي الْحَسَبِ الْأَشْمَ عَلَيْهِمُ وَصَنَعْتَ فِي الْأَقْوَامِ مَا لَمْ يَصْنَعُوا
فَكَانَ أَنْفَهُمْ بِكُلِّ صَنِيعَةٍ أَسْدَيْتَهَا وَجَمِيلِ فِعْلٍ مُجْدَعُ
وَدَاوَا لَوْ أَنَّهُمْ يَنْالُ أَكْثَهُمُ سَلْلُ وَأَنَّكَ عَنْ صَنِيعِكَ تَتَرَعُ
أَوْ تَسْتَلِيمُ فَيَجْعَلُونَكَ أَسْوَى وَأَبَى الْمَلَامَ لَكَ التَّنْدَى وَالْمَوْضِعُ

قال : فَرَّ بَهْ وَأَدْنَاهُ ، وَضَحَكَ إِلَيْهِ ، وَعَادَ لَهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ .

(١) أسفع : شاحب متغير من مقاساة المشاق .

(٢) أقطع : مقطوع اليد .

(٣) أربب صنيعة : زده .

(٤) تستليم : تفعل ما تستحق عليه اليوم .

مع المنصور العباسي :

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا محمد بن عبد الله بن حمزة بن عتبة اللّهي عن أبيه :

أن طريحا دخل على أبي جعفر المنصور وهو في الشعراء؛ فقال له : لا حيّاك الله ولا ييّاك ! أما اتقيت الله - ويحك ! - حيث تقول للوليد بن يزيد :

لو قلت للسيل دَعْ طريقك والـمـوجُ عليه كالهَضْبِ يَعْتَلِجُ
لساخَ وارْتَدَّ أو لكان له في سائر الأرض عنك مُنْعَرَجُ

فقال له طريح : قد علم الله عزّ وجلّ أنّي قلت ذاك ويدي ممدودة اليه عزّ وجلّ ، وإياه تبارك وتعالى عنيت ؛ فقال المنصور : يا ربيع ، أما ترى هذا التخلّص ! .

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث بما أجاز لي أبو أحمد الجريدي روايته عنه :
حدثنا المدائني :

ان الوليد جلس يوماً في مجلس له عامر ، ودخل اليه أهل بيته ومواليه والشعراء وأصحاب الخوانج فقضاها ، وكان أشرف يوم رأيي له فقام بعض الشعراء فأنشد ، ثم وثب طريح ، وهو عن يسار الوليد ، وكان أهل بيته عن يمينه ، وأخواله عن شماله وهو فيهم ، فأنشده :

صوت

أنت ابن مُسَلَّنَطِجِ البطاح ولم تُطَرِّقْ عليكُ الحُنيُّ والولجُ
طوبى لفرعيكُ من هنا وهنا طوبى لأعراقتك التي تَشَجُ
لو قلتَ للسَّيلِ دَعُ طَرِيقَكَ والسَّوَجُ عليه كَالهَضْبِ يَعْتَلِجُ
لساخَ وأرتدَّ أو لكان له في سائر الأرض عنك مُنْعَرَجُ

فطرب الوليد بن يزيد حتى رُئي الارتياحُ فيه، وأمر له بخمسين ألفَ درهم، وقال :
ما أرى أحداً منكم يجيئني اليومَ بمثل ما قال خالي ، فلا يُنشدني أحدٌ بعده شيئاً ؛
وأمر لسائر الشعراء بِصَلاتٍ وأنصرفوا ، وأحتبس طريحاً عنده ، وأمر ابنَ عائشة
فغنى في هذا الشعر .

نسبة هذا الصوت

أنت ابنُ مُسَلَّنَطِجِ البطاح ولم تطرق عليك الحُنيُّ والولجُ
الآيات الأربعة . عروضه من المنسرح . غنَّاه ابنُ عائشة ، ولحنه رَمَلٌ
مطلقٌ في مجرى الوُسْطى عن إسحاق .

المسلنطج من البطاح : ما اتسع وأستوى سطحه منها . وتطرق عليك : تطبق

(١) في كتاب الشعر والشعراء واللسان (مادتي ولج وسلطج) : « تعطف » وقال في اللسان
(مادة طروق) : « وأطرق جناح الطائر : لبس الريش الأعلى الريش الأسفل ، وأطرق عليه القيل
ركب بعضه بعضاً ، وقوله : ولم تطرق عليك الحُنيُّ والولج ، أي لم يوضع بعضه على بعض فتراكب .
وتفسير صاحب اللسان هذا هو الذي يتفق مع معنى كلمات البيت . ومنه يعلم ما في تفسير أبي الفرج
لهذه الكلمة من بُعد .

(٢) ويروى : « طلياً لفرعيك ... طلياً لأعراقتك » .

(٣) تشج : تشبك وتلتف .

(٤) يعتلج : يلتطم .

عليك وتُعْطِيكَ وتُضَيِّقُ مكانك ؛ طرقت الحادثة بكذا وكذا إذا أتت بأمر
ضيق مُغْضِل . والوشيج : أصول النبت ؛ يقال : أعراقت واشجة في الكرم ، أي
نابتة فيه . قال الشاعر :

وَهَلْ يُنَبِّتُ الْخَطِيءُ إِلَّا وَشِيجَهُ وَتَنْبُتُ إِلَّا فِي مَغَارِسِهَا النُّخْلُ^١

يعني أنه كريم الأبوين من قریش وثقيف . وقد ردّد طريق هذا المعنى في الوليد ،
فقال في كلمة له :

وَأَعْتَامٌ كَهْلِكَ مِنْ ثَقِيفٍ كُفَاهُ فَتَنَازَعَاكَ فَأَنْتَ جَوْهَرُ جَوْهَرٍ
فَنَمَتْ فُرُوعُ الْقَرِيَتَيْنِ قَصِيهَا وَقَسِيهَا بِكَ فِي الْأَشْمِ الْأَكْبَرِ

والْحِنِي : ما انخفض من الأرض ، والواحدة " حَنًا " ، والجمع " حِنِي " مثل عصا
وعُصَي . والوُلُج : كلّ مُتَّسِعٍ في الوادي ، الواحدة وَلَجَةٌ ، ويقال : الوَلَجَاتُ بين
الجبال مثل الرِّحَاب ، أي لم تكن بين الْحِنِي ولا الوُلُج فيَحْنِي مكانك ، أي
لست في موضع خفي من الحسب . وقال أبو عبيدة : سمع عمر بن الخطاب رضي
الله عنه رجلاً يقول لآخر يفتخر عليه : أنا ابن مُسَلَّنَطِجِ الْبِطَاح ، وابن كذا وكذا ؛
فقال له عمر : إن كان لك عقل فلك أصل ، وإن كان لك خُلُق فلك شَرَف ،

(١) هو زهير بن أبي سلمى .

(٢) ويروى : وتفرس إلا في منابتها النخل .

(٣) اعتام : اختار .

(٤) قصي : أبو عدة بطون من قریش . وقسي (بفتح فكسر وتشديد آخره) : هو ثقيف .

(٥) لم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا (كاللسان والقاموس وشرحه والصاح) ما يؤيد التفسير
الذي ذكره أبو الفرج لمعنى هذه الكلمة ولا لمفرداتها . وعبارة اللسان (في مادة حنا) : « ... وَالْحِنُو .
كل شيء فيه أعوجاج أو شبه الأعوجاج من البدن كعظم الحجاج واللحني والفضلّس ومن غيره
كالقُف والحِقْف ومنعرج الوادي ، والجمع أحناء وحنّ وحنّ وحنّ ... » .

(٦) في اللسان (مادة ولج) : « ... ابن الأعرابي : ولج الوادي : معاطفه ، واحداثها ولجة ،
والجمع الولج » . ومنه يعلم أن الولج جمع للولجة .

وإن كان لك تقوى فلك كرم، وإلا فذاك الحمارُ خيرٌ منك، أَحَبُّكم إلينا قبل أن نراكم أَحْسُنُكم سَمَاءً، فإذا تكلَّمتم فأبينكم مَنطِقاً، فإذا آخَبناكم فأحْسُنكم فعلاً.

وقوله: «لو قلتَ للسَّيل دَعْ طَرِيقَكَ» يقول: أنتَ مَلِكُ هذا الأبطح والمطاع فيه، فكل من تأمره يُطِيعك فيه، حتى لو أمرتَ السَّيلَ بالأنصراف عنه لفعل لنفوذ أمرِكَ. وإِنما ضرب هذا مثلاً وجعله مبالغةً، لأنَّه لا شيء أشدَّ تعذراً من هذا وشبهه، فإذا صرفه كان على كل شيء سواه أقدر. وقوله: «لساخ» أي لغاض في الأرض. «وَأَرْتَدَّ» أي عدل عن طريقه، وإن لم يجد إلى ذلك سبيلاً كان له مُنْعَرَجٌ عنك إلى سائر الأرض.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال إسحاقٌ وحدثني به الواقدي عن أبي الزناد عن إبراهيم بن عطية:

أن الوليد بن يزيد لما ولي الخلافةَ بعث إلى المغتئين بالمدينة ومكة فأشخصهم إليه، وأمرهم أن يتفرقوا ولا يدخلوا نهراً ثلثاً يُعرفوا، وكان إذ ذاك يتستر في أمره ولا يظهره، فسبَّحهم ابنُ عائشة فدخل نهراً وشهر أمره، فحبسه الوليد وأمر به فقيد، وأذن للمغتئين وفيهم مَعْبِدٌ، فدخلوا عليه دَخَلَاتٍ، ثم إنه جمعهم ليلةً فغنَّوا له حتى طرب وطابت نفسه. فلما رأى ذلك منه مَعْبِدٌ قال لهم: أخوكم ابنُ عائشة فيما قد علمتم، فاطلبوا فيه؛ ثم قال: يا أمير المؤمنين، كيف ترى مجلسنا هذا؟ قال: حسناً لذيذاً؛ قال: فكيف لو رأيتَ ابنَ عائشة وسمعتَ ما عنده! قال: فعليَّ به، فطلع ابنُ عائشة يَرُسُفُ في قيده؛ فلما نظر إليه الوليد، أندفع ابنُ عائشة فغنَّاه في شعرٍ طريحٍ، والصنعةُ فيه له:

أنتَ ابنُ مُسَلَّنِطِخِ البِطاح ولم تُطَرِّقْ عليك الحِنيُّ والوُلُجُ

فصاح الوليدُ: اكسروا قيده وفكُّوا عنه؛ فلم يزل عنده أسيراً مُكروماً.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد عن الخزامي عن عثمان
ابن حفص عن إبراهيم بن عبد السلام بن أبي الحارث الذي يقول له عمر بن
أبي ربيعة :

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ فآتمراً أمراً رشيداً مؤتمناً

قال : والله إني لقاعدٌ مع مسلمة بن محمد بن هشام إذ مرّ به ابنُ جُوان بن عمر
ابن أبي ربيعة ، وكان يغني ؛ فقال له : اجلس يا ابن أخي غنّنا ، فجلس فغنّى :

أنت ابنُ مُسلّطِحِ البطاح ولم تُطرقِ عليك الحنيّ والولجُ

فقال له : يا ابن أخي ، ما أنت وهذا حين تغنّاه ، ولا حظّ لك فيه ، هذا قاله
طريح فينا :

إذِ الناسُ ناسٌ والزمانُ زمان

ومما في المائة الصوت المختارة من الأغاني

من أشعار طريح بن إسماعيل التي مدح بها الوليد بن يزيد :

صوت

من المائة المختارة

ويحي غداً إن غداً عليّ بما أهدرُ من لوعةِ الفراق غداً

وكيف صبري وقد تجاوب بالفرقة منها الغراب' والضرد'
 الشعر لطويح بن إسماعيل . والغناء لأبن مشعب الطائفي ، ولحنه المختار من
 الرمل بالوسطى .

(١) الصرد: طائر أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار له غلب يصطاد المصافير
 وصفار الطير، جمعه صردان، ويسكن بأني كثير، ويسمى الأخطب لحفرة ظهره، والأخيل لاختلاف
 لونه، وهو مما يتشام به من الطير قال الشاعر: فإ طائري يوماً عليك بأخيلا

ذكر ابن مشعب واخباره

هو رجل من أهل الطائف مولى لثقيف ، وقيل : إنه من أنفسهم ، وانتقل إلى مكة فكان بها . وإياه يعني العرجي بقوله :

بِفَنَاءِ بَيْتِكَ وَأَبْنُ مِشْعَبٍ حَاضِرٌ فِي سَامِرٍ عَطِيرٍ وَلَيْلٍ مُثْمِرٍ
فَتَلَازَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُفِيرِ

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال :

ابن مشعب مُعَنَّرٌ من أهل الطائف ، وكان من أحسن الناس غناءً ، وكان في زمن ابن سُريج والأعرج ؛ وعامةُ الغناء الذي يُنسب إلى أهل مكة له ، وقد تفرق غناؤه ، فنُسب بعضه إلى ابن سُريج ، وبعضه إلى الهذليين ، وبعضه إلى ابن مُحَرِّز . قال : ومن غنائه الذي يُنسب إلى ابن مُحَرِّز :

يَا دَارَ عَاتِكَةَ الَّتِي بِالْأَزْهَرِ

ومنه أيضاً :

أَقْفَرُ مِنْ يَحُلُّهُ السَّنْدُ فَالْمُنْحَى فَاَلْعَيْقُ فَالْجُمْدُ

(١) يلاحظ أن صاحب الاغاني أقسم ترجمة ابن مشعب هذا في وسط ترجمة طريح ولم يتحدث عنه إلا قليلاً ثم عاد إلى حديثه عن طريح .

(٢) في معجم ما استعجم للبكري : سند ماء بنهامة معروف . وقال أبو بكر : سند بفتحيتين : ماء معروف لبني سعد .

(٣) المنحى : موضع قرب مكة ، كما في شرح القاموس .

(٤) الجمد (بضمين) : جبل لبني نصر بنجد ، كما في معجم ياقوت .

أخبرني الحسين قال قال حماد وحدثني أبي قال :

مرض رجلٌ من أهل المدينة بالشام، فعاده جيرانه وقالوا له : ما تشتهي ؟
قال : أشتهي إنساناً يضع فمه على أذني ويُعَيِّنِي في بَيْتي العَرَجِيّ :

بِفَناءِ بَيْتِكَ وَأَبْنُ مِشْعَبَ حَاضِرٌ في سامرٍ عَطِرٍ وَلَيْلٍ مُثْمِرٍ
فَتَلَازِمَا عِنْدَ الْفَرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمَعْسِرِ

نسبة ما في هذه الاخبار من الاغاني

يا دارَ عاتِكةَ التي بالأزْهَرِ أو فوقه بقفا الكَثِيبِ الأحمرِ
بِفَناءِ بَيْتِكَ وَأَبْنُ مِشْعَبَ حَاضِرٌ في سامرٍ عَطِرٍ وَلَيْلٍ مُثْمِرٍ
فَتَلَازِمَا عِنْدَ الْفَرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمَعْسِرِ

الشعر للعرجي . والغناء لأبن محرز خفيفٌ ثقيلٌ أوّلٌ بالبَنْصَرِ ، وذكر إسحاق
أنه لأبن مِشْعَبَ . وذكر حبشٌ أن فيه لأبن المكي هزجاً خفيفاً بالبَنْصَرِ .

وأما الصوت الآخر الذي أوّله :

أَقْفَرُ مِنْ يَحُلُّهُ السَّنْدُ

فإنه الصوت الذي ذكرناه الذي فيه اللّحن المختار ؛ وهو أوّل قصيدة طَرِيحٍ
التي منها :

وَيُحْيِي غَدَاً إِنْ غَدَاً عَلَيَّ بَا أَكْرَهُ مِنْ لَوْعَةِ الْفَرَاقِ غَدُ

وليس يُغْنِي فيه في زماننا هذا . وهذه القصيدة طويلة يمدح فيها طَرِيحُ الْوَلِيدِ
أبن يزيد ، يقول فيها :

لَمْ يَبْقَ فِيهَا مِنَ الْمَعَارِفِ بَعْدَ الْحَيِّ إِلَّا الرَّمَادُ وَالْوَقْدُ

وَعَرُصَةٌ نَكَّرَتْ مَعَالِمَهَا الرِّيحُ بِهَا مَسْجِدٌ وَمُنْتَضِدٌ^١

اعجاب المنصور بشعره :

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني محمد بن خلف القاري قال أخبرنا هارون بن محمد ، وأخبرنا به وكيع - وأظنه هو الذي كُتِبَ عنه يحيى بن علي ، فقال : محمد بن خلف القاري - قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني علي بن عبد الله اللّهي قال حدثنا أبي عن أبيه قال :

أنشد المنصور هذه القصيدة ، فقال للرّبيع : أسمعت أحداً من الشعراء ذكر في باقي معالم الحميّ المسجد غير طريح ! . وهذه القصيدة من جيّد قصائد طريح يقول فيها :

لم أنسَ سَلَمَى ولا لِيَالِينَا بِالْحَزَنِ إِذْ عَيْشُنَا بِهَا رَغْدُ^٢
إِذْ نَحْنُ فِي مَيْعَةِ الشَّبَابِ وَإِذْ أَتَيْنَا تِلْكَ غَضَّةً جُدْدُ^٣
فِي عَيْشَةٍ كَالْفِرْنَدِ عَازِبَةٍ الشَّقْوَةِ خَضَاءُ غَضْنُهَا خَضْدُ^٤
نُحَسَدُ فِيهَا عَلَى النِّعَمِ وَمَا يُوَلِّعُ إِلَّا بِالنَّعْمَةِ الْحَسْدُ^٥
أَيَّامَ سَلَمَى غَرِيرَةٍ^٦ أَنْفُ كَأَنَّهَا خُوطُ بَانَةٍ رُوْدُ^٧
وَيُحْيِي غَدَاً إِنْ غَدَا عَلَيَّ بَمَا أَكْرَهُ مِنْ لَوْعَةِ الْفِرَاقِ غَدُ

(١) منتضد : مجتمع ومقام ، يقال : انتضد القوم بمكان كذا إذا أقاموا به .

(٢) يقال : عيش رغد (بفتح العين وكسرهما) : منحصب رفيع غزير ، ومنه رَغْد (يسكون الفين) ورغيد ورغد وأرغد .

(٣) عازبة الشقوة : بعيدتها .

(٤) خضد (بالتحريك) : رطب .

(٥) غريرة : بلهاء لصغر سنّها وقلة تجاربها . وأنف : عذراء .

(٦) الخوط : العنصن . والرؤد : العنصن أرطب ما يكون وأرخصه ، وذلك الوصف يكون له في السنة التي نبت فيها ، تشبه به الجارية الحسنة الشباب من النعمة .

قد كنت أبكي من الفراق وحيانا جميع ودارنا صددا
 فكيف صبري وقد تجاوب بالفرقة منها الغراب والسرور
 دع عنك سلمى لغير مقلية وعد مدحا بيوتيه سرور
 للأفضل الأفضل الخليفة عبد الله من دون شأوه صعد
 في وجهه النور يستبان كما لاح سراج النهار إذ يقدر
 يضي على خير ما يقول ولا يخلف ميعاده إذا يعد
 من معشر لا يشم من خذلوا غزا ولا يستذل من رقدوا
 بيض عظام الخاوم حذهم ماض حسام وخيرهم عند
 أنت إمام الهدى الذي أصلح الله به الناس بعد ما فسدوا
 لما أتى الناس أن ملكتهم اليك قد صار أمره سجدوا
 وأستبشروا بالرضا تبأشروهم بالخلد لو قيل إنكم خلدوا
 وعج بالحمد أهل أرضك حتى كاد يهتز فرحة أحد
 وأستقبل الناس عيشة أنفا إن تبق فيها لهم فقد سعدوا
 رزقت من ودهم وطاعتهم ما لم يجده لوالده ولقد
 أثلجهم منك أنهم علموا أنك فيما وليت مجتهد
 وأن ما قد صنعت من حسن وصدق ما كنت مرة تعد
 ألفت أهواءهم فأصبحت الأضغان سلما وماتت الحقد
 كنت أرى أن ما وجدت من الفرحة لم يلق مثله أحد
 حتى رأيت العباد كلهم قد وجدوا من هواك ما أجد

صوت

قد طلب الناس ما بلغت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا

(١) يقال: دار فلان صدد دار فلان وبصدها أي قبالتها.

يرفعك الله بالتكبر والتقوى فتعالوا وأنت مقتصد
حسب أمرى من غنى تقرب به منك وإن لم يكن له سبب
فأنت آمن لمن يخاف ولا يخذول أودى نصيره عَصْدُ

- غنى في هذه الأبيات الأربعة إبراهيم خفيف ثقیل بالنصر -

كل أمرى ذي يد تعدّ عليه منك معلومة يد ويد
فهم ملوك ما لم يروك فإن دانا هم منك منزل تخذوا
تعروهم رعدة لديك كما قفقت تحت الدجنة الصرد
لا خوف ظلم ولا قلى خلقه إلا جلا لا كساكه الصدد
وأنت غمر الندى إذا هبط الزوار أرضاً تحلها حمدوا
فهم رفاق فرقة صدرت عنك بغنم ورققة ترد
إن حال دهر بهم فإنك لا تنفك عن حالك التي عهدوا
قد صدق الله مادحيك فما في قولهم فرقة ولا فدد

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال :

سمعت إسحاق بن إبراهيم الموصلي يخلف بالله الذي لا إله إلا هو انه ما
رأى أذكى من جعفر بن يحيى قط ، ولا أفطن ، ولا أعلم بكل شيء ، ولا
أفصح لساناً ، ولا أبلغ في مكاتبة . قال : ولقد كنا يوماً عند الرشيد ، فغنى
أبي لحناً في شعر طريح بن إسماعيل وهو :

قد طلب الناس ما بلغت فما نالوا ولا قاربوا وقد جاهدوا

فأستحسن الرشيد اللحن والشعر وأستعاده ووصل أبي عليه . وكان اللحن في طريقة

(١) يقال : ما له سبد ولا لبد أي ما له شيء . ويروى : « سند » .

(٢) قفقت : ارتعد من البرد . والصرد : المقرور .

خفيف الثقل الأول . فقال جعفر بن يحيى : قد والله يا سيدي أحسن ، ولكن
اللحن مأخوذ من لحن الدلال الذي غناه في شعر أبي زبيد :

مَنْ يَرِ الْعَيْرَ لَا بِنَ أَرَوَى عَلَى ظَهْرِ الْمَرْوَرَى ' حَدَاتِنَ عَجَالُ

وأما الشعر فنقله طريح من قول زهير :

سعى بعدهم قومٌ لكي يُدرَكُوهمُ فلم يفعلوا ولم يُليَمُوا ولم يَأَلُوا

قال إسحاق : فعجبتُ والله من علمه بالألحان والأشعار ، وإذا اللحن يُشبه لحن
الدلال ، قال : وكذلك الشعر ، فأغتمتُ أني لم أكن فهمتُ اللحن ، وكان
ذلك أشدَّ عليَّ من ذهاب أمر الشعر عليَّ ، وأنا والله مع ذلك أغني الصوتين وأحفظ
الشعرين . قال الحسين : ولحنُ الدلال في شعر أبي زبيد هذا من خفيف الثقل
أيضاً .

قصته مع اعرابي عاشق :

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال حدثني أبو الحسن البلاذري أحمد
ابن يحيى وأبو أيوب المديني ، قال البلاذري وحدثني الحرمازي ، وقال أبو
أيوب وحدثني الحرمازي قال حدثني أبو القعقاع سهل بن عبد الحميد عن أبي
ورقاء الحنفي قال :

(١) كذا في أكثر الأصول، والمرورى على وزن فعلل : جمع مرواة وهي الفلاة البعيدة
المستوية . (معجم ما استعجم ص ٥٢٠) . وفي ح والشعر والشعراء (ص ١٦٧) : « المروى » .
والمروى (بضم أوله وفتح ثانيه بعده واو مشددة مفتوحة) : موضع . (معجم ما استعجم ص ٥٢٦) .

(٢) لم يليموا : أي لم يأتوا ما يلامون عليه حين لم يبلغوا منزلة هؤلاء لأنها أعلى من أن تبلغ،
فهم معذرون في التقصير عنها والتوقف دونها، وهم مع ذلك لم يألوا أي لم يقصروا في السعي بجمعيل
الفعل .

(٣) وىروى : فلم يبلغوا ولم يلاموا ولم يألوا .

خرجتُ من الكوفة أريد بغدادَ، فلما صرت إلى أول خانٍ تزلته، بسطَ غلماننا وحيثوا غداً هم، ولم يحى أحدٌ بعدُ، إذ رمانا البابُ برجلٍ فارِهِ^(١) البرذونِ حسنِ الهيئة، فصحتُ بالعلمانِ، فأخذوا دابَّتَه فدفَعها إليهم، ودعوتُ بالقداءِ، فبسطَ يده غيرِ محتشمٍ، وجعلتُ لا أكرمه بشيءٍ إلا قَبِلَه؛ ثم جاء غلمانُه بعد ساعةٍ في ثَقَلٍ^(٢) سريٍّ وهيئةٍ حسنةٍ؛ فتناسبتنا^(٣) فإذا الرجلُ طَرِيحُ بنِ إسماعيلَ الثَّقَفِيِّ؛ فلما أرتحلنا أرتحلنا في قافلةٍ غَنَاءٍ لا يُدْرِكُ طرفاها؛ قال: فقال لي: ما حاجتُنا إلى زحامِ الناسِ وليستُ بنا إليهم وُحْشَةٌ ولا علينا خوفٌ! نتقدمهم بيومٍ فيُخلو لنا الطريقُ ونصادفُ الخاناتِ فارغةً ونودِعُ أنفسنا إلى أن يُوافوا؛ قلت: ذلك إليك. قال: فأصبحنا الغدَ فنزلنا الخانَ فتَقَدَّينا وإلى جانبنا نهرٌ ظليلٌ؛ فقال: هل لك أن نستنقعَ فيه؟ فقلتُ له: شَأْنُكَ؛ فلما سَرَا ثِيَابَه إذا بين عُصَصِهِ إلى عُقَقِهِ^(٤) ذاهبٌ، وفي جنبه أمثالُ الجُرْذَانِ، فوقع في نفسي منه شيءٌ؛ فنظرَ إليّ ففَطِنَ وتَبَسَّمَ، ثم قال: قد رأيتُ ذُعْرَكَ بما رأيتَ، وحديثُ هذا إذا سَرْنَا العشيَّةَ إن شاء الله تعالى أحدثك به. قال: فلما ركبنا قلت: الحديثُ! قال: نعم، قديمٌ من عند الوليد بن يزيد بالدنيا وكتب إلى يوسف بن عمر مع فرأش فلا يدي أصحائي، فخرجتُ أبادر الطائفَ؛ فلما أمتدَّ لي الطريقُ وليس يصحبني فيه خَلْقٌ، عَنِّي^(٥) لي أعرابيٌّ على بعيرٍ له، فحدثني، فإذا هو حسنُ الحديثِ، ورَوَى لي الشعرَ فإذا هو راويةٌ، وأنشدني لنفسه فإذا هو شاعرٌ؛ فقلتُ له: من أين أقبلتَ؟ قال: لا أدري؛ قلت: فأين تريد؟ فذكر قصةً يُخَيِّرُ فيها أنه عاشقٌ لمرثيةٍ قد أفسدتُ

(١) البرذون الغارهِ: التشيط السريع السير.

(٢) الثقل: متاع المسافر وحشمه.

(٣) تناسبتنا: ذكر كل منا نسبه.

(٤) سرا ثيابه سراً: ألقاها عنه.

(٥) وفي بعض النسخ: «كرده». والكرد: العنق، وقيل أصله.

(٦) عَنِّي: عرض لي.

عليه عقله، وسأرها عنه أهلها وجفاه أهله، فإنما يستريح الى الطريق ينحدر مع
 منحدره ويصعد مع مصعديه؛ قلت : فأين هي ؟ قال : غداً نزل بإزائها . فلما
 نزلنا أراني ظرباً عن يسار الطريق، فقال لي : أترى ذلك الظرب ؟ قلت : أراه؛
 قال : فإنها في مسقطه . قال : فأدركتني أريحية الشباب، فقلت : أنا والله آتيها
 برسالتك . قال : فخرجت وأتيت الظرب وإذا بيت حرير^١ وإذا فيه امرأة
 جميلة ظريفة؛ فذكرته لها ففررت زفرة كادت أضلاعها تساقط؛ ثم قالت :
 أوحى هو ؟ قلت : نعم، تركته في رحلي وراء هذا الظرب، ونحن باتتون
 ومصبحون؛ فقالت : يا بأبي أرى لك وجهاً يدل على خير، فهل لك في الأجر ؟
 فقلت : فقير والله اليه؛ قالت : فألبس ثيابي وكن مكاني ودعني حتى آتيه، وذلك
 مغير^٢ بأن الشمس؛ قلت : أفعل؛ قالت : إنك اذا أضلمت أذاك زوجي في هجمة^٣
 من إبله، فإذا بركت أذاك وقال : يا فاجرة يا هنتاه^٤، فيوسعك شتاً فأوسعك صتاً،
 ثم يقول : اقمعي^٥ سقاءك^٦، فضع القمع في هذا السقاء حتى يحن^٧ فيه، وإياك
 وهذا الآخر فإنه واهي الأسفل . قال : فجاء ففعلت ما أمرتني به، ثم قال : اقمعي

(١) في بعض النسخ : « وحد عليها أهلها » وحد عليه : غضب عليه .

(٢) في بعض النسخ : « وخلعه »، يقال : خلع فلان ابنه أي تبرأ منه . وكان في الجاهلية إذا
 قال قائل هذا أبني قد خلعتك، لا يؤخذ بعد بجريرته .

(٣) والظرب : الراية الصغيرة .

(٤) الحرير : المعتزل المنتحى . وفي حديث صمصة « فرفع لي بيت حرير » أي متنبذ متنع عن
 الناس .

(٥) الهجمة من الإبل : أولها أربعون الى ما زادت . أو ما بين السبعين الى المائة، فإذا بلغت
 المائة فهي هنيذة .

(٦) يا هنتاه : أي يا هذه، وقيل : يا بلهاء، وتفتح النون وتسكن وتضم الهاء الاخيرة وتسكن .

(٧) قمع الإناء : وضع القمع في فيه ليصب فيه الدهن وغيره .

(٨) حقن اللبن : جمعه .

سقاءك، فحينئذ الله، فتركت الصحيح وقمعت الواهي، فما شعر إلا باللبن بين
رجليه، فعمد إلى رشاء من قدر مربوع، فثناه بأثنين فصار على ثمان قوى، ثم
جعل لا يتقي مني رأساً ولا رجلاً ولا جنباً، فخشيت أن يبدو له وجهي، فتكون
الأخرى، فألزمت وجهي الأرض، فعمل بظهري ما ترى.

(١) حينئذ الله: لم يوفقه للرشاد.

(٢) الرشاء: الحبل. والقدر: السير المقدود من الجلد. ومربوع: ذو أربع قوى.

ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه

أبو سعيد مولى فائد . وفائد مولى عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه .
وذكر ابن خردادزبه أن أسم أبي سعيد إبراهيم . وهو يعرف في الشعراء بأبن أبي
سنّة مولى بني أمية ، وفي المغنين بأبي سعيد مولى فائد . وكان شاعراً مجيداً ومغنياً ،
وناسكاً بعد ذلك ، فاضلاً مقبولاً الشهادة بالمدينة معدلاً . وعمر الى خلافة الرشيد ،
ولقيه إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي وذووهما . وله قصائد جياذ في مرثي بني
أمية الذين قتلهم عبد الله وداود أبنا علي بن عبد الله بن العباس ، يذكرها هنا في
موضعه منها ما تسوق الأحاديث ذكره .

غناؤه عند المهدي :

أخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله عن إسحاق ، وأخبرني
الحسين بن يحيى عن ابن أبي الأزهري عن حماد عن أبيه ، وأخبرنا به يحيى بن علي
عن أخيه أحمد بن علي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسدي عن إسحاق ،
قال يحيى خاصة في خبره :

قال إسحاق : حججت مع الرشيد ، فلما قرئت من مكة استأذنته في التقدم
فأذن لي ، فدخلت مكة ، فسألت عن أبي سعيد مولى فائد ، فقيل لي : هو في
المسجد الحرام ؛ فأتيت المسجد فسألت عنه ، فدللت عليه ، فإذا هو قائم يصلي ،
فجلست قريباً منه ؛ فلما فرغ قال لي : يا فتى ، ألك حاجة ؟ قلت : نعم ،
تغنيني : « لقد طفت سبعا » . هذه رواية يحيى بن علي . وأما الباقيون فإنهم ذكروا
عن إسحاق أن المهدي قال هذا لأبي سعيد وأمره أن يغني له :

لقد طفتُ سبعاً قلتُ لما قَضَيْتُهَا أَلَا لَيْتَ هَذَا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

ورَفَقَ بِهِ وَأَدْنَى مَجْلِسَهُ، وَقَدْ كَانَ نَسَكَ؛ فَقَالَ: أَوْ أَغْنَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْسَنَ مِنْهُ؟ قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ؛ فَغَنَى:

إِنْ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ نَشَرَ الْمَجْدَ بَعْدَ مَا كَانَ مَاتَا
وَبَنَاهُ عَلَى أُسَاسٍ وَثِيقٍ وَرِعَادٍ قَدْ أَثْبَتَتْ إِبْنَاتَا
مِثْلَ مَا قَدْ بَنَى لَهُ أَوَّلُوهُ وَكَذَا يُشَبِّهُ الْبُنَاةُ الْبُنَاتَا

— الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد — فَأَحْسَنَ؛ فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ: أَحْسَنْتَ يَا أَبَا سَعِيدَ، فَغَنَيْتَنِي «لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا»؛ قَالَ: أَوْ أَغْنَيْكَ أَحْسَنَ مِنْهُ؟ قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ؛ فَغَنَاهُ:

قَدِيمَ الطَّوِيلِ فَأُشْرَقَتْ وَأُسْتَبْشِرَتْ أَرْضُ الْحِجَازِ وَبَانَ فِي الْأَشْجَارِ
إِنْ الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ فَأَعْلَمُوا سَادَ الْحُضُورَ وَسَادَ فِي الْأَسْفَارِ

فَأَحْسَنَ فِيهِ؛ فَقَالَ: غَنَيْتَنِي «لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا»؛ قَالَ: أَوْ أَغْنَيْكَ أَحْسَنَ مِنْهُ؟ قَالَ: فَغَنَيْتَنِي؛ فَغَنَاهُ:

أَيُّهَا السَّائِلُ الَّذِي يَخِيطُ الْأَرْضَ ضَرَّ دَعَرَ النَّاسَ أَجْمَعِينَ وَرَاكَا
وَأَتَى هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ إِنْ تَخَوَّفْتَ عَيْلَةً أَوْ هَلَكََا

فَأَحْسَنَ فِيهِ؛ فَقَالَ لَهُ: غَنَيْتَنِي «لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا»، فَقَدْ أَحْسَنْتَ فِيمَا غَنَيْتَ، وَلَكِنَّا نَحِبُّ أَنْ تُغَنِّيَ مَا دَعَوْنَاكَ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ: لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِي وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ لَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَقَدْ رَفَعَهُ لِيَضْرِبَنِي بِهِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَبَا سَعِيدَ، لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا، لَقَدْ

طفتُ سبعا، سبعا طفتُ! ما صنعتَ بأمّتي في هذا الصوت!؛ فقلتُ له: بأبي
أنتُ وأمي اغفرْ لي، فوالذي بعثك بالحق وأصطفاك بالنبوة لا غَنَيْتُ هذا الصوت
أبدًا؛ فردّ يده، ثم قال: عفا الله عنك إذا، ثم أنتبهتُ؛ وما كنتُ لأُعْطِيَ
رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم شيئاً في منامي فأرجعَ عنه في يَقْظَتِي؛ فبكى
المهديُّ وقال: أحسنتَ يا أبا سعيدٍ أحسنَ الله اليك! لا تُعْذِرْ في غنائه، وحبّاه
وكسّاه وأمرَ برّده إلى الحجاز. فقال له أبو سعيد: ولكن أسمعْه يا أمير المؤمنين
من منّةٍ جاريةٍ البرامكة. وأظنّ حكايةَ مَنْ حكى ذلك عن المهديّ غلطاً،
لأن منّةَ جاريةٍ البرامكة لم تكن في أيام المهديّ، وإنما نشأتْ وعُرفتْ في
أيام الرّشيد.

وقد حدّثني أحمد بن جعفر جَعْظَةَ قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن
المهديّ عن أبيه أنه هو الذي لقي أبا سعيد مولى فائد وجاراه هذه القصة. وذكر
ذلك أيضاً حماد بن إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ. وقد يجوز أن يكون إبراهيم
ابن المهديّ وإسحاق سألاه عن هذا الصوت فأجابها فيه بمثل ما أجاب المهديّ.
وأما خبرُ إبراهيم بن المهديّ خاصّةً فله معانٍ غيرُ هذه، والصوتُ الذي سألَه
عنه غيرُ هذا، وسيُذكر بعد أنقضاء هذه الأخبار لئلا تنقطع.

وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال حدّثنا عمر بن شُبّة:

أن إبراهيم بن المهديّ لقي أبا سعيد مولى فائد؛ وذكر الخبرَ بمثل الذي قبله؛
وزاد فيه: فقال له: أشخصُ معي إلى بغداد، فلم يفعل؛ فقال: ما كنتُ لأخذك
بما لا تحبّ، ولو كان غيرُكَ لأكرهته على ما أحبّ، ولكن دُلّني على من
ينوب عنك؛ فدّلّه على ابن جابع، وقال له: عليك بغلام من بني سَهْم قد أخذ
عني وعن نظرائي وتخرّج، وهو كما تحبّ؛ فأخذه إبراهيم معه فأقدمه بغداد؛ فهو
الذي كان سببَ ورودِهِ إليها.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

من المائة المختارة

لقد طُفْتُ سَبْعاً قُلْتُ لَمَّا قَضَيْتُهَا أَلَا لَيْتَ هَذَا لَا عَلِيَّ وَلَا لِيَا
يُسَائِلُنِي صَحْبِي فَمَا أَعْقِلُ الَّذِي يَقُولُونَ مِنْ ذِكْرِ اللَّيْلِ أَعْتَرَانِيَا

عروضه من الطويل . ذكر يحيى بن علي أن الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، وذكر غيره أن الشعر للمجنون . ولحنه خفيف رمل بالنصر وهو المختار . وذكر حبش أن فيه لإبراهيم خفيف رمل آخر . والذي ذكر يحيى بن علي من أن الشعر لأبي سعيد مولى فائد هو الصحيح .

أخبرني عمي عن الكُرَافِي عن عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَمِي أنه أنشده لأبي سعيد مولى فائد . قال عمي : وأنشدني هذا الشعر أيضاً أحمد بن أبي طاهر عن أبي دُعامة لأبي سعيد . وبعد هذين البيتين اللذين مضيا هذه الأبيات :

إِذَا جِئْتَ بَابَ الشَّعْبِ شَعْبُ ابْنِ عَامِرٍ فَأَقْرَى غُرَالَ الشَّعْبِ مِثِّي سَلَامِيَا
وَقُلْ لَغُرَالِ الشَّعْبِ هَلْ أَنْتَ نَازِلٌ بِشَعْبِكَ أَمْ هَلْ يُصْبِحُ الْقَلْبُ ثَاوِيَا
لَقَدْ زَادَنِي الْحُجَّاجُ شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ لِلْحَجِّ قَالِيَا
وَمَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَى وَجْهِ قَادِمٍ مِنْ الْحَجِّ إِلَّا بَلَّ دَمْعِي رَدَائِيَا

في البيت الأول من هذه الأبيات هو :

إِذَا جِئْتَ بَابَ الشَّعْبِ شَعْبُ ابْنِ عَامِرٍ

(١) شعب بني عامر : ماء أوله الأُبُلَّة . كما في معجم ياقوت .

لأَبْنِ جَامِعٍ خَفِيفُ رَمْلٍ عَنِ الْهَشَامِيِّ .

ومنها :

صوت

إِنَّ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ نَشَرَ الْمَجْدَ بَعْدَ مَا كَانَ مَاتَا
وَبَنَاهُ عَلَى أَسَاسٍ وَثِيقٍ وَعِمَادٍ قَدْ أُثْبِتَتْ إِبْنَاتَا
مِثْلَ مَا قَدْ بَنَى لَهُ أَوَّلُوهُ وَكَذَا يَشْبَهُ الْبُنَاةُ الْبُنَاتَا

عروضه من الخفيف . الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد . ولحنه رمل مطلق
في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها :

صوت

قَدِيمُ الطَّوِيلُ فَأَشْرَقَتْ لَقْدُومُهُ أَرْضُ الْحِجَازِ وَبَانَ فِي الْأَشْجَارِ
إِنَّ الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ فَأَعْلَمُوا سَادَ الْحُضُورَ وَسَادَ فِي الْأَسْفَارِ

الشعر والغناء لأبي سعيد .

ومنها :

صوت

أَيُّهَا الطَّالِبُ الَّذِي يَخْطِطُ الْأَرْ ضَ دَعِ النَّاسَ أَجْمَعِينَ وَرَاكَا
وَأَتِ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ إِنْ تَخَوَّفْتَ عَيْلَةً أَوْ هَلَكََا

عروضه من الخفيف . الشعر لأبي سعيد مولى فائد ، وقيل : إنه للدَّارِمِيِّ
والغناء لأبي سعيد خفيف ثقيل . وفيه للدَّارِمِيِّ ثاني ثقيل .

الطويل من آل حفص الذي عناه الشعراء في هذه الأشعار، هو عبد الله
أبن عبد الحميد بن حفص، وقيل: أبن أبي حفص بن المغيرة الخزومي، وكان
ممدحاً.

مدحه لعبد الله بن عبد الحميد الخزومي :

فأخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة عن أبي أيوب المديني قال حدثنا عبد
الرحمن أبن أخي الأصمعي عن عمه :

ان عبد الله بن عبد الحميد الخزومي، كان يُعطي الشعراء فيجزل، وكان
موسراً، وكان سبب يساره ما صار اليه من أم سلمة الخزومية امرأة أبي العباس
السفاح، فإنه تزوجها بعده، فصار اليه منها مالٌ عظيم، فكان يتسّمح به ويتنقى^(١)
ويتسع في العطايا. وكانت أم سلمة مائلة اليه، فأعطته ما لا يدري ما هو، ثم
إنها اتهمته بجارية لها فأحتجبت عنه، فلم تعد اليه حتى مات. وكان جميل الوجه
طويلاً. وفيه يقول أبو سعيد مولى فائد :

إن هذا الطويل من آل حفص نشر المجد بعد ما كان ماتا

وفيه يقول الدارمي :

أيها السائل الذي يخطئ الأر ضاع الناس أجمعين وراكا
وأتر هذا الطويل من آل حفص إن تخوفت عيلة أو هلاكاً

وفيه يقول الدارمي أيضاً :

صوت

إن الطويل إذا حلت به يوماً كفاك مؤونة الثقل

(١) يتنقى : ينقى .

وُروى :

إِنْ الطويل إذا حَلَّتْ بِهِ

وَحَلَّتْ فِي دَعَا فِي كَنْفِ رَحْبِ الْفَنَاءِ وَمَنْزِلِ سَهْلٍ

غَنَاهُ أَبُو عَبَّادِ الْكَاتِبِ، وَلَحْنُهُ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبَنْصَرِ عَنْ أَبِي الْمَكِّي .

غَنَاءُهُ فِي الْمَسْجِدِ :

فَأَمَّا خَبَرُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ مَعَ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى فَائِدٍ الَّذِي قُلْنَا إِنَّهُ يُذَكِّرُ
هَاهُنَا، فَأَخْبَرَنِي بِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّيَلْتِ
قَالَ حَدَّثَنِي الْقَطْرَانِيُّ الْمَغَنِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو جَبْرِ قَالَ :

سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهْدِيِّ يَقُولُ : كُنْتُ بِمَكَّةَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَإِذَا شَيْخٌ
قَدْ طَلَعَ وَقَدْ قَلَبَ إِحْدَى نَعْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى وَقَامَ يَصَلِّي؛ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي :
هَذَا أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى فَائِدٍ؛ فَقُلْتُ لِبَعْضِ الْغُلَّانِ : أَحْبَبْتُهُ خُصْبَةً؛ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ :
مَا يَظُنُّ أَحَدُكُمْ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ إِلَّا أَنَّهُ لَهُ؛ فَقُلْتُ لِلْغُلَامِ : قُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ
مَوْلَايَ : أَبْلَغْنِي؛ فَقَالَ ذَلِكَ لَهُ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ : مَنْ مَوْلَاكَ حَفَظَهُ اللَّهُ؟ قَالَ :
مَوْلَايَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهْدِيِّ، فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : أَنَا أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى فَائِدٍ؛ وَقَامَ يَجْلِسُ
بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ : لَا وَاللَّهِ - بَأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي - مَا عَرَفْتُكَ! فَقُلْتُ : لَا عَلَيْكَ،
أَخْبَرَنِي عَنْ هَذَا الصَّوْتِ :

أَفَاضَ الْمَدَامِعَ قَتَلَى كُدَى^(١) وَقَتَلَى بِكُثُوءَ^(٢) لَمْ تُرْمَسْ

قَالَ : هُوَ لِي؛ قُلْتُ : وَرَبِّ هَذِهِ الْبَيْتَةِ لَا تَبْرَحُ حَتَّى تُغْنِيَهُ؛ قَالَ : وَرَبِّ هَذِهِ

(١) كُدَى (بِالْفَمِّ وَالْقَصْرِ) : مَوْضِعٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ عِنْدَ ذِي طُلُوزٍ بِقُرْبِ شِعْبِ الشَّافِعِيِّينَ،
وَكُدَى (مَنْقُوصَةٌ كَفَتْ) : ثَنِيَّةٌ بِالطَّائِفِ . وَكُدَاءُ (كَسَاءُ) : اسْمٌ لِعُرْفَاتٍ أَوْ جِبَلٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ .
وَالشَّاعِرُ يَرِيدُ مَوْضِعًا بَعِيْنَهُ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ كَانَتْ بِهِ وَقْعَةٌ وَقَتْلَى، وَكُلٌّ مِنْهَا يَحْتَمِلُهُ وَزَنُ الشَّعْرِ .

(٢) كُثُوءٌ : مَوْضِعٌ .

البنية لا تبرح حتى تسمع . قال : ثم قلب إحدى نعليه وأخذ بعقب الأخرى، وجعل يقرع بحرفها على الأخرى ويغنيه حتى أتى عليه، فأخذته منه . قال ابن جبر: وأخذته أنا من إبراهيم بن المهدي .

رد شهادته ثم قبولها :

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني دنية المدني صاحب العباسة بنت المهدي، وكان آدب من قدم علينا من أهل الحجاز :

ان أبا سعيد مولى فائد حضر مجلس محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة لأبي جعفر، وكان مقدماً لأبي سعيد؛ فقال له ابن عمران التيمي : يا أبا سعيد أنت القائل :

لقد طفتُ سبعا قلت لما قضيتها ألا ليت هذا لا علي ولا ليأ

فقال : إي لعمر أبيك، وإني لأدبجه إدماجاً من لؤلؤ؛ فرد محمد بن عمران شهادته في ذلك المجلس . وقام أبو سعيد من مجلسه مغضباً وحلف ألا يشهد عنده أبداً . فأنكر أهل المدينة على ابن عمران رده شهادته، وقالوا : عرضت حقوقنا للتوى وأموالنا للتلف؛ لأننا كنا نشهد هذا الرجل لعلمنا بما كنت عليه والقضاة قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله؛ فنديم ابن عمران بعد ذلك على رد شهادته، ووجه اليه يسأله حضور مجلسه والشهادة عنده ليقضي بشهادته؛ فأمتنع، وذكر أنه لا يقدر على حضور مجلسه لزمته إن حضره حنث . قال : فكان ابن عمران بعد ذلك، إذا ادعى أحد عنده شهادة أبي سعيد، صار اليه الى منزله أو مكانه من المسجد حتى يسمع منه ويسأله عما يشهد به فيخبره . وكان محمد بن عمران كثير اللحم، عظيم البطن، كبير العجيزة، صغير القدمين، دقيق الساقين يشتد عليه

(١) التوى (وزان الحصى، وقد جدد - كما في المصباح) : الهلاك .

المشي، فكان كثيراً ما يقول : لقد أتعبني هذا الصوت « لقد طفتُ سبعا » وأضرَّ
بي ضرراً طويلاً شديداً ، وأنا رجلٌ نَقالٌ ، بترددي الى ابي سعيد لأسمع
شهادته .

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا النضر بن عمر عن الهيثم بن
هدي قال :

كان المطلب بن عبد الله بن حنطب قاضياً على مكة، فشهد عنده أبو سعيد
مولى فائد بشهادة؛ فقال له المطلب : ويحك ! ألت الذي يقول :

لقد طفتُ سبعا قلتُ لما قضيتها ألا ليت هذا لا علي ولا ليا

لا قيلتُ لك شهادة أبداً . فقال له أبو سعيد : أنا والله الذي أقول :

كانَ وجوهَ الحنطيين في الدجى قناديلُ تسقيها السليط الهياكلُ

فقال الحنطبي . إنك ما علمتُك إلا دباباً حول البيت في الظلم، مُدْمِناً للطواف
به في الليل والنهار؛ وقيل شهادته .

نسبة الصوت المذكور قبل هذا، الذي في حديث

إبراهيم بن المهدي وخبره

صوت

أفاضَ المدامعَ قتلى كدى وقتلى بكثرة لم تُرَمَسِ

(١) الحنطيون : بطن من مخزوم، ينسبون الى حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم
القرشي الصحابي .

(٢) السليط : الزيت وكل دهن عصر من حب .

وَقَتْلِي يَوْجَ^١ وباللَّابِّيَّيْنِ^٢ من يثرب خيرُ ما أنفُسُ
وبالزَّابِّيَّيْنِ^٣ نفوسُ تَوَتَ^٤ وأخرى بنهر أبي فطرُسٍ^٥
أولئك قومي أناختُ بهم نوائبُ من زمن مُتَعِسٍ
إذا ركبوا زَيْنُوا^٦ الموكِبِينَ^٧ وإن جلسوا الزَّيْنُ^٨ في المجلسِ
همُ أضرَعوني لرَّيْبِ الزَّمانِ^٩ وهم أَلَصَقُوا^{١٠} الرِّغمَ^{١١} بِالْمَعْطَسِ^{١٢}

عروضه من المتقارب . الشعر للعَبَّيَّيْنِ ، وأسمه عبد الله بن عمر ، ويكنى أبا عدي ، وله أخبارٌ تذكرُ مُفردةً في موضعها إن شاء الله . والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ولحنه من الثَّقِيلِ الثاني بالسَّبَّابة في مجرى البِنْصر . وقصيدة العَبَّيَّيْنِ أولها :

تقول أُمَامَةُ^{١٣} لما رأت نُشُوزِي^{١٤} عن المَضْجَعِ^{١٥} الْأَنْفَسِ^{١٦}

إِبْكَاءُهُ فِي الْأَنْشَادِ :

نسخت من كتاب الْحَرَمِيِّ^{١٧} بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ^{١٨} بن بكَّارٍ ،

(١) يَوْجَ : اسم واد بالطائف .

(٢) اللَّابَتَانِ : ثنية لابة وهي الحرّة ، وهما حرتان تكتنفان المدينة ، وفي الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم ما بين لابتيها ، يعني المدينة . والحرّة : أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار .

(٣) الزَّابِيَانِ : ثنية زاب ، وربما قيل فيه : « زابي » (بياض في آخره) فيثنى على « زابيين » . وهو اسم لروافد كثيرة . ولعل الشاعر يريد الزاب الأعلى الذي بين الموصل وإربل . وفيه كانت وقعة بين مروان الحمار بن محمد وبني العباس ؛ والزاب الأسفل وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة وعليه كان مقتل عبيد الله بن زياد وهو من بني أمية .

(٤) نهر أبي فطرُس : نهر قرب الرملة من أرض فلسطين على اثني عشر ميلاً من الرملة ، وغرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس ، ويصب في البحر الملح بين يدي مدينتي أرسوف ويافا ؛ وبه كانت الوقعة التي بين عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس وبين بني أمية ، فقتلهم في سنة ١٣٢ هـ ، فقال أبو سعيد مولى فائد هذا الشعر .

(٥) الرِّغم : التراب . والمعطس (كمجلس ومقعد) : الأنف .

وأخبرني الأخفش عن المبرد عن المغيرة بن محمد المهلبى عن الزبير عن سليمان بن عياش السعدي قال :

جاء عبد الله بن عمر العبلى الى سويقة وهو طريد بني العبّاس ؛ وذلك بعقب أيام بني أمية وأبتداء خروج ملكهم إلى بني العبّاس ، فقصده عبد الله وحسناً أبني الحسن بن حسن بسويقة ؛ فاستنشه عبد الله بن حسن شيئاً من شعره فأنشده ؛ فقال له : أريد أن تنشدي شيئاً مما رأييت به قومك ؛ فأنشده قوله :

تقولُ أمانةُ لما رأيتُ	نُشوزي عن المَضْجَعِ الأنْفَسِ
وقلّةُ نومي على مضْجعي	لدى هَجْمَةِ الأَعْيُنِ النَّعْسِ
أبي ما عراكُ فقلتُ الهيومُ	عَرَوْنَ أباكُ فلا تُبْلِسي
عَرَوْنَ أباكُ حُبْسَنَه	من الذلِّ في شرِّ ما مَحْبَسِ
لفقدِ الأَجْبَةِ إذ نالها	سِهامُ من أَلَدَتْ المُبْسِ
رمتها المنونُ بلا نُكَلٍ	ولا طائِشَاتٍ ولا نُكْسِ
بأسهمها المُتَلِفَاتِ النفوسُ	مَتَى ما تُصَبُّ مَهْجَةُ تُخْلَسِ
فَصَرَعَتْهُمْ في نواحي البلادِ	مُلْقَى بأَرْضٍ ولم يُرْسِ
تَقِي ^٦ أصيبَ وأثوابُه	من العيبِ والعارِ لم تَدْنِسِ
وآخرُ قد دُسَ في حُفْرَةٍ	وآخرُ قد طار لم يُحْسِ
إذا عن ذَكرهم لم يَنْمِ	أبوكِ وأوحشَ في المَجْلِسِ

(١) سويقة : موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب .

(٢) عراه يعربه ويعروه : غشيه .

(٣) لا تبلي : لا تحزني .

(٤) وروى : « الحدث الموثق » .

(٥) الرس : الدفن . وروى : يرأس .

(٦) وروى : « نقي » .

فذاك الذي غالي^(١) فأعلمي ولا تسألي بأمرى^(٢) مُتَعَسِرٍ
أذلُّوا قناتي لمن رامها وقد ألصقوا الرِّغْمَ بِالْمُعْطَسِرِ

قال : فرأيتُ عبد الله بن حسن وإن دموعه لتجري على خده .

غناؤه الرشيد :

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الحرّاز عن المدائنيّ
عن إبراهيم بن رباح قال :

عمر أبو سعيد بن أبي سنة مولى بني أمية وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان
إلى أيام الرشيد ؛ فلما حجّ أحضره فقال : أنشدني قصيدتك :

تقول أمانة^(٣) لما رأته

فاندفع فغناؤه قبل أن يُنشدّه الشعرَ لحنه في أبياتٍ منها ، أوّلها :

أفاض المدامعَ قتلى كُدى

وكان الرشيد مُغَضَّباً فسكن غضبه وَطَرِبَ ، فقال : أنشدني القصيدة ؛ فقال :
يا أمير المؤمنين ، كان القوم مواليّ وأنعموا عليّ فرثيتهم^(٤) ولم أهجّ أحداً ؛ فتركه .
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الحرّزبيل قال :

كنّا عند ابن الأعرابيّ وحضر معنا أبو هفان^(٥) ، فأنشدنا ابن الأعرابيّ عمن
أنشده قال : قال ابن أبي سبّة العبليّ^(٦) :

(١) في رواية : « عالي » .

(٢) يلاحظ هنا أن أبا الفرج قد نسب قصيدة :

تقول أمانة لما رأته

لأبي سعيد بن أبي سنة ، مع أنه في الخبر الذي تقدّمه نسبها لعبد الله بن عمر العبليّ وسينسبها إليه
بعد أسطر ، كما نسبها إليه أيضاً في ترجمته الخاصة به .

(٣) أبو هفان كنية عبد الله بن أحمد المهزومي ، كما في معجم ياقوت في كلامه على « كنوة » .

(٤) يلاحظ أن « العبليّ » ليس نسبة لابي سبّة ، وإنما هو نسبة لابي عديّ عبد الله بن عمر
صاحب هذا الشعر .

أفاض المدامع قتلى كذا وقتلى بكوبة لم تُرَمَسِ

فغمز أبو هفان رجلاً وقال له : قُلْ له : ما معنى « كذا » ؟ قال : يريد كثرتهم ؛
فلما قنا قال لي أبو هفان : أسمعت إلى هذا المعجب الرقيع ! صحف اسم الرجل ،
هو ابن أبي سئة ، فقال : ابن أبي سبة ؛ وصحف في بيت واحد موضعين ، فقال :
قتلى كذا وهو كدَى ، وقتلى بكوبة وهو بكثوة ؛ وأغلظ عليّ من هذا أنه يفسر
تصحيته بوجه وقاح . وهذا الشعر الذي غناه أبو سعيد يقوله أبو عديّ عبد الله
ابن عمر العبليّ فيمن قتله عبدُ الله بن عليّ بنهر أبي فطرس وأبو العبّاس السفّاح
أمير المؤمنين بعدهم من بني أمية . وخبرهم والوقائع التي كانت بينهم مشهورة
يطول ذكرها جداً ونذكر هاهنا ما يُستحسن منها .

ذكر من قتل ابو العباس السفاح من بني أمية

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني مسطح بن حاتم العنكي قال حدثني الجهم
ابن السبأ عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن علي قال :

لما أستمرت الهزيمة بمروان ، أقام عبد الله بن علي بالرقّة ، وأنفذ أخاه عبد
الصمد في طلبه فصار إلى دمشق ، وأتبعه جيشاً عليهم أبو إسماعيل عامر الطويل
من قواد خراسان ، فلحقه وقد جاز مصر في قرية تدعى بوضير ، فقتله ، وذلك
يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة ، ووجه برأسه إلى عبد الله بن علي ،
فأنفذه عبد الله بن علي إلى أبي العباس ؛ فلما وضع بين يديه خرّ لله ساجداً ، ثم
رفع رأسه وقال الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرتني بك ولم يُبقِ ثأري قبلك
وقبل رهطك أعداء الدين ؛ ثم تمثّل قول ذي الإصبع العدواني :

لو أشرّيون دمي لم يرو شاربهم ولا دماؤهم للغيظ تُرويني

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني محمد بن يزيد قال :

(١) هي بوضير فوريدس من أعمال الفيوم التي قتل بها مروان المذكور كما في تقويم البلدان
لأبي الفدا إسماعيل (ص ١٠٧ طبع أوروبا) ومعجم البلدان لياقوت في كلامه على « بوضير » . وفي
كتاب ولاية مصر وقضاتها للكندي (ص ٩٦ طبع بيروت) أنه « قتل ببوضير من كورة الأثنيونين
يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة » . وكورة الأثنيونين من كور
الصعيد الأدنى غربي النيل كما في معجم ياقوت . وفي النجوم الزاهرة (ج ١ ص ٣١٧ طبع دار الكتب
المصرية) أنه قتل ببوضير بالجيزة .

(٢) ورد هذا البيت في الإمامي (ج ١ ص ٢٥٦ طبع دار الكتب المصرية) في قصيدة ذي
الإصبع العدواني هكذا :

لو أشرّيون دمي لم يرو شاربكم ولا دماؤكم جعلاً تُرويني

نظر عبد الله بن عليّ إلى فتى عليه أبهة الشرف وهو يقاتل مُسْتَنْتِلًا، فناداه :
يا فتى ، لك الأمانُ ولو كنتَ مروانَ بنَ محمدٍ ؛ فقال : إَلا أكنهُ فليستُ بدونه ؛
قال : فلك الأمانُ مَنْ كنتَ ؛ فأطرق ثم قال :

أذُلَّ الحياةَ وكُرَّةَ الملتِ وكَلَّا أرى لك شَرًّا وَبَيَّلا

ويروى : وكَلَّا أراه طعاماً وَبَيَّلا

فإن لم يكن غيرُ إحداهما فسَيَرًا إلى الموت سيرا جميلا

ثم قاتل حتى قتل ؛ قال : فإذا هو ابنُ مَسْلَمَةَ بن عبد الملك بن مروان .

سديف يحرض السفاح :

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكُرانيّ قال حدثني النَّضر بن عمرو عن
المُعَيطيّ ، وأخبرنا محمد بن خلف وكيعٌ قال قال أبو السائب سَلَم بنُ جُنادة
السَّوائيُّ سمعت أبا نُعَيْم الفضل بن دُكَيْن يقول :

دخل سُدَيْف - وهو مولى لآل أبي لَهَب - على أبي العبَّاس بالخيرة . هكذا
قال وكيع ، وقال الكُرانيّ في خبره واللفظُ له : كان أبو العبَّاس جالسا في مجلسه
على سريره وبنو هاشم دَوْنَه على الكراسي ، وبنو أمية على الوسائد قد تُنيتُ
لهم ، وكانوا في أيام دولتهم يجلسون هم والخلفاء منهم على السرير ، ويجلس بنو
هاشم على الكراسي ؛ فدخل الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين ، بالباب رجل حجازي
أسود راكبٌ على نجيب متلثمٌ يستأذن ولا يخبر بأسمه ، ويحلف ألاَّ يَحْسِرَ اللَّثامَ

(١) المستنل : الخارج من الصف المتقدم على أصحابه .

(٢) في النجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٥٨ طبع دار الكتب المصرية) بعد ذكر هذين البيتين :
« فإذا هو محمد بن عبد الملك ، وقيل : ابنُ لسلعة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم » .

(٣) السوائي (بالضم والتخفيف والهمز) : نسبة إلى سَواءة بن عامر بن صعصعة .

عن وجهه حتى يراك ؛ قال : هذا هو مولاي سُديف ، يدخل ، فدخل ؛ فلما نظر إلى أبي العباس وبني أمية حوله ، حذر اللثام عن وجهه وأنشأ يقول :

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بني العباس
بالصدور المقدمين قديماً والرؤوس القماقم الرؤاس
يا أمير المطهرين من الذم مـ ويارأس منتهى كل راس
أنت مهدي هاشم وهداها كم أناس رجوك بعد إياس
لا تُقبلن عبد شمس عثاراً وأقطعن كل رقلة وغراس
أزلهن بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاعتاس
خوفهم أظهر التودد منهم وبهم منكم كخز المواسي
أقصرهم أيا الخليفة وأحيم عنك بالسيف شافة الأرجاس

(١) اتفق الكامل للمبرد (ص ٧٠٧ طبع أوروبا) والعقد الفريد (ج ٢ ص ٣٥٦ طبع مصر) في أن قائل هذا الشعر هو شبل بن عبد الله مولى بني هاشم، ويؤكد هذا الشعر نفسه، إذ يقول فيه، على رواية :

نعم شبل الهراش مولاك شبل لو نجا من حبائل الإفلاس
واتفقا أيضاً على أن شعر سديف هو :

لا يعرفك ما ترى من أناس إن تحت الضلوع داء دويّا
فضع السيف وأرفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويّا

وآخذاً فيمن أنشد بين يديه هذا الشعر، ففي العقد الفريد أنه أبو العباس السفاح، وفي الكامل أنه عبد الله بن علي .

(٢) البهاليل : جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكل خير، أو هو الحمي الكريم .

(٣) الرؤاس : الولاة والحكام .

(٤) ويروي : كم أناس رجوك بعد أناس

(٥) الرقلة : النخلة الطويلة التي تفوت اليد .

وَأَذْكُنْ مَصْرَعَ الْحُسَيْنِ وَزَيْدَ^١ وَقَتِيلَ^٢ بِجَانِبِ الْمِهْرَاسِ^٣
وَالْإِمَامِ^٤ الَّذِي بَحْرَانِ أُمْسَى رَهْنَ قَبْرِ^٥ فِي غُرْبَةٍ وَتَنَاسِي
فَلَقَدْ سَاءَ نِي وَسَاءَ سَوَائِي قُرْبُهُمْ^٦ مِنْ غَارِقٍ وَكَرَاسِي
نَعَمْ كَلْبُ الْهَرَّاشِ مَوْلَاكَ لَوْلَا أَوْدُ^٧ مِنْ حَبَائِلِ الْإِفْلَاسِ^٨

فَتَغَيَّرَ لَوْ أَنَّ أَبِي الْعَبَّاسَ وَأَخَذَهُ زَمْعٌ^٩ وَرِعْدَةٌ ؛ فَأَلْتَفَتَ بَعْضَ وَلَدِ سُلَيْمَانَ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ ، وَكَانَ إِلَى جَنْبِهِ ، فَقَالَ : قَتَلْنَا وَاللَّهِ الْعَبْدُ . ثُمَّ أَقْبَلَ
أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : يَا بَنِي الْفَوَاعِلِ ، أَرَى قَتْلَكُمْ مِنْ أَهْلِي قَدْ سَلَفُوا وَأَنْتُمْ
أَحْيَاءُ تَتَلَذَّذُونَ فِي الدُّنْيَا ! خُذُوهُمْ ! فَأَخَذَتْهُمْ الْخُرَاسَانِيَّةُ بِالْكَافِرِ^{١٠} كَوْبَاتِ ،
فَأُهِمُّدُوا ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَإِنَّهُ اسْتَجَارَ بِدَاوُدَ بْنِ
عَلِيٍّ وَقَالَ لَهُ : إِنْ أَيْ لَمْ يَكُنْ كَأَبَائِهِمْ وَقَدْ عَلِمْتَ صَنِيعَتَهُ إِلَيْكُمْ ؛ فَأَجَارَهُ
وَأَسْتَوْهَبَهُ مِنَ السَّفَاحِ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَنِيعَ أَبِيهِ إِلَيْنَا ؛
فَوَهَبَهُ لَهُ وَقَالَ لَهُ : لَا تُرَيِّنِي وَجْهَهُ وَلِيَكُنْ بِجَيْشٍ تَأْمَنُهُ ؛ وَكُتِبَ إِلَى عَمَّالِهِ فِي
النُّوَاحِي بِقَتْلِ بَنِي أُمِيَّةَ .

(١) فِي الْكَامِلِ : « وَاذْكُرُوا » .

(٢) هُوَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قُتِلَ فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

(٣) يَعْنِي بِهِ حِمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، قُتِلَ يَوْمَ أَحُدٍ وَحْشِيٍّ غُلَامٌ جَبِيرٌ مِنْ مَعْطَمٍ .

(٤) الْمِهْرَاسُ فَيَا ذَكَرَ الْمَبْرَدَ : مَاءٌ بِأَحَدٍ ؛ رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَطَشَ يَوْمَ أَحُدٍ
فَجَاءَهُ عَلِيٌّ فِي دُرَّةٍ جَاءَ مِنَ الْمِهْرَاسِ ، فَعَافَهُ وَغَسَلَ بِهِ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ . قَالَ الْمَبْرَدُ فِي الْكَامِلِ : وَإِنَّمَا
نَسَبَ شَبْلَ قَتْلِ حِمْرَةَ إِلَى بَنِي أُمِيَّةَ لِأَنَّ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ كَانَ قَائِدَ النَّاسِ يَوْمَ أَحُدٍ .

(٥) الْإِمَامُ الَّذِي بَحْرَانِ : هُوَ إِبْرَاهِيمُ الْإِمَامِ رَأْسُ الدَّعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَقَدْ قُتِلَ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ
آخِرَ خُلَفَاءِ بَنِي أُمِيَّةَ صَبْرًا .

(٦) فِي الْكَامِلِ وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ :

نَعَمْ شَبْلُ الْهَرَّاشِ مَوْلَاكَ شَبْلُ لَوْ نَجَا مِنْ حَبَائِلِ الْإِفْلَاسِ

(٧) الْأَوْدُ : الْكَدُّ وَالتَّعَبُ وَالْجُهْدُ .

(٨) الزَّمْعُ : شِبْهُ الرَّعْدَةِ تَأْخُذُ الْإِنْسَانَ .

(٩) أَوْ الْكَفَرُ كَوْبَاتِ ، وَلَعَلَّهُ اسْمُ أَعْجَمِي لَأَلَاتٍ يَضْرِبُ بِهَا كَالْعَمْدِ وَغَيْرِهَا .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدثنا الزبير ابن بكّار عن عمه :

أن سبب قتل بني أمية : أن السفّاح أنشد قصيدةً مدح بها ، فأقبل على بعضهم فقال : أين هذا بما مدّحتم به ! فقال : هيهات لا يقول والله أحدٌ فيكم مثل قول ابن قيس الرقيّات فينا :

ما نَقَمُوا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غَضِبُوا
وأنهم معدنُ الملوك ولا تصلح إلا عليهم العربُ

فقال له : يا ماصّ كذا من أمه ، أو إن الخلافةَ لني نفسك بعدُ ! خذوهم ! فأخذوا فقتلوا .

أخبرني عمي عن الكُرانيّ عن النضر بن عمرو عن المَعيطي :

أن أبا العباس دعا بالعداء حين قُتِلوا ، وأمر ببساط فبسط عليهم ، وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته . فلما فرغ من الأكل قال : ما أعلمني أكلتُ أكلةً قطُّ أهنأ ولا أطيبَ لنفسي منها . فلما فرغ قال : جرّوا بأرجلهم ؛ فألْقُوا في الطريق يلعنهم الناسُ أمواتاً كما لعنهم أحياء . قال : فرأيت الكلابَ تجرّ بأرجلهم وعليهم سراويلاتُ الوشي حتى أنْتنوا ؛ ثم حُفرت لهم بئرُ فألْقُوا فيها .

ابن هرمة يوغر على الامويين :

أخبرني عمر بن عبد الله بن جميل العتكيّ قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن مَعْن الغفاريّ عن أبيه قال :

لما أقبل داود بن عليّ من مكة أقبل معه بنو حسن جميعاً وحسين بن عليّ بن حسين وعليّ بن عمر بن عليّ بن حسين وجعفر بن محمد والأرقط محمد بن عبد الله وحسين بن زيد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن عنبسة بن سعيد

أَبْنُ الْعَاصِي وَعُرْوَةُ وَسَعِيدُ أَبْنَا خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَثَانَ ، فَعُمِلَ لِدَاوُدَ مَجْلِسٌ بِالرُّوَيْثَةِ ، جُلَسَ عَلَيْهِ هُوَ وَالْهَاشِمِيُّونَ ، وَجُلَسَ الْأُمَوِيُّونَ تَحْتَهُمْ ؛ فَأَنْشَدَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَرْمَةَ قَصِيدَةً يَقُولُ فِيهَا :

فَلَا عَفَا اللَّهُ عَنْ مَرْوَانَ مَظْلَمَةً وَلَا أُمِّيَّةَ بَنَسَ الْمَجْلِسُ النَّدَايَ
كَانُوا كَعَادِرٍ فَأَمْسَى اللَّهُ أَهْلَكَهُمْ بِمِثْلِ مَا أَهْلَكَ الْغَاوِرِينَ مِنْ عَادِرٍ
فَلَنْ يَكْذِبَنِي مِنْ هَاشِمٍ أَحَدٌ فَيَا أَقُولُ وَلَوْ أَكْثَرْتُ تَعْدَادِي

قال : فنبذ داودُ نحوَ أبْنِ عَنبَسَةَ ضَحْكَةً كَالْكِشْرَةِ ؛ فلما قام قال عبدُ الله بنُ حسنٍ لأخيه حسن : أما رأيتَ ضَحَكَتَهُ إِلَى ابْنِ عَنبَسَةَ ! الحمد لله الذي صَرَفَهَا عَنْ أَخِيَّ يَعْنِي الْعُمَانِيَّ . قال : فما هو إلا أن قَدِمَ الْمَدِينَةَ حَتَّى قَتَلَ ابْنُ عَنبَسَةَ .

قال محمد بن مَعْنٍ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَثَانَ قَالَ :

اسْتَحْلَفَ أَخِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ ، وَقَدْ حَجَّ مَعَهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةً ، بِطَلَاقِ أَمْرَاتِهِ مُلَيْكَةَ بِنْتِ دَاوُدَ بْنِ حَسَنِ أَلَّا يَقْتُلَ أَخَوَيْهِ مُحَمَّدًا وَالْقَاسِمَ ابْنِي عَبْدِ اللَّهِ ؛ قَالَ : فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَيْهِ آمِنًا وَهُوَ يَقْتُلُ بَنِي أُمِّيَّةَ ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرَانِي أَهْلُ خُرَاسَانَ وَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيَّ سَبِيلًا لِيَمِينَهُ ؛ فَاسْتَدْنَانِي يَوْمًا فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ : مَا أَكْثَرَ الْعَفْلَةَ وَأَقْلَّ الْحَزْمَةَ ! فَأَخْبَرْتُ بِهَا عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ حَسَنِ ؛ فَقَالَ : يَا ابْنَ أُمٍّ ، تَغَيَّبَ عَنِ الرَّجُلِ ؛ فَتَغَيَّبْتُ عَنْهُ حَتَّى مَاتَ .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَا حَدَّثَنَا الْخَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ بِشْرِ مَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ :

أَنْشَدُ سُدَيْفَ أَبَا الْعَبَّاسِ ، وَعِنْدَهُ رِجَالٌ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ ، قَوْلَهُ :

(١) الروية : موضع على ليلة من المدينة .

(٢) هو أخوه لأمه ، كما ذكر ذلك في كتب التاريخ .

يَا بْنَ عَمِّ النَّبِيِّ أَنْتَ ضِيَاءُ اسْتَبْنَا بِكَ الْيَقِينَ الْجَلِيلُ

فلما بلغ قوله :

جَرَدِ السِّيفَ وَأَرْفَعِ الْعَفْوَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمُومًا
لَا يُغَرِّقُكَ مَا تَرَى مِنْ رِجَالٍ إِنَّ تَحْتَ الضَّالُوعِ دَاءُ دُورِيًّا
بَطْنُ الْبَغْضِ فِي الْقَدِيمِ فَأُضْحَى ثَاوِيًّا فِي قُلُوبِهِمْ مَطُورِيًّا

وهي طويلة ؛ قال : يا سُدَيْفُ ، خَلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ؛ ثُمَّ قَالَ :

أَحْيَا الضَّغَائِنَ آبَاءَ لَنَا سَلَفُوا فَلَنْ تَبِيدَ وَالْآبَاءُ أَبْنَاءُ

ثُمَّ أَمَرَ بَنَ عِنْدَهُ مِنْهُمْ فَقَتَلُوا .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سُلَيْمَانَ النَّوْفَلِيُّ
عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُمُومَتِهِ :

أَنَّهُمْ حَضَرُوا سُلَيْمَانَ بْنَ عَلِيٍّ بِالْبَصْرَةِ ، وَقَدْ حَضَرَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ عَلَيْهِمُ
الْثِيَابُ الْمَوْشِيَّةُ الْمُرْتَفَعَةُ ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَحَدِهِمْ وَقَدْ أَسْوَدَ شَيْبٌ فِي عَارِضِهِ
مِنْ الْغَالِيَةِ ، فَأَمَرَهُمْ فَقَتَلُوا وَجَرُّوا بِأَرْجُلِهِمْ ، فَأَلْقَوْا عَلَى الطَّرِيقِ ، وَإِنَّ عَلَيْهِمْ
لَسَرََاوِيْلَاتِ الْوَشْيِ وَالْكَلاِبُ تَجَرَّ بِأَرْجُلِهِمْ .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ أَخْبَرَنِي طَارِقُ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

جَاءَنِي رَسُولُ عَمْرٍو بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُتْبَةَ ، فَقَالَ لِي : يَقُولُ لَكَ عَمْرٍو :
قَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ كَثِيرُ الْعِيَالِ مَنْتَشِرُ الْمَالِ ، فَمَا أَكُونُ فِي
قَبِيلَةٍ إِلَّا سُهْرُ أَمْرِي وَعُرْفَتُ ، وَقَدْ أَعْتَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَفْدِيَ حُرْمِي بِنَفْسِي ؛ وَأَنَا
صَائِرٌ إِلَى بَابِ الْأَمِيرِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ ؛ فَوَافَيْتُهُ فَإِذَا عَلَيْهِ طَيْلَسَانٌ

مُطْبِقُ أَيْضُ وَسْرَاوِيلُ وَشَيْ مَسْدُولُ، فَقُلْتُ : يَا سَبْحَانَ اللَّهِ ! مَا تَصْنَعُ الْحِدَاثَةَ
بَأَهْلِهَا ! أَيْهَذَا اللَّيَاسُ تَلْتَقِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لِمَا تَرِيدُ لِقَاءَهُمْ فِيهِ ! فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ،
وَلَكِنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي ثَوْبٌ إِلَّا أَشْهَرُ مِمَّا تَرَى ؛ فَأَعْطَيْتُهُ طِيلَسَانَهُ وَأَخَذْتُ طِيلَسَانَهُ
وَلَوِيتُ سْرَاوِيلَهُ إِلَى رَكْبَتَيْهِ ؛ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ مَسْرُوراً ؛ فَقُلْتُ لَهُ : حَدِّثْنِي مَا
جَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْأَمِيرِ ؛ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ نَقْرَأْ قَطُّ ، فَقُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ
الْأَمِيرَ ، لَفَقَطْتَنِي الْبِلَادُ إِلَيْكَ ، وَدَأْنِي فَضْلُكَ عَلَيْكَ ؛ فَأَمَّا قَتَلْتَنِي غَانِئاً ، وَإِنَّمَا
رَدَدْتَنِي سَائِلاً ؛ فَقَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ مَا أَعْرَفَكَ ؛ فَأَنْتَسَبْتَ لَهُ ؛ فَقَالَ : مَرْحَباً بِكَ ،
أَقْعِدْ فَتَكَلِّمْ آمِناً غَانِئاً ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ يَا بَنَ أَخِي ؟ فَقُلْتُ : إِنَّ
الْحُرْمَ اللِّوَاتِي أَنْتَ أَتَقَرَّبُ النَّاسَ إِلَيْهِمْ مَعَنَا وَأُولَى النَّاسَ بِهِمْ بَعْدَنَا ، قَدْ خَفِنَ
لِخُوفِنَا ، وَمَنْ خَافَ خِيفَ عَلَيْهِ ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَجَابَنِي إِلَّا بِدُمُوعِهِ عَلَى خَدَيْهِ ؛ ثُمَّ قَالَ :
يَا بَنَ أَخِي ، يَحْفَظُ اللَّهُ دِمَاكَ ، وَيَحْفَظُكَ فِي حُرْمِكَ ، وَيُؤَفِّرُ عَلَيْكَ مَالَكَ ، وَوَاللَّهِ
لَوْ أَمَكَّنْتَنِي ذَلِكَ فِي جَمِيعِ قَوْمِكَ لَفَعَلْتُ ، فَكُنْ مَتَوَارِياً كَظَاهِرٍ ، وَآمِناً كَخَائِفٍ ،
وَلَتَأْتِيَنَّ رِقَاعُكَ . قَالَ : فَكُنْتُ وَاللَّهِ أَكْتُبُ إِلَيْهِ كَمَا يَكْتُبُ الرَّجُلُ إِلَى أَبِيهِ
وَعَمِّهِ . قَالَ : فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْحَدِيثِ رَدَدْتُ عَلَيْهِ طِيلَسَانَهُ ؛ فَقَالَ : مَهْلًا ، فَإِنْ
ثِيَابُنَا إِذَا فَارَقْتُنَا لَنْ تَرْجِعَ إِلَيْنَا .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ
شُبَّةٍ قَالَ :

قَالَ سُدَيْفُ لَأَبِي الْعَبَّاسِ يَحْضُهُ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ وَيَذْكُرُ مَنْ قَتَلَ مَرْوَانَ وَبَنُو
أُمَيَّةَ مِنْ قَوْمِهِ :

كَيْفَ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَقَدِيمًا قَتَلُوكُمْ وَهَتَّكُوا الْحُرُمَاتِ
أَيْنَ زَيْدٌ وَأَيْنَ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ يَا لَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ وَتَرَاتِ
وَالْإِمَامُ الَّذِي أُصِيبَ بِجَرَا نَ إِمَامُ الْهُدَى وَرَأْسُ الثِّقَاتِ
قَتَّلُوا آلَ أَحْمَدٍ لَاعِفَا الذَّنْبَ لِمَرْوَانَ غَافِرُ السَّيِّئَاتِ

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال :

أنشدني محمد بن يزيد لرجل من شيعة بني العباس يُجرحهم على بني أمية :

إياكم أن تلتينوا لاعتذارهم فليس ذلك إلا الخوف والطمع
لو أنهم أمِنوا أبدوا عداوتهم لكنهم فُعموا بالذل فأنقموا
أليس في ألف شهرٍ قد مضت لهم سقوكم جرعا من بعدها جرع
حتى إذا ما أنقضت أيام مدتهم مثوا اليكم بالأرحام التي قطعوا
هيهات لا بد أن يسقوا بكأسهم ريثا وأن يحصدوا الزرع الذي زرعوا
أنا وإخواننا الأنصار شيعتكم إذا تفرقت الأهواء والشيع
إياكم أن يقول الناس إنهم قد ملِكوا ثم ما ضرُّوا ولا نفَعوا

وذكر ابن المعتز : أن جعفر بن إبراهيم حدثه عن إسحاق بن منصور عن أبي الحُصيب في قصة سُديف بمثل ما ذكره الكُراني عن الثَّغر بن عمرو عن المعيطي ، إلا أنه قال فيها :

فلما أنشده ذلك ألتفت إليه أبو العَمر سليمان بن هشام ، فقال : يا ماص بظُر أمه ، أتَجْهِننا بهذا ونحن سرّوات النَّاس ! . فعَضِب أبو العباس ؛ وكان سليمان بن هشام صديقه قديماً وحديثاً يقضي حوائجه في أيامهم ويبرّه ؛ فلم يلتفت إلى ذلك ، وصاح بالخراسانية : خذوهم ؛ فقتلوا جميعاً إلا سليمان بن هشام ، فأقبل عليه السفّاح فقال : يا أبا العَمر ، ما أرى لك في الحياة بعد هؤلاء خيراً ؛ قال : لا والله ، فقال : أقتلوه ، وكان إلى جنبه ، فقتل ؛ وُصِّلوا في بستانه ، حتى تأذّى جلساؤه بروائحهم ، فكلّموه في ذلك ، فقال : والله لهذا أَلَدتُ عندي من شمّ المسك والعنبر ، غيظاً عليهم وحَنَقاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

أصبح الدين^١ ثابت الأساس
بالبهايل من بني العبّاس
بالصدور المُقَدِّمين قديماً
والرؤوس القاهم الرؤاس

عروضه من الخفيف ، الشعر لسديف . والغناء لطرّد رمل بالبصرة عن حبش .
قال : وفيه لحكم الوادي ثاني ثقل وفيه ثقل أول مجهول .

ومما قاله أبو سعيد مولى فائد في قتل بني أمية وغنى فيه :

صوت

بكيت وماذا يرّد البكاء
وقلّ البكاء لقتلى كداء^٢
أصيبوا معاً فتولّوا معاً
كذلك كانوا معاً في رخاء
بكت لهم الأرض من بعدهم
وناحت عليهم نجوم السماء
وكانوا الضياء فلما أنقضى الزمان
بقومي تولّى الضياء

عروضه من المتقارب . الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ولحنه من الثقل
الأول بالبصرة من رواية عمرو بن بانة وإسحاق وغيرهما .

ومما قاله فيهم وغنى فيه على أنه قد نسب إلى غيره :

صوت

أثر الدهر في رجالي فقلّوا
بعد جمع فراح عظمي مهيباً

(١) وفي رواية : « أصبح الملك » .

(٢) وردت الفافية في هذا الشعر ، في معجم ياقوت في الكلام على كداء ، بالبصرة .

ما تذكّرُتهم فتَمَلِك عيني فيضَ غُربٍ وحقّ لي أن تَفِيضاً

الشعر والغناء لآبي سعيد خفيفٌ ثقيل بالوسطى عن ابن المكيّ والحشاميّ .
وروى الشيعيّ عن عمر بن شبة عن إسحاق أن الشعر لسديف والغناء للغريض ؛
ولعلّه وهم .

ومنها :

صوت

أولئك قَوْمِي بعد غَزَا وَمَنْعَةٍ تَفَانُوا فَإِلَّا تَذَرِفِ الْعَيْنُ أَكْثَرُ
كَأَنَّهُمْ لَا نَاسَ لِلْمَوْتِ غَيْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مُنْصِفاً غَيْرَ مُعْتَدِي
الشعر والغناء لآبي سعيد . وفيه لحنٌ لمتيم .

ركوب المأمون الى جبل الثلج :

أخبرني عبد الله بن الربيع قال حدثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني
عمي طيّاب بن إبراهيم قال :

ركب المأمون بدمشق يتصيد حتى بلغ جبل الثلج ، فوقف في بعض الطريق
على بركة عظيمة في جوانبها أربع سرّوات لم يُرَ أحسن منها ولا أعظم ، فنزل
المأمون وجعل ينظر إلى آثار بني أمية ويعجب منها ويذكرهم ، ثم دعا بطبق عليه
بزماورد ورطل نبيد ؛ فقام علّويه فغنى :

(١) السرو : شجر حسن الهيئة قويم الساق واحده سروة .

(٢) البزماورد : طعام يسمى لقمة القاضي ، وفخذ الست ، ولقمة الخليفة ، وهو مصنوع من اللحم
المقلي بالزبد والبيض . وفي شفاء الغليل : « زماورد » والعامّة تقول : « بزماورد » : كلمة فارسيّة استعملتها
العرب للرقاق الملفوف باللحم .

أولئك قومي بعد غرّ ومنعة تَفَانُوا فَإِلَّا تَذَرِفِ الْعَيْنُ أَكْمَدِ

قال : فغضب المأمون وأمرَ برفع الطبق ، وقال : يَا بَنَ الزَّانِيَةِ ، أَلَمْ يَكُنْ لَكَ
وَقْتُ تَبْكِي فِيهِ عَلَى قَوْمِكَ إِلَّا هَذَا الْوَقْتُ ! قال : نعم أبكي عليهم ، مولاكم
زُرْيَابُ يَرْكَبُ مَعَهُمْ فِي مَائَةِ غَلَامٍ ، وَأَنَا مَوْلَاهُمْ مَعَكُمْ أَمُوتُ جَوْعاً ! . فقام
المأمون فركب وأنصرف الناس ، وغضب على عَلَوَيْهِ عشرين يوماً ، فكلّمه فيه
عبّاس أخو بَجْدَرٍ : فَرَضِي عَنْهُ ، وَوَصَلَهُ بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

صوت

من المائة المختارة

مَهْأَةً لَوْ أَنَّ الذَّرَّ تَمَشَّى ضِعَافَهُ عَلَى مَتْنِهَا بَضَّتْ مَدَارُجُهُ دَمَاءً
فَقُلْنَ لَهَا قَوْمِي فَذَيْنَاكَ فَأَرْكَبِي فَأَوَمْتُ بِلَا لَا غَيْرَ أَنْ تَتَكَلَّمَا

عَرَوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . بَضَّتْ : سَالَتْ . يَقُولُ : لَوْ مَشَى الذَّرُّ عَلَى جِلْدِهَا
لَجَرَى مِنْهُ الدَّمُ مِنْ رَقَّتِهِ . وَرَوَى الْأَصْمَعِيُّ :

مَنْعَةً لَوْ يُصْبِحُ الذَّرُّ سَارِيًّا عَلَى مَتْنِهَا بَضَّتْ مَدَارُجُهُ دَمَاءً

الشعر حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ الْهَلَالِيُّ . وَالْغِنَاءُ فِي اللَّحْنِ الْمُخْتَارِ لِقُلَيْحِ بْنِ أَبِي الْعَوَاءِ ،

(١) زُرْيَابُ : هُوَ عَلِيُّ بْنُ نَافِعِ الْمَغْنِيِّ مَوْلَى الْمَهْدِيِّ وَمَعْلَمُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ ، صَارَ إِلَى الشَّامِ ثُمَّ صَارَ
إِلَى الْمَغْرِبِ إِلَى بَنِي أُمَيَّةٍ فَقَدِمَ الْأَنْدَلُسَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ سَنَةَ ١٣٦ هـ فَرَكِبَ بِنَفْسِهِ لِنَقْلِهِ كَمَا
حَكَاهُ ابْنُ خَلْدُونَ . وَزُرْيَابُ لَقِبَ غَلْبَ عَلَيْهِ بِلِلْدِهِ لِسَوَادِ لَوْنِهِ مَعَ فَصَاحَةِ لِسَانِهِ ، شَبَّهَ بِطَائِرِ
أَسْوَدَ غُرَّادٍ ، وَكَانَ شَاعِرًا مَطْبُوعًا وَأَسْنَدًا فِي الْمَوْسِقَى (انظر شرح القاموس مادة زرب ،
وتاريخ بغداد لابن طيفور ج ٦ ص ٢٨٤ طبع أوروبا) .

(٢) رَوَايَةُ عِيُونِ الْأَخْبَارِ (ج ٤ ص ١٤٣ طبع دار الكتب المصرية) :

عَلَى جِلْدِهَا نَضَّتْ مَدَارُجُهُ دَمَاءً وَنَضَّتْ بِالنُّونِ أَيْضًا : سَالَتْ .

(٣) رَوَايَةُ عِيُونِ الْأَخْبَارِ : فَأَوَمْتُ بِلَا لَا غَيْرَ مَا أَنْ تَتَكَلَّمَا

ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى . وذكر عمرو بن بانة أن لحن فليح من خفيف
الثقيل الأول بالوسطى ، وأن الثقيل الأول للهذلي .

ومما يُغنى فيه من هذه القصيدة :

صوت

إذا شئتُ غنّني بأجزاء ييشةٍ أو النخل من تثليثٍ أو من يَلَمَلما
مُطوّقةٌ طوقاً وليس بحليةٍ ولا ضربٍ صَوّاغٍ بكفٍّ درهما
تُبَكِّي على فرخ لها ثم تعتدي مؤلمةٌ تبغي له الدهرَ مَطْعَما
تؤمل منه مؤنساً لأنفرادها وتبكي عليه إن زقا أو ترغما

غناه محمد الرفّ خفيف رمل بالوسطى .

(١) تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة .

(٢) يَلَمَلَم : جبل على مرحلتين من مكة ، وفيه مسجد معاذ بن جبل . وفي معجم البلدان لياقوت
ورد هذا البيت (ص ٤٨٧ ج ١) هكذا :

إن شئتُ غنّني بأجزاء ييشةٍ وبالزّن من تثليثٍ أو من ييمبا

وقال : ييمم بفتح يين بوزن غششم : موضع أو جبل ، ولم تجتمع الباء والميم في كلمة اجتماعها في هذه
الكلمة ورواه بعضهم ييمم . وفي معجم ما استعجم (ص ٨٥٠) : « إذا شئت يينبا »
ويينم : واد شجير قبل تثليث . وقد ذكر هذا البيت في الكامل للبرد (ص ٥٠٣ طبع أوروبا) .

(٣) رواية الكامل للبرد ص ٥٠٣

مطوّقة خطباء تجع كلاً دنا الصيف وأنجال الربيع فأنجبا

علاة طوق لم يكن من ثميمة ولا ضرب صَوّاغٍ بكفٍّ درهما

وأنجم : أفلح مثل أنجال .

ذكر حميد بن ثور ونسبه وأخباره

هو حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار . وهو من شعراء الاسلام ، وقوله ابن سلام بن نهشل بن حري وأوس بن مغراء . وقد أدرك حميد بن ثور عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال الشعر في أيامه ؛ وقد أدرك الجاهلية أيضاً .

مخبرم أدرك الجاهلية والاسلام :

أخبرنا وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد وعبد الله بن شبيب قالوا حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني محمد بن فضالة النحوي قال :

تقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشعراء ألا يشب أحد بأمرأة إلا جلده . فقال حميد بن ثور :

أبي الله إلا أن سرحة مالك
على كل أفنان العشاء تروق
فقد ذهبت عرضاً وما فوق طولها
من السرح إلا عشة وسخوق

(١) عدّه ابن سلام في الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين . أما حميد بن ثور ونهشل بن حري فقد عدتهما في الطبقة الرابعة من الشعراء الإسلاميين .

(٢) السرح : الشجرة الطويلة .

(٣) العشاء بالكسر : أعظم الشجر أو كل ذات شوك أو ما عظم منها وطال كالعضة كعنب والعشة كعنة ، والجمع : عشاء وعضون وعضوات .

(٤) أي تريد عليها بحسنها وبهاشأ ، من قولهم : راق فلان على فلان إذا زاد عليه فضلاً .

— العشة : القليلة الأغصان والورق . والسحوق : الطويلة المفرطة —

فلا الظل^١ من برد الضحى تستطيع^٢ ولا النىء من برد العشي تذوق^٣
فهل أنا إن عللت نفسي بسرحة^٤ من السرح موجود علي طريق^٥
وهي قصيدة طويلة أولها :

نأت أم عمرو فالقواد مشوق^٦ يحن إليها والها ويتوق^٧

صوت

وفيهما ما يُغنى فيه :

سقى السرحة الحلال^٨ والأبرق^٩ الذي به السرح غيث دائم وبروق^{١٠}
وهل أنا إن عللت نفسي بسرحة^{١١} من السرح موجود علي طريق^{١٢}
غناه إسحاق^{١٣} ، ولحنه ثاني ثقل بالوسطى .

وفوده على الامويين :

أخبرنا الحرابي قال حدثنا الزبير عن عمه قال :

وفد حميد بن ثور على بعض خلفاء بني أمية ؛ فقال له : ما جاء بك ؟ فقال :

(١) الظل : ما كان أوّل النهار الى الزوال . والفىء : ما كان بعد الزوال الى الليل ، فالظل غربي تنسخه الشمس ، والفىء شرقي يفسخ الشمس . والبرد : من معانيه الظل والفىء . يقال : البردان الأبردان للظل والفىء ، وأيضاً للعداء والعشي . وظاهر الكلام يقتضي أن يكون المراد من «البرد» في الموضعين هنا : الظل والفىء . على أن تكون «من» بيانية .

(٢) في معجم البلدان لياقوت في الكلام على سرحة : «تستظله» .

(٣) الحلال : التي يكثر الناس الحلول بها . قال ابن سيده : وعندي أنها تحمل الناس كثيراً ، لأن مفعلاً إنما هي في معنى فاعل لا في معنى مفعول .

(٤) الأبرق : أرض غليظة واسعة مختلطة بحجارة ورمل ، والمراد به هنا موضع بعينه .

أَتَاكَ بِيَّ اللَّهِ الَّذِي فَوْقَ مَنْ تَرَى وَخَيْرٌ وَمَعْرُوفٌ عَلَيْكَ دَلِيلُ
وَمَطْوِيَّةُ الْأَقْرَابِ أَمَّا نَهَارُهَا فَتَنْصُ وَأَمَّا لَيْلُهَا فَذَمِيلُ
وَيَطْوِي عَلَيَّ اللَّيْلُ حِضْنِيهِ إِنِّي لَذَاكَ إِذَا هَابَ الرِّجَالُ فَعُولُ

فوصله وصرفه شاكراً .

(١) الأقرباب : جمع قرب (بالضم وبضمين) وهو الخاصرة ، وقيل : القرب من لدن الشاكلة
ال مراقطة البطن . وفي التهذيب : فرس لاحق الأقرباب ، يجمعونه وإنما له قربان لسعته ، كما يقال :
شاة ضخمة الخواصر ، وإنما لها خاضرتان .

(٢) النص : أفضى السير . والتعميل : السير اللين . وروى : « فببت » . والسبت : سير للابل .

أخبار فليح بن أبي العوراء

فُليح رجل من أهل مكة مَوْلَى لبني مخزوم ، ولم يقع إلينا أسمُ أبيه . وهو أحد مغنّي الدولة العباسية ، له محل كبير من صناعته ، وموضع جليل . وكان إسحاق إذا عدّ مَنْ سَمِعَ من المُحَسِّنِينَ ذكره فيهم وبدأ به . وهو أحدُ الثلاثة الذين اختاروا المائة الصوت للرشيد .

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدّثني ابنُ المكيّ عن أبيه عن إسحاق قال :

ما سمعتُ أحسنَ غناءً من فُليح بن أبي العوراء وأبْنِ جامع . فقلت له : فأبو إسحاق ؟ (يعني أباه) ؛ فقال : كان هذان لا يُحَسِّنَانِ غيرَ الغناء ، وكان أبو إسحاق فيه مثلهما ، ويزيد عليها فنوناً من الأدب والرواية لا يداخلانه فيها .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال :

قال لي إسحاق : أحسنُ من سمعتُ غناءً عَطَرَدَ وفُليح .

وكان فُليح أحدَ الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيامه ، وهو أحدُ مَنْ كان يَحْكِي الأوائلَ فيصِيبُ ويُحَسِّن .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني محمد بن محمد العنّبيّ قال حدّثني محمد بن الوليد الزُّبَيْرِيّ قال :

سمعتُ كثير بن الحوّل يقول : كان مغنّيان بالمدينة يقال لأحدهما فُليح بن أبي العوراء ، والآخر سليمان بن سُليم ؛ فخرج إليهما رسول الرشيد يقول لفُليح :

غناؤك من حلق أبي صدقة أحسن منه من حلقك ، فعليه إياه - قال : وكان
يُغني صوتاً يُجيده ، وهو :

خير ما تشرُّبها بالبكر

- قال : فقال فليح للرسول : قل له : حسبك . قال : فسمعنا ضحكته من
وراء الستارة .

عند المهدي :

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني
أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثنا الفضل بن الربيع :

أن المهدي كان يسمع المغنين جميعاً ، ويحضرهم مجلسه ، فيغنون من وراء
الستارة لا يرون له وجهاً إلا فليح بن أبي العوراء ؛ فإن عبد الله بن مصعب
الزبيري كان يرويه شعره ويغني فيه في مداخه للمهدي ؛ فدرس في أضعافها بيتين
يسأله فيها أن يناديه ، وسأل فليحاً أن يغنيهما في أضعاف أغانيه ، وهما :

صوت

يا أمين الإله في الشرق والغرب ب على الخلق وأبن عم الرسول
مجلساً بالعشي عندك في الميـسـدان أبغي والإذن لي في الوصول

فغناه فليح إياهما ؛ فقال المهدي : يا فضل ، أجب عبد الله الى ما سأل ، وأحضره
مجلسي إذا حضره أهلي وموالي وجلست لهم ، وزده على ذلك أن ترفع بيني وبين
راويته فليح الستارة ؛ فكان فليح أول مَعْنٍ عاين وجهه في مجلسهم .

(١) هو أبو صدقة مسكين بن صدقة أحد معني عصر الرشيد .

(٢) وروى : « ما تشربها » .

أخبرني رضوان قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال حدثني بعد قدومي فسطاط مصر زياد بن أبي الخطأب كاتب مسرور خادم الرشيد، قال سمعت محبوب بن الهفتي يحدث أبي، قال :

دعاني محمد بن سليمان بن علي، فقال لي : قد قدم فليح من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رغبان، فصر إليه، فأعلمه أنه إن جاءني قبل أن يدخل إلى الرشيد، خلعت عليه خلة سريّة من ثيابي ووهبت له خمسة آلاف درهم؛ فمضيت إليه فخبّرت به بذلك؛ فأجابني إليه مسرور به نشيط له؛ وخرج معي، فعدل إلى حاتم كان بقربه، فدعا القيم فأعطاه درهمين وسأله أن يجيئه بشيء يأكله ونبذ يشربه؛ فجاءه برأس كأنه رأس عجل ونبذ دوشائي غليظ مسحوري ردي؛ فقلت له : لا تفعل، وجهدت به ألا يأكل ولا يشرب إلا عند محمد بن سليمان؛ فلم يلتفت إليّ، وأكل ذلك الرأس وشرب من ذلك النبيذ الغليظ حتى طابت نفسه، وغنى وغنى القيم معه ملياً؛ ثم خاطب القيم بما أغضبه، وتلاحيا وتواثبا؛ فأخذ القيم شيئاً فضربه به على رأسه فشجه حتى جرى دمه؛ فلما رأى الدم على وجهه اضطرب وجزع وقام يغسل جرحه، ودعا بصوفة محروقة وزيت، وعصبه وتعمّم وقام معي . فلما دخلنا دار محمد بن سليمان، ورأى الفرش والآلة وحضر الطعام فرأى سرّوه وطيبه، وحضر النبيذ وآلته، ومُدّت الستائر وغنى الجواري، أقبل عليّ وقال : يا مجنون ! سألتك بالله أيما أحتق بالعربدة وأولى : مجلس القيم أم

(١) يقع مسجد ابن رغبان هذا في غربي بغداد وكان مزبلة .

(٢) الدوشائي : نسبة إلى الدوشاب وهو نبيذ التمر معرّب؛ قال ابن المعتز :

لا تخطئ الدوشاب في قدح بصفا ماء طيب البرد

وقال ابن الرومي :

علّني أحدث من الدوشاب شربة بغضت قناع الشباب

(٣) مسحوري : فاسد .

(٤) السرو : الشرف والسخاء . ولعل المراد بسرّو الطعام جودته وكثرته .

مجلس الأمير ! فقلت : وكأنه لا بد من عربة ! قال : لا ! والله ما لي منها بد ، فأخرجتها من رأسي هناك ؛ فقلت : أما على هذا الشرط فالذي فعلت أجود . فسألني محمد عما كنّا فيه ، فأخبرته ؛ فضحك ضحكاً كثيراً ، وقال : هذا الحديث والله أظرف وأطيب من كل غناء ؛ وخلع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم .

عند يحيى بن خالد :

قال هارون بن محمد وحدثني حماد بن إسحاق قال حدثني أبو إسحاق القيرطي قال حدثنا مدرّكة بن يزيد قال :

قال لي فليح بن أبي العزراء : بعث يحيى بن خالد إليّ وإلى حكيم الوادي وإلى ابن جامع ، فأثينا ؛ فقلت لحكم : إن قعد ابن جامع معنا فعاونني عليه لنكسره . فلما صرنا إلى الغناء غنى حكيم ؛ فصحت وقلت : هكذا والله يكون الغناء ! ثم غنيت ، ففعل لي حكيم مثل ذلك ؛ وغنى ابن جامع فساكناً معه في شيء . فلما كان العشي أرسل إلى جاريته دنانير : إن أصحابك عندنا ، فهل لك أن تخرجي إلينا ؟ فخرجت معها وصائف ؛ فأقبل عليها يقول لها من حيث يظن أنا لا نسمع : ليس في القوم أثره نفساً من فليح ؛ ثم أشار إلى غلام له : أن انت كل إنسان بألفي درهم ؛ فجاء بها ، فدفع إلى ابن جامع ألفي درهم فأخذها فطرحها في كفه ، وفعل بحكم الوادي مثل ذلك فطرحها في كفه ، ودفع إليّ ألفين ؛ فقلت لدنانير : قد بلغ مني النبذ ، فأحسبها لي عندك حتى تبعثي بها إليّ ؛ فأخذت الدراهم مني وبعثت بها إليّ من الغد ، وقد زادت عليها ؛ وأرسلت إليّ : قد بعثت إليك بوديعةك وبشيء أحببت أن تفرقه على أخواني (تعني جواربي) .

قال هارون بن محمد وحدثني حماد قال حدثني أبي قال :

كنّا عند الفضل بن الربيع ، فقال : هل لك في فليح بن أبي العزراء ؟ قلت :

نعم ؛ فأرسل اليه ، فجاء الرسول فقال : هو عليل ؛ فعاد اليه ، فقال الرسول : لا بدّ من أن تجي ؛ فجاء به محمولا في محفة ؛ فحدثنا ساعة ثم غنى ؛ فكان فيما غنى :

تقول عرسني إذ نبا المضجعُ ما بالك الليلة لا تهجعُ

فأستحسنه منه وأستعدته منه مرارا؛ ثم أنصرف ومات في علته تلك ؛ وكان آخر العهد به ذلك المجلس .

تبرعه بمهر لعاشق :

أخبرني أحمد بن جعفر جعظلة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال حدثني أبي عن فليح بن أبي العوراء قال :

كان بالمدينة فتى يعشق ابنة عم له ، فوعده أن تزوره ؛ وشكا إلي أنها تأتيه ولا شيء عنده ، فأعطيته دينارا للنفقة ؛ فلما زارته قالت له : من يلهينا ؟ قال : صديق لي ، ووصفني لها ، ودعاني فأتيته ؛ فكان أول ما غنيته :

من الحفريات لم تفضح أخاها ولم ترفع لوالدها سنانا

فقامت الى ثوبها فلبسته لتصرف ؛ فعلق بها وجهها بها كل الجهد في أن تقيم ، فلم تُقيم وأنصرفت . فأقبل علي يابومني في أن غنيته ذلك الصوت ؛ فقلت : والله ما هو شيء أعتمدت به مساءتك ، ولكنه شيء اتفق . قال : فلم نبرح حتى عاد رسولها بعدها ومعه صرة فيها ألف دينار ودفعها الى الفتى ، وقال له : تقول لك ابنة عمك : هذا مهري أدفعه الى أبي ، وأخطبني ؛ ففعل فتزوجها .

نسبة هذا الصوت

صوت

من الخفوات لم تفضح أخاها ولم ترفع لوالدها شئارا
 كأن مجامع الأرداف منها نقاً درجت عليه الريح هارا
 يعاف وصال ذات البذل قلبي وأتبع الممتعة النوارا

الشعر لسليك بن السلعة السعدي. والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى
 الوسطى. وفيه لابن الهربذ لحن من رواية بذل، أوله :

يعاف وصال ذات البذل قلبي

وبعده :

غذاها قارص^١ يغدو عليها ومخض^٢ حين تنتظر العشارا

عند ابراهيم بن المهدي :

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدثنا يوسف بن ابراهيم قال حدثنا أبو إسحاق
 ابراهيم بن المهدي قال :

كتب إلي جعفر بن يحيى وأنا عامل للرشيد على جند درمشق : قد قدم علينا
 فليح بن أبي العوزاء، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كل غناء سمعناه قبله ؛ وأنا
 محتال لك في تخليصه إليك، لتستمع به كما استمتعنا . فلم ألبث أن ورد علي

(١) النقا : الكتيب من الرمل . وهار : سقط وتهتم .

(٢) النوار : المرأة الثغور من الريبة والجمع نور .

(٣) القارص : لبن يحذي اللسان أو حامض يحلب عليه حليب كثير حتى تذهب الحموضة ، والمخض :

الابن الخالص . والمشار : جمع عشاء وهي الناقة مضى لجلها عشرة أشهر .

فُليح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار؛ فورد عليّ رجلٌ أذكّني لقاءه الناس، وأخبرني أنه قد ناهز المائة، فأقام عندي ثلاثَ ستين، فأخذ عنه جوارِي كلِّ ما كان معه من الغناء، وانتشرت أغانيه بدمشق. قال يوسف: ثم قدِم علينا شابٌ من المغنّين مع عليّ بن زيد القوّج الحرّانيّ، عند مقدّم عبّسة بن إسحاق فسطاط مصر، يقال له مُورِق، فغنّاني من غناء فُليح:

صوت

يا قرة العينِ أقبلي عُذري ضاق بهجرانكم صدري
لو هلك الهجرُ استراح الهوى ما لقي الوصلُ من الهجرِ

- ولحنه خفيف رمل - فلم أر بين ما غناه وبين ما سمعته في دار أبي إسحاق فرقاً؛ فسألته من أين أخذه. فقال: أخذته بدمشق؛ فعلتُ أنه مما أخذه أهلُ دمشق عن فُليح.

صوت

من المائة المختارة

أفاطم إنَّ النأيَ يُسلي ذوي الهوى ونأيك عني زاد قلبي بكم وجدا
أرى حرجاً ما نلتُ من ودِّ غيركم ونافلة ما نلتُ من ودِّكم رُشدا
وما نلتني من بعدِ نأيٍ وُفرقة وشحطِ نوى إلا وجدتُ له برّدا
على كبدي قد كاد يُبدي بها الهوى ندوبا وبعض القوم يحسبني جلدًا

عروضه من الطويل. النأي: البعد، ومثله الشحط. والحرج: الضيق؛ قال الله تعالى: (يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا). والتدوب: آثار الجراح، واحدها ندب.

الشعر لإبراهيم بن هرمة . والغناء في اللحن المختار، على ما ذكره إسحاق،
 ليونس الكاتب، وهو من الثقيل الاول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر
 يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه مثل ذلك . وذكر حبش بن موسى أن الغناء
 لمزروق الصراف أو ليحيى بن واصل . وفي هذه الأبيات للهذلي لحن من خفيف
 الثقيل الاول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة، ومن الناس
 من ينسب اللحنين جميعاً إليه .

تتم

ذكر ابن هرمة واخباره ونسبه

هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن هذيل، هكذا ذكر يعقوب بن السكيت . وأخبرني الحرّمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب، وذكر ذلك العباس بن هشام الكلبي عن أبيه هشام بن محمد بن السائب، قالوا جميعاً : هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن الهذيل بن ربيع بن عامر بن صبيح بن كنانة بن عدي بن قيس بن الحارث بن فهر - وفهر أصل قريش، فمن لم يكن من ولده لم يُعد من قريش، وقد قيل ذلك في النضر بن كنانة - وفهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر . قال من ذكرنا من النسّابين : قيس بن الحارث هو الخُلج، وكانوا في عدوان ثم انتقلوا إلى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن . فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتوه ليفرض لهم، فأنكر نسبهم؛ فلما استخلف عثمان أتوه فأثبتهم في بني الحارث بن فهر وجعل لهم معهم ديواناً . وسُموا الخُلج لانهم اختلجوا بمن كانوا معه من عدوان ومن بني نصر بن معاوية . وأهل المدينة يقولون : إننا سُموا الخُلج لأنهم نزلوا بالمدينة على خُلج (وواحدها خليج) فسُموا بذلك ؛ ولهم بالمدينة عدد . قال مصعب : كان لإبراهيم بن هرمة عم يُقال له هرمة الأعور، فأرادت الخُلج نفيه منهم؛ فقال : أمسيتُ ألام العرب دعيّ أدعياء . ثم قال يهجوهم :

رأيتُ بني فهرٍ سباطاً أكفهم فابال - أنبوني - أكفكم قنذا

(١) سباط : جمع سبط : وصف من السبوطه وهي الاعتدال والسهولة والطول . ويكنى بسبوطه اليدين عن الكرم، يقال : رجل سبط اليدين إذا كان سخياً سخياً كريماً، كما يقال : رجل جعد اليدين إذا كان بغيلاً .

(٢) القنَد : ميل في الكف، يريد أنهم بخلاء .

ولم تُدرِكوا ما أدرك القوم قبلكم من المجد إلا دعوة^(١) ألحقت كدًا
على ذي أيادي الدهر أفلح جدّهم وخبث فلم يصرع لكم جدّكم جدًّا
وقال يحيى بن عليّ حدثني أبو أيوب المديني عن المدائني عن أبي سلمة
الغفاري قال :

ننى بنو الحارث بن فهر ابن هُرمة، فقال :

أحار بن فهر كيف تطرحوني وجاء العدا من غيركم تبتغي نصري

قال : فصار من ولد فهر في ساعته .

قال يحيى بن عليّ وحدثني أحمد بن يحيى الكاتب قال حدثني العباس بن
هشام الكلبي عن أبيه قال :

كان ابن هُرمة يقول : أنا الأمّ العرب، دعيّ أدعياء : هُرمة دعيّ في
الخلج، والخلج أدعياء في قريش .

مع مضيف :

حدثني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمر
بن أبي بكر المؤملي قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن
ياسر قال :

زرت عبد الله بن حسن ببادريته وزاره ابن هُرمة، فجاهه رجل من أسلم؛
فقال ابن هُرمة لعبد الله بن حسن : أصلحك الله، سل الأسلمي أن يأذن لي أن
أخبرك خبري وخبره؛ فقال له عبد الله بن حسن : ائذن له، فأذن له الأسلمي؛

(١) الدعوة (بالفتح وتكسر) : الاسم من ادعى بمعنى زعم .

فقال له إبراهيم بن هرمة : إني خرجت - أصلحك الله - أبني ذوداً لي ، فأوحشت^١ وضفت^٢ هذا الأسلي ، فذبح لي شاة وخبز لي خبزاً وأكرمني ، ثم غدوت من عنده ، فأقت ما شاء الله ، ثم خرجت أيضاً في بُعاء ذود لي ، فأوحشت فضفته فقراني بلبن وتمر ، ثم غدوت من عنده فأقت ما شاء الله ؛ ثم خرجت في بُعاء ذود لي ، فأوحشت فقلت : لو رُففت^٣ الأسلي ! فاللبن والتمر خير من الطوى ؛ فضفته فجاءني بلبن حامض . فقال : قد أجبتك - أصلحك الله - الى ما سألت ، فسأله أن يأذن لي أن أخبرك لم فعلت ؛ فقال له : ائذن له ؛ فأذن له ؛ فقال الأسلي : ضافني ، فسألته من هو ؟ فقال : رجل من قريش ، فذبحت له الشاة التي ذكر ، ووالله لو كان غيرها عندي لذبحت له حين ذكر أنه من قريش ؛ ثم غدا من عندي وغدا عليّ الحلي ، فقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ قلت : رجل من قريش ؛ فقالوا : لا والله ما هو من قريش ، ولكنه دعي^٤ فيها ؛ ثم ضافني الثانية على أنه دعي في قريش ، فجنته بلبن وتمر وقلت : دعي قريش خير من غيره ؛ ثم غدا من عندي وغدا عليّ الحلي ، فقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ قلت : الرجل الذي زعم أنه دعي في قريش ؛ فقالوا : لا والله ما هو بدعي في قريش ، ولكنه دعي أدمياء قريش ؛ ثم جاءني الثالثة ، فقرئته لبناً حامضاً ، ووالله لو كان عندي شر منه لقريته إياه . قال : فأخذ ابن هرمة ، وضحك عبد الله وضحكنا معه .

أخبرني الحريري بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني نوفل بن ميسون قال :

لقي ابن ميادة ابن هرمة ، فقال ابن ميادة : والله لقد كنت أحب أن ألقاك ، لا بد من أن نتهاجى ، وقد فعل الناس ذلك قبلنا ؛ فقال ابن هرمة :

(١) الذود : القطيع من الإبل من الثلاث الى التسع ، وقيل : ما بين الثلاث الى الثلاثين ، ولا يكون إلا من الإناث دون الذكور .

(٢) يقال : أوحش الرجل اذا جاع ونفد زاده .

بنس والله ما دعوت اليه وأحبته، وهو يظنه جاداً؛ ثم قال له ابن هُرْمَة : أما والله إنني للذي أقول :

إني لميسونٌ جواراً وإنني إذا زجر الطير العدا لمشومٌ
وإني للملان العنان منقل إذا ما ونى يوماً ألف سَومٌ
فودَّ رجال أن أرمي تقنعت بشيب يُغَيِّي الرأس وهي عقيمٌ

فقال ابن ميادة : وهل عندك جراء ؟ تكيلتك أمك، أنت ألام من ذلك ! ما قلت إلا مازحاً .

أخبرنا به وكيع قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال قال عبد العزيز بن عمران :

اجتمع ابن هُرْمَة وابن ميادة عند جميع بن عمر بن الوليد، فقال ابن ميادة لابن هُرْمَة : قد كنت أحب أن ألقاك . ثم ذكر نحوه .

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حدثنا علي بن محمد بن سليمان التوفي قال حدثني أبو سلمة الغفاري عن أبيه قال :

وفدت على المهدي في جماعة من أهل المدينة، وكان فيمن وفد يوسف بن موهب وكان في رجال بني هاشم من بني نوفل، وكان معنا ابن هُرْمَة ؛ فجلسنا يوماً على دكان قد هُيئَ لمسجد ولم يُسَقَفْ، في عسكر المهدي ؛ وقد كنّا نلقى الوزراء وكبراء السلطان، وكانوا قد عرفونا؛ وإذا جبال الدُكَّان رجل بين يديه

(١) يقال : ملأ فلان عنان جواده إذا أعداه وحمله على الحضر الشديد .

(٢) المنقل : السريع نقل القوائم .

(٣) الألف : التهيل البطيء .

(٤) الجراء : الفتوة .

ناطف^١ يبيعه في يوم شاتٍ شديد البرد، فأقبل إذ ضربه بفأسه فتطأيرُ جفوفاً؛ فأقبل ابن هرمة علينا، فقال ليوسف: يا ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أما معك درهم نأكل به من هذا الناطف؟ فقال له: متى عهدتني أحمل الدراهم! قال: فقلت له: لكنتي أنا معي، فأعطيتُه درهماً خفيفاً، فأشترى به ناطفاً على طبقٍ للناطفي خفاءً بشيء كثير، فأقبل يتمضغه وحده ويحدثنا ويضحك؛ فما راعنا إلا موكبُ أحدِ الوزيرين: أبي عبيد الله أو يعقوب بن داود. ثم أقبلت المطرقة؛ فقلنا: مالك قاتلك الله! يهجم علينا هذا وأصحابه، فيرون الناطف بين أيدينا فيظنون أننا كنا نأكل معك؛ قال: فوالله ما أحدٌ أولى بالسَّترِ على أصحابه وتقلد البلية منك يا ابن عم رسول الله! فضعه بين يديك؛ قال: اغرب قبحك الله! قال: فأنت يا ابن أبي ذر، فزبرته؛ قال: فقال: قد علمت أنه لا يُبتلى بهذا إلا دعوى أدياءٍ عاضاً كذا من أمه؛ ثم أخذ الطبق في يده فحمّله وتلقى به الموكب، فما ربه أحد له نباهة إلا مازحه، حتى مضى القوم جميعاً.

(١) الناطف: نوع من الحلواء، وقال الجوهري: هو القُشيط لانه ينطف قبل استفراجه أي يقطر قبل خنورته. وجعل الناطفة الجعدي الحمر ناطفاً فقال:

وبات فريق ينضحون كأنما سقوا ناطفاً من أذرع مغلغلا

(٢) يريد بذلك الدرام الصغار ذات الوزن الخفيف. قال المقرئ في كتابه شذور العقود في ذكر النقود (ص ١٦ طبع أوروبا): «وكان الناس قبل عبد الملك يؤدّون زكاة أموالهم شطرين من الكبار والصغار، فلما اجتمعوا مع عبد الملك على ما عزم عليه عمد إلى درهم واف فوزته فاذا هو ثمانية دوانيق، وإلى درهم من الصغار فاذا هو أربعة دوانيق، فجعلها وحل زيادة الأكبر على نقص الأصغر وجعلها درهمن متساويين زنة كل منها ستة دوانيق سواء». ثم قال: «صنع عبد الملك في الدرام ثلاث فضائل: الأولى أن كل سبعة مثاقيل زنة عشرة دراهم. والثانية أنه عدل بين كبارها وصغارها حتى اعتدلت وصار الدرهم ستة دوانيق. والثالثة أنه موافق لما سته رسول الله صلى الله عليه وسلم في فريضة الزكاة بغير وكس ولا إسقاط ففضت بذلك السنة واجتمعت عليه الأمة... الخ».

(٣) لعله يريد بهم الذين يتقدمون الموكب يفحون له الطريق.

(٤) أي أذهب وأبعد.

(٥) زبره: نهره وأغلظ له في القول.

وقال هارون حدثني أبو حذافة السهمي قال حدثنا إسحاق بن نسطاس قال : كان ابنُ هرمة مشتهراً بالنبيذ ، فألقى عبد الله بن حسن وهو بالسَّيالة^(١) ، فأنشده مديحاً له ؛ فقام عبد الله الى غنم كانت له ، فرمى بساجة^(٢) عليها فأفترقت فرقتين ، فقال : اختر أيتها شئت - قال : فإما أن تكون زادت بواحدة أو نقصت بواحدة على الأخرى ، قال : وكانت ثلثائة - وكتب له الى المدينة بدنانير ؛ فقال له : يا ابن هرمة ، انقل عيالك الينا يكونوا مع عيالنا ؛ فقال : أفعل يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . ثم قدم ابن هرمة المدينة وجهر عياله لينقلهم الى عبد الله بن حسن ، وأكثرى من رجله من مَزِينَةٍ ؛ فبينما هو قد شد متاعه وحمله والكري^(٣) ينتظره أن يتحمل ، إذ أتاه صديق له ، فقال : أي أبا إسحاق ، عندي والله نبيذ يُسْقِطُ لحمَ الوجه ؛ فقال : ويحك ! أما ترانا على مثل هذه الحال ! أعلينا يمكن الشراب ؟ فقال : إنما هي ثلاثة لا تَرِدُ عليهن شيئاً ؛ فضى معه وهم وقوف ينظرون ؛ فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدرُ صالح ؛ ثم أتى به وهو سكران ، فطرح في شِقْرِ الحِمْلِ وعادلته^(٤) أمراًته ومضوا ؛ فلما أسحروا رفع رأسه فقال : أين أنا ؟ فأقبلت عليه أمراًته تلومه وتعذله ؛ وقالت : قد أفسد عليك هذا النبيذ دينك ودنياك ، فلو تعللت عنه بهذه الألبان ! فرفع رأسه اليها وقال :

لا نبتغي لبنَ البعير وعندنا ماء الزبيب وناطفُ المعصار

رأي الاصمعي فيه :

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا زكرياً بن يحيى بن خلاد قال :

(١) السَّيالة كسحابة : موضع بقرب المدينة على مرحلة .

(٢) الساجة : ضرب من الملاحف منسوجة ، أو هي واحدة الساج وهو خشب يحلب من الهند .

(٣) الكري كغني : المكاري .

(٤) عادلته أي كانت معه في الشق الآخر من الحمل .

كان الأصمعي يقول : « ختم الشعراء بابن هرمة ، والحكم الحضري ، وابن ميادة ، وطقيل الكِناني ، ومكين العذري » .

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدثني أبو حذافة السهمي أحمد بن إسماعيل قال :

كان ابن هرمة مدمناً للشراب مغرماً به ، فألقى أبا عمرو بن أبي راشد مولى عدوان ، فأكرمه وسقاه أياماً ثلاثة ؛ فدعا ابن هرمة بالنبيد ، فقال له غلام لأبي عمرو بن أبي راشد : قد نفذ نبيدنا ؛ فترع ابن هرمة رداءه عن ظهره فقال للغلام : اذهب به الى ابن حونك (نبأذ كان بالمدينة) ، فأرهنه عنده وأرتنا بنبيذ ففعل . وجاء ابن أبي راشد ، فجعل يشرب معه من ذلك النبيذ ؛ فقال له : أين رداؤك يا أبا إسحاق ؟ فقال : نصف في القدح ونصف في بطنك .

قال هارون حدثني محمد بن عمرو بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن ابن عوف الزُّهري قال حدثني عمي عبد العزيز بن إسماعيل قال :

مدح ابن هرمة محمد بن عمران الطَّلحي ، وبعث اليه بالمديح مع ابن ربيح ، فاحتجب عنه ؛ فدح محمد بن عبد العزيز ، وكان ابن هرمة مريضاً ، فقال قصيدته التي يقول فيها :

إني دعوتك إذ جفيت وسقني مرض تضاعفني شديد المشتكى
وحبست عن طلب المعيشة وأرتقت دوني الحوائج في وُور المرتقى
فأجب أخاك فقد أناف بصوته يا ذا الإخاء ويا كريم المرتجى

(١) كذا في أكثر الأصول ، ولم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة تدل على المعنى المراد هنا وهو أضعفني وأسقمي . وفي بعض النسخ : « بضاعفني » بالياء وضاعفه : جمعه ضعفين ، فلعل المراد على هذه الرواية : مرض بضاعف شكواي .

ولقد حَفِيتَ صَيِّبَ عَكَّةَ بَيْتِنَا ذَوْبًا وَنَزْتُ بَصْفُوهُ عَنْكَ الْقَدَى
فَحُذِرَ الْغَنَسَةُ وَأَعْتَسَمَنِي إِنِّي غُفْمٌ لِمِثْلِكَ وَالْمَكَارِمُ تُشْتَرَى
لَا تَرْمِيَنَّ بِحَاجَتِي وَقَضَائِهَا ضَرَحَ الْحِجَابِ كَمَا رَمَى بِي مَنْ رَمَى

فركب الى جعفر بن سليمان نصف النهار؛ فقال : ما تَزَعَكُ يا أبا عبد الله في هذا الوقت ؟ قال : حاجة لم أر فيها أحداً أكفى مني؛ قال : وما وهي ؟ قال : قد مدحني ابن هرمة بهذه الأبيات، فأردتُ من أرزاقى مائة دينار؛ قال : ومن عندي مثلها قال : ومن الأمير أيضاً . قال : فجاءت المائتا الدينار الى ابن هرمة، فما أنفق منها إلا ديناراً واحداً حتى مات، وورث الباقي أهله .

امتدح ابا جعفر المنصور :

وقال أحمد بن أبي خَيْشَمَةَ عن أبي الحسن المدائني قال :

إمتدح ابنُ هرمة أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم؛ فقال : لا تقع مِنِّي هذه؛ قال : وَيَحْكُ ! إنها كثيرة؛ قال : إن أردت أن تَهْنِئَنِي فَأَبِجْ في الشَّرَابِ فَإِنِّي مَغْرُمٌ بِهِ؛ فقال : وَيَحْكُ ! هذا حدٌّ من حدود الله ! قال : احْتَلْ لي يا أمير المؤمنين؛ قال : نعم؛ فكتب إلى والي المدينة : مَنْ أَتَاكَ بِابْنِ هَرَمَةَ سَكْرَانًا فَأَضْرِبْهُ مِائَةً وَأَضْرِبْ ابْنَ هَرَمَةَ ثَمَانِينَ . قال : فجعل الجُلُوزُ إِذَا مَرَّ بِابْنِ هَرَمَةَ سَكْرَانًا، قال : مَنْ يَشْتَرِي الثَّانِينَ بِالمِائَةِ !

(١) حَفِيتَ : أعطيت، ولعل المعنى : لقد منحت خير ما نملك وهو ما في عكتنا من عمل مصلح، يكنى بذلك عن مديحه الحسن .

(٢) العكة : للسمن كالشكوة اللبن، وقيل : العكة أصفر من القربة للسمن وهو زقيق صغير .

(٣) الذوب : العسل .

(٤) الفرح : أن يؤخذ شيء فيرمى به في ناحية .

(٥) ما تَزَعَك : يريد ما حركك من مكانك وما جاء بك .

(٦) الجُلُوزُ : الشرطي، وسُمِّيَ بذلك لشُرْعته وخفته في ذهابه وبجيشه بين يَدَيِ الأمير .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا أبو سلمة الغفاري قال أخبرنا ابن ربيع راوية ابن هرمة قال :

أصابني ابن هرمة أزيمة ؛ فقال لي في يوم حار : اذهب فتكار حمارين الى ستر أميال ، ولم يُسمّ موضعاً ؛ فركب واحداً وركبت واحداً ؛ ثم يسرنا حتى صرنا الى قصور الحسن بن زيد ببطحاء ابن أزهر ، فدخلنا مسجده ، فلما مالت الشمس خرج علينا مُشمّلاً على قيصه ؛ فقال لمولى له : أذن ، فأذن ولم يكلمنا كلمة ؛ ثم قال له : أقم ، فأقام فصلّى بنا ، ثم أقبل على ابن هرمة فقال : مرحباً بك يا أبا إسحاق ، حاجتك ؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأمي ، آيات قلتها - وقد كان عبد الله وحسن وإبراهيم بنو حسن بن حسن وعدوه شيئاً فأخلفوه - فقال : هاتها ؛ فقال :

أما بنو هاشم حولي فقد قرعوا نبل الضباب التي جمعت في قرن
فما يثير منهم من أعاتبه إلا عوائد أرجوهن من حسن
الله أعطاك فضلاً من عطيته على هن وهن فيما مضى وهن

قال : حاجتك ! قال : لأبن أبي مضرّس عليّ خمسون ومائة دينار ؛ قال : فقال لمولى له : يا هيثم ، أركب هذه البغلة فأتني بأبن أبي مضرّس وذكر حقّه . قال : فما صلينا العصر حتى جاء به ؛ فقال له : مرحباً بك يا بن أبي مضرّس ، أملك ذكرُ حقك على ابن هرمة ؟ قال : نعم ؛ قال : فأمنه ، فجاه . ثم قال : يا هيثم ،

(١) هذا الفعل إما يتعدى بالباء .

(٢) الضباب : الأحقاد . يقال : في قلبه ضب أي غلّ داخل ، كالضب الممعن في حجره . والظاهر أنه يريد أن يقول : إنهم سلوا أحقادهم وأظهروا عداوتهم وأنا قد كتمتها وأخفيتُها .

(٣) هن : كلمة يكنى بها عن اسم الانسان . وقد كررها الشاعر ثلاثاً لانه أراد ثلاثة أشخاص معينين .

(٤) ذكر الحق : الصك الذي يكتب فيه الدين .

ربعَ أبْنِ أبي مضرٍ من تمرٍ^١ الحانقين بمائة وخمسين ديناراً وزده على كلِّ دينار
ربعَ دينار، وكلَّ أبْنِ هرمةٍ بخمسين ومائة دينار تمراً، وكلَّ أبْنِ ربيعٍ بثلاثين
ديناراً تمراً. قال: فأنصرفنا من عنده؛ فلقية محمد بن عبد الله بن حسن بالسَّيالة،
وقد بلغه الشعرُ، فغضب لأبيه وعمومته، فقال: أي ماصٍ بظُر أمه! أنت
القائل:

على هَنٍ وهَنٍ فيا مضي وهَنٍ

فقال: لا والله! ولكني الذي أقول لك:

لا والذي أنت منه نعمةٌ سَلَفَتْ زجو عواقبها في آخر الزَمَنِ
لقد أُرِيْتُ بأمرٍ ما عَمَدَتْ له ولا تَعَمِّده قولي ولا سَنَنِ
فكيف أمشي مع الأقوام معتدلاً وقد رَمَيْتُ بَرِيءَ العود بالأبْنِ
ما غَيَّرْتُ وجهه أم مُهَجَّنَةً إذا القَتَامُ تَغَشَّى أوجهَ الهُجْنِ^٢

قال: وأمَّ الحسن أم ولد.

قال هارون: خدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال:

لما قال أبْن هرمة هذا الشعر في حسن بن زيد، قال عبد الله بن حسن: والله
ما أراد الفاسقُ غيري وغيرَ أخوي: حسن وإبراهيم. وكان عبد الله يُجِرِّي على
أبْن هرمة رزقاً فقطعه عنه وغضب عليه؛ فأثاه يعتذر، فَنَحِيَّ وطرد؛ فسأل رجالاً
أن يكلموه، فردَّهم؛ فبئس من رضاء وأجتنبه وخافه. فكث ما شاء الله، ثم

(١) الحانقان: موضع بالمدينة وهو يجمع مياه أوديتها الثلاثة: بطحان والعقيق وفتاة.

(٢) الأبْن: جمع أبنه وهي العقدة تكون في العود تفسده ويصاب بها. وقولهم: ليس في حب
فلان أبنه، أي عيب، مأخوذ من هذا.

(٣) الهجين: من أبوه خير من أمه أو من أبوه عربي وأمّه غير عربية، وجمعه: هُجْن
وهُجْناء وهجنان ومهاجين ومهاجنة.

مرّ عشيةً وعبدُ الله على زَرْبِيَّةَ في ممرّ المنبر، ولم تكن تُبَسِّطُ لأحدٍ غيره في ذلك المكان، فلما رأى عبدُ الله تضاملاً وتَقَنُّظاً وتَصَاغَراً وأسرع المشي. فكانَ عبدُ الله رَقّاً له، فأمر به فرُدَّ عليه؛ فقال: يا فاسق، يا شاربَ الخمر، على هَنٍ وَهَنٍ أَتُفْضِلُ الحَسَنَ عليّ وعلى أخوي! فقال: بأبي أنت وأُمِّي، وربّ هذا القبر ما عَنَيْتُ إلا فرعونَ وهامانَ وقارونَ، أَتُغْضِبُ لهم! فضحك وقال: والله ما أَحْسَبُكَ إلا كاذباً؛ قال: والله ما كَذَبْتُكَ. فأمر بأن تُرَدَّ عليه جِرايُته.

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال أخبرني أبو أيوب المديني عن مُصْعَبٍ قال:

إنما أَعْتَذِرُ أَبْنَ هَرْمَةَ بهذا الى محمد بن عبد الله بن حسن.

قال يحيى: وأخبرني أبو أيوب عن عليّ بن صالح قال:

أُنشِدَنِي عامرُ بن صالح قصيدةً لأَبْنِ هَرْمَةَ نَحْواً من أربعين بيتاً، ليس فيها حرف يُعْجَم؛ وذكر هذه الأبيات منها؛ ولم أجد هذه القصيدة في شعر أَبْنِ هَرْمَةَ، ولا كنت أَظُنُّ أن أحداً تَقَدَّمَ رُزِيناً العَرُوضِيَّ الى هذا الباب؛ وأولها:

أَرَسْمُ سَوْدَةَ أُمْسَى دَارِسَ الطَّلَلِ مُعْطَلًا رَدَّةُ الْأَحْوَالِ كَالْخُلَلِ

هكذا ذكر يحيى بن عليّ في خبره أن القصيدة نحو من أربعين بيتاً؛ ووجدتها في رواية الأَصْمَعِيِّ ويعقوب بن السَّكَيْتِ اثني عشر بيتاً، فنسختها هاهنا للحاجة الى ذلك؛ وليس فيها حرف يُعْجَم إلا ما اصطلاح عليه الكتّاب من تصييرهم مكان ألف ياءٍ مثل أعلى فإنها في اللفظ بالألف وهي تكتب بالياء، ومثل رأى ونحو هذا، وهو في التحقيق في اللفظ بالألف، وإنما اصطلاح الكتّاب على كتابته بالياء كما ذكرناه. والقصيدة:

أَرَسْمُ سَوْدَةَ مَحَلُّ دَارِسُ الطَّلَلِ مُعْطَلٌ رَدَّةُ الْأَحْوَالِ كَالْخُلَلِ

(١) الزَرْبِيَّةُ: البساط والنمرقة، وقيل: كل ما بسط وآتكى عليه، والجمع زَرَانِيَّةٌ.

لما رأى أهلها سدوا مطالعها رام الصدود وعاد الود كالمهل^١
وعاد ودك داء لا دواء له ولو دعاك طوال الدهر للرحل
ما وصل سودة إلا وصل صارمة أهلها الدهر داراً مأكلاً الوعل^٢
وعاد أمواهما سدماً وظار لها سهم دعا أهلها للصرم والعلل
صدوا وصدّ وساء المرء صدّهم وحام للورد رذها حومة العلل

حومة الماء : كثرتُهُ وغمرتُهُ . والعلل : الشرب الثاني . والرذة : مُستنقع الماء .

وحلّوه رداها ماؤها غسل ما ماء رذته لعنر الله كالعسل
دعا الحام حماماً سدّ مسعده لما دعاه رآه طامح الأمل
طموح سارحة حومر ملتعة وممرع السر سهل ماكد السهل
وحاولوا ردّ أمير لا مردّ له والصرم داء لأهل اللوعة الوصل
أحلّك الله أعلى كل مكرمة والله أعطاك أعلى صالح العمل
سهل موارده سمح مواعده مسود لكرام سادق محمل^٣

قال يحيى بن عليّ وحدثني أبو أيوب المدينيّ عن أبي حذيفة قال :

(١) المهل : ما ذاب من صقر أو حديد .

(٢) الوعل : تيس الجبل يريد بذلك استعصاها ومنعتها .

(٣) سدماً : متغيرة من طول المكث .

(٤) هذا تفسير غير واضح ولعله المرة من الحوم .

(٥) حلّ القوم عن الماء : منعهم عنه .

(٦) وروى : لما دعاه ودهر طامح الأمل

(٧) السارحة : الماشية . والحوم : القطيع الضخم . والملع : الذي في جسده بقع تخالف سائر لونه . والممرع : المنصب . والسر : بطن الوادي وأكرم موضع فيه . والماكد : الدائم الذي لا ينقطع .

(٨) حمل : جمع حول وهو كثير الاحتمال لما ينوبه لعله وكرمه .

كان المِسُور بن عبد الملك المخرومي يعيب شعر ابن هرمة، وكان المِسُور هذا عالماً بالشعر والنسب؛ فقال ابن هرمة فيه :

إِيَّاكَ لَا أَلْزِمَنَّ لَحْيَيْكَ مِنْ لُجْمِي نِكَلًا^(١) يُنَكِّلُ قَرَأَصًا^(٢) مِنَ اللُّجْمِ
يَدُقُّ لَحْيَيْكَ أَوْ تَنْقَادَ مُتَّبِعًا مَشْيَ الْمُقَيَّدِ ذِي الْقِرْدَانِ^(٣) وَالْحَلَمِ
إِنِّي إِذَا مَا أَمْرُو^(٤) خَفْتُ نَعَامَتَهُ إِلَيَّ وَأَسْتَحْصِدُ مِنْهُ قُوَى الْوَذَمِ^(٥)
عَقَدْتُ فِي مُلْتَقَى أَوْدَاجِ لَبَّتِهِ طَوْقَ الْحَمَامَةِ لَا يَبْلَى عَلَى الْقَدَمِ
إِنِّي أَمْرُو^(٦) لَا أَصُوغُ الْحَلِيَّ تَعَمُّلَهُ كَفَّايَ لَكِنِّ لِسَانِي صَانِعُ الْكَلِمِ
إِنَّ الْأَدِيمَ^(٧) الَّذِي أَمْسَيْتَ تَقْرِظُهُ جَهْلًا لَذُو نَعْلِهِ بَادٍ وَذُو حَلَمٍ^(٨)
وَلَا يَنْطُ^(٩) بِأَيْدِي الْخَالِقِينَ وَلَا أَيْدِي الْخَوَالِقِ إِلَّا جَيْدُ الْأَدَمِ

قال يحيى وحدثني أبو أيوب عن مُصَعَّب بن عبد الله عن أبيه قال :

لقيني ابن هرمة فقال لي : يَا ابْنَ مُصَعَّبٍ، أُنْفِضِلْ عَلَيَّ ابْنَ أَذْيَنَةَ ! أما شكرت قولي :

فَا لَكَ مَحْتَلًّا عَلَيْكَ خَصَاصَةٌ كَأَنَّكَ لَمْ تَنْبُتْ بِيَعُضِ الْمُنَابِتِ
كَأَنَّكَ لَمْ تَصْخَبْ^(١٠) شُعَيْبَ بْنَ جَعْفَرٍ وَلَا مُصَعَّبًا ذَا الْمَكْرَمَاتِ ابْنَ ثَابِتٍ

(١) النكل : العجام .

(٢) القرّاص : وصف من القرص ويروى « قراضا » وهو : القطاع .

(٣) القردان : جمع فرادة وهي دويبة تتعلق بالبعير ونحوه . قيل : هو الصغير من القراد .

(٤) النعامة : القدم . ويمكن بخفة النعامة عن السرعة، يقال : خفت نعامتهم، أو شالت نعامتهم، إذا أسرعوا .

(٥) الودم : سيور نقد مستطيلة . واستحصاد قواها : إحكام فتلها ، وقد يكنى بذلك عن الغضب، فيقال : استحصد جبل فلان إذا غضب .

(٦) الاديم : الجلد . ويقرظه : يدبغه بالقرظ لإصلاحه . والنغل : الفساد . والحلم : فساد في الجلد، سببه أنه يقع فيه دود فيشتقب .

(٧) ينط : يصوت . والخالقون : وصف من قولهم : خلق الجلد إذا قدره قبل قطعه .

- يعني مصعب بن عبد الله - قال : فقلت : يا أبا إسحاق ، أقرني وروني من شعرك ما شئت ، فإني لم أرو لك شيئاً ، فرواني عباسياًته تلك .

قال يحيى : وأخبرني أبو أيوب المديني عن مصعب بن عبد الله عن مصعب ابن عثمان قال :

قال ابن هرمة : ما رأيتُ أحداً قطُّ أسخى ولا أكرمَ من رجلين : إبراهيم ابن عبد الله بن مطيع ، وإبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله بن معمر . أما إبراهيم بن طلحة فأتيته فقال : أحسنوا ضيافة أبي إسحاق ، فأتيته بكل شيء من الطعام ، فأردتُ أن أنشده ؛ فقال : ليس هذا وقت الشعر . ثم أخرج الغلام إلي رُعةً فقال : أتت بها الوكيل ، فأتيته بها ؛ فقال : إن شئت أخذتُ لك جميع ما كتب به ، وإن شئت أعطيتُك القيمة ؛ قلت : وما أمر لي به ؟ فقال : مائتا شاة برعائها وأربعة أجمال وغلالمٌ جمال ومظلةٌ وما تحتاج اليه ، وقوتك وقوت عيالكَ سنة ؛ قلت : فأعطني القيمة ، فأعطاني مائتي دينار . وأما إبراهيم بن عبد الله فأتيته في منزله بمشاش^(١) على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عفان ؛ فدخل إلى منزله ثم خرج إلي برزمة من ثياب وُصرة من دراهم ودنانير وحلي ؛ ثم قال : لا والله ما بَقِينَا في منزلنا ثوباً إلا ثوباً نُوارِي به امرأة ولا حلياً ولا ديناراً ولا درهماً . وقال يمدح إبراهيم :

أَرَقَّتْني تَلَوْمُني أُمُّ بَكْرٍ بعد هَذِهِ اللَّوْمُ قد يُؤْذِني
حَذَرْتُني الزَّمانَ تُمَتَّ قَالَتْ ليس هَذَا الزَّمانُ بِالْمُؤْمِنِ
قُلْتُ لِمَا هَبَّتْ تُحَذِّرُني الدَّهْرُ دَعِيَ اللَّوْمُ عَنْكَ وَأَسْتَبْقِي
إِنَّ ذَا الْجُودِ وَالْمَكَارِمِ إِبْرَاهِيمَ يَعْنِيهِ كُلُّ مَا يَعْنِي
قَدْ خَبَرْتَهُ فِي الْقَدِيمِ فَالْفِينَا مَوَاعِيدُهُ كَعَيْنِ الْيَقِينِ

(١) لعله يريد قصائده التي مدح بها بني العباس .

(٢) مشاش : موضع بين ديار بني سليم وبين مكة ، وبينه وبين مكة نصف مرحلة .

قلتُ ما قلتُ للذي هو حقٌ مستبينٌ لا للذي يُعطيني
نَضَحْتُ أَرْضَنَا سِمْأُكَ بعدَ السَّجْدِ مِنْهَا وبعدَ سوءِ الظُّنُونِ
فَرَعَيْنَا آثَارَ غَيْثٍ هَرَأَقْتُهُ يَدَا مُحْكَمِ الْقَوَى مَيْسُونِ

وقال هارون حدثنا حماد عن عبد الله بن إبراهيم الحنظلي :

أن إبلاً لمحمد بن عمران تحمل علفاً مروت بمحمد بن عبد العزيز الزُّهري ومعه
ابن هرمة ، فقال : يا أبا إسحاق ، ألا تستعلم محمد بن عمران ! وهو يريد أن
يعرضه لمنعه فيهبجوه ؛ فأرسل ابن هرمة في أثر الجمولة رسوياً حتى وقف على ابن
عمران ، فأبلغه رسالته ؛ فردَّ إليه الإبل بما عليها ، وقال : إن أحتجت إلى غيرها
زدناك . فأقبل ابن هرمة على محمد بن عبد العزيز ، فقال له : اغسلها عني ، فإنه
إن علم أنني استعلمته ولا دابة لي وقعت منه في سومة ؛ قال : بماذا ؟ قال :
تُعطيني حمارك ؛ قال : هو لك بسرجه وجامه ؛ فقال ابن هرمة : من حفر حفرة
سوء وقع فيها .

أخبرني الحرَمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكَّار قال حدثنا أبو
يحيى هارون بن عبد الله الزُّهري عن ابن زُرَيْق ، وكان منقطعاً إلى أبي العباس
ابن محمد وكان من أروى الناس ، قال :

كنت مع السَّري بن عبد الله باليامة ، وكان يتشوق إلى إبراهيم بن علي
ابن هرمة ويحب أن يفد عليه ؛ فأقول : ما يمنعك أن تكتب إليه ؟ فيقول :
أخاف أن يكلفني من المؤونة ما لا أطيق ؛ فكنت أكتب بذلك إلى ابن هرمة ،
فكره أن يقدم عليه إلا بكتاب منه ؛ ثم غلب فشخص إليه ، فنزل علي ومعه
راويته ابن ربيع ؛ فقلت له : ما منعك من القدوم على الأمير وهو من الحرص
على قدومك على ما كتبت به إليك ؟ قال : الذي منعه من الكتاب إلي . فدخلت

(١) أبو العباس بن محمد : هو عبد الله السفاح أول خلفاء بني العباس .

على السري فأخبرته بقدمه ؛ فسرّ بذلك وجلس للناس مجلساً عاماً ، ثم أذن لابن
 هرمة فدخل عليه ومعه راويته ابن ربيع ، وكان ابن هرمة قصيراً دميماً
 أرمصاً ، وكان ابن ربيع طويلاً جسيماً نقي الثياب ؛ فسلم على السري ثم قال
 له : أصلحك الله إني قد قلتُ شعراً أثنتُ فيه عليك ؛ فقال : أنشد ؛ فقال : هذا
 يُنشد ؛ فأنشده ابن ربيع قصيدته التي أولها :

عوجاً على ربع لئلي أم محمود كيا نُسائله من دون عبود^١
 عن أم محمود إذ شطّ المزار بها لعلّ ذلك يشني داء معبود^٢
 فعرّجاً بعد تغوير^٣ وقد وقفتُ شمسُ النهار ولاذ الظلّ بالعود^٤
 شيئاً فما رجعتُ أطلال^٥ منزلة قفر جواباً لحزون الجوى مودي^٥

ثم قال فيها يمدح السري :

ذاك السري الذي لولا تدفقه بالعرف متنا حليف المجد والجد
 من يعتمدك ابن عبد الله مجتدياً^٦ لسبب عرفك يعمد^٧ خير معبود

(١) أرمص : تصغير أرمص ، وصف من الرمس في العين وهو كالفمص ، وقيل : الرمس : ما
 سال مما تلفظ به العين ، والفمص : ما جد ، وقيل العكس .

(٢) عبود وصغر : جبالان ما بين المدينة والسيالة ينظر أحدهما إلى الآخر . وبينهما طريق
 المدينة .

(٣) المعبود : من هداه العشق .

(٤) التغوير : النزول وقت القائلة . وروى : « تعويق » . والتعويق : الانصراف عن الشيء
 والانحباس عنه . وفي غنار الأغاني لابن منظور : « تطويل » .

(٥) المودي : الهالك .

(٦) وروى :

بالعرف مات حليف المجد والعود

(٧) وفي رواية : « مجتهداً » .

(٨) معبود : مقصود . يقال : عمد به يعمده إذا قصده .

يَأْبَنُ الْأُسَاةَ الشُّفَاةَ الْمُسْتَغَاثَ بِهِمْ وَالْمُطْعِمِينَ ذُرَى الْكُومِ الْمَقَاحِيدِ^١
 وَالسَّابِقِينَ إِلَى الْخَيْرَاتِ قَوْمَهُمْ سَبَقَ الْجِيَادَ إِلَى غَايَاتِهَا الْقُودُ^٢
 أَنْتَ ابْنُ مُسْلَنْطِخِ الْبَطْحَاءِ مَنَلْتَكُمْ بَطْحَاءُ مَكَّةَ لَا رُوسَ الْقَرَادِيدِ^٣
 لَكُمْ سِقَايَتُهَا قَدَمًا وَنَدْوَتُهَا قَدْ حَازَهَا وَالِدُكُمْ لِمَوْلُودِ^٤
 لَوْلَا رَجَاؤُكَ لَمْ تَعِيفْ بِنَا قُلُوصُ أَجَوَازَ مَهْمَةٍ قَفَرِ الصُّوَى يَبِيدُ^٥
 لَكِنْ دَعَانِي وَمِيضُ لَاحٍ مَعْتَرِضًا مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ فِي دُهُمٍ مَنَاضِيدِ^٦

وأنشده أيضاً قصيدة مدحه فيها ، أولها :

أَفِي طَلَلٍ قَفَرٍ تَحْمَلُ آهْلُهُ وَقَفْتَ وَمَاءَ الْعَيْنِ يَنْهَلُ هَامِلُهُ^٧
 تُسَائِلُ عَنْ سَلَمَى سَفَاهًا وَقَدْ نَأَتْ بِسَلَمَى نَوَى شَحْطُ فَكَيْفَ تُسَائِلُهُ^٨
 وَتَرْجُو وَلَمْ يَنْطِقْ وَلَيْسَ بِنَاطِقٍ جَوَابًا مُحِيلُ^٩ قَدْ تَحْمَلُ آهْلُهُ

(١) كَذَا فِي أَكْثَرِ الْأَصُولِ . وَالتَّرَى : جَمْعُ ذُرْوَةٍ وَهِيَ أَعْلَى الشَّيْءِ . وَالْكُومُ : جَمْعُ أَكُومٍ وَكُومَاءٍ . وَهِيَ النَّاقَةُ الضَّخْمَةُ السَّنَامُ . وَالْمَقَاحِيدُ : جَمْعُ مَقْحَدٍ وَهِيَ أَيْضاً النَّاقَةُ الْعَظِيمَةُ السَّنَامُ . وَيُرْوَى : « ذُرَى الْكُومِ الْفَرَاقِيدُ » وَالْفَرَاقِيدُ : جَمْعُ فَرَقْدٍ وَهُوَ وَلَدُ الْبَقَرَةِ ، وَقِيلَ : وَلَدُ الْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةُ .

(٢) الْقُودُ : جَمْعُ أَقُودٍ وَهُوَ مِنَ الْحَيْلِ الطَّوِيلِ الْعَنْقُ .

(٣) اسْلَنْطِخُ الْوَادِي : اتَّسَعَ . وَرُوسُ : جَمْعُ رَأْسٍ ، خَفَّتْ هَمْزَتُهُ . وَالْقَرَادِيدُ : جَمْعُ قَرْدُودٍ وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَغُلُظٌ ، وَقِيلَ : جَمْعُ قَرْدَدٍ ، وَزَادُوا الْيَاءَ كَرَاهِيَةِ التَّضْعِيفِ .

(٤) السَّقَايَةُ : مَا كَانَتْ قَرِيشٌ تَسْقِيهِ الْحَجَاجُ مِنَ التَّبِيذِ الْمُنْبُذِ فِي الْمَاءِ ، وَكَانَ يَلْبِثُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ . وَالتَّدْوَةُ : هِيَ دَارُ التَّدْوَةِ بِمَكَّةَ وَهِيَ الَّتِي بَنَاهَا قُصَيٌّ ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِيهَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ نَدَوْا إِلَيْهَا لِلتَّشَاوُرِ .

(٥) الْعِصْفُ : السَّيْرُ فِي الْمَغَازَةِ وَقَطْعُهَا بِغَيْرِ قَصْدٍ وَلَا هِدَايَةٍ . وَالصُّوَى : الْأَعْلَامُ مِنَ الْحِجَابَةِ تَنْصَبُ فِي الْغِيَاثِ وَالْمَغَازَاتِ الْمَجْهُولَةِ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الطَّرِيقِ . وَيُرْوَى :

أَجَوَابَ مَهْمَةٍ قَفَرِ الطَّوَى يَبِيدُ

وَالْأَجَوَازُ وَالْأَجَوَابُ بِمَعْنَى مَنْ جَازَ الْمَكَانَ وَجَابَهُ إِذَا قَطَعَهُ . وَالطَّوَى : مَا يَطْوَى ، مِنْ طَوَى الْبِلَادَ أَيْ قَطَعَهَا ، وَطَوَى الْمَكَانَ جَاوَزَهُ إِلَى غَيْرِهِ .

(٦) دُمُ : سُودٌ . وَمَنَاضِيدُ : مَتْرَاكِبَةٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، يَرِيدُ سَجْبًا هَذَا وَصَفَهَا .

(٧) الْغَيْلُ : الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ أَحْوَالُ فَتَبَيَّرَتْهُ . يُقَالُ : أَحَالَاتِ الدَّارَ وَأَحْوَلَتْ .

وَنُؤِيْ كَخَطِّ النَّوْنِ مَا إِنْ تَبَيَّنَتْهُ عَقَّتْهُ ذِيُولٌ^١ مِنْ شَمَالٍ تُذَايِلُهُ^٢

ثُمَّ قَالَ فِيهَا يَمْدَحُ السَّرِيَّ :

فَقُلْ لِلسَّرِيِّ الْوَاصِلِ الْبَرِّ ذِي النَّدَى مَدِيحًا إِذَا مَا بُثَّ^٣ صَدَقَ قَائِلُهُ
جَوَادٌ عَلَى الْعَلَاتِ يَهْتَرُ^٤ لِلنَّدَى كَمَا أَهْتَرَ^٥ عَضْبٌ أَخْلَصَتْهُ صَيَا قَلُهُ
نَفَى الظُّلْمَ عَنْ أَهْلِ الْيَامَةِ عَدْلُهُ فَعَاشُوا وَزَاحَ^٦ الظُّلْمُ عَنْهُمْ وَبَاطِلُهُ
وَنَامُوا بِأَمْنٍ بَعْدَ خَوْفٍ وَشِدَّةٍ بِسِيرَةٍ عَدْلٍ مَا تُخَافُ غَوَائِلُهُ
وَقَدْ عَلِمَ الْمَعْرُوفُ أَنَّكَ خَدُّنُهُ وَيَعْلَمُ هَذَا الْجَوْعُ أَنَّكَ قَائِلُهُ
بِكَ اللَّهُ أَحْيَا أَرْضَ حَجَرٍ وَغَيْرَهَا^٧ مِنْ الْأَرْضِ حَتَّى عَاشَ بِالْبَقْلِ آكِلُهُ
وَأَنْتَ تُرْجَى لِلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَتَنْفَعُ ذَا الْقُرْبَى لَدَيْكَ وَسَائِلُهُ

وَأَنْشَدَهُ أَيْضًا ثَمًّا مَدَحَهُ بِهِ قَوْلَهُ :

عُوجًا تُخَيِّرُ الطَّلُولَ^٨ بِالْكَشْبِ^٩

يَقُولُ فِيهَا يَمْدَحُهُ :

دَعُ عَنْكَ سَلْمَى وَقُلْ مُحَبَّةٌ^{١٠} لِمَا جَدِ الْجَدِّ طَيْبِ النَّسَبِ
مَحْضٌ مُصْقَى الْعُرُوقِ يَحْمَدُهُ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ كُلِّ مُرْتَعِبِ

(١) ذيل الريح : ما انسحب منها على الأرض ، وذيل الريح أيضاً : ما تتركه في الرمال على هيئة الرسن ، وما جرفته على الأرض من التراب والقتل . وقيل : أذبال الريح مآخيزها التي تكسح بها ما خف لها .

(٢) تذايله : لعله يريد أنها تجر عليه ذبولها وتعفيه . ويروى : « تذايله » بالهمز .

(٣) زاح مثل اتزاح فعلان لازمان كلاهما بمعنى ذهب .

(٤) ويروى : « الجور » .

(٥) مدينة اليامة وأم قراها .

(٦) الكتب : موضع بديار بني طيء .

(٧) حبر الشعر والكلام : حسنه وأجاده .

الواهب الخيل في أعنتها والوصفاء الحسان كالذهب
مجداً وحمداً يُفیده كرمًا والحمد في الناس خير مكتسب

قال : فلما فرغ ابن ربيع ، قال السريّ لابن هرمة : مرحباً بك يا أبا إسحاق ،
ما حاجتك ؟ قال : جئتك عبداً مملوكاً ؛ قال : لا ! بل حراً كريماً وابن عم ، فما
ذاك ؟ قال : ما تركت لي مالا إلا رهنته ، ولا صديقاً إلا كلفته - قال أبو
يحيى : يقول لي ابن زريق : حتى كأن له ديئناً وعليه مالا - فقال له السريّ :
وما دينك ؟ قال : سبعمائة دينار ؛ قال : قد قضاها الله عز وجلّ عنك . قال :
فأقام أياماً ، ثم قال لي : قد أشقت ؛ فقلت له : قل شعراً تشوّق فيه ؛ فقال
قصيدته التي يقول فيها :

أألمامة في نخل ابن هداج هاجت صباية عاني القلب مهتاج
أم الخبير أن الغيث قد وضعت منه العشار تماماً غير إنداج
شقت سوائفها بالقرش من ملل إلى الأعارف من حزن وأولاج
حتى كأن وجوه الأرض ملبسة طوائفاً من سدى عصب وديباج

وهي طويلة مختارة من شعره ، يقول فيها يمدح السريّ :

أما السريّ فإني سوف أمدحه ما المادحُ الذاكرُ الإحسانِ كالهاجي

(١) في مختار الأغاني لابن منظور : « إن ألمامة » .

(٢) أخذت الناقة : ألت ولدها قبل أوانه لغير تمام الأيام وإن كان تام الخلق .

(٣) شقت : انقطعت عن النبات ، يقال : شق النبات يشق شقواً ، وذلك أول ما تنفطر عنه
الأرض . والسوائف : جمع سائفة وهي أرض بين الرمل والجند أو جانب من الرمل ألين ما يكون .
ولعل المراد بالضمير المستتر في شقت الأرض التي أصابها ذلك الغيث .

(٤) القرش ، كما في معجم البلدان لياقوت ، واد بين غميس الحما ومثل : موضع بين الحرمين ،
وسمي به لأن الماشي إليه من المدينة لا يبلفه إلا بعد ملل وجهد .

(٥) الأعارف كما في ياقوت : جبال بالهامة .

(٦) الحزن : ما غلظ من الأرض . والأولاج : الغامض من الأرض ، واحده واجة .

ذاك الذي هو بعد الله أنقذني فليست أنساه إنقاذي وإخراجي
 ليثٌ بجرجر إذا ما هاجه فرعٌ هاج إليه بإلجام وإسراج
 لأحبونك بما أصطني مدحاً مصاحبات لعمارٍ وحجاج
 أسدى الصنعة من برٍّ ومن لطفٍ إلى قروعر لباب الملك وللاج
 كم من يد لك في الأقوام قد سلفت عند أمرى ذي غنى أو عند محتاج

فأمر له بسبعائة دينار في قضاء دينه ، ومائة دينار يتجهز بها ، ومائة دينار
 يعرض بها أهله ، ومائة دينار إذا قدم على أهله .

قوله : يعرض بها أهله أي يهدي لهم بها هدية ، والعراضة : الهدية ؛ قال
 الفرزدق يهجو هشام بن عبد الملك :

كانت عراضتك التي عرضتنا يوم المدينة زكمة وسعالا

تنصه من بعض شعره :

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني نوفل بن ميسون قال أخبرني
 أبو مالك محمد بن علي بن هرمة قال :

قال ابن هرمة :

ومها ألام على حبيهم فإني أحب بني فاطمة
 بني بنت من جاء بالمحكما ت الدين والسنة القائمة

فلقيه بعد ذلك رجل ، فسأله : من قائلها ؟ فقال : من عض بظفر أمه ؛ فقال له

أبنة : يا أبت ، ألت قائلها ؟ قال : بلى ؛ قال : فلم شئت نفسك ؟ قال :
أليس أن يعض المرء بظفر أمه خير من أن يأخذه ابن حطبة ! .

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا جعفر بن مُدْرِك الجعدي قال :

جاء ابن هرمة إلى رجل كان يسوق النبط ، معه زوجة له وأبنتان كأنهما
ظليتان يقود عليهما ، بال فدفعه إليه ، فكان يشتري لهم طعاماً وشرباً ؛ فأقام ابن
هرمة مع أبنتيه حتى خف ذلك المال ؛ وجاء قوم آخرون معهم مال ؛ فأخبرهم
بمكان ابن هرمة ؛ فاستقلوه وكرهوا أن يعلم بهم ، فأمر أبنتيه ، فقالتا له : يا أبا
إسحاق ، أما دريت ما الناس فيه ! قال : وما هم فيه ؟ قالتا : زلزل بالروضة ،
فتغافلها ؛ ثم جاء أبوهما متغازعا ، فقال : أي أبا إسحاق ، ألا تفرع لما الناس
فيه ! قال : وما هم فيه ؟ قال : زلزل بالروضة ؛ قال : قد جاءكم الآن إنسان معه
مال ، وقد نقضت ما جئكم به وثقلت عليه ، فأردت إدخاله وإخراجي ؛
أيزلزل بالروضة من رياض الجنة ويترك منزلك وأنت تجمع فيه الرجال على
أبنتيك ! والله لا عدت إليه ! وخرج من عنده .

وروى هذا الخبر عن الزبير هارون بن محمد الزيات فزاد فيه ، ثم خرج من

(١) هو حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن جعدان الطائي. ولي مصر من قبل الخليفة أبي
جعفر المنصور بعد عزل محمد بن الأشعث في أوائل سنة ثلاث وأربعين ومائة . وكان أميراً شجاعاً
وقائداً مقداماً عارفاً بأمور الحروب والوقائع ، وتنقل في الأعمال الجليلة ، معظماً عند بني العباس ، وقد
حضر مع أبيه قحطبة كثيراً من الوقائع في ابتداء دعوة بني العباس . ومات في خلافة المهدي سنة تسع
 وخمسين ومائة (راجع النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٤٩ طبع دار الكتب المصرية) . وفي مختصر كتاب
الآغاني المسمى بتجريد الآغاني من ذكر المثلث والمثاني لابن واصل الحموي المتوفى سنة ٦٩٧ هـ ورد
بعد ذكر هذا الخبر ما نصه : « قلت وإنما خاف ابن هرمة من نسبة الشعر إليه لان المنصور كان
شديد المطلب لمن يميل إلى العلويين والتابع لمن يجهلهم بخروجهم عليه ، وكان خرج عليه محمد بن عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة وأخوه إبراهيم بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائة
فهزما وقتلا وحمل رأسهما إليه » ١ هـ .

(٢) في اللسان : « وأنفض القوم : نفد طعامهم وزادهم مثل أرملوا ... وأنفضوا زادم
أنفدوه ... ونفض القوم نفصاً : ذهب زادم ... وقوم نفص اي نفصوا زادم » .

عندهم فأتى عبد الله بن حسن ، فقال : إني قد مدحتك فاستمع مني ؛ قال : لا حاجة لي بذلك ، أنا أعطيك ما تريد ولا أسمع ؛ قال : إذا أسقط ويكسد سوقي ؛ فسمع منه وأمر له بمائتي دينار ؛ فأخذها وعاد إلى الرجل ، وقال : قد جئتكم بما تنفقه كيف شئت ؛ ولم يزل مقيماً عنده حتى نفدت .

قال الزبير : وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال حدثني عمي عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال :

وافينا الحج في عام من الأعوام الخالية ، فأصبحت بالسَّيَّالة ، فإذا إبراهيم بن علي بن هرمة يأتينا ، فاستأذن على أخي محمد بن عبد العزيز فأذن له ، فدخل عليه فقال : يا أبا عبد الله ، ألا أخبرك ببعض ما تَسْطَرِف ؟ قال : بلى ، وربما فعلت يا أبا إسحاق ؛ قال : فإنه أصبح عندنا ها هنا منذ أيام محمد بن عمران وإسماعيل بن عبد الله بن جبير ، وأصبح ابن عمران يجملين له ظالمين ، فإذا رسوله يأتيني أن أجب ، فخرجت حتى أتيت ؛ فأخبرني بظلمة جليلي ، وقال لي : أردت أن أبعث إلى ناضحين لي بعمق لعلِّي أوتى بهما إلى ها هنا لا مضى عليهما ، ويصير هذان الظالمان إلى مكانهما ؛ ففرغ لنا دارك واشتر لنا علفاً وأستلنه بجهدك ، فإننا مقيمون ها هنا حتى تأتينا جمالنا ؛ فقلت : في الرّحْب والقرب ، والدار فارغة ، وزوجته طالق إن اشتريت عود علف ، عندي حاجتك منه ؛ فأنزلته ودخلت إلى السوق ، فما أبقيت فيه شيئاً من رسل ولا جداء ولا طرفة ولا غير ذلك ، إلا أبتعت منه فأخره وبعثت به إليه مع دجاج كان عندنا . قال : فبينما أنا أدور في السوق إذ وقف عليّ عبد لا إسماعيل بن عبد الله يسأوني بجمل علف لي ، فلم أزل

(١) الظالع : الذي يغمز في مشيه .

(٢) الناضح : البعير يستقى عليه ثم استعمل في كل بعير وإن لم يعمل الماء .

(٣) عمق : ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز .

(٤) الرسل : اللبن ما كان . والجداء : جمع جدي ، وهو الذكر من أولاد المعز . والطرفة : ما يطرف به الرجل صاحبه ويتفقه به .

أنا وهو حتى أخذه مني بعشرة دراهم ، وذهب به فطرحه لظَهْرِهِ ، وخرجتُ عند
الروح أتقاضى العبدَ ثَمَنَ رَحْلي ، فإذا هو لإسماعيل بن عبد الله ولم أكن دريتُ ؛
فلما رآني مولاه حيَّاني ورحَّبَ بي ، وقال : هل من حاجةٍ يا أبا إسحاق ؟ فأعلمه
العبدُ أن العلفَ لي ؛ فأجلسني فتغذيتُ عنده ، ثم أمر لي مكانَ كل درهم منها
بدينار ، وكانت معه زوجته فاطمة بنت عباد ، فبعثتُ إليَّ بخمسة دنانير . قال :
وراحوا ، وخرجتُ بالدنانير ففرقتها على غُرَمائي ، وقلت : عند ابنِ عمرانِ عوضُ
منها . قال : فأقام عندي ثلاثاً ، وأتاه جملاه ، فما فعلَ بي شيئاً ؛ فبينما هو يترحَّلُ
وفي نفسه مِنِّي ما لا أدري به ، إذ كلَّم غلاماً له بشيء فلم يفهم ؛ فأقبل عليَّ
فقال : ما أقدرُ على إفهامه مع قومك عندي ، قد والله آذيتني ومنعتني ما أردتُ ؛
فقمْتُ مُغْتَمّاً بالذي قال ؛ حتى إذا كنت على باب الدار لقيني إنسان ، فسألني :
هل فعل اليك شيئاً ؟ فقلت : أنا والله بخير إذ تَلَفَ مالي ورجحتُ بدني . قال :
وطلع عليَّ وأنا أقولها ، فشتني والله يا أبا عبد الله حتى ما أبقى لي ، وزعم أن لولا
إحرامه لضربني ؛ وراح وما أعطاني درهما ؛ فقلت :

يا مَنْ يُعين على ضيفِ أَلَمٍ بنا	ليسُ بذِي كرمٍ يُرجى ولا دينِ
أقام عندي ثلاثاً سُنَّةً سَلَفَتْ	أغضيتُ منها على الأقداء والهُونِ
مسافة البيتِ عَشْرٌ غيرُ مُشكلةٍ	وأنت تأتبه في شهرٍ وعشرينِ
لستُ تَبالي فواتِ الحجِّ إن نصبتُ	ذاتُ الكلالِ وأسمنتُ ابنَ حريقِ
تحدثُ الناسَ عما فيك من كرمِ	هيئاتِ ذاكِ لضيْفانِ المساكينِ
أصبحتُ تحزُّنُ ما تحوي وتجمعه	أبا سليمانَ من أشلاءِ قارونِ
مثلُ ابنِ عمرانَ آباءُ له سلفوا	يُجزُّونَ فعلَ ذوي الإحسانِ بالدونِ
ألا تكونَ كإسماعيلَ إنَّ له	رأياً أصيلاً وفعلًا غيرَ ممنونِ

(١) وروى : « فليس ذا كرم ... » .

(٢) وفي رواية : « ... على الأقداء في عيني » .

(٣) لعله يريد : من بقايا قارون ، أو لعلها محرفة عن أسلاب .

أو مثل زوجته فيما أَلَمَ بها هيهاتَ مَنْ أَثَمَا ذاتِ النِّطَاقَيْنِ^(١)

فلما أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز: نحنُ نُعِينُكَ يا أبا إسحاق - لقوله: «يا مَنْ يُعِين» - قال: قد رفعك الله عن العَوْن الذي أريده، ما أردتُ إِلَّا رجلاً مثل عبد الله بن خنزيرة وطلحة أطباء الكلبة يُسْكُونُهُ لي وأُخَذَ خُوْطَ سَلَمٍ فأَوْجَعُ بِهِ خَوَاصِرَهُ وَجَوَاعِرَهُ. قال: ولما بلغ في إنشاده إلى قوله:

مثلُ أبنِ عمرانَ آباءه له سَلَفُوا

أقبل عليّ، فقال: عُدْراً إلى الله تعالى واليكم، إني لم أَعْنِ من آباءه طلحة بن عبيد الله. قال: ونزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد، وكان عندنا، فلم يَكَلِّمْهُ حتى ضرب أنْفَهُ، وقال له: فَعَنَيْتَ من آباءه أبا سليمانَ محمد بن طلحة يا دُعِي! قال: فدخلنا بينهما. وجاء رسول محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى ابنِ هَرْمَةَ يدعوه فذهب إليه؛ فقال له: ما الذي بلغني من هجائك أبا سليمان! والله لا أَرْضَى حتى تَحْلِفَ أَلَّا تَقُولَ له أبداً إِلَّا خيراً، وحتى تَلْقَاهُ فَتَرْضَاهُ إذا رَجَعَ، وتَحْتَمِلَ كُلَّ ما أَزَلَ اليك وتَدَحِّه؛ قال: أَفْعَلُ، بِالْحُبِّ وَالْكَرَامَةِ؛ قال: وإسماعيل بن جعفر لا تَعْرِضْ له إِلَّا بخير؛ قال: نعم. قال: فأخذ عليه الأيمانَ فيها وأعطاه ثلاثين ديناراً، وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلها. قال: وأندفع ابنُ هَرْمَةَ يمدح محمد بن عمران:

ألم تر أن القولَ يَخْلُصُ صدقُه وتَأبَى فما تَرَكَوْا لباغٍ بواطلُه
ذممتُ أمراً لم يَطْبَعُ الذَّمُّ عِرْضَه قليلاً لدى تحصيله من يُشَاكِلُه
فما بالحجاز من فتى ذي إمارةٍ ولا شرفٍ إِلَّا أبنُ عمرانَ فاضلُه

(١) ذات النطاقين: أسماء بنت أبي بكر الصديق. وقد دخل هذا الشعر السناد وهو أن يخالف الشاعر بين الحركات التي تلي الأرداف في الروي.

(٢) الطبع: الدنس.

فَتَى لَا يَطُورُ^(١) الذَّمُّ سَاحَةَ بَيْتِهِ وَتَشَقَّى بِهِ لَيْلَ التَّيَامِ^(٢) عَوَازِلُهُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهزوبه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أحمد بن عمر الرُّهْرِيّ قال حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن جعفر المِسُورِيّ قال :

مدح إبراهيم بن هرمة محمد بن عمران الطَّلَحِيّ، فألفاه راويته وقد جاءته غير له تحمل غَلَّةً قد جاءته من الفرع^(٣) أو خَيْرٍ؛ فقال له رجل كان عنده : أعلم والله أن أبا ثابت عمران بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخبره بعيرك هذه ؛ فقال : إنما أراد أبو ثابت أن يُعرَضَني للسانه، فودوا إليه القِطَارَ، فقيّد إليه. أخبرنا الحرَمِيّ قال حدثنا الرُّبَيْر قال حدثني يحيى بن محمد عن عبد الله بن عمر بن القاسم قال :

جاء أبي تمر^(٤) من صدقة عمر ؛ فخافه ابن هرمة فقال : أمتع الله بك ! أعطني من هذا التمر ؛ قال : يا أبا إسحاق، لولا أنني أخاف أن تعمل منه نبيذاً لأعطيتك ؛ قال : فإذا علمت أنني أعمل منه نبيذاً لا تعطيني ؛ قال : خافه فأعطاه ؛ فلقبه بعد ذلك، فقال له : ما في الدنيا أجود من نبيذ يحيى من صدقة عمر ؛ فأخجله .

رأي جرير فيه :

أخبرنا الحرَمِيّ قال أخبرنا الرُّبَيْر قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال :

(١) لا يطور : لا يقرب . وفي حديث علي كرم الله وجهه : « والله لا أطور به ما سمر سمر » أي لا أقر به .

(٢) ليل التام (بالكسر وقد يفتح) : أطول ما يكون في ليالي الشتاء .

(٣) الفرع : قرية من نواحي الرَبَذة عن يسار الشُّغيا بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة .

قدم جرير المدينة، فأتاه ابن هرمة وابن أذينة فأنشده؛ فقال جرير : القوشي
أشعرهما، والعربي أفصحهما .

أخبرنا يحيى بن علي إجازة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني
عبد الله بن محمد :

أن ابن هرمة قال يمدح أبا الحكم المطلب بن عبد الله :

لما رأيتُ الحادثاتِ كَتَفَتْنِي وَأَوْزَتْنِي بُوَسَى ذَكَرْتُ أبا الْحَكَمِ
سَلِيلُ مَالِكٍ سَبْعَةٌ قَدْ تَتَابَعُوا هُمُ الْمُصْطَفُونَ وَالْمُصْعَوْنَ بِالْكَرَمِ

فلاموه وقالوا : أتمدح غلاماً حديث السن بمثل هذا ! قال : نعم . وكانت له ابنة
يلقبها « عَيْنَةُ » - وقال الزبير : كان يلقبها « عينة » - فقال :

كَانَتْ عَيْنَةُ فِينَا وَهِيَ عَاطِلَةٌ بَيْنَ الْجَوَارِي خَلَاهَا أَبُو الْحَكَمِ
فَمَنْ خَلَانَا عَلَى حُسْنِ الْمَقَالِ لَهُ كَانَ الْمَلِيمَ وَكُنَّا نَحْنُ لَمْ نُلِمَ

قال يحيى وحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبير عن نوفل بن
ميسون قال :

أرسل ابن هرمة الى عبد العزيز المطلب بكتاب يشكو فيه بعض حاله ؛
فبعث اليه بخمسة عشر ديناراً؛ فكث شهراً ثم بعث يطلب منه شيئاً آخر بعد
ذلك؛ فقال : إنا والله ما نقوى على ما كان يقوى عليه الحكم بن المطلب؛ وكان
عبد العزيز قد خطب الى امرأة من ولد عمر فردته، فخطب الى امرأة من بني عامر
بن لؤي فزوجوه؛ فقال ابن هرمة :

خَطَبْتَ إِلَى كَعْبٍ فَرَدُّوكَ صَاغِراً خَوَّلْتَ مِنْ كَعْبٍ إِلَى جِذْمٍ عَامِرٍ

(١) لم نلم : لم نأت ما نلام عليه، ومنه المليم (بضم الميم) من ألام الرجل فهو ملیم إذا أتى
ذنباً يلام عليه .

(٢) الجذم (بالكسر) : أصل الشيء .

وفي عامٍ عَزُ قديمٍ وإنما أجازك فيهم هزلُ أهل المقابر
وقال فيه أيضاً :

أبالبخل تطلبُ ما قدِّمتُ عرائينُ جادتُ بأموالها
فهيَّهاتُ! خالفتُ فعلَ الكرامِ خلافَ الجمالِ بأبوالها

وقال هارون بن محمد حدثني مُغيرةُ بن محمد قال حدثني أبو محمد السَّهمي قال
حدثني أبو كاسب قال :

تزوج ابنُ هرمةَ بامرأة، فقالت له : أعطني شيئاً ؛ فقال : والله ما معي إلا
نعلاي، فدفعها اليها، ومضى معها فتورَّكها مراراً؛ فقالت له : أحفيتني ؛ فقال لها :
الذي أحفي صاحبه منّا يعضُ بظُرِّ أمه .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثنا
عبد الله بن أبي سَعْد قال حدثني المُسيَّب بن محمد بن إسحاق قال حدثني إبراهيم بن
سكرة جازُ أبي ضمرة قال :

جلس ابنُ هرمة مع قومٍ على شراب، فذكر الحكمُ بن المطَّلِب فأتُنب
في مدحه؛ فقالوا له : إنك لتكثرُ ذكرَ رجلٍ لو طرقتَه الساعةُ في شاةٍ يقال لها
« غراء » تسأله إياها لردك عنها ! فقال : أهو يفعل هذا ؟ قالوا : إي والله، وكانوا
قد عرفوا أنَّ الحكمَ بها مُعجَبٌ، وكانت في داره سبعون شاةً تُحلب؛ فخرج وفي
رأسه ما فيه، فذقَ البابَ فخرج إليه غلامه؛ فقال له : أعلمُ أبا مروان بمكاني
- وكان قد أمرَ ألا يُحجبَ إبراهيم بن هرمة عنه - فأعلمه به، فخرج إليه
مُتَشحِّجاً، فقال : أفي مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق ! فقال : نعم جُعلت فداك، وُلد
لأخ لي مولود فلم تدرَ عليه أمه، فطلبوا له شاةً حاوبةً فلم يجدوها، فذكروا له
شاةً عندك يقال لها « غراء » فسألني أن أسألكها؛ فقال : أتجيء في هذه الساعة

ثم تنصرف بشاة واحدة ! والله لا تبقى في الدار شاة إلا أنصرفت بها، سقهن معه يا غلام، فساقهن، فخرج بهن الى القوم؛ فقالوا: ويحك! أي شيء صنعت! فقص عليهم القصة. قال: وكان فيهن والله ما ثلثة عشرة دنانير وأكثر من عشرة.

قال هارون وحدثني حماد بن إسحاق قال ذكر أبي عن أيوب بن عباية عن عمر ابن أيوب اللبتي قال:

شرب ابن هرمة عندنا يوماً فسكير فنام، فلما حضرت الصلاة تحرك أو حرّكته، فقال لي وهو يتوضأ: ما كان حديثكم اليوم؟ قلت: يزعمون أن الوليد قُتل؛ فرفع رأسه إلي وقال:

وكانت أمورُ الناس مُنبَته القوي فشدّ الوليدُ حين قامَ نَظَامَها
خليفةُ حقٍّ لا خليفة باطلٍ رمى عن قناة الدين حتى أقامها

ثم قال لي: إياك أن تذكر من هذا شيئاً، فإني لا أدري ما يكون.

وأبي ابن الأعرابي فيه:

أخبرني علي بن سليمان النحوي قال حدثنا أبو العباس الأحول عن ابن الأعرابي: أنه كان يقول: ختم الشعراء بأبن هرمة.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني أحمد بن يحيى البلاذري:

أن ابن هرمة كان مغرماً بالتبذير، فرّ على جيرانه وهو شديد السكر حتى دخل منزله؛ فلما كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها؛ فقال لهم: أنا في طلب مثلها منذ دهر، أما سمعتم قولي:

أسأل الله سكرةً قبل موتي وصياح الصبيان يا سكران

قال: فنفضوا ثيابهم وخرجوا، وقالوا: ليس يُفلح والله هذا أبداً.

جنازته :

أخبرني الحرَميُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الرُّبَيْرُ بن بَكَّار قال :

أنشدني عَمِي لَأَبْنِ هَرْمَةَ :

ما أَظَنَّ الزَّمانَ يا أُمَّ عمرو تاركاً إنْ هَلَكْتُ من يَبْكيني

قال : فكان والله كذلك ، لقد مات فأخبرني من رأى جنازته ما يحملها إلا أربعة نفر ، حتى دُفِنَ بالبقيع .

قال يحيى بن عليّ - أراه عن البلاذريّ - : ولد أَبْنُ هَرْمَةَ سنةَ تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها :

إنَّ العوائِيَّ قد أعرضن مَقْلِيَّةً لما رمى هَدَفَ الخمسين ميلادي

قال : ثم عَمِرَ بعدها مدَّةً طويلة .

ذكر أخبار يونس الكاتب

هو يونس بن سليمان بن كُرْد بن شهر يار، من ولد هُرْمُز، وقيل : إنه موالي لعمر بن الزبير . ومنشؤه ومثله بالمدينة . وكان أبوه فقيهاً، فأسلمه في الديوان فكان من كتّابه . وأخذ الغناء عن معبد وأبن سريج وأبن محرز والغريص، وكان أكثر روايته عن معبد؛ ولم يكن في أصحاب معبد أحقُّ ولا أقومُ بما أخذ عنه منه . وله غناء حسن، وصنعة كثيرة، وشعرٌ جيّد . وكتابه في الأغاني ونسبها إلى من غنى فيها هو الأصل الذي يُعمل عليه ويُرجع إليه؛ وهو أول من دَوّن الغناء .

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا حمّاد بن إسحاق قال حدثني أبي قال أنشدني مسعود بن خالد المورياتي لنفسه في يونس :

يا يونس الكاتبُ يا يونسُ طاب لنا اليوم بك المجلسُ
إنّ المغنّين إذا ما همُّهم جاروك أثنى بهم المقبسُ
تنشر ديباجاً وأشباهاه وهم إذا ما نشروا كربسوا^(١)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال . ذكر إبراهيم بن قدامة الجمحي قال :

اجتمع فتیان من فتیان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممن يُغني، خرجوا إلى وادٍ يقال له دومة من بطن العقيق، في أصحاب لهم، فتغنّوا واجتمع

(١) المورياتي (بضم الميم وكسر الراء) : نسبة إلى موريان : قرية بخوزستان .

(٢) كربسوا : أتوا بالكرايس وهي الثياب الخشنة من القطن .

اليهم نساء أهل الوادي - قال بعض من كان معهم : فرأيت حولنا مثلُ مُراح الضأن - وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له ، فلما رأى جماعة النساء عندهم حسدهم ، فالتفت إلى صاحبه فقال : أما والله لا أفرقن هذه الجماعة ! فألقى قصراً من قصور العقيق ، فعلاً سطحه وألقى رداءه وأتكا عليه وتغنى :

صوت

هذا مقامُ مطردٍ هُدمتْ منازلُه ودُورُه
رَقِيَ عليه عُداتُه ظالماً فعاقبه أميرُه

- الغناء لابن عائشة رملٌ بالوسطى . والشعر لعبيد بن حنن مولى آل زيد ابن الخطّاب ، وقيل : إنه لعبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم - قال : فوالله ما قضى صوته حتى ما بقيت امرأةٌ منهن إلا جلست تحت القصر الذي هو عليه وتفرّق عامةُ أصحابهم ؛ فقال يونس وأصحابه : هذا عملُ ابنِ عائشة وحسده .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى عن أبيه قال :

تزوج عبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم بالعراق في ولاية مصعب بن الزبير امرأةً من بني عبد بن بغيض بن عامر بن لؤي ، ففرّق مصعب بينهما ؛ فخرج حتى قدم على عبد الله بن الزبير بمكة فقال :

هذا مقامُ مطردٍ هُدمتْ منازلُه ودُورُه
رَقَتْ عليه عُداتُه كذباً فعاقبه أميرُه

(١) رَقِيَ عليه عُداتُه : تقولوا عليه ما لم يقل . قال في القاموس : ورقى عليه كلاماً ترقيةً ؛ رفع .

(٢) بغيض بن عامر كان شريفاً وهو الذي نقل الخطيئة إلى جواره من جوار الزبير فان . وأدرك بغيض الاسلام .

في أن شربتُ بحِمٍّ ما وكان حِلًّا لي غدِيرُهُ
فلقد قطعتُ الحَرْقَ بعد الحَرْقِ مُعْتَسِفًا أُسِيرُهُ
حتى أتيتُ خليفةَ الرحمنِ مَهْرَدًا سَرِيرُهُ
حيَّتهُ بتحِيَّةٍ في مجلسِ حضرتِ صُقُورُهُ

فكتب عبد الله إلى مصعب: أن أرددُ عليه امرأته، فأني لا أحرّم ما أحلّ الله عزّ وجلّ، فردّها عليه. هذه رواية عمر بن شبّة.

وأخبرني الحسن بن عليّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ عن سُحَيْمِ بْنِ حَفْصٍ: أن المتزوج بهذه المرأة عبيد بن حنين مولى آل زيد بن الخطّاب، وأن المفرّق بينهما الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له القُبَاعُ؛ وذكر باقي الخبر مثل الأوّل.

غناؤه للوليد:

أخبرني عمي قال حدثني طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّلْحِيُّ قال حدثني أحمد بن الهيثم قال:

خرج يونس الكاتب من المدينة إلى الشام في تجارة، فبلغ الوليد بن يزيد مكانه؛ فلم يشعر يونس إلا برُسُلِهِ قد دخلوا عليه الخان؛ فقالوا له: أجب الأمير - والوليد إذ ذاك أميرٌ - قال: فنهضتُ معهم حتى أدخلوني على الأمير،

(١) الحرق: القفر.

(٢) معتسفاً: خابطاً الطريق على غير هداية ولا دراية. ويروى: «منقطعاً أسيره».

(٣) وفي رواية: «حصرت».

(٤) كان الحارث بن عبد الله أميراً على البصرة، ولقبه أهلها القُبَاعُ وذلك أنه مرّ يقوم يكيلون بقفيز فقال: إن قفيزكم لقُبَاع. أي كبير واسع.

لا أدري من هو ، إلا أنه من أحسن الناس وجهاً وأنبليهم ، فسلمتُ عليه ، فأمرني بالجلوس ، ثم دعا بالشراب والجواري : فكنا يومنا وليلتنا في أمر عجيب ، وغنيته فأعجب بغنائي ؛ إلى أن غنيته :

إِنْ يَعْشُ مُصْعَبٌ فَنَحْنُ بِخَيْرٍ قَدْ أَتَانَا مِنْ عَيْشِنَا مَا تُرْجَى
ثُمَّ تَنْبَهَتْ فَقَطَعَتْ الصَّوْتُ ؛ فقال : مالك ؟ فأخذتُ أعتذر من غنائي بشعر في مُصْعَبٍ ؛ فضحك وقال : إنَّ مُصْعَباً قد مضى وأنقطع أثره ولا عداوة بيني وبينه وإنما أريد الغناء ، فأمضِ الصوت ؛ فعدتُ فيه فغنيته ؛ فلم يزل يستعيدني حتى أصبح ، فشرب مُصْطَبِحاً وهو يستعيدني هذا الصوت ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثة أيام . ثم قلتُ له : جعلني الله فداء الأمير ! أنا رجلٌ تاجرٌ خرجتُ مع تجارٍ وأخاف أن يرحلوا فيضيع مالي ؛ فقال لي : أنت تغدو غداً ، وشرب باقي ليلته ، وأمر لي بثلاثة آلاف دينارٍ فحملتُ إليّ ، وغدوتُ إلى أصحابي ؛ فلما خرجتُ من عنده سألتُ عنه ، فقيل لي : هذا الأمير الوليد بن يزيد ولي عهد أمير المؤمنين هشام . فلما استخلف بعث إليّ فأتيته ، فلم أزل معه حتى قُتل .

أصواته المعروفة بالزيان :

صوت

من المائة المختارة

أَقْصَدْتُ زَيْنِبُ قَلْبِي بَعْدَ مَا ذَهَبَ الْبَاطِلُ عَنِّي وَالْعَرَلُ
وَعَلَا الْمَفْرَقُ شَيْبُ شَامِلُ وَاضِحٌ فِي الرَّأْسِ مِنِّي وَأَشْتَلُ

الشعر لأبن رُهيمة المَدَنِي . والغناء في اللحن المختار لِعَمَرِ الوادي ثاني ثَقِيلٍ بالبَنْصَرِ في مجراها عن إِسْحَاق . وفيه ليونس الكاتب لحنان ، أحدهما خفيفٌ ثَقِيلٌ أوّلُ بالبَنْصَرِ في مجرى الوسطى عن إِسْحَاق ، والآخِرُ رَمَلٌ بالسَّبْطَةِ في

مجرى البنصر عنه أيضاً . وفيه رملان بالوسطى والبنصر ، أحدهما لأبن المكي ،
والآخر لحكم ، وقيل : إنه لإسحاق من رواية الهشامي . ولحن يونس في
هذا الشعر من أصواته المعروفة بالزيانب ، والشعر فيها كلها لأبن رُهيمة في زينب
بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ وهي سبعة ، أحدها قد
مضى ، والآخر :

صوت

أَقْصَدْتُ زَيْنَبُ قَلْبِي وَسَبَّتُ عَقْلِي وَلَبِي
تَرَكْتَنِي مُسْتَهَاماً أَسْتَغِيثُ اللَّهَ رَبِّي
لَيْسَ لِي ذَنْبٌ إِلَيْهَا فَتُجَازِينِي بِذَنْبِي
وَلَهَا عِنْدِي ذَنْبٌ فِي تَنَائِيهَا وَقُرْبِي

غناه يونس رملاً بالبنصر . وفيه لحكم هزجٌ خفيفٌ بالسبابة في مجرى
البنصر عن إسحاق .

ومنها :

صوت

وَجَدَ الْفَوَادُ بِزَيْنَبَا وَجَدَا شَدِيدَا مُشْعَبَا
أَصْبَحْتُ مِنْ وَجْدِي بِهَا أَدْعَى سَقِيماً مُسَهَبَا
وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُرَّةَ وَأَتَيْتُ أَمْرًا مُعْجَبَا

غناه يونس ثقيلاً أولَ مطلقاً في مجرى البنصر عن عمرو وإسحاق ، وهو بما
يُشَكُّ فيه من غناء يونس . ولعلية بنت المهدي فيه ثقلٌ أول آخر لا يُشَكُّ

(١) أسهب الرجل (مبنياً للجهول) : ذهب عقله ، أو تغير لونه من حب أو غيره .

فيه أنه لها ، كُنْتُ فيه عن رِشَا الخادم - وذكر أحمد بن عُبَيْد أن فيه من الغناء
لَحَيْنَها جميعاً من الثَّقِيلِ الأوَّلِ ليونس - ومن لا يعلم يُزعمُ أن الشعر لها .

ومنها :

صوت

إِنَّمَا زَيْنَبُ الْمُنَى وَهِيَ الْهَمُّ وَالْهَوَى
ذَاتُ دَلٍّ تُضَيِّ الصَّحِيحَ وَتُبْرِي مِنَ الْجَوَى
لَا يَغُرُّكَ أَنْ دَعَوْتُ فَوَادِي فَالْتَوَى
وَأَحْذَرِي هِجْرَةَ الْحَيْبِ إِذَا مَلَ وَأَتَوَى

غَنَّاهُ يونس رملاً بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها :

صوت

إِنَّمَا زَيْنَبُ هَمِّي بِأَبِي تَلَكْ وَأَتِي
بِأَبِي زَيْنَبَ لَا أَكْنِي وَلَكِنِّي أَسْتِي
بِأَبِي زَيْنَبَ مِنْ قَا ضِدَّ قَضَى عَمْدًا بَظْلَمِي
بِأَبِي مَنْ لَيْسَ لِي فِي قَلْبِهِ قِيْرَاطُ رُحْمٍ

غَنَّاهُ يونس رملاً بالبنصر عن عمرو ، وله فيه لحن آخر .

(١) ويروي : « ... نصي الخليم » .

(٢) وفي رواية : « إلى التوى » ؛ والتوى : الهلاك . وفي أخرى : « إلى التوى » .

(٣) الرحم : (بالضم) : مصدر رحم كالرحمة .

ومنها : يا زينبُ الحسنة يا زينبُ يا أكرمَ الناس إذا تُنسبُ
تَقِيكَ نفسي حادثاتِ الرَّدَى والأمَّ تَفْدِيكَ مَعاً والابُ
هل لك في ودِّ أمرى صادقٍ لا يَمْدُقُ الودَّ ولا يَكْذِبُ
لا يَتَغَيُّ في ودِّه مَحْرَمًا هيهاتَ منكِ العِملُ الأَرِيبُ

صوت

يا زينبُ الحسنة يا زينبُ يا أكرمَ الناس إذا تُنسبُ
تَقِيكَ نفسي حادثاتِ الرَّدَى والأمَّ تَفْدِيكَ مَعاً والابُ
هل لك في ودِّ أمرى صادقٍ لا يَمْدُقُ الودَّ ولا يَكْذِبُ
لا يَتَغَيُّ في ودِّه مَحْرَمًا هيهاتَ منكِ العِملُ الأَرِيبُ

غَنَّاهُ يونسُ ثَانِيَّ ثَقِيلَ بالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الوُسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ .

ومنها :

صوت

فليت الذي يَلْحَى عَلَى زَيْنَبُ الْمَنَى تَعَلَّقَهُ مِمَّا لَقِيَتْ عَشِيرُ
خَسْبِي لَهُ بِالْعَشْرِ مِمَّا لَقِيَتْهُ وَذَلِكَ فِيمَا قَدْ تَرَاهُ يَسِيرُ

غَنَّاهُ يونسُ ثَانِيَّ ثَقِيلَ بِالْوُسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنْ الْهَشَامِيِّ .

هذه سبعة أصوات قد مضت وهي المعروفة بالزّيَانِب . ومن الناس من يجعلها
ثمانية ، ويزيد فيها لحنَ يونس في :

تَصَايَيْتَ أُمَ هَاجَتْ لَكَ الشُّوقَ زَيْنَبُ

وليس هذا منها . وإن كان ليونس لحنه ؛ فإن شعره لِحْجِيَّةُ بْنُ الْمُضَرَّبِ الْكِنْدِيِّ ،

(١) المحرم : الحرام . والأريب : ذو الريب . وروى : « العمل الأعيب » .

(٢) العشير : جزء من عشرة أجزاء كالعشر .

وقد كُتب في موضع آخر ، وإنما الزيانب في شعر ابن رُهيمة . ومنهم من يعدّها
تسعةً ويُضيف إليها :

قولا لزَيْنَب لو رأيتَ تشوّقي لك واشترافي^١

وهذا اللحن لحكم . والشعر لمحمد بن أبي العباس السفّاح في زينب بنتِ سليمان
ابن عليّ ، وقد كتب في موضع آخر .

انقضت أخبار يونس الكاتب .

قدّمته شوقي بطنم بيت

في مقامه من هذا البيت من بيتي زينب بنت سليمان
وقد كتبت في بيتي زينب بنت سليمان
وقد كتبت في بيتي زينب بنت سليمان
وقد كتبت في بيتي زينب بنت سليمان
وقد كتبت في بيتي زينب بنت سليمان

بعضه من بيتي زينب بنت سليمان
بعضه من بيتي زينب بنت سليمان
بعضه من بيتي زينب بنت سليمان

بعضه من بيتي زينب بنت سليمان

بعضه من بيتي زينب بنت سليمان
بعضه من بيتي زينب بنت سليمان

(١) البيت من بيتي زينب بنت سليمان . وقد كتبت في بيتي زينب بنت سليمان .
(٢) البيت من بيتي زينب بنت سليمان . وقد كتبت في بيتي زينب بنت سليمان .
(٣) البيت من بيتي زينب بنت سليمان . وقد كتبت في بيتي زينب بنت سليمان .

أخبار ابن رهيمة

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق قال :

شبيب بزئب بنت عكرمة :

كان ابن رهيمة يُشْتَبُّ بزئب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ويُغْنِي يونسُ شعره ، فأفتضحت بذلك ؛ فأستعدى عليه أخوها هشام بن عبد الملك ، فأمر بضربه خمسمائة سوط ، وأن يُباح دمه إن وُجدَ قد عاد لذكراها ، وأن يُفعل ذلك بكل من غنّى في شيء من شعره ؛ فهرب هو ويونس فلم يُقدَرْ عليهما . فلما ولي الوليد بن يزيد ظهراً . وقال ابن رهيمة :

لئن كنتَ أطرَدْتَنِي ظالماً لقد كشف الله ما أُرهبُ
ولو نلتَ مِنِّي ما تشتهي لَقُلَّ إذا رَضِيتَ زئبُ
وما شئتَ فأصنعه بي بعد ذا فحَيَّ لزئبَ لا يذهبُ

وفي الأصوات المعروفة بالزيانب يقول أبان بن عبد الحميد اللاحقي :

أحبُّ من الغناء خفيفه إن فاتني الهزجُ
وأشأنُ « ضوء برق » مثل ما أشنا « عفا مزج »

(١) أطرده : صيره طريداً ، وأطرده السلطان فلانا : أمر بطرده أو باخراجه من البلد .
(٢) وردت هذه الايات في كتاب الاوراق الصولي ضمن قصيدة طويلة منبته في ترجمة أبان هذا ، ومطلعا :

أحزنك الألى ردوا جال الحى وأدلجوا

(٣) يريد الشاعر بما وضعناه بين هذه العلامات أصواتاً في الغناء .

وأبغض «يوم تنأى» و«الريانب» كلها سُجُجٌ
 ويُعجبني لإبراهيم والأوتارُ تُتَلَجُّ
 «أديرُ مُدَامَةً صِرْفًا كَانَ صَيِّبَهَا وَدَجُّ»
 يعني أبانُ لحنِ إبراهيم؛ والشعر لأبان أيضاً، وهو:

صوت

أديرُ مُدَامَةً صِرْفًا كَانَ صَيِّبَهَا وَدَجُّ
 فَظَلَّ تَحَالَهُ مَلِكًا يَصْرِفُهَا وَيَمْتَرِجُ

الشعر لأبان، والغناء لإبراهيم ثاني ثقليل بالحنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.
 وفيه لأبن جامع ثاني ثقليل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً.

ومما في غناء يونس من المائة المختارة المذكورة في هذا الكتاب:

صوت

من المائة المختارة

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلرُّقَادِ الْمُسَهَّدِ وَلِلْمَاءِ مَمْنُوعاً مِنَ الْحَاثِمِ الصَّدي
 وللحال بعد الحال يَرْكُبُهَا الْفَتَى وَلِلْحَبِّ بَعْدَ السَّلْوَةِ الْمُتَمَرِّدِ

(١) كذا في كتاب الاوراق الصولي: وفي الأصول: «تعلج» بالعين المهملة. وما عند الصولي هو الانسب بالمعنى، على أن كلمة «تعلج» قد وردت في بيت آخر من هذه القصيدة وهو:

نعم فبنات هم الصد ر في الأحشاء تعلج

(٢) الودج: عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة، والمراد تشبيه لون الخمرة بلون الدم الذي يسيل من الأخدع عند الذبح.

(٣) نسب المؤلف هذين البيتين في (ج ١٢ ص ١١٠ طبع بولاق) لطبيع بن: إياس، وهو خطأ.

(٤) في مختصر الاغانى لابن واصل الحموي: «المشرد».

(٥) ويروى: «المرتد».

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي من قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان؛
 وذكر يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق: أنها للغول بن عبد الله بن صبيح الطائي؛
 والصحيح أنها لإسماعيل؛ وأنا أذكر خبره مع عبد الملك بن مروان ومدحه إياها
 بها ليُعلم صحة ذلك. والغناء ليونس، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل
 الأول مطلق في مجرى البنصر. وتقام هذه الأبيات:

وللمره لا عن 'يُحِبُّ' بِمَرْعُوبٍ ولا لسبيل الرُّشد يوماً بُمَهْتَدِي
 وقد قال أقوامٌ وهم يعذِّلونهُ لقد طال تعذيبُ الفؤادِ المَصِيدِ

والمرء لا عن 'يُحِبُّ' بِمَرْعُوبٍ ولا لسبيل الرُّشد يوماً بُمَهْتَدِي
 وقد قال أقوامٌ وهم يعذِّلونهُ لقد طال تعذيبُ الفؤادِ المَصِيدِ

ت

ت

والمرء لا عن 'يُحِبُّ' بِمَرْعُوبٍ ولا لسبيل الرُّشد يوماً بُمَهْتَدِي
 وقد قال أقوامٌ وهم يعذِّلونهُ لقد طال تعذيبُ الفؤادِ المَصِيدِ

(١) ويروي: «عما». وفي رواية: «يعذلوني ... الفؤاد المعبد». وفي أخرى: «لقد طال تعذيب
 الفؤاد المنهد». (٢)

أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مُصعب بن عبد الله الرُّبيري قال :

كان إسماعيل بن يسار النِّسائي مولى بني تميم بن مُرّة : تميم قريش ، وكان منقطعاً إلى آل الرُّبير ؛ فلما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان ، وفد إليه مع عُرْوَة بن الرُّبير ، ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده ، وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخرَ سلطان بني أمية ، ولم يدرك الدولة العباسية . وكان طيباً مليحاً مُندراً بَطْلاً ، مليح الشعر ، وكان كالمقطع إلى عُرْوَة بن الرُّبير . وإنما سمي إسماعيل بن يسار النِّسائي ، لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه ، فيشتريه منه من أراد التعريس من المتجملين ومن لم تبلغ حاله أصطناع ذلك .

لقبه :

وأخبرني الأسيدي قال حدثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النطّاح قال :

إنما سمي إسماعيل بن يسار النِّسائي لأنه كان يبيع النّجد والفُرُش التي تتخذ للعرائس ، ف قيل له إسماعيل بن يسار النِّسائي .

(١) مندرأ : يأتي بالنوادر من قول أو فعل . وبَطْطال : كثير الهزل والمزاح ، يقال بطّل الرجل يَبْطُل بَطْطالاً من باب فرح إذا هزل .

(٢) النِّسائي : نسبة إلى النساء الذي هو من أسماء جوع المرأة . وفي اللسان : أن سيويه يقول في النسبة إلى نساء : نسويّ ردّاه إلى واحد .

وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد عن ابن عائشة :

أن إسماعيل بن يسار النّسائي إنما لُقّب بذلك لأن أباه كان يكون عنده طعام العُرسات^(١) مُصلحاً أبداً ، فمن طرّقه وجده عنده مُعدّاً .

أخبرني علي بن سليمان الأُخفش قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثني الرّؤب بن بكّار قال قال مُصعب بن عثمان :

لما خرج عروة بن الرّؤب إلى الشام يريد الوليد بن عبد الملك ، أخرج معه إسماعيل بن يسار النّسائي ، وكان منقطعاً إلى آل الرّؤب ، فعادله^(٢) ؛ فقال عروة ليلة من الليالي لبعض غلمانه : أنظر كيف ترى الحِمْل ؟ قال : أراه معتدلاً ؛ قال إسماعيل : الله أكبر ، ما اعتدل الحقّ والباطل قبل الليلة قطّ ؛ فضحك عروة ، وكان يستخفّ إسماعيل ويستطيه .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا الرّؤب قال حدثني عمي عن أيوب بن عباية المخرومي :

ان إسماعيل بن يسار كان ينزل في موضع يقال له 'حديلة' وكان له جلساء يتحدّثون عنده ، ففقدّهم أياماً ؛ وسأل عنهم ف قيل : هم عند رجل يتحدّثون إليه طيّب الحديث 'حلور' ظريف قديم عليهم يسمّى محمداً ويكنى أبا قيس ؛ جاء إسماعيل فوقف عليهم ؛ فسمع الرجل القوم يقولون : قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار ؛ فأقبل عليه فقال له : أنت إسماعيل ؟ قال : نعم ؛ قال : رحم الله أبويك فإنهما سمياك باسم صادق الوعد وأنت أكذب الناس ؛ فقال له إسماعيل : ما أسميك ؟ قال : محمد ؛ قال : أبو من ؟ قال : أبو قيس ؛ قال : لا ! ولكن لا رحم الله

(١) العرسات : جمع عرس وهو طعام الوليمة .

(٢) عادله : ركب معه في الحِمْل مقابلًا له .

(٣) حديلة : محلة بالمدينة بها دار عبد الملك بن مروان .

أبويك، فإنهما سَمَّيَاكَ بِأَسْمِ نَبِيِّهِ وَكَتَبَاكَ بِكُنْيَةِ قَرْدٍ؛ فَأُخِمْ الرَّجُلُ وَضَحِكَ الْقَوْمُ،
وَلَمْ يُعْذِرْ إِلَى مَجَالَسَتِهِمْ، فَعَادُوا إِلَى مَجَالَسَةِ إِسْمَاعِيلِ.

ادعاءؤه المروانية :

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ قَالَ حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ
عَنْ نُسَيْرِ الْعُذْرِيِّ قَالَ :

اسْتَأْذَنَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَسَارِ النَّسَائِيِّ عَلَى الْعَمْرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، يَوْمًا
فَخَبَّجَهُ سَاعَةً ثُمَّ أَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ يَبْكِي؛ فَقَالَ لَهُ الْعَمْرُ: مَا لَكَ يَا أَبَا فَاثِدَ تَبْكِي؟
قَالَ: وَكَيْفَ لَا أَبْكِي وَأَنَا عَلَى مَرْوَانِيَّةٍ وَمَرْوَانِيَّةٌ أَيْ أَحَبُّ عَنْكَ! لَجَعَلِ
الْعَمْرُ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَبْكِي؛ فَمَا سَكَتَ حَتَّى وَصَلَ الْعَمْرُ بِجَمْلَةٍ لَهَا قَدْرٌ.
وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَجَّحَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: أَخْبَرَنِي وَيْلَكَ يَا إِسْمَاعِيلُ: أَيْ مَرْوَانِيَّةٌ
كَانَتْ لَكَ أَوْ لَاثِيكَ؟! قَالَ: بُغَضْنَا إِيَّاهُمْ، امْرَأَتُهُ طَالَتْ إِنْ لَمْ يَكُنْ يَلْعَنُ
مَرْوَانَ وَآلَهُ كُلَّ يَوْمٍ مَكَانَ التَّسْبِيحِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَبُوهُ حَضَرَهُ الْمَوْتُ، فَقِيلَ
لَهُ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: لَعَنَ اللَّهُ مَرْوَانَ، تَقَرُّبًا بِذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
وَابْدَالًا لَهُ مِنَ التَّوْحِيدِ وَإِقَامَةً لَهُ مُقَامَهُ!.

شعوبيته :

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُصْعَبٌ قَالَ :

قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَسَارِ النَّسَائِيِّ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلَهَا :

مَا عَلَى رَسْمِ مَنْزِلِ الْجَنَابِ^(١) لَوْ أَبَانَ الْقَدَاةَ رَجَعَ الْجَوَابِ

(١) الجَنَاب (بالفتح) : الغناء وما قرب من محلة القوم، وقيل : هو موضع في أرض كلب في
السهوة بين العراق والشام. والجَنَاب (بالكسر) : موضع بعيراض خيبر وسلاح ووادي القرى،
وقيل : هو من منازل بني مازن. وقال نصر : الجَنَاب : من ديار بني فزارة بين المدينة وقَيْد.

غَيْرَتْهُ الصَّبَا وَكُلُّ مُلْتِ^(١) دَائِمِ الْوَدْقِ مُكْفَهَرِ السَّحَابِ
 دارَ هِنْدٍ وَهَلْ زَمَانِي هِنْدٍ عَائِدٌ بِالْهَوَى وَصَفْوِ الْجَنَابِ
 كالَّذِي كَانَ وَالصَّفَاءَ مَصُونٌ^(٢) لَمْ تَشْبِهْ بِهَجْرَةٍ وَأَجْتَنَابِ
 ذَاكَ مِنْهَا إِذْ أَنْتَ كَالْغَصْنِ غَضٌ وَهِيَ رُؤْدٌ^(٣) كَدُمِيَةِ الْحَرَابِ
 غَادَةٌ تَسْتِي الْعُقُولَ بَعْدَ طَبِيبِ الطِّمِّ بَارِدِ الْأَنْيَابِ
 وَأَثِيثٌ^(٤) مِنْ فَوْقِ لَوْنٍ نَقِيٍّ كَبْيَاضِ اللَّيْحِينَ فِي الزَّرِّيَابِ
 فَأَقِلَّ الْمَلَامَ فِيهَا وَأَقْصِرْ لَجَّ قَلْبِي مِنْ لَوْعَةٍ وَأَكْتَنَابِ
 صَاحِرٍ أَبْصَرْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَّاحٍ رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْعِلَابِ
 إِنْقَضَتْ شِرَّتِي وَأَقْصَرَ جَهْلِي وَاسْتَدَاخَتْ عَوَازِلِي مِنْ عِتَابِي

وقال فيها يَفْخَرُ على العرب بالعجم :

رُبَّ خَالٍ مُتَوَجِّحٍ لِي وَعَمَّ^(٥) مَاجِدٌ مُجْتَدِي كَرِيمِ التَّصَابِ
 إِنَّمَا سُمِّيَ الْفَوَارِسُ بِالْفَرْ^(٦) سِرِّ مُضَاهَاةٍ رَفْعَةٍ الْأَنْسَابِ
 فَأَتْرَكِي الْفَخْرَ يَا أُمَامَ عَلَيْنَا وَأَتْرَكِي الْجُورَ وَأَنْطِقِي بِالْصَّوَابِ
 وَأَسْأَلِي إِنْ جَهِلْتَ عَنَّا وَعَنْكُمْ كَيْفَ كُنَّا فِي سَافِ الْأَحْقَابِ
 إِذْ زُرْتِي بِنَاتِنَا وَتَدُسُّ^(٧) ن سَفَاهَا بِنَاتِكُمْ فِي التَّرَابِ

فقال رجل من آل كثير بن الصلت : إن حاجتنا الى بناتنا غير حاجتكم، فأخذه .

(١) يقال : ألت المطر وكت إذا أقام أياماً ولم يقلع . والودق : المطر .

(٢) الرؤد : الشابة الحسنه . والدمية : الصورة .

(٣) شعر أثيث : كثير عظيم . والزرياب : الذهب ، وقيل : ماؤه ، معرب زرأى ذهب ، وآب أي ماء . وروى : « والزرياب » .

(٤) في رواية : « من عولتي واكتنابي » . والعولة والعول : البكاء والصياح .

(٥) قرئ الماء في الحوض : جمعه . والعلاب : جفان تحلب فيها الناقة . وروى : « الحلاب » وهو : الاناء الذي يحلب فيه اللبن .

يريد : أنّ العجم يُرَبُّون بناتهم لِيُنَكِّحُوهُنَّ، والعرب لا تفعل ذلك . وفي هذه الأبيات غناه، نِسْبَتُهُ :

صوت

صاح أبصرت أو سمعت براع ردة في الضرع ما قرى في العلاب
إنقضت شرقي وأقصر جهلي وأستراحت عواذلي من عتالي

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي . والغناء لما لك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر عمرو بن بانه في نسخته الأولى أن فيه للعريض خفيف ثقيل بالنصر، وذكر في نسخته الثانية أنه لابن سريج . وذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رمل بالوسطى، وأن لحن العريض ثقيل أول .

وحدثني بهذا الخبر عمي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مُصْعَب قال :

إسماعيل بن يسار يكنى أبا فائد، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضاً، وهم من سبي فارس، وكان إسماعيل شعوبياً شديداً التعصب للعجم، وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم . قال : فأنشد يوماً في مجلس فيه أشعب قوله :

إذ نُرِّي بناتنا وتُدُّسو ن سفاهاً بناتكم في التراب

فقال له أشعب : صدقت والله يا أبا فائد، أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهن له؛ قال : وما ذاك؟ قال : دفن القوم بناتهم خوفاً من العار، ورئيتموهن لتنكحوهن؛ قال : فضحك القوم حتى أستغربوا، وخجل إسماعيل حتى لو قدر أن يسيخ في الأرض لفعل .

(١) الشعوبية : فرقة لا تفضل العرب على العجم ولا ترى لهم فضلاً على غيرهم ويرون التسوية بين الشعوب .

(٢) أي بالغوا في الضحك .

إغراقه في البركة :

أخبرني الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني أبو سلمة الغفاري قال
أخبرنا أبو عاصم الأسلمي قال :

بيننا ابنُ يسار التَّسائي مع الوليد بن يزيد جالسٌ على بركة، إذ أشار الوليد
إلى مولى له يقال له عبد الصمد فدفع ابنُ يسار التَّسائي في البركة بثيابه، فأمر
به الوليد فأخرج؛ فقال ابن يسار :

قل لولي العهد إن لآقته وولي العهد أولى بالرشد
إنه والله لولا أنت لم ينج متي سالماً عبد الصمد
إنه قد رام متي خطئة لم يرها قبله متي أحد
فهو نماً رام متي كالذي يقنص الدراج من خيس الأسد

فبعث إليه الوليدُ بخلة سنينة ورسالة ورضاه . وقد روي هذا الخبرُ لسعيد بن
عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في قصة أخرى، وذكر هذا الشعرُ له فيه .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي : حدثني مُصعب بن
عبد الله قال سمعت إبراهيم بن أبي عبد الله يقول :

ركب فلان من ولد جعفر بن أبي طالب رحمه الله بإسماعيل بن يسار التَّسائي
حتى أتى به قباء، فأستخرج الأصوص، فقال له : أنشدني قولك :

ما ضرَّ جيراننا إذ أنتجعوا لو أنهم قبل يدينهم ربَّعوا

(١) وروى : « قل لولي العهد ... الخ » بدون ألف بعد الواو .

(٢) الدراج : طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر على خلفة القطا إلا أنه ألطف .
وجمه الجاحظ من أقسام الحمام لأنه يجمع فراخه تحت جناحيه كما يجمع الحمام . وهو من طير العراق
كثير التناج . وفي المثل : فلان « يطلب الدراج من خيس الأسد »، يضرب لمن يطلب ما يتعذر وجوده،

(٣) خيس الأسد : غابته ومكانه .

فأنشده القصيدة فأعجب بها ثم أنصرف؛ فقال له إسماعيل بن يسار : أما جئت إلا
لأرى ؟ قال : لا؛ قال : فأسمع ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

ما ضرَّ أهلك لو تطوَّفَ عاشقٌ بفناء بيتك أو ألمَ فسلما

فقال : والله لو كنت سمعت هذه القصيدة أو علمت أنك قلتها لكأ أتيت . وفي
أبيات من هذا الشعر غناء ، نسبته :

صوت

يا هندُ رُدِّي الوصل أن يتصرَّما وصلي أمراً كلفاً بحبك مُغرماً
لو تبذلين لنا دلالك مرةً لم نبغِ منك سوى دلالك محرماً
منعَ الزيارة أنْ أهلك كلَّهم أبدوا لزورك غلظةً وتحمهاً
ما ضرَّ أهلك لو تطوَّفَ عاشقٌ بفناء بيتك أو ألمَ فسلما

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي . والغناء لأبن مسجح خفيفٌ ثقیل أول
بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لإبراهيم الموصلي رملٌ بالنصر عن
حبش .

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :

أنشد رجل زبَّان السوء قولَ إسماعيل بن يسار :

ما ضرَّ أهلك لو تطوَّفَ عاشقٌ بفناء بيتك أو ألمَ فسلما

فبكى زبَّان ، ثم قال : لا شيء ، والله إلا الضجر وسوء الخلق وضيق الصدر ، وجعل
يبكي ويمسح عينيه .

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيدلاني النحوي صهر المبرد قال حدثني طلحة بن

عبد الله بن إسحاق الطَّلحيّ قال حدّثني الزُّبير بن بَكَّار قال حدّثني الجعفر بن الحسين اللّهيّ قال :

أنشدتُ زبَانَ السَّوَّاقِ قولَ إسماعيلَ بنِ يسارِ النَّسائيّ :

صوت

إِنْ جُمَلًا وَإِنْ تَبَيَّنَتْ مِنْهَا نَكَبًا عَنْ مَوَدَّتِي وَأَزْوَارًا
شَرَدْتُ بِادِّكَارِهَا النَّوْمَ عَنِّي وَأَطِيرُ الْغَزَاءَ مَتْنِي فَطَارًا
مَا عَلَى أَهْلِهَا وَلَمْ تَأْتِ سِوَا أَنْ تُحْيَا تُحْيَةً أَوْ تُرَارًا
يَوْمَ أَبْدَوْا لِي التَّجَهُّمَ فِيهَا وَخَمَوَهَا لَجَاجَةً وَضَرَارًا

فقال زبّان : لا شيء . وأبّيهم إلا اللّخزُ وقلة المعرفة وضيق العطن ؛ فصاح عليه أبو المعافى وقال : فعلى من ذاك ويلك ! أعلّيك أو على أبيك أو أمك ؟ فقال له زبّان : إنما أتيت يا أبا المعافى من نفسك ، لو كنت تفعل هذا ما اختلفت أنت وأبنك ؛ فوثب إليه أبو المعافى يرميه بالتراب ويقول له : ويحك يا سفيه ! تحسن الديانة ؛ وزبّان يسعى هرباً منه .

الغناء في هذه الأبيات لأبن مسجح خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكيّ وحمّاد . وذكر الهشاميّ وحَبَش أنه لأبن محرز ، وأن لحن أبن مسجح ثاني ثقيل .

(١) ويروى : « إن جملاً خلى تبينت ... » .

(٢) وفي رواية : « شرقت بادكارها اليوم عني » . وشرقت العين : احترت .

(٣) ويروى : « ولم نأت » .

(٤) العز : الشح والبخل .

(٥) ضيق العطن : كناية عن الحمق وضيق الصدر .

انشاده الوليد :

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال :

غني الوليد بن يزيد في شعر لإسماعيل بن يسار وهو :

حتى إذا الصبح بدا ضوهه وغارت الجوزاء والمرزم^(١)
خرجت والوطء خفي^(٢) كما ينساب من مكمنه الأرقم^(٣)

فقال : من يقول هذا ؟ قالوا : رجل من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النسائي ؛ فكتب في أشخاصه إليه ؛ فلما دخل عليه أستنشده القصيدة التي هذان البيتان منها ؛ فأنشده :

كَلَّمْتُ أَنْتَ الْهَمُّ يَا كَلَّمْتُ	وَأَنْتُمْ دَائِي الَّذِي أَكْتُمُ
أَكَاثِمُ النَّاسَ هَوَى شَفْنِي	وَبَعْضُ كَتَانِ الْهَوَى أَحْزَمُ
قَدْ لَمَعَتِي ظُلُمًا بَلَا ظَنَّةٍ	وَأَنْتِ فِيمَا بَيْنَنَا الْوَمُ
أَبْدِي الَّذِي تُخْفِنُهُ ظَاهِرًا	أُرْتَدَّ عَنْهُ فَيْكٍ أَوْ أَقْدِمُ
إِمَّا بِيَأْسٍ مِنْكَ أَوْ مَطْمَعٍ	يُسَدِّي بِحَسَنِ الْوُدِّ أَوْ يُلْخِمُ
لَا تَتْرَكْنِي هَكَذَا مَيِّتًا	لَا أُمْنَحُ الْوُدَّ وَلَا أَصْرَمُ
أَوْفِي بِمَا قُلْتَ وَلَا تَنْدَمِي	إِنَّ الْوَفَى الْقَوْلُ لَا يَنْدَمُ
آيَةً مَا جِئْتُ عَلَى رِقَبَةٍ	بَعْدَ الْكَرَى وَالْحَيِّ قَدْ نَوَمُوا
أَخَافُ الْمَشْيَ حِذَارَ الْعِدَا	وَاللَّيْلُ دَاجِرٌ حَالِكٌ مُظْلَمُ
وَدُونَ مَا حَاوَلْتُ إِذْ زَرْتَكُمْ	أُخَوِّكُ وَالْحَالُ مَعًا وَالْخَمُ

- (١) المرزم : من نجوم المطر ، وأكثر ما يذكر هذا اللفظ بصيغة المثنى ، فيقال : المرزمان .
(٢) الأرقم : أخبث الحيات والأثني « رقشاء » ، بالشين ولا يقال : « رقاء » ، باليم لأنه قد جعل اسماً منسلخاً عن الوصفية .
(٣) ويروي : « إيه بما جئت ... الخ » .
(٤) في رواية : « حذار الردي » .
(٥) ويروي : « ودون ما جاوزت » .

وليس إلا الله لي صاحب^١ اليكم والصارم^٢ اللهم
 حتى دخلت البيت فاستدرفت^٣ من شفتي عينك^٤ لي تسجهم^٥
 ثم أنجلي الحزن^٦ وروعاه^٧ وغيب^٨ الكاشح^٩ والمبرم^{١٠}
 فبت^{١١} فيما شئت^{١٢} من نعمة^{١٣} يمنخنيها^{١٤} نحرها^{١٥} والقم^{١٦}
 حتى إذا الصبح بدا ضوءه^{١٧} وغارت^{١٨} الجوزاء^{١٩} والمرزم^{٢٠}
 خرجت^{٢١} والوطء^{٢٢} خني^{٢٣} كما ينساب^{٢٤} من مكمنه^{٢٥} الأرم^{٢٦}

قال : فطرب الوليد حتى نزل عن فرشه وسريه ، وأمر المغنين فغنوه الصوت
 وشرب عليه أقداحاً ، وأمر لإسماعيل بكسوة وجائزة سنينة ، وسرحه الى المدينة .

نسبة هذا الصوت

الشعر لإسماعيل بن يسار النيسابني . والغناء لابن سريج رمل .

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق
 الموصلي قال حدثنا محمد بن كئاسة قال :

اصطحب شيخ^١ وشباب^٢ في سفينة من الكوفة ؛ فقال بعض الشباب للشيخ :
 إن معنا قينة^٣ لنا ، ونحن^٤ نجلك ونحب^٥ أن نسمع غناها ؛ قال : الله المستعان ،
 فأنأ^٦ أرقى على الأطلال^٧ وشأنكم ؛ فغنت^٨ :

حتى إذا الصبح بدا ضوءه^١ وغارت^٢ الجوزاء^٣ والمرزم^٤
 أقبلت^٥ والوطء^٦ خني^٧ كما ينساب^٨ من مكمنه^٩ الأرم^{١٠}

قال : فالتقى الشيخ بنفسه في الفرات ، وجعل يخطب بيديه ويقول : أنا الأرم ! أنا
 الأرم ! فأدركوه وقد كاد يغرق ؛ فقالوا : ما صنعت بنفسك ؟ ! فقال : إني والله
 أعلم من معاني الشعر ما لا تعلمون .

(١) اللهم : القاطع من السيوف والأسنة .

(٢) المبرم : الجليس الثقيل .

(٣) النعمة بفتح النون : المسرة والفرح والترفه .

(٤) ويروي : « جاد بها لي نحرها والقم » .

(٥) في رواية : « وغابت » .

مدح وهجا :

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال
حدثني أبو مُسْلِمٍ المُسْتَمَلِي عن المدائني قال :

مدح إسماعيل بن يسار النَّسَائِي رجلاً من أهل المدينة يقال له عبد الله بن
أنس ، وكان قد اتصل ببني مروان وأصاب منهم خيراً ، وكان إسماعيل صديقاً
له ؛ فرحل إلى دمشق إليه ، فأنشده مديحاً له ومَتَّ إليه بالجوار والصدقة ، فلم
يعطه شيئاً ؛ فقال يهجوه :

لعمرك ما إلى حَسَنٍ رحلنا ولا زُرْنَا حَسِيناً يَا بَنَ أَنْسِ

(يعني الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما)

ولا عبداً لبعدهما^١ فنحظى بحسن الحظ^٢ منهم غير نجس^٣
ولكن ضَبَّ جندله^٤ أتينا مضباً في مكانه يُقَيِّتِي^٥
فلما أن أتينا^٦ه وقلنا بجاجتنا تلون لون^٧ ورس^٨
وأعرض غير مُنْبَلِجٍ لِعُرْفٍ وظل مُقَرَّباً^٩ ضرساً بضرس^{١٠}
فقلت لأهله أبه كراز^{١١} وقلت لصاحبي أترأه يُمِي^{١٢}
فكان الغم أن قنا جميعاً مخافة أن تُزَنَ^{١٣} بقتل نفس^{١٤}

(١) ورد بعض هذه الايات في كتاب عيون الاخبار منسوباً الى الحارث الكندي هكذا :

فلما أن أتينا^١ه وقلنا بجاجتنا تلون لون ورس
وأض بكفه يمتك ضرساً يرينا أنه وجيع بضرس
فقلت لصاحبي أبه كراز^٢ وقلت أيسره أترأه يمي^٣
وقنا هاربين معاً جميعاً نخاذر أن تُزَنَ بقتل نفس^٤

(٢) وروى : « لبعدهم » .

(٣) الجندلة : واحدة الجندل وهي الحجارة .

(٤) أضب في المكان : لزمه فلم يفارقه .

(٥) الورس : نبات أصفر يكون باليمن يتخذ منه طلاء للوجه ، ونباته مثل نبات السمسم .

(٦) المقرطب : الغضبان .

(٧) وروى : « ضرساً لفرس » .

(٨) الكراز (كغراب ورومان) : داء يأخذ من شدة البرد وتعترى منه رعدة .

(٩) زن : نتهم .

وثاؤه لمحمد بن عروة :

حدّثني عمي^١ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مُصعب بن عبد الله قال :

وفد عروة بن الزبير إلى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه إسماعيل بن يسار
الّيسائي^٢ ، فات في تلك الوفادة محمد بن عروة بن الزبير ، وكان مطلعاً على دواب
الوليد بن عبد الملك ، فسقط من فوق السطح بينها ، فجعلت ترمحه حتى قطعته ،
وكان جميل الوجه جواداً ؛ فقال إسماعيل بن يسار يرثيه :

صلى الإله على فتى فارقه	بالشام في جدّ الطوي ^٣ الملحد ^٤
بوأته بيدي دار إقامة	ثاني المحلة عن مزار العود ^٥
وغبرت أعرله وقد أسلمته	لصفا ^٦ الأمايز والصفيح ^٧ المسند ^٨
متخسماً للدهر ألبس حلة	في النابات بحجرة وتجلد
أعني ابن عروة إنه قد هدني	فقد ابن عروة هدة لم تقصد
فإذا ذهبت إلى الغراء أرومه	ليرى المكاشخ بالغراء تجلدي
منع التعزي أنني لفراقه	ليس العدو علي جلد الأربد ^٩
ونأى الصديق فلا صديق أعدّه	لدفاع نائبة الزمان المفسد
فلئن تركتك يا محمد ثاوياً	ليأتروح مع الكرام وتعتدي

(١) هو الحسن بن محمد عم صاحب الاغاني .

(٢) ترمحه : تضر به بأرجلها .

(٣) الطوي : المراد به القبر المعرّش بالحجارة والآجر .

(٤) ألد القبر : عمل له لحداً .

(٥) أعرل الرجل : رفع صوته بالبكاء .

(٦) الصفا : جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم لا ينبت . والأمايز : جمع أممز وهو المكان الصلب الكثير الحصى .

(٧) الصفيح والصفيحة : واحد الصفائح وهي الحجارة العريضة . والمسند : المتراكب بعضه فوق بعض .

(٨) الأربد : الأسد .

(٩) وروى : « على » .

كان الذي يزَع العدو بدفعه ويردَّ نحوه ذي المراح الأصيد
فضى لوجهه وكل معتر يوماً سيدركه حمام الموعد

مدحه عبد الملك بن مروان :

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مصعب بن عبد الله
عن أبيه :

أن إسماعيل بن يسار دخل على عبد الملك بن مروان لما أفضى إليه الأمر بعد
مقتل عبد الله بن الزبير ، فسلم ووقف موقف المنشد وأستأذن في الإنشاد ؛ فقال
له عبد الملك : الآن يا بن يسار ! إنما أنت امرؤ زبيري ، فبأي لسان تُنشد !
فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا أصغرُ شأنًا من ذلك ، وقد صفحت عن أعظم
جرماً وأكثر غناء لأعدائك مني ، وإنما أنا شاعر مضحك ؛ فتبسّم عبد الملك ؛ وأوماً
إليه الوليد بأن يُنشد ؛ فابتدأ فأنشد قوله :

ألا يا لقومي للرفاد المسهد وللماء ممنوعاً من الحائم الصدي
وللحال بعد الحال يركبها الفتى وللحب بعد السلوة المتورد
وللمرء يُنفخ في التصالي وقبله صبا بالقواني كل قرم مجد
وكيف تناسي القلب سلمى وحبها كجمر غضى بين الشراسيف موقد

حتى انتهى الى قوله :

إليك إمام الناس من بطن يثرب ونعم أخو ذي الحاجة المتعبد
رحلنا لأن الجود منك خليفة وأنت لم يذمم جنابك مجتد
ملكك فردت الناس ما لم يزد هم إمام من المعروف غير المصرد

(١) المراح : الأثر والنشاط . والأصيد : الذي يرفع رأسه كبراً ، ومنه قيل للملك : أصيد ،
لأنه لا يلتفت يمينا ولا شمالا .

(٢) الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن .

(٣) صرد عطاءه : قلله ، وقيل أعطاه قليلاً قليلاً .

وقتاً فلم تنقض قضاء خليفة ولكن بما ساروا من الفعل تقتدي
ولما ولت الملك ضاربت دونه وأسندته لا تأتي خيراً مُسند
جعلت هشاماً والوليد ذخيرةً ولين للعهد الوثيق المؤكد

قال : فنظر اليها عبد الملك متبسماً ، والتفت إلى سليمان فقال : أخرجك إسماعيل
من هذا الأمر ؛ فقطب سليمان ونظر إلى إسماعيل نظراً مُغضباً ؛ فقال إسماعيل :
يا أمير المؤمنين ، إنما وزن الشعر أخرجه من البيت الأول ، وقد قلت بعده :
وأضيت غزماً في سليمان راشداً ومن يعتصم بالله مثلك يرشده

فأمر له بألفي درهم صلة ، وزاد في عطائه ، وفرض له ، وقال لولده : أعطوه
فأعطوه ثلاثة آلاف درهم .

مع هشام بن عبد الملك :

أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي خيصة قال ذكر ابن النطاح عن أبي
اليفطان :

أن إسماعيل بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك في خلافته وهو بالرفصة
جالس على بركة له في قصره ، فأستنشه وهو يرى أنه يُنشد مديحاً له ؛ فأنشده
قصيدته التي يقتخر فيها بالعجم :

يا ربع رامة بالعلياء من ريم هل ترجعن إذا حيئت تسليمي
ما بال حي غدت بزل المطي بهم تحدي لغربتهم سيرا بتقجيم

(١) وروى : « وقت » .

(٢) رامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة . وبين رامة وبين البصرة
اثنا عشرة مرحلة . وقيل : رامة : هضبة أو جبل بيني دارم .

(٣) ريم : واد لمزينة قرب المدينة ، وقيل : على ثلاثين ميلاً من المدينة ، وقيل : على أربعة برد
من المدينة أو ثلاثة . (والبريد فرسخان أو أربعة فراسخ ، والفرسخ : ثلاثة أميال) .

(٤) بزل : جمع بزول ، والبزول : الناقة في تاسع سنها وليس بعده سن تسمى . وخدى الفرس
والبعير : أسرع وزج بقوائمه . والتقجيم : طي المنازل وعدم النزول بها ، يقال : فحم المنازل إذا طواها ،
وقضت الإبل راكبيها : جعلتهم يطوون المنازل منزلاً منزلاً من غير أن ينزلوا بها .

كَأَنِّي يَوْمَ سَارُوا شَارِبٌ سَلَبْتُ فَوَادَهَ قَهْوَةً مِنْ خَمْرٍ دَارُومٍ^١
 حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

إِنِّي وَجَدَكَ مَا مُعَوِّدِي بِذِي خَوَرٍ عِنْدَ الْحِفَازِ وَلَا حَوْضِي بِمَهْدُومٍ
 أَصْلِي كَرِيمٌ وَمَجْدِي لَا يُقَاسُ بِهِ وَلِي لِسَانٌ كَحَدِّ السِّيفِ مَسْمُومٍ^٢
 أَتَجِبِي بِهِ مَجْدَ أَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ بِنَاجِ الْمَلِكِ مَعْمُومٍ
 جَعَجَجِ سَادَةُ بُلُجٍ مَرَازِبَةٍ جُرُزٍ عِتَاقٍ مَسَامِيحٍ مَطَاعِمٍ
 مِنْ مِثْلِ كَسْرَى وَسَايِرِ الْجُنُودِ مَعًا وَالْهُرْمُزَانُ لِفَخْرٍ أَوْ لَتَعْظِيمٍ
 أَسَدُ الْكُتَاتِبِ يَوْمَ الرُّوْعِ إِنْ زَحَفُوا وَهُمْ أَذَلُّوا مَاوِكَ التَّرِكَ وَالرُّومِ
 يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْمَاضِي سَابِغَةً مَشْيَ الضَّرَاغِمَةِ الْأَسَدِ اللَّهَامِيمِ^٣
 هُنَاكَ إِنْ تَسَالَى تُنَبِّئُ بَأَن لَنَا جُرْثُومَةً قَهَرَتْ عِزَّ الْجَرَائِمِ

قال : فغضب هشام وقال له : يا عاضَ بَطْرَ أُمِّهِ ، أَعْلِي تَفَخَّرَ وَإِيَّاي تُنْشِدُ
 قصيدة تمدح بها نفسك وأُعالجَ قومك !! غَطَّوْهُ فِي الْمَاءِ ، فَغَطَّوْهُ فِي الْبَرَكَةِ
 حتى كادت نفسه تخرج ، ثم أمر بإخراجه وهو بشرّ ونفاه من وقته ، فأخرج
 عن الرُصافة منفياً إلى الحجاز . قال : وكان مبتلىً بالعصبية للعجم والفخر بهم ،
 فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً .

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ قال قال ابن النطّاح وحدثني
 أبو اليَقْظَان :

(١) داروم : قلعة بعد غزاة للقاصد إلى مصر . الواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر
 مقدار فرسخ ، خربها صلاح الدين لما ملك الساحل في سنة ٥٨٤ هـ . تنسب إليها الخمر .
 (٢) الظاهر أن هذه الكلمة مرفوعة ، وبذلك يكون في الشعر إفواء . على أنه يمكن أن يقال :
 لأنها مجرورة إما لأنها نعت لحَدِّ السيف ، على مذهب من يجوز نعت المعرفة بالنكرة مطلقاً ، أو نعت
 لسان على أن يكون أصل الكلام : « إلى لسان ... » بدل « ولي لسان ... » .
 (٣) جعاجع : جمع جعجع ، والجعجع والجعجج : السيد الكريم . والمرازبة : جمع مرزبان وهو
 رئيس الفرس .

(٤) الهرمزان : الكبير من ملوك العجم .
 (٥) حلق : جمع حلقة وهي الدرع . والمأذي : الدروع السهلة اللينة أو البيضاء . واللهاميم : جمع
 لهميم وهو السابق الجواد من الخيل والناس .
 (٦) جرثومة الشيء : أصله .

أن إسماعيل بن يسار وفد الى الوليد بن يزيد، وقد أسنّ وضعف، فتوسّل اليه
بأخيه الغمر ومدحه بقوله :

نَأْتِكَ سُلَيْمِي فَاهْوَى مَشَاجِرُ وفي نَأْيِهَا للقلب داءُ مُخَاسِرُ
نَأْتِكَ وهامَ القلبُ نَأْيًا بذكرها وَلَجَ كما لَجَّ الخَلِيعُ المَقَامِرُ
بواضحة الأقواب خَفَافَةُ الخَشْي بَرَهْرَهَةٍ لا يَحْتَوِيهَا المَعَاشِرُ

يقول فيها يمدح الغمر بن يزيد :

إذا عَدَدَ الناسُ المكارمَ والعُلا فلا يَفْخَرُونَ يوماً على الغمرِ فَاخِرُ
فما مرّ من يومٍ على الدهرِ واحدٍ على الغمرِ إلا وهو في الناسِ غامِرُ
تراهم خُشوعاً حين يبدو مَهَابَةٌ كما خَشَعَتْ يوماً لكسرى الأساورُ
أغرُّ بطاحي^٥ كأنَّ جَبِينَهُ إذا ما بدا بدرُ إذا لاح باهرُ
وَقَى عِرْضَهُ بالمالِ فالمالُ جُنَّةٌ له وأهان المالُ والعِرْضُ وافرُ
وفي سَنِيهِ للمُجْتَدين عمارةٌ وفي سيفه للدين عزٌّ وناصرُ
غناه إلى قُرْعِي لُؤْيِ بنِ غالبٍ أبوه أبو العاصي وحربٌ وعامرُ
وخمسةُ آباءٍ له قد تتابعوا خلائفُ عدلٍ مُلْكُهُم متواترُ
بِهَالِيلٍ سَبَّاقُونَ في كلِّ غَايَةٍ إذا أَسْبَقَتْ في المَكْرُماتِ المَعَاشِرُ
هم خيرُ مَنْ بَيْنَ الخُجُونِ إلى الصِّفا إلى حيثُ أفضتْ بالبطاحِ الخزاوِرُ^٦
وهم جمعوا هذا الأثامَ على الهدى وقد فَرَّقَتْ بَيْنَ الأثامِ البصائرُ

قال : فأعطاه الغمر ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم.

(١) الأقواب : جمع قرب وهي الخامسة .

(٢) البرهرة : المرأة البيضاء الشابة الناعمة .

(٣) اجتواه : كرهه .

(٤) وى : وى .

فما مرّ من يومٍ من الدهرِ واحدٍ من الغمرِ إلا وهو للناسِ غامرُ

(٥) البطاحي : نسبة الى البطاح وهي التي كان ينزلها قريش البطاح، وهم أشرف قريش وأكرمهم .

(٦) الخزاوِر : جمع خزورة، وهي الراية الصغيرة .

أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب قال:

لما مات محمد بن يسار، وكانت وفاته قبل أخيه، دخل إسماعيل على هشام ابن عروة فجلس عنده وحدثه بمصيبته ووفاة أخيه، ثم أنشده يرثيه:

عِيلَ الغزاة وخانني صبري	لما نعى الناعي أبا بكر
ورأيت ريبَ الدهر أفردني	منه وأسلم للعدا ظهري
من طَلَبِ الأثواب مُقَبَّل	حُلُو الثمائل ماجد غمر
ففضى لوجهته وأدركه	قَدَرٌ أتيج له من القدر
وَعَبْرَتٌ مالي من تذكُّره	إلا الأسى وحرارة الصدر
وَجَوَى يُعاوِدُنِي وَقَلَّ له	مَنِي الْجوى وَمَحاسِنُ الذِّكر
لما هوت أيدي الرجال به	في قعر ذات جِوانِبٍ غُبر
وعلمتُ أَنِّي لَن أَلاقِيه	في الناس حتى مُلَّتْني الحُشر
كادت لفرقه وما ظَلَمْتُ	نَفْسِي تموت على شفا القبر
ولَعَمْرُ من جِلس الهدْي له	بِالأخشَبين صَيِّحَةُ النَّحر
لو كان نَزِلُ الخلد يدركه	بَشَرٌ بِطِيبِ الحِمِّ والنَّجَر
لَعَبْرَتٌ لا تحشى المُنونَ ولا	أودى بنفسك حادثُ الدهر
ولَنِعَمَ ماوَى المومنين إذا	قَعَطُوا وأخلف صائبُ القطر
كم قلتُ آونة وقد ذَرَفْتُ	عيني فماء شؤونها يجري
أَنِّي وأَيَّ فِتْيَ يكون لنا	شُرُوكٌ عند تفاقم الأمر

(١) الغمر: الكريم الواسع الخلق.

(٢) غبر: مكث وبقي.

(٣) وروى: «يعاودني».

(٤) الأخشبان: جبلان يضافان ثارة إلى مكة وثارة إلى مني، أحدهما أبو قيس والآخر قميعة، ويقال: بل هما أبو قيس والجبل الأحمر المشرف هناك.

(٥) الحِم: الطبيعة والسجية، وقيل: الأصل. والنجر: الأصل.

(٦) شرواك: مثلك.

لدفاع خضم ذي مُشَاغِبَةٍ ولعائل تَرْبٍ أَخِي فَقَرِ
ولقد علمتُ وإن ضمنتُ جَوَى ما أَجَنَ كَوَاهِجَ الجَمْرِ
ما لَأَمْرِي دُونَ الْمُنْيَةِ مِنْ نَفَقٍ فَيُخْرِزُهُ وَلَا يَسْتَرِ

قال : وكان بحضرة هشام رجلٌ من آل الرُّبَيْرِ، فقال له : أحسنتَ وأسرفتَ في القول، فلو قلتَ هذا في رجل من ساداتِ قريش لكان كثيراً؛ فزجره هشام، وقال : بئس والله ما واجهتَ به جليستك؛ فشكره إسماعيل، وجزاه خيراً. فلما انصرف تناول هشامُ الرجلَ الرُّبَيْرِيَّ وقال : ما أردتَ إلى رجل شاعر مملوك قوله فصرَفَ أحسنَه إلى أخيه! ما زدت على أن أغريته بعروضك وأعراضنا لولا أنني تلافيته. وكان محمد بن يسار أخو إسماعيل هذا الذي رثاه شاعراً من طبقة أخيه؛ وله أشعار كثيرة، ولم أجد له خبراً فأذكره، ولكن له أشعار كثيرة يُغْنِي فيها . منها قوله في قصيدة طويلة :

صوت

غَشِيتُ الدَّارَ بالسَّنَدِ دُونَ الشَّعْبِ مِنْ أَحَدٍ
عَفَّتْ بَعْدِي وَغَيْرَهَا تَقَادُمُ سَالِفِ الْأُبْدِ

الغناء لحكم الوادي خفيفٌ ثقيلٌ عن الهشامي .

ولإسماعيل بن يسار ابنٌ يقال له إبراهيم، شاعرٌ أيضاً، وهو القائل :
مضى الجهل غنك إلى طَيْتِهِ وَأَبَكَ حُلْمُكَ مِنْ غَيْتِهِ
وأصبحتَ تَعَجَّبُ مِمَّا رَأَيْتَ مِنْ نَقْضِ دَهْرٍ وَمِنْ مِرَّتِهِ
وهي طويلة يفتخر فيها بالعجم كرهتُ الإطالة بذكرها .

انقضت أخباره :

(١) وروى : « من غيته » والنية : الضلال والفساد .

صوت

كَلَيْبُ لَعْمَرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً وَأَيْسَرُ جُرْماً مِنْكَ ضَرَجَ بِالْدَمِ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَأَسْتَمَرَ بَطْعَنَةً كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَابِي الْمُسَهْمِ^١

عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . الشَّعْرُ لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدِي . وَالْغَنَاءُ لِلْهُذَلِيِّ فِي اللَّحْنِ الْمُخْتَارِ ،
وَطَرِيقَتُهُ مِنَ الثَّقِيلِ الْإِوَالِ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وَنَذَكَرُ
هَاهُنَا سَائِرَ مَا يُغْنِي بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَنَنْسِبُهُ إِلَى
صَانِعِهِ ، ثُمَّ نَأْتِي بَعْدَهُ بِمَا يَتَّبَعُهُ مِنْ أَخْبَارِهِ . فَهِيَ عَلَى الْوَلَاءِ سِوَى لَحْنِ الْهُذَلِيِّ :

كَلَيْبُ لَعْمَرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً وَأَيْسَرُ جُرْماً مِنْكَ ضَرَجَ بِالْدَمِ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَأَسْتَمَرَ بَطْعَنَةً كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَابِي الْمُسَهْمِ^٢
أَيَا دَارَ سَلَمَى بِالْحُرُورِيَّةِ^٣ أَسْلَمِي إِلَى جَانِبِ الصَّيَّانِ^٤ فَلَمْتَلَمِ^٥
أَقَامَتْ بِهِ الْبَرْدِينَ ثُمَّ تَذَكَّرَتْ^٦ مَنَازِلَهَا بَيْنَ الدُّخُولِ فَجُرْثُمِ^٧
وَمَسْكَنَهَا بَيْنَ الْغُرُوبِ^٨ إِلَى اللَّوَى إِلَى شُعْبِ تَرْعَى^٩ بَيْنَ فَعِيْهِمْ^{١٠}
لَيْلِي تَصْطَادُ الرِّجَالَ بِفَاحِمِ^{١١} وَأَبْيَضَ كَالْإِغْرِيبِ لَمْ يَتَلَمِ^{١٢}

(١) برد منعم : مرقوم موسى . وفي رواية : « المسهم » .

(٢) البرد المسهم : المخطوط .

(٣) قال ياقوت : الحرورية منسوب في قول النابغة الجعدي حيث قال ، ثم ذكر البيتين : أيا دار
سلى ، والذي بعده . وربما كان منسوباً إلى حروراء ، وهي رملة وعنة بالهنا ، أو موضوع بظاهر
الكوفة نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب ، فنسبوا إليه .

(٤) الصيَّان : بلد لبني تميم أرضه صلبة صعبة الموطى .

(٥) التلثم : موضع بأول أرض الصيَّان .

(٦) جرثم : ماء من مياه بني أسد تجاه الجواء .

(٧) الغروب : موضع .

(٨) عيهم : موضع على طريق البصرة إلى نجد .

(٩) الفاحم : الشعر الأسود الحسن . والإغريض : الطلع حين ينشق عنه كافوره ، يريد

بذلك وجهها .

في البيت الاول والثاني لأبن سُرَيْج ثَقِيلٌ أَوَّلُ آخِرُ بإطلاق الوتر في مجرى
الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيها لَمَّا لَكَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى
البنصر عن إسحاق . وللقريظ في الثالث والرابع والاول والثاني ثَقِيلٌ أَوَّلُ
بالسبابة في مجرى الوسطى . ولا إسحاق في الثالث والاول ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالوسطى،
ذكر ذلك أبو العُيَيس والهشامى . وللقريظ في الرابع ثم الاول خَفِيفٌ ثَقِيلٌ
بالوسطى في رواية عمرو بن بانه . ولتعبد فيها وفي الخامس والسادس خَفِيفٌ
ثَقِيلٌ من رواية أحمد بن المكي . ولأبن سُرَيْج في الخامس والسادس ثَقِيلٌ
أَوَّلُ بالبنصر من رواية علي بن يحيى المنجّم، وذكر غيره أنه للقريظ . ولا إبراهيم
فيه ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالوسطى عن الهشامى، وذكر حَبَشُ أنه لتعبد . ولأبن مُحَرَّرٍ في
الاول والثاني والثالث والرابع هَزَجٌ، ذكر ذلك أبو العُيَيس، وذكر قُمَرِيّ
أنه لأبي عيسى بن المتوكل لا يشك فيه . وللدلال في الخامس والسادس ثاني
ثَقِيلٌ عن الهشامى، وذكر أبو العُيَيس أنه للهذلي . ولعبيد الله بن عبد الله بن
ظاهر في الرابع خَفِيفٌ رَمَلٌ . ولا إسحاق في الثالث والرابع أيضاً مأخوِريّ،
ولتعبد خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أول بالوسطى فيها، وقيل : إنه لحنه الذي ذكرنا متقدماً،
وإنه ليس في هذا الشعر غيره . وذكر حَبَشُ أن في هذه الأبيات التي أولها :
« كليب لعمرى » خَفِيفٌ رَمَلٌ بالوسطى، وللهذليّ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بالبنصر، وللدلال
رَمَلٌ، فذلك ثمانية عشر صوتاً .

وأخبرني محمد بن إبراهيم قريص أن له فيها (أعني الاول والثاني) خَفِيفاً
بالوسطى .

فهرس

المجلد الرابع من كتاب الاغانى

صفحة		صفحة	
٣١	حبسه	٤	ذكر نسب ابي العتاهية واخباره
٣٣	غضب عليه الرشيد وترضاه له الفضل	٤	مناحيه الشعرية
٣٤	رثاء صديق	٤	سبب كنيته
٣٥	اعجاب بشار بشعره	٦	مولد ابي العتاهية وصنعتة
٣٦	اتهامه بالزندقة	٧	مفاخرة
٣٧	وشاية	٧	مذهبه
٣٧	ذات الامثال ارجوزته المشهورة	٨	مع الثنتين
٣٩	برمه بالناس	٩	محاورة
٣٩	المدح القاصد	٩	نسبه بالحجامة
٤٠	تفضيله على ابي نواس	١٠	قوله في القرآن
٤١	الشعر في عرض الكلام	١٠	اوصافه
٤٢	قوته في الارشال	١١	مهاجرة
٤٣	اكبار بعد استخفاف	١٢	ابو العتاهية والموز
٤٤	وفوده على الرشيد	١٢	شهادات في شعره
٤٥	رثاء صديق	١٥	مهارته الشعرية
٤٨	ابن الاعرابي يعينه	١٦	ابن الاعرابي يضربه
٤٨	احب شعره اليه	١٧	رأي ابي نواس فيه
٤٩	رهان وفوز	١٧	بخله
٥٠	رأي ناقد	٢١	احكم شعره
٥٠	مع المهدي في الصيد	٢١	عتاب
٥١	في عسكر المأمون	٢٢	معابنته لغلام
٥٢	استنجاز وعتاب	٢٣	في حاجب
٥٣	حبسه	٢٤	هجاء مقذع
٥٣	اتهام بالزندقة	٢٥	حبه سعدى
٥٤	مع المأمون	٢٦	مع آل معن
٥٥	استنجاز المأمون	٢٩	مع مسلم بن الوليد
٥٦	استعطافه الهادي	٣٠	مع بشار
٥٨	استشفاعه بمخدول		

٢٥٥	هو ادني	١٧٨	خروج قريش
٢٥٩	آراء الشعراء فيه	١٨٦	الاصرار على التزال
٢٦٢	العناية بشعره	١٩٥	دعاء النبي يوم بدر
٢٦٣	معشوقة الأحوص	١٩٧	الحرية
٢٦٤	تفضيل حماد له	١٩٩	مقتل أبي البخري
٢٦٧	انساب الشعراء	٢٠٠	مقتل أمية بن خلف وابنه
٢٧٠	مرض موته	٢٠٣	مقتل أبي جهل
ذكر الدلال وقصته حين خصي		٢٠٦	اختلاف على الفيء
ومن خصي معه		٢٠٦	مقتل النضر بن الحارث
٢٧١	ظفره ونوادره	٢١١	رثاء الأسود بن المطلب لأولاده
٢٧٢	لقبه	٢١٥	أريحية الغناء
٢٧٣	سبب الخصاص	٢١٦	ابن أبي ربيعة وثعهم
٢٧٧	الأسف العام للخصاص	نسب علس ذي جدن واخباره	
٢٨١	احتكم اليه شيعي ومرجعي	٢٢١	قبره وآثاره
٢٨١	هربه الى مكة	اخبار طويس ونسبه	
٢٨٣	اضحك الناس في الصلاة	٢٢٤	أهدر دمه
٢٨٤	سكر مع فتية	ذكر الأحوص واخباره ونسبه	
٢٨٥	شهادة معبد فيه	٢٢٨	قصة وفد عضل والقارة
٢٨٦	الخنثون	٢٣٤	شعر لعاصم بن ثابت
٢٨٧	استدعاء الخليفة له	٢٣٥	كنية الأحوص
٢٨٨	قصته مع قائد	٢٣٥	رأي الفرزدق في شعره
٢٩٥	غنى في زفاف	٢٣٦	طبقته في الشعراء
٢٩٨	الحانة	٢٣٦	جلده
٣٠٠	شراب وعريضة	٢٣٧	هجاؤه لابن حزم
٣٠٢	محبوبة الأحوص	٢٣٨	تعريضه للخبازين
ذكر طريق واخباره ونسبه		٢٣٩	شعره الذي انشده حين شهر به
٣٠٤	الخلاف في نسبه	٢٤٣	مع عائ
٣١٠	أم طريق ونسبها	٢٤٣	هجاؤه
٣١٠	كنيته	٢٤٧	مع أم ليث
٣١١	مع الوليد الأموي	٢٤٩	نفيه
٣١٧	مع المنصور العبلي	٢٥١	عتابه الخليفة
ذكر ابن مشعب واخباره		٢٥٣	الخليفة يعجب بشعره
٣٢٥	اعجاب المنصور بشعره	٢٥٤	كيدته لابن حزم
٣٢٨	قصته مع اعراي عاشق		

ذكر اخبار ابي سعيد مولى

فائد ونسبه

٣٧٤	رأي الأصمعي فيه	٣٣٢	غناؤه عند المهدي
٣٧٦	امتدح ابا جعفر المنصور	٣٣٧	مدحه لعبد الله بن عبد الحميد الخزومي
٢٨٨	تنصه من بعض شعره	٣٣٨	غناؤه في المسجد
٣٩٣	رأي جرير فيه	٣٣٩	رد شهادته ثم قبولها
٣٩٦	رأي ابن الأعرابي فيه	٣٤١	إبكاؤه في الانشاد
٣٩٧	جنازته	٣٤٣	غناؤه الرشيد

ذكر اخبار يونس الكاتب

٤٠٠	غناؤه للوليد
٤٠١	أصواته المعروفة بالزياب

اخبار ابن ربيعة

٤٠٦	شيب بزيب بنت عكرمة
-----	--------------------

اخبار اسماعيل بن يسار ونسبه

٤٠٩	لقبه
٤١١	ادعاؤه المروانية
٤١١	شعبيته
٤١٤	إغراقه في البركة
٤١٧	إنشاده الوليد
٤١٩	مدح وهجا
٤٢٠	رثاؤه لمحمد بن عروة
٤٢١	مدحه عبد الملك بن مروان
٤٢٢	مع هشام بن عبد الملك

ذكر من قتل ابو العباس السفاح

من بني أمية

٣٤٦	سديف يمرض السفاح
٣٤٩	ابن هرمة يوغر على الأمويين
٣٥٥	ركوب المأمون الى جبل التلج

ذكر حميد بن ثور ونسبه واخباره

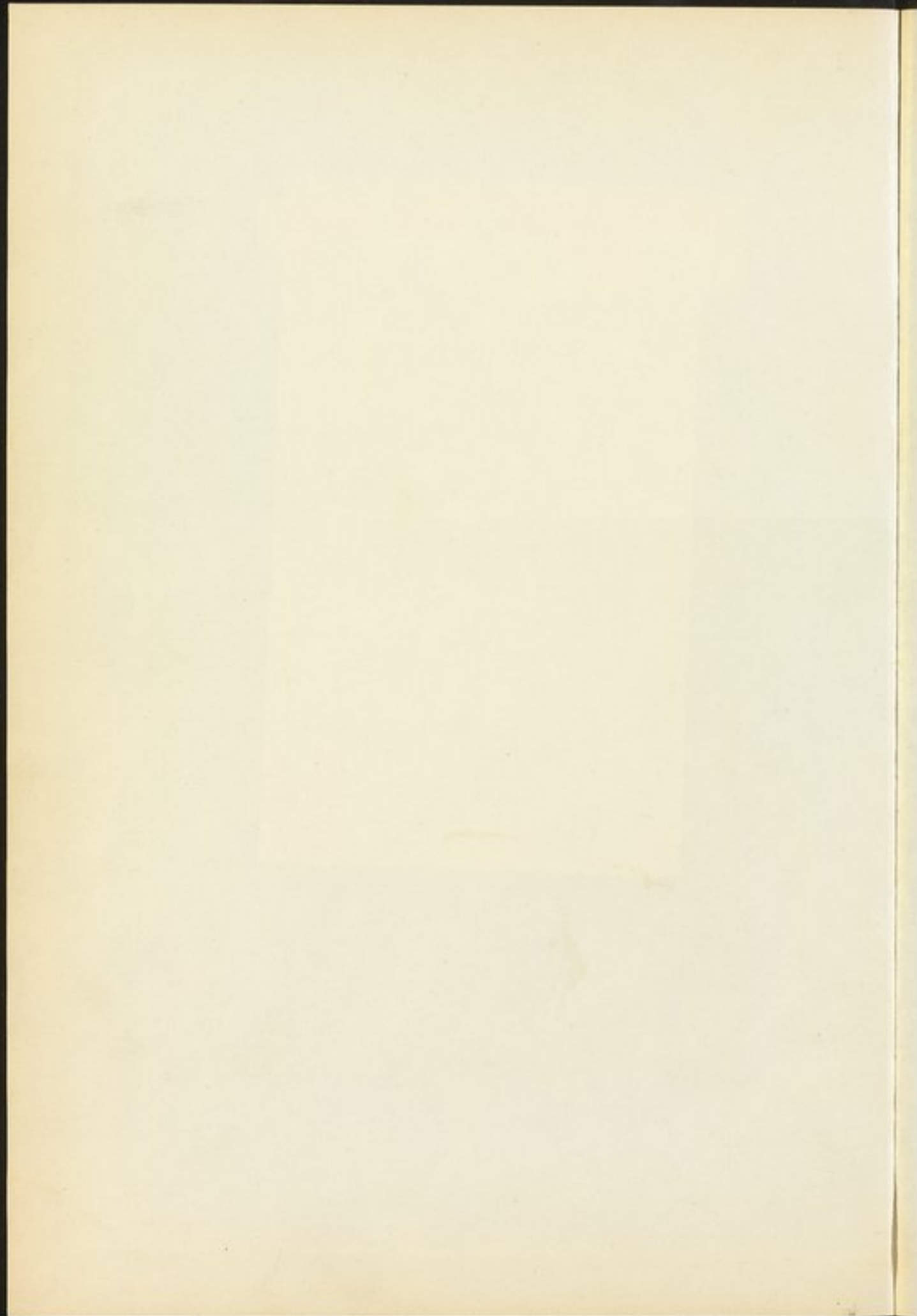
٣٥٨	عنصره ادرك الجاهلية والاسلام
-----	------------------------------

اخبار فليح بن ابى العوراء

٣٦٢	عند المهدي
٣٦٤	عند يحيى بن خالد
٣٦٥	تبرعه بمهر لعاشق
٣٦٦	عند ابراهيم بن المهدي

ذكر ابن هرمة واخباره ونسبه

٣٧٠	مع مضيف
-----	---------



DUE DATE

MAR 25 1981

201-6503

Printed
in USA

13289934

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0113289934

OUTLIER STACKS

893.71s1
O35
v.4

NOV 28 1956

